ماشاء الله كان

الجزء الثالث

من

حاشية العالم العلامة العارف بالله تعالى الشيخ احمد الصاوى المالكى على تفسير الجلالين نفعنا الله بهم أجمعين

آمين

طبع بالمطبعة الأزهرية بمصر

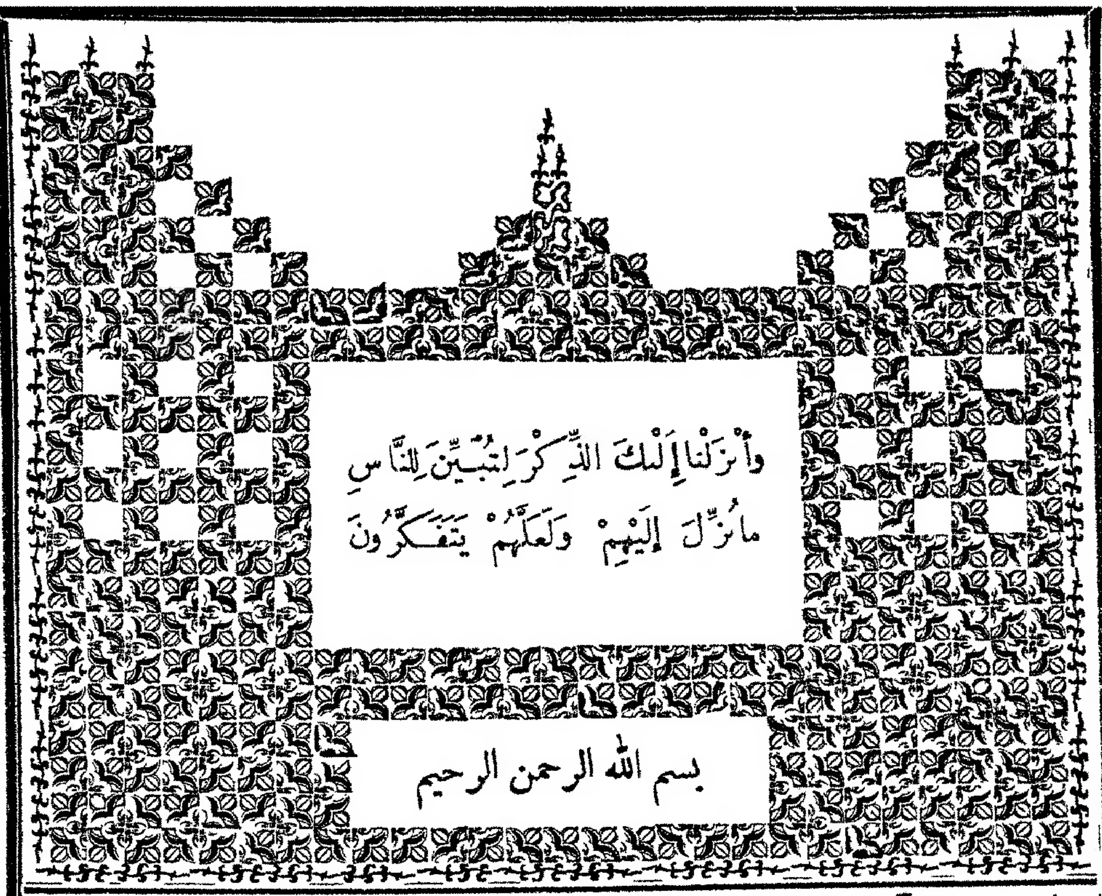
بشارع رقعة القمح بجوار الازهر الشريف

على نفقة

(مصطفى البابى الحلبي واولاده)

قد قوبلت هذه الطبعة على نسخة أميرية مطبوعة سنة ١٢٩٥ هـ ونسخ أخرى موثوق بها

(الطبعة الاولى سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م)



الحمد لله الاول الآخر الباطن الظاهر والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر وعلى آله واصحابه ذوى العلا والمفاخر (وبعد) فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطى فلنشرع الآن فى الكلام على تاليف شيخه الجلال محمد بن احمد المحلى نفعنا الله بهما وبعلومهما فى الدنيا والآخرة ونسال الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الايمان والاسلام قال نفعنا الله به

﴿ سورة الكهف مكية ﴾

سميت بذلك لذكر قصة اصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه وسورة مبتدأ ومكية خبر اول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره اشارة الى ان الجار والمجرور فى لله متعلق بمحذوف خبر المبتدا والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار ازلا وابدا فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكمالات ازلى مستمر وكمال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) اى الاخبار بان وصفه الكمالى ازلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى والمقصود منها كونها عقيدة للعباد وشرطا فى ايمانهم والمخبر بالحمد حامد (قوله او الثناء به) اى انشاء الثناء بمضمون تلك الجملة لا انشاء المضمون فانه ثابت أزلا يستحيل انشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا انشائية معنى كانه قال أجدد وأنشيء حمد النفسى بنفسي لعجز خلقى عن كنه حمدى ولذا حكى عن ابى العباس المرسي انه سال ابن النحاس النحوى عن أل فى الحمد لله هل هى جنسية او عهدية فقال يقولون انها جنسية فقال لا بل هى عهدية لان الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه وابقاه لهم يحمدونه به (قوله أوهما) اى الاعلام والثناء ويكون هذا من باب استعمال الجملة فى الخبر والانشاء على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز فاستعمالها فى الخبر حقيقة واستعمالها فى الانشاء مجاز وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة امرين الاعلام للايمان والتصديق وانشاء الثناء (قوله أفيدها الثالث) اى أكثرها فائدة لدلالته على امرين مقصود كل منهما بالذات

﴿سورة الكهف مكية الا واصبر نفسك الآية مائة وعشر آيات او وخمس عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد) هو الوصف بالجميل ثابت (لله) تعالى وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به او الثناء به اوهما احتمالات افيدها الثالث

ان قلت ان انشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم انشاء الثناء * قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل الغير المقصود فتحصل انه اذا جعلت الجملة خبرية فقط كان الثناء حاصلا غير مقصود وان جعلت انشائية فقط كان الايمان بها حاصلا غير مقصود وان استعملت فيهما كان كل مقصودا لذاته (قوله الذى انزل) تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كانه قال الحمد لله لاجل انزاله الخ وانما جعل الانزال سببا فى الحمد لانه اعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى اذ به تنال سعادة الدارين اذ فيه صلاح المعاد والمعاش قال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ (قوله على عبده) الاضافة لتشريف المضاف ولذا قال القاضي عياض

ومما زادنى شرفا وتيها * وكدت باخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى * وأن صيرت احمد لى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة امامعطوفة على قوله انزل فتكون من جملة المحمود عليه أو حال كما قال المفسر (قوله اختلافا) أى فى اللفظ والمعنى والعوج بالكسر الفساد فى المعانى وبالفتح فى الاجسام (قوله تناقضا) نعت لاختلافا على حذف مضاف أى ذا تناقض (قوله قيما) ان اريد به الاستقامة فى المعنى كان حالا مؤكدة كما قال المفسر وان اريد به الاستقامة مطلقا كان حالا مؤسسة (قوله مستقيما) اى معتدلا قائما بمصالح العباد دنيا واخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث انه يؤنسه فى قبره ويتلقى عنه السؤال ويكون نورا على الصراط ويوضع فى الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غير العامل به بمعنى انه يكون حجة عليه أو المعنى قيما حسن الالفاظ والمعانى لكونه فى اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة * فان قلت ما فائدة التأكيد * قلنا دفع توهم ان نفى العوج عن غالبه لان الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بانزال وهو ينصب مفعولين قدر المفسر الاول بقوله الكافرين والثانى هو قوله باسا وقوله وينذر معطوف على قوله لينذر الاول وحذف مفعوله الثانى لدلالة ما هنا عليه وذكر مفعوله الاول ففى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما اثبته فى الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر وفى بعض النسخ بالكتاب وحينئذ فيكون فاعل الانذار اما ضميرا عائدا على الله او على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمومنين وقوله أن لهم أى بان لهم وانما ذكر المفعولين معا لعدم النظير لهم بخلاف أهل الانذار فانواعهم مختلفة (قوله ماكثين) أى مقيمين فيه (قوله هو الجنة) اى الاجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) اشار بذلك الى ان قوله وينذر معطوف على ينذر الاول عطف خاص على عام والنكتة التشنيع والتقبيح عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا (قوله الذين قالوا اتخذ الله ولدا) أى مولودا ذكرا أو انثى فيشمل النصارى واليهود ومشركي العرب (قوله مالهم به من علم) أى لاستحالته عليه عقلا (قوله بهذا القول) هذا أحد أوجه فى مرجع الضمير والثانى انه راجع للولد اى انهم نسبوا لله الولد مع عدم علمهم به لاستحالته وعدم وجوده الثالث انه راجع لله اى ليس لهم علم بالله اذ لو علموه لما نسبوا لله الولد (قوله من قبلهم) بفتح الميم بدل من آبائهم أى فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموما وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الذم والتاء علامة التانيث والفاعل مستتر تقديره هى وكلمة تمييز له والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله مقالتهم وهذه الجملة مستانفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (قوله تخرج من افواههم) اى من غير تامل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله فى ذلك) أى فى هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله الا كذبا)

(الذى انزل على عبده) محمد (الكتاب) القرآن (ولم يجعل له) أى فيه (عوجا) اختلافا تناقضا والجملة حال من الكتاب (قيما) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لينذر) يخوف بالكتاب الكافرين (باسا) عذابا (شديدا من لدنه) من قبل الله (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه ابدا) هو الجنة (وينذر) من جملة الكافرين (الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به) بهذا القول (من علم ولا لآبائهم) من قبلهم القائلين له (كبرت) عظمت (كلمة تخرج من افواههم) كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أى مقالتهم المذكورة (ان) ما (يقولون) فى ذلك (الا) مقولا (كذبا)

صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولا (قوله فلعلك باخع الخ) لعل تاتى للترجى وللاشفاق وكل ليس مقصودا هنا بل المراد هنا النهى والمعنى لا تبخع نفسك اى لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم ايمانهم (قوله بعدهم) تفسير لآثارهم أى فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله ان لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير فلا تهلك نفسك والمقصود منه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم حزنا يؤدى لاهلاك نفسك واما أصل الحزن والغم فهو شرط فى الايمان لا ينهى عنه لان الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر (قوله لحرصك) علة للعلة (قوله ونصبه على المفعول) اى والعامل فيه باخع (قوله انا جعلنا) كالتعليل لما قبله فهو من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم وجعل ان كانت بمعنى صير فزينة مفعول ثان وان كانت بمعنى خلق فزينة حال او مفعول لاجله وعلى كل فقوله ماعلى الارض مفعول (قوله وغيرذلك) اى من باقى النعم التى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) اى يتزين بها ويتنعم قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) اى نعاملهم معاملة المختبر (قوله ناظرين الى ذلك) حال من الناس اى لنختبر الناس فى حال نظرهم الى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وعملا تمييز والجملة فى محل نصب سدت مسد مفعولى نبلو (قوله اى أزهد له) تفسير لقوله أحسن عملا والمعنى تميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة فمن زهدها كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر (قوله لجاعلون) اى مصيرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتاتا) بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات اى ترابا (قوله جرزا) نعت لصعيدا والمعنى انا لنعيد ماعلى الارض من الزينة ترابا مستويا بالارض كصعيد أملس لا نبات به ان قلت ان قوله ماعليها صريح فى ان الارض تستمر فيكون منافيا لقوله فى الآية الاخرى يوم تبدل الارض غير الارض أجيب بانه خص ماعلى الارض من الزينة لانه الذى به الغرور والفتنة (قوله أم حسبت) ام منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب مذهب الجمهور تفسر ببل والهمزة وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها وعليه درج المفسر وعند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها (قوله اى أظننت) الاستفهام انكارى أى لا تظن ان قصة اهل الكهف عجيبة دون باقى الآيات فان غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والارض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأكهف (قوله الغار فى الجبل) اى وان لم يكن متسعا وهو قول وقيل ان الكهف الغار المتسع فان لم يتسع سمى غارا فقط (قوله والرقيم) هو بمعنى مرقوم (قوله اللوح) اى وكان من رصاص وقيل من حجارة وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء الذى عليه وقيل ان الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف وقيل اسم للقرية وقيل اسم للجبل وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين عيسى وقيل دراهمهم التى كانت معهم وقيل كلبهم (قوله فيه أسماؤهم) اى ففيه فلان بن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا من سنة كذا (قوله فى قصتهم) اى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الامر كذلك) اى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله اذ أوى الفتية الى الكهف) اى نزلوه وسكنوه * وحاصل قصتهم كما قال محمد بن اسحق لما طغى اهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الاصنام وذبحوا لها وبقى فيهم من هو على دين عيسى مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فر بمدينة اصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس

فلعلك باخع) مهلك (نفسك على آثارهم) بعدهم اى بعد توليهم عنك (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفا) غيظا وحزنا منك لحرصك على ايمانهم ونصبه على المفعول له (انا جعلنا ماعلى الارض) من الحيوان والنبات والشجر والانهار وغير ذلك (زينة لها لنبلوهم) لنختبر الناس ناظرين الى ذلك (أيهم احسن عملا) فيه اى ازهد له (وانا لجاعلون ماعليها صعيدا) فتاتا (جرزا) يابسا لا ينبت (أم حسبت) اى أظننت (ان أصحاب الكهف) الغار فى الجبل (والرقيم) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كانوا فى قصتهم (من) جملة (آياتنا عجبا) خبر كان وماقبله حال اى كانوا عجبا دون باقى الآيات اوأعجبها ليس الامر كذلك اذكر (اذ أوى الفتية الى الكهف)

فاستخفى

فاستخفى منه اهل الايمان فصار يرسل اعوانه فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيامرهم بعبادة الاصنام ويقتل من يخالفه فلما اعظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنوا حزنا شديدا وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسي فاخبر الملك بهم وبعبادتهم فبعث اليهم فاحضروا بين يديه يبكون فقال مامنعكم ان تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا انفسكم كاهل المدينة فاختاروا إما ان تكونوا على ديننا واما ان نقتلكم فقال له اكبرهم ان لنا الها عظمته ملء السموات والارض لن ندعو من دونه الها ابدا اصنع مابدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فامر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلمانا مردا حسانا جدا وقال ساتفرغ لكم واعاقبكم وما يمنعنى من فعل ذلك بكم الآن الا انى اراكم شبابا فلا احب ان اهلككم وانى قد جعلت لكم اجلا تدبرون فيه امركم وترجعون الى عقولكم ثم انه سافر لغرض من اغراضه فخافوا انه اذا رجع من سفره يعاقبهم او يقتلهم فاستشوروا فيما بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقى ففعلوا ذلك وانطلقوا الى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجلوس فيه كهف ومروا فى طريقهم بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب انا احب احباب الله عزوجل فناموا وانا احرسكم فتبعهم فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمه تمليخا كان ياتى المدينة يشترى لهم الطعام سرا ويتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك الغار ماشاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره الى المدينة وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يشترى لهم طعاما فجاؤا وأخبرهم برجوع الملك وانه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عزوجل ويتضرعون اليه فى دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس فقال لهم تمليخا يااخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فاكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون فبيناهم كذلك اذ أتى الله عليهم النوم فى الكهف والقاه ايضا على كلبهم وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتحير فيما يصنع بهم فاتى الله فى قلبه ان يسد عليهم باب الغار واراد الله عزوجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وان يبين لهم ان الساعة آتية وانه قادر على بعث العباد من بعد الموت فامر الملك بسده وقال دعوهم فى كهفهم يموتوا جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله ارواحهم وفاة نوم ثم ان رجلين مؤمنين فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبا وقت فقدهم وعددهم وانسابهم ودينهم وممن فروا فى لوحين من رصاص وجعلاهما فى تابوت من نحاس وجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومر بعده سنون وقرون وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فمنهم المؤمن بالساعة ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعهم يقولون لا حياة الا حياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد فجعل يتضرع ويقول رب انت تعلم اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث فاراد الله ان يظهره على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور فاتى الله فى قلب رجل من اهل تلك الناحية ان يهدم ذلك البناء الذى على باب الكهف ويبنى بحجارته حظيرة لغنمه فهدمه وبنى به حظيرة لغنمه فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم ابدانهم وجمالهم وهيئتهم فلم يتغير منها شىء فكانت هيئتهم وقت ان استيقظوا كهيئتهم وقت ان رقدوا ثم ارسلوا تمليخا الى المدينة ليشترى لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها واهلها وملكها وقد اخذه

أهل المدينة وذهبوا به الى ذلك الملك المؤمن فاخبره تمليخا بقصته وقصة أصحابه فقال بعض الحاضرين ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق اريوس واسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فاول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدا في أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم فلما قرؤهما عجبوا وحمدوا الله الذى أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا الى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل بالحضور الينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فان فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلثمائة سنة وأكثر فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال أحمدك رب السموات والارض تفضلت علىّ ورحمتنى ولم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الارض يسبحون الله ويحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما مشى ونام أتوه فى منامه فقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه ويسد به باب الغار فلا يراهم احد وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة اه ملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أى كصبي وصبية (قوله أصلح) أى أويسر (قوله هداية) أى تثبيتا على الايمان وتوفيقا للاعمال الصالحة (قوله فضربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو المعنى الحقيقي وليس مرادا بل المراد أنمناهم ففى الكلام تجوز حيث شبه القاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أنمنا استعارة تصريحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك الى أن عددا مصدر بمعنى معدودة نعت لسنين وسيأتى عددها فى الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شئ أزلا فاجاب بقوله علم مشاهدة والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا أزلا من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لافتراقهم فرقتين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بعض يوم وقيل هم أهل المدينة افترقوا فرقتين فى قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أى ماض وليس اسم تفضيل لانه لا يبنى من غير الثلاثى (قوله للبثهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة وقوله متعلق بما بعده أى حال منه وأمدا مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نباهم) أى نفصل لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للملابسة والجار والمجرور حال من نبا (قوله انهم فتية) أى شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيرا للملك (قوله آمنوا بربهم) أى صدقوا به وانقادوا لاحكامه (قوله قويناها على قول الحق) أى حيث خالفوا الملك ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف (قوله اذ قاموا) ظرف لربطنا اى ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدى ملكهم) اى واسمه دقيانوس (قوله فقالوا) اى خطابا للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله لن ندعو) اى نعبد (قوله اى قولا ذا شطط) اشار بذلك الى ان شططا منصوب على المصدرية صفة لمحذوف على حذف مضاف اى افراط فى الكفر اى مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله عطف بيان)

جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على ايمانهم من قومهم الكفار (فقالوا ربنا آتنا من لدنك) من قبلك (رحمة وهيئ) اصلح (لنا من امرنا رشدا) هداية (فضربنا على آذانهم) اى أنمناهم (فى الكهف سنين عددا) معدودة (ثم بعثناهم) ايقظناهم (لنعلم) علم مشاهدة (اى الحزبين) الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم (احصى) فعل بمعنى ضبط (لما لبثوا) للبثهم متعلق بما بعده (امدا) غاية (نحن نقص) نقرأ (عليك نباهم بالحق) بالصدق (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم) قويناها على قول الحق (اذ قاموا) بين يدى ملكهم وقد امرهم بالسجود للاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه) اى غيره (الها لقد قلنا اذا شططا) اى قولا ذا شطط اى افراط فى الكفران دعونا الها غير الله فرضا (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان

(اتخذوامن دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة ظاهرة (فمن اظلم) اى لا أحد اظلم (ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه تعالى قال بعض الفتية لبعض (واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما ترتفقون به من غداء وعشاء (وترى الشمس اذا طلعت تزاور) بالتشديد والتخفيف تميل (عن كهفهم ذات اليمين) ناحيته (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة (وهم في فجوة منه) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها (ذلك) المذكور (من آيات الله) دلائل قدرته (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم) لو رأيتهم (ايقاظا) اى منتبهين لان اعينهم منفتحة جمع يقظ بكسر القاف (وهم رقود) نيام جمع راقد (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تاكل الارض لحومهم (وكلبهم باسط ذراعيه) يديه (بالوصيد) بفناء الكهف وكانوا اذا انقلبوا انقلب وهو مثلهم في النوم واليقظة (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت) بالتشديد والتخفيف (منهم رعبا) بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من دخول احد عليهم (وكذلك) كما فعلنا بهم ماذكرنا (بعثناهم) ايقظناهم (ليتساءلوا بينهم) عن حالهم ومدة لبثهم (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم)

أى او بدل (قوله اتخذوا) خبر المبتدا (قوله هلا) اشار بذلك الى ان لولا للتحضيض والمقصود من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية انفسهم عليه (قوله على عبادتهم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله اى لا احد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره اشارة الى ان اذ ظرف منصوب بمحذوف اى قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم (قوله وما يعبدون الا الله) ما موصولة او مصدرية والمعنى واذا اعتزلتموهم والذى يعبدونه غير الله او معبوداتهم غير الله (قوله ينشر لكم) اى يبسط ويوسع (قوله وبالعكس) اى فهما قراءتان سبعيتان واما الجارحة فبكسر الميم فقط (قوله من غداء وعشاء) اى وغير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبي او لكل احد والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس اذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) اى فاصله تتزاور قلبت التاء زايا وادغمت فى الزاى (قوله والتخفيف) اى بحذف احدى التاءين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) اشار بذلك الى ان ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد يمين الداخل للكهف وشماله وذلك ان كهفهم مستقبل بنات نعش فتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها ولا ينافى هذا ما تقدم فى القصة انه سد باب الكهف وبنى عليه مسجد لان الكهف له محل منفتح من اعلاه جهة بنات نعش (قوله وهم فى فجوة منه) اى وسطه والجملة حالية (قوله المذكور) اى من نومهم وحمايتهم من اصابة الشمس لهم (قوله من يهد الله فهو المهتد) جملة معترضة فى اثناء القصة لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فلن تجد له وليا) اى معينا (قوله مرشدا) أى هاديا (قوله وتحسبهم) خطاب للنبي او لكل احد (قوله بكسر القاف) اى كفخذ وافخاذ ويضم ايضا كعضد واعضاد (قوله ونقلبهم الخ) قيل يقلبون فى كل سنة مرة فى يوم عاشوراء وقيل يقلبون مرتين وقيل كل تسع سنين والمقلب لهم قيل الله وقيل ملك يامره تعالى (قوله وكلبهم) وكان اصفر اللون وقيل اسمر وقيل كلون السماء واسمه قطمير وقيل ريان وهو من جملة الحيوانات التى تدخل الجنة وبهذا تعلم ان حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم (قوله ذراعيه) منصوب بباسط وهو ليس بمعنى الماضي المنقطع بل المستمر وقولهم اسم الفاعل لا يعمل ان كان بمعنى الماضي لا بمعنى المستقبل (قوله بفناء الكهف) أى رحبته وقيل المراد بالوصيد العتبة وقيل الباب وقيل التراب (قوله لو اطلعت عليهم) الخطاب للنبي او لكل أحد (قوله فرارا) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله او على الحال اى فارا (قوله رعبا) اى فزعا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع من ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية أناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم (قوله بسكون العين وضمها) ظاهره ان القراآت اربع وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات لان اللام ان خففت جاز فى العين السكون والضم وان شددت تعين فى العين السكون فقط (قوله كما فعلنا بهم ماذكر) اى من القاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة فيكون ايقاظهم آية اخرى يعتبر بها هم وغيرهم (قوله ليتساءلوا) اللام للسببية أو للعاقبة والصيرورة (قوله قال قائل منهم) اى واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسلمينا (قوله كم لبثتم) كم منصوبة على الظرفية ومميزها محذوف تقديره كم يوما (قوله أو بعض يوم) أو للشك منهم لترددهم فى غروب الشمس وعدمه

لانهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا انه غروب يوم الدخول ثم (قالوا) متوقفين في ذلك (ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم) بسكون الراء وكسرها بفضتكم (هذه الى المدينة) يقال انها المسماة الآن طرسوس بفتح الراء (فلينظر ايها أزكى طعاما) اى أى اطعمة المدينة احل (٨) (فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا) اى ان عدتم في ملتهم (ابدا وكذلك) كما بعثناهم (اعثرنا) اطلعنا (عليهم) قومهم والمؤمنين (ليعلموا) اى قومهم (ان وعد الله) بالبعث (حق) بطريق ان القادر على انامتهم المدة الطويلة وابقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على احياء الموتى (وان الساعة لا ريب) شك (فيها اذ) معمول لاعثرنا (يتنازعون) اى المؤمنون والكفار (بينهم امرهم) امر الفتية في البناء حولهم (فقالوا) اى الكفار (ابنوا عليهم) اى حولهم (بنيانا) يسترهم (ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم) امر الفتية وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم) حولهم (مسجدا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سيقولون) اى المتنازعون في عدد الفتية زمن النبي اى يقول بعضهم هم (ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون) اى بعضهم (خمسة سادسهم كلبهم) والقولان لنصارى نجران (رجما بالغيب) اى ظنا في الغيبة عنهم وهو راجع الى القولين معا ونصبه على المفعول له اى لظنهم ذلك (ويقولون) اى المؤمنون (سبعة وثامنهم كلبهم) الجملة من المبتدا وخبره صفة سبعة بزيادة الواو وقيل تاكيد ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الاولين بالرجم دون الثالث دليل على انه مرضي وصحيح (قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) قال ابن عباس انا من القليل

(قوله لانهم دخلوا الكهف الخ) ظاهره انهم ناموا في يوم دخولهم وتقدم انهم مكثوا مدة في الكهف قبل نومهم يتعبدون ويأكلون ويشربون فكان المناسب ان يقول لانهم ناموا طلوع الشمس الخ (قوله قالوا) أي بعضهم لبعض (قوله متوقفين في ذلك) أي في قدر مدة لبثهم (قوله ربكم أعلم بما لبثتم) هذا تفويض منهم لامر الله احتياطا وحسن أدب (قوله فابعثوا) أي أرسلوا (قوله احدكم) اى وهو تمليخا (قوله بورقكم) قيل الورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقا وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة (قوله بسكون الراء وكسرها) سبعيتان (قوله هذه) أي الدراهم التي كانت معهم من بيوت آبائهم فانهم انفقوا بعضها قبل نومهم وبقي بعضها معهم فوضعوه عند رؤسهم حين ناموا وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس وكان الواحد منها قدر خف ولد الناقة الصغير (قوله الآن) أي في الاسلام واما في الجاهلية فكانت تسمى افسوس وقيل افسوس من أعمال طرسوس (قوله أحل) أي أحل ذبيحته لانهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون ايمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلطف) أي يترفق في ذهابه ورجوعه لئلا يعرف (قوله ولا يشعرن بكم أحدا) أي لا يفعلن ما يؤدي الى شعور أحد بكم (قوله انهم) أي أهل المدينة (قوله ان يظهروا عليكم) أي يغلبوكم ويطلعوا عليكم (قوله او يعيدوكم في ملتهم) اى يصيروكم اليها (قوله ولن تفلحوا اذا أبدا) اى لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرها ان قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود في ملتهم مع الاكراه المستفاد من قوله انهم ان يظهروا عليكم الخ مع ان المكره غير مؤاخذ بما اكره عليه أجيب بان هذا مخصوص بشرعنا واما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالاكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (قوله وكذلك) أي كما أنمناهم وبعثناهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك اشارة الى ان مفعول اعثرنا محذوف (قوله أى قومهم) أي ذرية قومهم لان قومهم قد انقرضوا (قوله بلا غذاء) أي قوت (قوله وان الساعة) أي القيامة (قوله معمول لاعثرنا) المناسب جعله ظرفا لمحذوف تقديره اذكر أو لقوله قال الذين غلبوا (قوله أى المؤمنون والكفار) اى فقال المؤمنون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لانهم على ديننا وقال الكفار نبني عليهم بيعة لانهم من أهل ملتنا (قوله ربهم اعلم بهم) يحتمل ان يكون من كلام الله او من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) اى الذين كانوا في زمن الملك بيدروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) اى وبقي ظهر الكهف منفتحا كما تقدم (قوله أي المتنازعون) اى وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة لثلاثة وكذا يقال في قوله ويقولون خمسة ويقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز (قوله رجما بالغيب) أي ظنا من غير دليل ولا برهان (قوله أى المؤمنون) أى قالوا ذلك باخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) اى من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تاكيد) اى زائدة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيادتها الاشارة الى تصحيح هذا القول دون ما قبله (قوله ودلالة على لصوق الصفة الخ) العطف للتفسير على ما قبله فهما قولان فقط (قوله قل ربي أعلم بعدتهم) اى من غيره (قوله ما يعلمهم الا قليل) اى وهو النبي ومن سمع منه

وذكرهم سبعة (فلا تمار) تجادل (فيهم الامراء ظاهرا) بما أنزل عليك (ولا تستفت فيهم) تطلب الفتيا (منهم) من أهل الكتاب اليهود (أحدا) وساله اهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله فنزل (ولا تقولن لشيء) أى لاجل شيء (انى فاعل ذلك غدا) أى فيما يستقبل من الزمان (الا أن يشاء الله) أى الا ملتبسا بمشيئة الله تعالى بان تقول ان شاء الله (واذكر ربك) اى مشيئته معلقا بها (اذا نسيت) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره مادام فى المجلس (وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا) من خبر اهل الكهف فى الدلالة على نبوتى (رشدا) هداية وقد فعل الله تعالى ذلك (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة) بالتنوين (سنين) عطف بيان لثلثمائة وهذه السنون الثلثمائة عند اهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب

(قوله وذكرهم سبعة) أى وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينوس وساريونس وذونوانس وفليستطيونس وهو الراعى واسم كلبهم قطمير وقيل حمران وقيل ريان قال بعضهم علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق وقال ابن عباس رضي الله عنهما خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولطفء الحريق تكتب على خرقة وترمى فى وسط النار تطفا باذن الله ولبكاء الاطفال والحمى المثلثة وللصداع تشد على العضد الايمن ولام الصبيان وللركوب فى البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الآثمين اه (قوله الامراء ظاهرا) أى غير متعمق فيه بل نقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما انزل اليك) اى وهو القرآن (قوله ولا تستفت فيهم منهم احدا) اى لا تسال احدا عن قصتهم فان فيما اوحى اليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيد بالنصارى لما روى انه عليه الصلاة والسلام سال نصارى نجران عنهم فنهى عن ذلك (قوله وساله اهل مكة) اى بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح واصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسالوه عنها فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما او اربعين حتى شق عليه وتمارت قريش فى ذلك (قوله فنزل) اى بعد انقضاء تلك المدة تعليما لامته الادب وتفويض الامور الى الله تعالى فان الانسان لا يدرى ما يفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله اى لاجل شيء) اى تهتم به وتريد القدوم عليه (قوله انى فاعل ذلك) المراد بالفعل ما يشمل القول (قوله اى فيما يستقبل من الزمان) اشار بذلك الى ان المراد بالغد ما يستقبل كان فى يومك او بعده بقليل اوكثير لا خصوص اليوم الذى بعد يومك (قوله الا ان يشاء الله) استثناء من عموم الاحوال كانه قال لا تقولن لشيء فى حال من الاحوال الا فى حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الخ) اى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال ان شاء الله (قوله قال الحسن وغيره مادام فى المجلس) اى ولو انفصل عن الكلام السابق وقال ابن عباس يجوز انفصاله الى شهر وقيل الى سنة وقيل ابدا وقيل الى أربعة أشهر وقيل الى سنتين وقيل ما لم ياخذ فى كلام آخر وقيل يجوز بشرط ان ينوى فى الكلام . وقيل يجوز انفصاله فى كلام الله تعالى لانه اعلم بمراده لا فى كلام غيره وعامة المذاهب الاربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الايمان بالمشيئة أن تتصل وان يقصد بها حل اليمين ولا يضر الفصل بتنفس اوسعال او عطاس ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الاربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما اداه ذلك للكفر لان الاخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر (قوله وقل) أى لاهل مكة (قوله ان يهدين) أى يدلنى (قوله فى الدلالة) متعلق باقرب (قوله رشدا) اما مفعول مطلق ليهدينى لموافقته له فى المعنى واليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح أن يكون تمييز الاقرب أى لاقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداه لما هو أعجب وأطلعه على ما هو أغرب حيث شاهد ما شاهد فى ليلة الاسراء وأعطاه علوم الاولين والآخرين وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه وأشار المفسر بذلك الى أن الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقق (قوله ولبثوا فى كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا فى مدة لبثهم (قوله عطف بيان) أى لان تمييز المائة فى الكثير مفرد مجرور وفى قراءة بالاضافة وعليها فتكون من القليل قال ابن مالك

ومائة والالف للفرد أضف ❊ ومائة بالجمع نزرا قد ردف

(قوله تسع سنين) اى لان كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية (قوله أى تسع سنين) أشار بذلك الى ان حذف المميز من الثانى لدلالة الاول عليه (قوله قل الله اعلم بما لبثوا) ان قلت مافائدة الاخبار بذلك بعد ان بين الله ذلك أجيب باوجه أحدها ان المعنى قل الله اعلم بان الثلثمائة سنة والتسع قمرية لاشمسية خلافا لزعم بعض الكفار انها شمسية ثانيها ان المعنى الله اعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته ثالثها ان المعنى الله اعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده * واعلم انه اختلف فى اصحاب الكهف هل ماتوا ودفنوا اوهم نيام وأجسامهم محفوظة والصحيح أنهم نيام ويستيقظون عند نزول عيسى ويحجون معه ويموتون قبل يوم القيامة حين تاتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم ليحجن عيسى ابن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد ذكره ابن عيينة وفى رواية مكتوب فى التوراة والانجيل ان عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وانه يمر بالروحاء حاجا ومعتمرا ويجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا اه (قوله اى علمه) اى علم السموات والارض وماغاب فيهما (قوله على جهة المجاز) اى لان التعجب استعظام امر خفى سببه وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لايخفى فاحاطته بالموجودات سمعا وبصرا وعلما أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورى وانما المقصود ذكر العظمة لاحقيقة التعجب (قوله من ولى) امامبتدأ مؤخر أوفاعل بالظرف (قوله فى حكمه) اى قضائه (قوله واتل ما أوحى اليك) اى ولاتعتبر بهم (قوله لامبدل لكلماته) أى لايقدر أحد ان يغير شيأ من القرآن فلاتخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الى يوم القيامة (قوله ملجأ) اى تلتجئ اليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر نفسك) فى هذه الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم وهى أبلغ من آية الانعام لان الانعام انما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم كان الله يقول له احبس نفسك على مايكرهه غيرك من رثاثة ثياب الفقراء ورائحتهم الكريهة ولاتلتفت لجمال الاغنياء وحسن ثيابهم فان حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع قال الشاعر

جمال الوجه مع قبح النفوس * كقنديل على قبر المجوس

(قوله مع الذين يدعون ربهم) اى يعبدونه (قوله بالغداة والعشي) المراد بالغداة أوائل النهار وأواخر الليل وبالعشي أوائل الليل وأواخر النهار وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوله يريدون وجهه) اى يقصدون بعباداتهم ذات ربهم ورضاه عليهم (قوله لاشيأ من أعراض الدنيا) اى ولا شيأ من نعيم الجنة وهذا مقام الكمل والصحابة به أحرى (قوله تنصرف عيناك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لاتعرض عنهم بل أقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولاتعد عينيك بالنصب لانه فعل متعد مع ان التلاوة بالرفع لاغير فاجاب المفسر بانها وان كانت بالرفع الا انها ترجع لمعنى النصب لان الفعل مسند للعينين وهو فى الحقيقة مسند لصاحبهما ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكاف فى عيناك والشرط موجود وهو كون المضاف جزأ من المضاف اليه والمعنى لاتنصرف عيناك عنهم حال كونك طالبا لزينة الدنيا بمجالسة الاغنياء وصحبة أهل الدنيا والخطاب للنبي والمراد هو وغيره وانما خوطب النبي وان كان معصوما من ذلك تسلية للفقراء وتطمينا لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) اى الفزارى أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص

تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وازدادوا تسعا) اى تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية (قل الله اعلم بما لبثوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (له غيب السموات والارض) اى علمه (أبصر به) أى بالله هى صيغة تعجب (واسمع) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد انه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شئ (مالهم) لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) ناصر (ولا يشرك فى حكمه احدا) لانه غنى عن الشريك (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته وان تجد من دونه ملتحدا) ملجأ (واصبر نفسك) احبسها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى لاشيأ من اعراض الدنيا وهم الفقراء (ولاتعد) تنصرف (عيناك عنهم) عبر بهما عن صاحبهما (تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) اى القرآن وهو عيينة بن حصن وأصحابه (واتبع هواه) فى الشرك (وكان

يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان فى حنين من المؤلفة قلوبهم فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذا اعطى الاقرع بن حابس واعطى للعباس بن مرداس اربعين بعيرا وقيل نزلت فى اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجون الى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون اخرى فلما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل فى امتى من امرت ان اصبر نفسى معهم (قوله فرطا) مصدر فرط سماعى اى متجاوزا فيه الحد (قوله وقل له) اى لعيينة بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) اى تخويف وردع لا تخيير واباحة لذكره الوعد الحسن على الايمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله انا اعتدنا) راجع لقوله ومن شاء فليكفر وقوله ان الذين آمنوا راجع لقوله فمن شاء فليؤمن فهو لف ونشر مشوش (قوله احاط بهم سرادقها) صفة لنارا والسرادق كناية عن الصور وهو نار ايضا لما ورد ان ارضها من رصاص وحيطانها من نحاس وسقفها من كبريت ووقودها الناس والحجارة فاذا اوقدت فيها النار صار الكل نارا اجارنا الله منها بمنه وكرمه (قوله يغاثوا) فيه مشاكلة لقوله وان يستغيثوا وتهكم بهم اذ لا اغاثة فيه لانه لا ينقذ من المهالك (قوله كعكر الزيت) بفتحتين هو اسم لما يبقى فى اناء الزيت بعد اخذ الصافى منه وهو تشبيه فى الصورة والا فهو نار كما وصفه بقوله يشوى الوجوه (قوله اى قبح مرتفقها) اى فحول الاسناد الى النار ونصب مرتفقا على التمييز لان ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفس (قوله وهو مقابل) اى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سياتى فى الجنة (قوله والا) اى الا نقل انه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر) اى وهو الرابط لانه بمعنى الموصول الذى هو اسم ان على حد*سعاد الذى اضناك حب سعاد*(قوله اى نثيبهم) تفسير لقوله لا نضيع (قوله بما تضمنه) اى بثواب تضمنه اولئك الى قوله وحسنت مرتفقا وقد اشتملت هذه الآية على خمسة انواع من الثواب الاول جنات عدن الثانى تجرى من تحتهم الانهار الثالث يحلون فيها الرابع ويلبسون ثيابا الخامس متكئين الخ (قوله تجرى من تحتهم) اى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) اى بدليل آية هل اتى وحلوا اساور (قوله وهى جمع اسورة) اى فاساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء فى آية اخرى من فضة وفى اخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الاساور الثلاثة لما ورد انه يسور المؤمن فى الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وفى الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (قوله من سندس واستبرق) جمع سندسة واستبرقة وقيل ليسا جمعين (قوله من الديباج) اى الحرير (قوله بطائنها) اى الفرش (قوله متكئين فيها) حال عاملها محذوف اى يجلسون متكئين (قوله جمع اريكة) اى كسفينة ولا يقال له اريكة الا اذا كان فى داخل الحجلة وبدونها سرير وتقدم ان السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله فى الحجلة) بفتحتين فى محل نصب على الحال (قوله للعروس) يستعمل فى الرجل والمرأة لكن الجمع مختلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره اشارة الى ان المخصوص بالمدح محذوف (قوله مرتفقا) اى منتفعا ومسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت فى اخوين من اهل مكة من بنى مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسود وكان مؤمنا واخوه الاسود بن عبد الاسود وكان كافرا فشبههما الله برجلين من بنى اسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قيطوس وهما

امره فرطا) اسرافا (وقل) له ولاصحابه هذا القرآن (الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) تهديد لهم (أنا اعتدنا للظالمين) اى الكافرين (نارا أحاط بهم سرادقها) مااحاط بها (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) كعكر الزيت (يشوى الوجوه) من حره اذا قرب اليها (بئس الشراب) هو (وساءت) اى النار (مرتفقا) تمييز منقول عن الفاعل اى قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتى فى الجنة وحسنت مرتفقا والا فاى ارتفاق فى النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا) الجملة خبر ان الذين وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى اجرهم اى نثيبهم بما تضمنه أولئك لهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور) قيل من زائدة وقيل للتبعيض وهى جمع اسورة كاحمرة جمع سوار (من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه وفى آية الرحمن بطائنها من استبرق (متكئين فيها على الارائك) جمع اريكة وهى السرير فى الحجلة وهى بيت يزين بالثياب والستور للعروس (نعم الثواب) الجزاء الجنة (وحسنت مرتفقا واضرب) اجعل (لهم) للكفار مع المؤمنين (مثلا رجلين)

بدل وهو وما بعده تفسير للمثل (جعلنا لاحدهما) الكافر (جنتين) بستانين (من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا) يقتات به (كلتا الجنتين) كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ (آتت) خبره (اكلها) ثمرها (ولم تظلم) تنقص (منه شيا وفجرنا) اى شققنا (خلالهما نهرا) يجرى بينهما (وكان له) مع الجنتين (ثمر) بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الاول وسكون الثانى وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن (فقال لصاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) يفاخره (انا اكثر منك مالا وأعز نفرا) عشيرة (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويريه آثارها ولم يقل جنتيه ارادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد (وهو ظالم لنفسه) بالكفر (قال ما اظن ان تبيد) تنعدم (هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى) فى الآخرة على زعمك (لاجدن خيرا منها منقلبا) مرجعا (قال له صاحبه وهو يحاوره) يجاوبه (اكفرت بالذى خلقك من تراب) لان آدم خلق منه (ثم من نطفة) منى (ثم سواك) عدلك وصيرك

اللذان وصفهما الله فى سورة الصافات بقوله قال قائل منهم انى كان لى قرين الآيات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما أرضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بالف دينار وانى اشترى منك ارضا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بالف دينار فقال هذا اللهم ان فلانا بنى دارا بالف دينار وانى اشتريت منك دارا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة وأنفق عليها الف دينار فقال هذا اللهم انى أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم انى أشترى منك خدما ومتاعا فى الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام اليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ماشانك قال اصابتنى حاجة بعدك فاتيتك لتعيننى بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيا فطرده فقضى عليهما فتوفيا فنزل فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون الخ وليس هذا مخصوصا بابى سلمة واخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله بدل) أى ويصح ان يكون مفعولا ثانيا لان ضرب مع المثل يجوز ان يتعدى لاثنين (قوله وحففناهما بنخل) اى جعلنا النخل حولهما محيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زرعا) اى ليكون جامعا للاقوات والفواكه (قوله مفرد) اى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية اى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فافرد والمعنى أخرى فثنى (قوله مبتدأ) اى وهو مرفوع بضمة مقدرة على الالف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنتين مضاف اليه وهذا الاعراب ان اضيف لظاهر فان اضيف لضمير كان ملحقا بالمثنى فيعرب بالحروف (قوله آتت اكلها الخ) هذا كناية عن نموها وزيادتها فليست كالاشجار يتم ثمرها فى بعض السنين وينقص فى بعض (قوله وفجرنا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) اى ليسقى ارضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) اى لاحدهما (قوله ثمر) المراد به امواله التى هى من غير الجنتين كالنقد والمواشى وسمى ثمرا لانه يثمر اى يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاثة سبعية (قوله وهى جمع ثمرة) اى بفتحتين وهذا على كل واحد من الاوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وانما الاختلاف فى الجمع وقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب (قوله فقال لصاحبه) حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شنيعة الاولى انا اكثر منك الخ الثانية ودخل جنته الخ الثالثة وما اظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أى يراجعه بالكلام الذى فيه الافتخار (قوله انا اكثر منك مالا الخ) انا مبتدأ واكثر خبره ومنك متعلق بمحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدا والاصل مالى اكثر منك فحذف المبتدا واقيم المضاف اليه مقامه فانفصل وجعل المبتدا فى الاصل تمييزا ويقال فى قوله واعز نفرا ما قيل هنا (قوله ويريه آثارها) اى بهجتها وحسنها وفى نسخة ثمارها وهى ظاهرة (قوله وهو ظالم لنفسه) الجملة حالية من فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) اى كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا ما يقال انه ينكر البعث فكيف يقول ذلك فاجاب بانه مجاراة له فى زعمه (قوله مرجعا) اشار بذلك الى ان منقلبا تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة المآل (قوله قال له صاحبه) اى وهو المؤمن وقد رد المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش (قوله اكفرت)

(رجلا لكنا) أصله لكن انا نقلت حركة الهمزة الى النون اوحذفت الهمزة ثم ادغمت النون فى مثلها (هو) ضمير الشان تفسره الجملة بعده والمعنى انا اقول (الله ربى ولا اشرك بربى احدا ولولا) هلا (اذ دخلت جنتك قلت) عند اعجابك بها هذا (ماشاء الله لا قوة الا بالله) فى الحديث من اعطى خيرا من اهل اومال فيقول عند ذلك ماشاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها (ان ترن انا) ضمير فصل بين المفعولين (اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك) جواب الشرط (و يرسل عليها حسبانا) جمع حسبانة اى صواعق (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) ارضا ملساء لا يثبت عليها قدم (او يصبح ماؤها غورا) بمعنى غائرا عطف على يرسل دون تصبح لان غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فلن تستطيع له طلبا) حيلة تدركه بها (واحيط بثمره) باوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك (فاصبح يقلب كفيه) ندما وتحسرا (على ما انفق فيها) فى عمارة جنته (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) دعائمها للكرم بان سقطت ثم سقط الكرم (ويقول يا) للتنبيه (ليتنى لم أشرك بربى احدا ولم تكن) بالتاء والياء (له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) عند هلاكها (وما كان منتصرا) عند هلاكها بنفسه (هنالك) اى يوم القيامة (الولاية) بفتح الواو النصرة و بكسرها الملك (لله الحق) بالرفع صفة الولاية و بالجر صفة الجلالة (هو خير ثوابا) من ثواب غيره لوكان يثيب (وخير عقبا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز (واضرب) صير (لهم) لقومك (مثل الحياة الدنيا) مفعول اول (كماء) مفعول ثان (انزلناه من السماء فاختلط به) تكاثف بسبب نزول الماء (نبات الارض) اوامتزج الماء بالنبات فروى وحسن (فاصبح) صار النبات

الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى لا ينبغى ولا يليق منك الكفر بالذى خلقك الخ وهذا رد للمقالة الاخيرة (قوله رجلا) مفعول ثان لسواك لانه بمعنى صيرك كما قال المفسر (قوله لكنا) استدراك على قوله أكفرت كانه قال انت كافر بالله لكن انا مؤمن واختلف القراء فى وصل لكنا فبعضهم يثبت الالف بعد النون و بعضهم يحذفها وفى الوقف تثبت قولا واحدا لثبوتها فى الرسم (قوله اوحذفت الهمزة) أى من غير نقل فقوله ثم ادغمت النون اى بعد تسكينها بالنسبة للنقل وعلى الثانى فهى ساكنة فتدغم حالا (قوله ضمير الشان) أى فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرابط لانها عينه فى المعنى وهو معها خبر عن انا والرابط الياء من ربى (قوله ولا أشرك بربى احدا) مراده لا أكفر به لان انكار البعث كفر (قوله ولولا اذ دخلت جنتك) هذا رد للمقالة الثانية ولولا تحضيضية داخلة على قلت واذ ظرف لقلت مقدم عليه وجملة ماشاء الله خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم ير فيه مكروها) اى لم يصب فيه بمصيبة (قوله ان ترن) هذا رد للمقالة الاولى (قوله ضمير فصل) اى واقل مفعول ثان وقرئ بالرفع فيكون خبرا عن انا ومالا وولدا تمييزان وقوله فعسى الخ جواب الشرط (قوله ان يؤتين) يحتمل ان يكون فى الدنيا او الآخرة (قوله جمع حسبانة) اى فهو اسم جنس جمعى يفرق بينه و بين واحده بالتاء (قوله بمعنى غائرا) اى ذاهبا فى الارض (قوله لان غور الماء الخ) أى او يقال انه يفسر الحسبان بالقضاء الالهى وهو عام يتسبب عنه اما اصباح الجنة صعيدا زلقا اوماؤها غورا وعلى هذا فيكون معطوفا على يصبح (قوله واحيط بثمره) اى امواله بدليل قول المفسر مع جنته (قوله باوجه الضبط) اى الثلاثة (قوله وهى خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد او خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائمها) جمع دعامة وهى الخشب ونحوه الذى ينصب ليمد الكرم عليه (قوله و يقول يا ليتنى) اى تحسرا وندما على تلف ماله لا توبة بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) اى يدفعون عنه الهلاك (قوله وما كان منتصرا) اى قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح ان يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخرا وتكون هذه الجملة مستقلة او معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) اى القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها وكذا قوله وبالجر فالقراآت اربع سبعيات (قوله خير ثوابا) اى اثابة (قوله لوكان يثيب) اى فاسم التفضيل على بابه على فرض ان غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) اى ان عاقبة طاعة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صير) اى شبه (قوله مثل الحياة الدنيا) اى صفتها وحالها وهيئتها (قوله كماء) اى كصفة وحال وهيئة ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما (قوله تكاثف) اى غلظ والتف بعضه على بعض (قوله اوامتزج الماء بالنبات) أشار بذلك الى انه تفسير ثان لاختلط ومن المعلوم ان الامتزاج من الجانبين فصح نسبته الى النبات وان كان فى عرف اللغة والاستعمال ان الباء تدخل على الكثير الغير الطارئ وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ مبالغة فى كثرة الماء حتى كانه الاصل (قوله فروى)

(هشيما) يابسامتفرقةاجزاؤه (تذروه) تنثره وتفرقه (الرياح) فتذهب به المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته

الرياح وفى قراءة الريح (وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادر (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتجمل بهما فيها (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله (خير عند ربك ثوابا وخير أملا) اى ماياملە الانسان و يرجوه عند الله تعالى (و) اذكر (يوم تسير الجبال) يذهب بها عن وجه الارض فتصير هباء منبثا وفى قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وترى الارض بارزة) ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره (وحشرناهم) المؤمنين والكافرين (فلم نغادر) نترك (منهم احدا وعرضوا على ربك صفا) حال اى مصطفين كل امة صف و يقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) اى فرادى حفاة عراة غرلا و يقال لمنكرى البعث (بل زعمتم ان) مخففة من الثقيلة اى أنه (لن نجعل لكم موعدا) للبعث (و وضع الكتاب) كتاب كل امرئ فى يمينه

من المؤمنين وفى شماله من الكافرين (فترى المجرمين) الكافرين (مشفقين) خائفين الكتاب (مما فيه و يقولون) عند معاينتهم ما فيه من السيآت (يا) للتنبيه (ويلتنا) هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه (مال هذا الكتاب

بفتح الراء وكسر الواو وارتوى (قوله هشيما) اى مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه) عطف تفسير (قوله المعنى) أى معنى المثل (قوله شبه) فعل امر وفاعله مستتر عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وكان الله) اى ولم يزل (قوله قادرا) المناسب ان يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) اى وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هى سبحان الله الخ) اى وتسمى غراس الجنة اى ان بكل واحدة من هذه الكلمات تغرس له شجرة فى الجنة فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وقيل ان المراد بالباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقيل أركان الاسلام وقيل كل ما يثاب عليه العبد فى الدار الآخرة وهو الاتم وانما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسابيح ولو فى العمر مرة وأوصى الخليل رسول الله بان يامر أمته ان يكثروا من غراس الجنة كما فى حديث الاسراء (قوله خير عند ربك) التفضيل ليس على بابه لان زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا ان السعى على العيال من الخير لانه من حيز الباقيات الصالحات لا من حيز الزينة او يقال انه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله و يرجوه) عطف تفسير (قوله و يوم تسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) اى غبارا وقوله منبثا اى مفرقا كما فى سورة الواقعة (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وترى الارض) اى تبصرها (قوله ولا غيره) اى من بناء وشجر و بحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أتى به ماضيا اشارة الى ان الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز ليعاينوا تلك الاهوال العظام كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبديل الارض يحصل وهم ناظرون لذلك و وقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم (قوله فلم نغادر) عطف على قوله حشرناهم والمغادرة من جانب ولذا فسرها بقوله نترك (قوله حال) اى من الواو فى عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع فالمعنى جميعا ونظيره قوله تعالى ثم ائتوا صفا اى جميعا او المراد صفوفا لما ورد أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون وورد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى ينادى بصوت رفيع غير فظيع يا عبادى أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين واسرع الحاسبين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم و يسروا جوابكم فانكم مسؤلون محاسبون يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على اطراف انامل اقدامهم للحساب (قوله و يقال لهم) اى توبيخا وتقريعا (قوله اى فرادى) اى مفردين عن المال والبنين (قوله غرلا) جمع أغرل أى غير مختونين (قوله بل زعمتم) اى قلتم قولا كذبا (قوله اى انه) اى الحال والشان (قوله موعدا) اي مكانا تبعثون فيه (قوله ووضع الكتاب) هو بالبناء للمفعول فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله فى يمينه) اى فحين يقرؤه يبيض وجهه و يقول هاؤم اقرؤا كتابيه الى آخر ما فى الحاقة (قوله وفى شماله من الكافرين) اى فحين يقرؤه يسود وجهه و يقول يا ليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله هلكتنا) اى هلاكنا والمقصود التحسر والتندم وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلا لها منزلة العاقل فكانه يقول ياهلاكى احضر فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) اى الويل وقوله لا فعل له من لفظه اى بل من معناه وهو هلك (قوله مال هذا الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره أى اى شيء ثبت لهذا

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) من ذنوبنا (ألا احصاها) عدها وأثبتها تعجبوا منه فى ذلك (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مثبتا فى

كتابهم (ولا يظلم ربك احدا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (واذ) منصوب باذكر (قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له (فسجدوا الا ابليس كان من الجن) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وابليس هو ابو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم (ففسق عن امر ربه) اى خرج عن طاعته بترك السجود (افتتخذونه وذريته) الخطاب لآدم وذريته والهاء فى الموضعين لابليس (اولياء من دونى) تطيعونهم (وهم لكم عدو) اى اعداء حال (بئس للظالمين بدلا) اى ابليس وذريته فى اطاعتهم بدل اطاعة الله (ما اشهدتهم) اى ابليس وذريته (خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) اى لم احضر بعضهم خلق بعض (وما كنت متخذ المضلين) الشياطين (عضدا) اعوانا فى الخلق فكيف تطيعونهم (ويوم) منصوب باذكر (يقول) بالياء والنون (نادوا شركائى) الاوثان

(الذين زعمتم) ليشفعوا لكم بزعمكم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) لم يجيبوهم (وجعلنا بينهم) بين الاوثان وعابديها (موبقا) واديا من اودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (ورأى المجرمون النار فظنوا) اى ايقنوا (انهم مواقعوها) اى واقعون فيها

الكتاب (قوله لا يغادر) الجملة حالية من الكتاب (قوله تعجبوا) أشار بذلك الى ان الاستفهام للتعجب (قوله منه) أى الكتاب (قوله فى ذلك) اى الاحصاء المذكور (قوله ولا يظلم ربك احدا) اى لا يعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب أو ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أى فاذ ظرف لذلك المقدر والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكر لهم تلك القصة وقد كررت فى القرآن مرارا لان معصية ابليس أول معصية ظهرت فى الخلق (قوله سجود انحناء) جواب عما يقال ان السجود لغير الله كفر وتقدم الجواب بان السجود لله وآدم كالقبلة أو ان محل كون السجود لغير الله كفرا ان لم يكن هو الآمر به والا فالكفر فى المخالفة (قوله فسجدوا) اى جميعا (قوله قيل هم نوع من الملائكة) اى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتوالدون ويعصون (قوله وابليس ابو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعا وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله فله ذرية) تفريع على كونه ابا اذ الاب يستلزم ابنا (قوله ففسق عن أمر ربه) اى تكبر وحسد (قوله أفتتخذونه) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخى والمعنى أبعدما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير فى تتخذونه قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى احليل الرجل وعجيزة المرأة ومطروس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها فى افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو الذى اذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله دخل معه اهـ قال القرطبي واختلف هل لابليس اولاد من صلبه فقال الشعبي سألنى رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه وذريته أولياء من دونى فعلمت انه لا تكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل فرجه فى فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذه اصل ذريته وقيل ان الله خلق له فى فخذه اليمنى ذكرا وفى فخذه اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة فهو يفرخ ويطير وأعظمهم عند ابيهم منزلة اعظمهم فى بنى آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وانما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) اى بدل طاعتى (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببدلا الواقع تمييزا للفاعل المستتر وقوله ابليس وذريته بيان للمخصوص بالذم المحذوف والاصل بئس البدل ابليس وذريته (قوله اى ابليس وذريته) تفسير للضمير فى اشهدتهم فالمعنى لم احضرهم حين خلقت السموات والارض ولا حين خلقت انفسهم فكيف تتخذونهم اولياء تطيعونهم (قوله وما كنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله عضدا) هو فى الاصل العضو الذى هو من المرفق الى الكتف ثم اطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدمالهم فى مناصب خير بل هم مطرودون عنها فكيف يطاعون (قوله بالياء والنون) اى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتم) اى زعمتموهم شركاء فالمفعولان محذوفان (قوله ليشفعوا لكم) متعلق بنادوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من اودية جهنم) قال انس بن مالك هو واد فى جهنم من قيح ودم (قوله من وبق بالفتح) اى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار)

(ولم يجدوا عنهاْ مصرفا) معدلا (ولقد صرفنا) بينا (فى هذا القرآن للناس من كل مثل) صفة لمحذوف اى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا
(وكان الانسان) اى الكافر (اكثر شيء جدلا) خصومة فى الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان المعنى وكان جدل الانسان أكثر شيء فيه
(ومامنع الناس) اى كفار مكة (ان يؤمنوا) مفعول ثان (اذجاءهم الهدى) القرآن (و يستغفروا ربهم الا أن تا تيهم سنة
الاولين) فاعل اى سنتنا فيهم وهى الاهلاك المقدر عليهم (او يا تيهم العذاب قبلا) مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وفى قراءة بضمتين جمع قبيل اى انواعا (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) للمؤمنين (ومنذرين) مخوفين للكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) بقولهم ابعث الله بشرا رسولا ونحوه (ليدحضوا به) ليبطلوا بجدالهم (الحق) القرآن (واتخذوا آياتى) اى القرآن (وما انذروا) به من النار (هزوا) سخرية (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ماقدمت يداه) ماعمل من الكفر والمعاصي (انا جعلنا على قلوبهم اكنة) اغطية (ان يفقهوه) اى من أن يفقهوا القرآن اى فلا يفهمونه (وفى آذانهم وقرا) ثقلا فلا يسمعونه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا) اى بالجعل المذكور (ابدا وربك الغفور ذوالرحمة لو يؤاخذهم) فى الدنيا (بما كسبوا لعجل لهم العذاب) فيها (بل لهم موعد) وهو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجا (وتلك القرى) أى اهلها كعاد وثمود وغيرهما (اهلكناهم لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم) لاهلاكهم وفى قراءة بفتح الميم اى لهلاكهم (موعدا و) اذكر (اذ قال موسى) هو ابن عمران (لفتاه) يوشع بن نون

أى عاينوها من مسيرة اربعين عاما (قوله مصرفا) اى مكانا يحلون فيه غيرها (قوله من كل مثل) اى معنى غريب بديع يشبه المثل فى غرابته (قوله خصومة فى الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه اشارة الى ان المؤمن ليس كثير الجدل فى الباطن بل هو شديد الخصومة فى الحق (قوله و يستغفروا) عطف على ان يؤمنوا (قوله الا ان تاتيهم سنة الاولين) الكلام على حذف مضاف اى الا انتظارهم وطلبهم اتيان مثل سنة الاولين بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهى الاهلاك) اى الذى يستاصلهم (قوله المقدر) اى فى الازل وقوله عليهم اى الاولين (قوله او ياتيهم) اى الناس (قوله مقابلة وعيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله اى انواعا) تفسير لقبلا بضمتين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) المناسب ان يقول اى جميع ماجاءت به الرسل (قوله آياتى) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لاخصوص القرآن لانه فى كل كافر من هذه الامة وغيرها (قوله وما انذروا) ماموصولة والعائد محذوف أى الذى انذروا به اومصدرية اى انذارهم (قوله هزوا) يقرأ بالهمزة والواو سبعيتان (قوله فاعرض عنها) أى لم يتدبرها وقت تذكيره بها (قوله انا جعلنا) بمنزلة التعليل لقوله فاعرض (قوله فلا يسمعونه) اى سماع تفهم وانتفاع (قوله لعجل لهم العذاب) اى المستاصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) اشار بذلك الى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم ويصح ان يراد به المكان (قوله لن يجدوا من دونه) اى العذاب (قوله موئلا) الموئل المرجع من وأل يئل اى رجع ويقال للملجا ايضا يقال وأل فلان الى فلان اذا لجا اليه والمعنى لن يجدوا غير العذاب ملجا يلتجؤن اليه كناية عن عدم خلوصهم منه (قوله اهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله اهلكناهم) اى فى الدنيا كما قال تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الخ (قوله وجعلنا لمهلكهم) اى لهلاكهم المذكور وقتا معينا نزل بهم فيه فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراآت السبعية ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان اذ ظرف لمحذوف والمعنى اذكر يامحمد لقومك وقت قول موسي لفتاه الخ والمراد اذكر لهم قصته وما وقع له مع الخضر عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أى رسول بنى اسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذى اجمعت عليه الآثار الصحيحة ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الخضر لان الكامل يقبل الكمال سواء قلنا ان الخضر نبي أو ولى فاستفادته منه لا تقدح فى كونه أفضل منه لان تلك مزية وهى لا تقتضى الافضلية يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه اعلم الناس امره الله بالاستزادة من العلم بقوله وقل رب زدنى علما خلافا لمن زعم أنه موسي بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وادعى انه نبي قبل موسى بن عمران محتجا بان الله بعد ان انزل على موسى ابن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة واعطاه المعجزات العظيمة الباهرة يبعد ان يستفيد من مطلق نبي او ولى وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن افرائيم بن يوسف ارسله الله بعد موسي فقاتل الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته فى المائدة

كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم (لا أبرح) لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أي

(قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه اضافته الى موسى وكان ابن اخته وقيل كان عبده وهو بعيد لان شرط النبي الحرية (قوله لا ابرح) هي من اخوات كان اسمها مستتر وجوبا وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله اسير اى لا ابرح سائرا (قوله ملتقى بحر الروم الخ) اى وملتقاهما عند البحر المحيط (قوله مما يلي المشرق) اى وذلك بافريقية (قوله دهرا طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة وقيل سنة واحدة بلغة قريش وقيل سبعون ويجمع على احقاب كعنق واعناق (قوله ان بعد) اى ان لم ادركه والمعنى لا بد من سيري الى ان ابلغ مجمع البحرين او اسير زمنا طويلا حتى ايأس من الوصول (قوله بين البحرين) اشار بذلك الى ان بين ظرف وهو الموضع الذى وعد موسى ان يجتمع فيه بالخضر (قوله نسيا حوتهما) قيل كان مشويا وقيل كان مملحا وقد اكلا منه زمنا طويلا قبل ان يدركا الصخرة (قوله نسي يوشع حمله) هذا يقتضي انه كان موجودا على البرحين نسيه يوشع ولكن الموجود في القصة ان موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التى عندها عين الحياة نام ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء فهذا يقتضى انه نسي اخبار موسى بما راى فالمناسب للمفسر ان يقول نسي يوشع ان يخبر موسى بما شاهده من الامر العجيب ان قلت ان شان الامر العجيب عدم نسيانه اجيب بانه ادهش من عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته للحكمة التى ترتبت على ذلك (قوله فاتخذ سبيله) هذا الاتخاذ قبل النسيان فيكون في الآية تقديم وتاخير والاصل فادركته الحياة فخرج من المكتل وسقط في البحر فاتخذ سبيله (قوله سربا) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) اى سبب ذلك (قوله فانجاب) اى انقطع الماء وانكشف (قوله فبقى) اى صار (قوله كالكوة) هي بالفتح نقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) اى يلتصق حتى رجع اليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجمد ماتحته) اى فجعل الحوت لا يمس شيئا في البحر الا يبس (قوله ذلك المكان) اى مجمع البحرين (قوله من سفرنا هذا) اى الذى وقع بعد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبا) مفعول بلقينا (قوله وحصوله بعد المجاوزة) انما كان حصول النصب بعد المجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والتشوق واما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعة فلا مشقة فيه (قوله اى تنبه) اى تذكر واستمع لما القيه اليك من شان الحوت (قوله فانى نسيت الحوت) اى نسيت اخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وما انسانيه الا الشيطان) ان قلت ان الشيطان لا تسلط له على الانبياء اجيب بانه اضاف النسيان اليه هضما لنفسه (قوله اى يتعجب منه موسى وفتاه) اى حيث اكلا من الحوت شقه الايسر ثم حيي بعد ذلك (قوله لما تقدم في بيانه) اى وهو قوله وذلك ان الله امسك عن الحوت جرى الماء الخ (قوله من نطلبه) وهو الخضر (قوله فوجدا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة في البحر وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب ابيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجليه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبي بنى اسرائيل فقال له موسى ومن اخبرك انى نبي بنى اسرائيل فقال الذى ادراك بي ودلك على ثم قال لقد كان لك في بنى اسرائيل شغل قال موسى ان ربي ارسلني اليك لاتبعك واتعلم منك (قوله من عبادنا) الاضافة لتشريف المضاف اى من عبيد الخصوصية (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها وبكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره الف مقصورة ومعناه بالعربية احمد بن ملكان وكنيته ابو العباس قال بعض العارفين من عرف اسمه واسم ابيه وكنيته ولقبه مات على الاسلام ولقب بالخضر لانه جلس على

المكان الجامع لذلك (أو امضي حقبا) دهرا طويلا في بلوغه ان بعد (فلما بلغا مجمع بينهما) بين البحرين (نسيا حوتهما) نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره (فاتخذ) الحوت (سبيله في البحر) اى جعله بجعل الله (سربا) اى مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ له وذلك ان الله تعالى امسك عن الحوت جرى الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه (فلما جاوزا) ذلك المكان بالسير الى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى (لفتاه آتنا غداءنا) هو ما يؤكل اول النهار (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا وحصوله بعد المجاوزة (قال أرأيت) اى تنبه (اذ اوينا الى الصخرة) بذلك المكان (فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان) ويبدل من الهاء (ان اذكره) بدل اشتمال اى انساني ذكره (واتخذ) الحوت (سبيله في البحر عجبا) مفعول ثان اى يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه (قال) موسى (ذلك) اى فقدنا الحوت (ما) اى الذى (كنا نبغ) نطلبه فانه علامة لنا على وجود من نطلبه (فارتدا) رجعا (على

آثارهما) يقصانها (قصصا) فأتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة من

عندنا) نبوة في قول وولاية في آخر وعليه اكثر العلماء (وعلمناه من لدنا) من قبلنا (علما) مفعول ثان اي معلوما من المغيبات روى البخاري حديث ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة ووضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الى قوله واتخذ سبيله في البحر عجبا قال وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا الخ (قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا) أي صوابا أرشد به وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين وساله ذلك لان الزيادة في العلم مطلوبة (قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) في الحديث السابق عقب هذه الاية ياموسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وانت على علم من الله علمكه الله لا اعلمه وقوله خبرا مصدر بمعنى لم تحط أي لم تخبر حقيقته (قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي)

الارض فاخضرت تحته وقيل لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وهو من نسل نوح وكان ابوه من الملوك (قوله نبوة في قول) اي وقد صححه جماعة والجمهور على انه حي الى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الاولياء ويأخذون عنه قال العارف السيد البكري صاحب ورد السحر في توسلاته

بنقيبهم في كل عصر الخضر أبي العباس من احيا بماء وصاله

حي وحقك لم يقل بوفاته * الا الذي لم يلق نور جماله

فعليه مني كلما هب الصبا * ازكى سلام طاب في ارساله

وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ عنه فهو صحابي (قوله من لدنا) اي مما يختص بنا ولا يعلم بواسطة معلم من أهل الظاهر (قوله خطيبا) اي واعظا يذكر الناس حتى فاضت العيون ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى الى مصر (قوله اذ لم يرد العلم اليه) اي فكان عليه ان يقول مثلا الله اعلم وهذا من باب عتاب الاحباب تاديبا لموسى والا فالواقع ان موسى اعلم من الخضر (قوله هو اعلم منك) اي في خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذي اوحاه الله الى موسى قليل فلذلك رغب موسى في حيازته لعلمه (قوله فكيف لي به) اي فلما سمع موسى هذا انشوقت نفسه الزكية وهمته العلمية لتحصيل علم مالم يعلم (قوله قال تاخذ معك حوتا) لعل الحكمة في تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله في البحر (قوله فتجعله في مكتل) هو الزنبيل بكسر الزاي من خوص النخل ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعا (قوله فهو ثم) اي هناك (قوله جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو البناء المقوس كالقنطرة (قوله أن يخبره بالحوت) اي بما حصل من أمره (قوله قال موسى) اي بعد ان صليا الظهر من اليوم الثاني (قوله قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم في شان تفسير الآية (قوله قال له موسى) اي بعد ان تلاقيا وحصل الوصول (قوله هل اتبعك) استفهام تعطف رعاية للادب في حق المعلم وبذلك الادب يحصل النفع والسودد (قوله على ان تعلمني) اي ليس لي قصد في اتباعك الا تعليمك اياي لا شيأ من الاغراض غير التعليم (قوله رشدا) مفعول ثان لتعلمني اي لتعلمني صوابا من الذي علمكه الله (قوله وفي قراءة) أي وعليها فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء فيكون بضمها اسم مصدر وعلى الاولى فيكون من باب طرب (قوله وساله ذلك) جواب عما يقال ان موسى من أولي العزم ونبي ورسول جزما واسمعه الله كلامه واعطاه التوراة وهو أفضل من الخضر فكيف يسعى اليه ويتعلم منه فاجاب بان الزيادة في العلم مطلوبة على ان علم الخضر لا يحتاج اليه موسى في شرعه وانما هي مزية خص بها الخضر وأمر الله موسى ان ياخذها عن الخضر ويكتمها لتكمل له جميع المزايا ولا يقتضي ان الخضر اعلم منه لان موسى كامل في علمه لا تحتاج شريعته الى شيء من علم الخضر وانما تعلمه مزية خصه الله بها لا يقتدى به فيها (قوله قال انك لن تستطيع معي صبرا) اي لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا لان المتعلم قسمان متعلم ليس عنده شيء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ما القي اليه ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم غير انه يريد أن يزداد علمه على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لانه اذا رأى شيأ اوسمع كلاما عرضه على ما عنده فان وافقه والا ناقش فيه (قوله وكيف تصبر) الاستفهام تعجبي (قوله اني على علم) اي وهو علم الكشف (قوله وانت على علم) أي وهو علم ظاهر الشريعة (قوله مصدر) أي مفعول مطلق مؤكد لعامله في المعنى لان لم تحط بمعنى

اى وغير عاص (لك امرا) تامرنى به وقيد بالمشيئة لانه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الانبياء والاولياء ان لا يثقوا الى انفسهم طرفة عين (قال فان اتبعتنى فلا تسالنى) وفى قراءة بفتح اللام وتشديد النون (عن شيء) تنكره منى فى علمك واصبر (حتى احدث لك منه ذكرا) اى اذكره لك بعلته فقبل موسي شرطه رعاية لادب المتعلم مع العالم (فانطلقا) يمشيان (١٩) على ساحل البحر (حتى اذا ركبا فى السفينة) التى مرت بهما (خرقها) الخضر بان اقتلع لوحا او لوحين منها من جهة البحر بفاس لما بلغت اللج (قال) له موسي (اخرقتها لتغرق اهلها) وفى قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع اهلها (لقد جئت شيا امرا) اى عظيما منكرا روى ان الماء لم يدخلها (قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت) اى غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (ولا ترهقنى) تكلفنى (من امرى عسرا) مشقة فى صحبتى اياك أى عاملنى فيها بالعفو واليسر (فانطلقا) بعد خروجهما من السفينة يمشيان (حتى اذا لقيا غلاما) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان احسنهم وجها (فقتله) الخضر بان ذبحه بالسكين مضطجعا او اقتلع رأسه بيده او ضرب رأسه بالجدار أقوال وأتى هنا بالفاء العاطفة لان القتل عقب اللقى وجواب اذا (قال) له موسي (أقتلت نفسا زاكية) اى طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفى قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بغير نفس) اى لم تقتل نفسا (لقد جئت شيا نكرا) بسكون الكاف وضمها اى منكرا (قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا (قال ان سالتك عن شيء بعدها) أى بعد هذه المرة (فلا تصاحبنى) لا تتركنى أتبعك (قد بلغت من لدنى) بالتشديد والتخفيف من قبلى (عذرا) فى مفارقتك لى (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) هى انطاكية (استطعما اهلها) طلبا منهم الطعام بضيافة (فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا) ارتفاعه مائة ذراع (يريد ان ينقض) اى يقرب ان يسقط لميلانه

لم تخبر والخبر بالضم معناه العلم والاوضح انه تمييز نسبة اى لم تحط به من جهة العلم (قوله اى وغير عاص) اشار بذلك الى ان قوله ولا اعصي معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لانه لم يكن على ثقة من نفسه) اى فكانه قال ستجدنى صابرا ان وافق شرعى أو اوحى الله الى فى شانه فانا لا ادرى ما يفعله الله ولم يقل الخضر ان شاء الله لان الله اطلعه على ان موسى لا يصبر على امر يخالف شرعه فحينئذ جزم بانه لا يستطيع معه صبرا (قوله ان لا يثقوا الى انفسهم) ضمنه معنى يميلوا او يركنوا فعداه بالى (قوله فلا تسالنى) اى لا تبادرنى بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) اى مع الهمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة (قوله فى علمك) اى بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره اشارة الى انه المغيا بحتى (قوله بعلته) اى حكمته وسببه (قوله فانطلقا) اى ومعهما يوشع وانما لم يذكر فى الآية لانه تابع والمقصود ذكر موسي والخضر وقيل لم يكن معهما بل رده موسي حين التقى مع الخضر (قوله يمشيان على ساحل البحر) اى يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركباها فقال اهلها هؤلاء لصوص لانهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكنى أرى وجوه الانبياء وعن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموا أهلها ان يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نول اى عوض (قوله بفاس) بالهمزة جمعه فؤس اى القدوم (قوله لما بلغت اللج) اللج بالضم جمع لجة وهى الماء الغزير (قوله وفى قراءة) اى وهما سبعيتان (قوله روى ان الماء لم يدخلها) وقيل ان موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله فى الخرق (قوله بما نسيت) اى بالامر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع بى وقيل اراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقنى (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة اليمين والمراد لم يبلغ حد التكليف من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم (قوله مع الصبيان) اى وكانوا عشرة (قوله او اقتلع رأسه بيده) اى بعد ان لوى عنقه (قوله لان القتل عقب اللقى) اى بخلاف السفينة فان الخرق لم يكن عقب ركوبها فلذا لم يات بالفاء (قوله وفى قراءة) اى وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) اى من غير استحقاقها للقتل والجار والمجرور متعلق بقتلت (قوله لقد جئت) اى فعلت (قوله نكرا) هو اعظم من الامر لان فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فانه يمكن تداركه وقيل بالعكس لان الامر قتل انفس متعددة بسبب الخرق فهو اعظم من قتل الغلام وحده (قوله بسكون الكاف وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لعدم العذر هنا) لانه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان والنون للوقاية اتى بها لتقى الفعل من الكسر كما اتى بها فى من وعن محافظة على تسكين النون (قوله حتى اذا أتيا اهل قرية) اى وكان اتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة (قوله هى انطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روى انهما طافا فى القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما فاطعمتهم امرأة من اهل بربرة فدعوا لنسائهم ولعنا رجالهم وعن قتادة شر القرى التى لا تضيف الضيف (قوله مائة ذراع) اى وعرضه خمسون وامتداده على وجه الارض

(فاقامه) الخضر بيده
(قال) له موسى (لوشئت
لتخذت) وفى قراءة
لاتخذت (عليه أجرا)
جعلا حيث لم يضيفونا
مع حاجتنا الى الطعام
(قال) له الخضر (هذا فراق)
اى وقت فراق (بيني
وبينك) فيه اضافة بين الى
غير متعدد سوغها تكريره
بالعطف بالواو (سانبئك)
قبل فراقى لك (بتاويل مالم
تستطع عليه صبرا أما
السفينة فكانت لمساكين)
عشرة (يعملون فى البحر)
بها مؤاجرة لها طلبا
للكسب (فاردت ان
اعيبها وكان وراءهم) اذا
رجعوا أو امامهم الآن
(ملك) كافر (ياخذ كل
سفينة) صالحة (غصبا)
نصبه على المصدر المبين
لنوع الاخذ (واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين فخشينا
ان يرهقهما طغيانا وكفرا)
فانه كما فى حديث مسلم طبع
كافرا ولو عاش لارهقهما
ذلك لمحبتهما له يتبعانه فى
ذلك (فاردنا ان يبدلهما)
بالتشديد والتخفيف (ربهما
خيرا منه زكاة) اى صلاحا
وتقى (وأقرب) منه (رحما)
بسكون الحاء وضمها رحمة
وهى البر بوالديه فابدلهما
تعالى جارية تزوجت نبيا
فولدت نبيا فهدى الله
تعالى به أمة (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز) مال مدفون من ذهب وفضة (لهما

خمسمائة ذراع (قوله فاقامه الخضر بيده) قيل مسه بها فاستقام وقيل اقامه بعمود وقيل نقضه وبناه (قوله
قال لوشئت لاتخذت عليه أجرا) اى كان ينبغى لك اخذ جعل منهم على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا
فقد فعلت المعروف مع غير اهله (قوله وفى قراءة) اى باظهار الذال وادغامها فى التاء على كل فتكون
القراآت اربعا سبعيات (قوله بتاويل) اى تفسير هذه الآيات التى وقعت لموسى مع الخضر وحكمة
تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة ما ورد انه لما انكر خرق السفينة نودى ياموسى اين كان تدبيرك هذا
وأنت فى التابوت مطروحا فى اليم فلما انكر أمر الغلام قيل له أين انكارى هذا من وكزك القبطي
وقضائك عليه فلما أنكر اقامة الجدار نودى اين هذا من رفعك حجر البئر لبنتى شعيب دون أجر (قوله
اما السفينة) شروع فى وفاء ماوعد الخضر به موسى على سبيل اللف والنشر المرتب والسفينة تجمع على
سفين وسفائن ويجمع السفين على سفن بضمتين ماخوذة من السفن كانها تسفن الماء اى تقشره وصاحبها
سفان (قوله لمساكين عشرة) اى وكانوا اخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر
وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر فاما العمال منهم فاحدهم مجذوم والثانى أعور والثالث أعرج والرابع
آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل اعمى
واصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذين يعملون فيه ما بين فارس الى الروم (قوله فاردت ان
اعيبها) اى فاذا رآها الملك معيبة تركها فاذا جاوزوه اصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة
حالية على اضمار قد (قوله اذا رجعوا) من المعلوم انه اذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون
فى حال توجههم امامهم فقد اتحد هذا القول مع ما بعده وقد يجاب بان قوله وكان وراءهم اى فى حال
توجههم لكنهم فى حال رجوعهم يمرون عليه وحينئذ فلا يكون امامهم الآن وقوله أو امامهم الآن اى
ووراء بمعنى امام قال تعالى من ورائه جهنم (قوله ملك كافر) اى وكان ملك غسان واسمه جيسور (قوله
صالحة) اى صحيحة (قوله فخشينا) اى ان الله اعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام ان لم يقتله (قوله ان
يرهقهما) اى يكلفهما ويرقهما فى الكفر (قوله طبع كافرا) اى خلق مجبولا على الكفر وحينئذ
فيكون مستثنى من حديث كل مولود يولد على فطرة الاسلام (قوله لمحبتهما له) علة لاتباعهما فى الكفر
(قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منه) اسم التفضيل ليس على بابه اذ لم يكن فى
الغلام خير أو على بابه باعتبار زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) اى بنتا (قوله فولدت
نبيا) وقيل اثنى عشر نبيا وقيل ولدت سبعين نبيا وما فعله الخضر من قتل الغلام انما هو جار على شرعه لا
على شرعنا فانه لا يجوز قتل الصبيان الكفار الا ان يقاتلوا بالسلاح فى الحرب ولو اطلع شخص على ما
اطلع عليه الخضر فلا يجوز له قتل الغلمان وقد ارسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الخضر
الغلام الصغير وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل اولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين فكتب
اليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتلهم
وروى ان موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية الآية غضب الخضر واقتلع كتف الصبى الايسر
وقشر اللحم عنه واذا فيه مكتوب كافر لا يؤمن بالله ابدا (قوله فكان لغلامين) اسم احدهما اصرم
والآخر صريم (قوله فى المدينة) هى المعبر عنها اولا بالقرية تحقيرا لها لكون اهلها لم يضيفوهما وعبر
عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما (قوله مال مدفون من ذهب
وفضة) هذا احد أقوال فى تفسير الكنز وقيل كان علما فى صحف مدفونة وقيل كان لوحا من ذهب

مكتوب في احد جانبيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل انه أبوهما مباشرة وقيل هو الاب السابع وقيل العاشر وكان يسمى كاشحا واسم أمهما دنيا وفيه دليل على أن تقوى الاصول تنفع الفروع (قوله أي ايناس رشدهما) أي حتى يبلغا أن يعلم ايناس أشدهما أي قوتهما وكمالهما (قوله ويستخرجا كنزهما) أي من تحت الجدار ولولا فعلي ذلك لضاع (قوله بل بامر الهام من الله) لم يقل بوحي لعدم الجزم بنبوته (قوله ذلك) أي ماذكر من الاجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أي ان هذا التغاير تنويع في العبارة وبعضهم أبدى حكمة في اختلاف التعبير وهي أن الاولى لما كان ظاهرها افسادا محضا أضافه لنفسه حيث قال فاردت أن أعيبها وان كان الكل منه والثاني لما كان فيه نوع اصلاح ونوع افساد عبر فيه بقوله فاردنا والثالث لما كان اصلاحا محضا أضافه لله بقوله فاراد ربك قيل ان الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصني قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويسئلونك) أي المشركون بامر اليهود فاليهود سبب في السؤال وان لم تقع منهم المباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذي القرنين) لقب بذلك لما قيل ان له قرنين صغيرين في رأسه وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أي وهو الذي بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبيا) أي على الصحيح وانما كان وليا فقط ومايأتي مما يوهم نبوته فمؤول ومحمول على الالهام والالقاء في القلب وذلك غير مخصوص بالانبياء واسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة ابراهيم الخليل فانه أسلم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه وهذا بخلاف ذي القرنين الاصفر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافرا عاش ألفا وستمائة سنة وكان قبل المسيح بثلثمائة سنة وفي القرطبي قال وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى أي على لسان نبي كان موجودا أو بالهام ياذا القرنين اني باعثك أي سلطانا الى أمم الارض وهم أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع الارض وهم أصناف أمتان بينهما طول الارض كلها وأمتان بينهما عرض الارض كلها وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فاما اللتان بينهما عرض الارض فامة في قطر الارض تحت الجنوب ويقال لها هاويل وأمة في قطر الارض الايسر ويقال لها تاويل وأما اللتان بينهما طول الارض فامة عند مطلع الشمس يقال لها منسك وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال ذو القرنين الهي لقد ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا أنت فاخبرني عن هذه الامم باي قوة أكاثرهم وباي صبر أقاسيهم وباي لسان أناطقهم وكيف لي بان أفقه لغتهم وليس لي قوة فقال الله تعالى سأظفرك بما حملتك اشرح لك صدرا فتسمع كل شيء وأثبت لك فهما فتفقه كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق الى الامة التي عند مغرب الشمس لانها كانت أقرب الامم منه وهي ناسك

وكان أبوهما صالحا) فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما (فاراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي ايناس رشدهما (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) مفعول له عامله أراد (وما فعلته) أي ماذكر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار (عن امري) أي اختياري بل بامر الهام من الله (ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا) يقال اسطاع واستطاع بمعنى أطاق ففي هذا وماقبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في فاردت فاردنا فاراد ربك (ويسئلونك) أي اليهود (عن ذي القرنين) اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا (قل سأتلو) سأقص (عليكم منه) من حاله (ذكرا) خبرا

فوجد جنودا لا يحصيها الا الله وقوة و باسا لا يطيقه الا الله تعالى وألسنة مختلفة واهواء مشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جنود الظلمة قدر ما احاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فادخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت فى افواههم وانوفهم واعينهم و بيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتحيروا وهاجوا وأشفقوا ان يهلكوا فعجوا الى الله بصوت واحد انا آمنا فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا فى دعوته فجند من اهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور امامه يقوده و يدله وهو يسير فى ناحية الارض الايمن وهى هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطىء اذا عمل عملا فاذا أتوا مخاضة او بحرا بنى سفنا من ألواح صغار امثال النعال فيضمها فى ساعة ثم يحمل عليها جميع من معه من تلك الامم فاذا قطع البحار والانهار فتقها ودفع الى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فانتهى الى هاويل ففعل بهم كفعله بناسك فآمنوا فاخذ جيوشا منهم فانطلق الى ناحية الارض الاخرى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله فى الاول ثم كر مقبلا حتى اخذ بناحية الارض اليسرى يريد تاويل وهى الارض التى تقابل هاويل بينهما عرض الارض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عطف على الامم التى فى وسط الارض من الانس والجن و ياجوج وماجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت امة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع ويأكلون دواب الارض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق تنمى نماءهم فى العام الواحد فاذا طالت المدة سيملؤن الارض ويخرجون اهلها منها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا و بينهم سدا الى آخر ما يأتى فى الآية و بالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك فقد روى ان الذين ملكوا الدنيا كلها اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان ابن داود والاسكندر والكافران نمروذ وبختنصر وسيملكها من هذه الامة خامس وهو المهدى (قوله انا مكناله فى الارض) أى بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقا) أى كآلات السير وكثرة الجند (قوله الى مراده) اى وهو جميع الارض (قوله فاتبع سببا) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله موضع غروبها) اى فالمراد انه بلغ آخر العمارة من الارض ووصل الى ساحل البحر المحيط فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تغرب فيه وسماه الله عينا لانه بالنسبة الى ما هو أعظم منه فى علم الله كالعين وان كان عظيما فى نفسه (قوله حمئة) بالهمز بدون الف و بالف بعدها ياء قراءتان سبعيتان فاما الاولى فهى من الحماة وهى الطين الاسود واما الثانية فهى اسم فاعل من حمى يحمى والمعنى فى عين حارة ولا تنافى بين القراءتين لان العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها فى العين الخ) جواب عما يقال ان الشمس فى السماء الرابعة وهى قدر كرة الارض مائة وستين مرة فكيف تسعها عين فى الارض تغرب فيها فاجاب بان هذا الوجدان باعتبار ما رأى لا حقيقة كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه (قوله كافرين) اى وكانوا فى مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) اى بالهام (قوله بالاسر) اى وسمى احسانا بالنسبة للقتل (قوله امامن ظلم) اى استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) اى فى الآخرة (قوله بسكون الكاف وضمها) اى فهما سبعيتان

(انا مكناله فى الارض) بتسهيل السير فيها (وآتيناه من كل شيء) يحتاج اليه (سببا) طريقا يوصل الى مراده (فاتبع سببا) سلك طريقا نحو المغرب (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) موضع غروبها (وجدها تغرب فى عين حمئة) ذات حماة وهى الطين الاسود وغروبها فى العين فى رأى العين والا فهى أعظم من الدنيا (ووجد عندها) اى العين (قوما) كافرين (قلنا ياذا القرنين) بالهام (اما ان تعذب) القوم بالقتل (واما ان تتخذ فيهم حسنا) بالاسر (قال أما من ظلم) بالشرك (فسوف نعذبه) نقتله (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) بسكون الكاف وضمها شديدا فى النار (واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) اى الجنة والاضافة للبيان وفى قراءة بنصب جزاء وتنوينه قال الفراء ونصبه على التفسير

اى لجهة النسبة (وسنقول له من أمرنا يسرا) اى نأمره بما يسهل عليه (ثم أتبع سببا) نحو المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) موضع طلوعها (وجدها تطلع على قوم) هم الزنج (لم نجعل لهم من دونها) اى الشمس (سترا) من لباس ولا سقف لان أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس و يظهرون عند ارتفاعها (كذلك) اى الامر كما قلنا (وقد أحطنا بما لديه) اى عند ذى القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خبرا) علما (ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) بفتح السين وضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سيأتى (وجد من دونهما) اى أمامهما (قوما لا يكادون يفقهون قولا) اى لا يفهمونه الا بعد بطء وفى قراءة بضم الياء وكسر القاف (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مفسدون فى الارض) بالنهب والبغى عند خروجهم الينا (فهل نجعل لك خرجا) جعلا من المال وفى قراءة خراجا (على ان تجعل بيننا و بينهم سدا) حاجزا فلا يصلون الينا (قال ما مكنى) وفى قراءة بنونين من غير ادغام (فيه ربى) من المال وغيره (خير) من خرجكم الذى تجعلونه لى فلا حاجة بى اليه وأجعل لكم السد تبرعا (فاعينونى بقوة) لما أطلبه منكم (اجعل بينكم و بينهم ردما)

(قوله اى لجهة النسبة) اى نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور الى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) اى لمن آمن (قوله موضع طلوعها) اى الموضع الذى تطلع الشمس عليه أولا قيل بلغه فى اثنى عشرة سنة وقيل أقل لانه سخر له السحاب وطويت له الاسباب (قوله هم الزنج) بفتح الزاى وكسرها (قوله سترا) هو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وهو فى الآية بالكسر (قوله ولا سقف) اى ولا أشجار لان أرضهم رخوة لا تحمل بناء لعدم الجبال فيها فتميد باهلها ولا تستقر (قوله و يظهرون عند ارتفاعها) اى مغيبها يسعون فى تحصيل مهمات معاشهم فحالهم بالضد من أحوال الخلق فما دامت الشمس طالعة فهم فى السراديب واذا غربت خرجوا لتكسباتهم (قوله اى الامر) أشار بذلك الى ان قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستأنفة من كلام الله وفائدة الاخبار بذلك الاعتناء بشان ذى القرنين وان الله معه بالنصر والعون أينما حل (قوله ثم اتبع) تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) اى طريقا آخر توصله لجهة الشمال لان يأجوج ومأجوج وان كانوا فى وسط الارض الا أنهم لجهة الشمال لان أرضهم واسعة جدا تنتهى الى البحر المحيط قال بعضهم مسافة الارض بتمامها خمسمائة عام ثلثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخلق غيرهم (قوله هنا و بعد) اى فى هذه الآية وفى قوله الآتى على ان تجعل بيننا و بينهم سدا وفى يس وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان (قوله جبلان) اى عاليان جدا أملسان (قوله بمنقطع) بفتح الطاء اى آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر ما بينهما) اى الفتحة التى بين الجبلين وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرته مائة وخمسين ساعة مسيرة اثنى عشر يوما ونصف فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله اى أمامهما) اى بقربهما (قوله قوما) اى وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولا) اى لغرابة لغتهم و بطء فهمهم (قوله وفى قراءة) اى وهما سبعيتان والمعنى لا يفهمون غيرهم لشدة عجمتهم فكلامهم مغلق (قوله قالوا) اى قال مترجمهم لانهم من أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم وانما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين وقيل خاطبوه بانفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم ان الله جعل له فهما يفقه به كل شيء وهو الاقرب قال أهل التواريخ اولاد نوح ثلاثة سام وحام و يافث فسام أبو العجم والعرب والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة و يافث أبو الترك والبربر والصقالبة و يأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء (قوله ان يأجوج ومأجوج) روى ان كلا من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفترش أحدهم احدى أذنيه و يلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الايمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وتركه) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أعجميان) اى لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة (قوله بالنهب والبغى) اى فكانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وأدخلوه أرضهم (قوله عند خروجهم) اى من هذه الفتحة (قوله وفى قراءة خراجا) اى وهى سبعية أيضا (قوله وفى قراءة بنونين) اى وهى سبعية ايضا (قوله وغيره) اى كالملك (قوله وأجعل لكم السد تبرعا) روى أنه قال لهم أعدوا الى الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم

سدا جزا حصينا (آتونی زبر الحديد) قطعه على قدر الحجارة التی يبنی بها فبنی بها وجعل بينها الحطب والفحم (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بضم الحرفين وفتحهما وضم الاول وسكون الثانی ای جانبی الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول

ذلك (قال انفخوا) فنفخوا (حتى اذا جعله) ای الحديد (نارا) ای كالنار (قال آتونی افرغ عليه قطرا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الاول لاعمال الثانی فافرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا (فما اسطاعوا) ای ياجوج وماجوج (ان يظهروه) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) خرقا لصلابته وسمكه (قال) ذو القرنين (هذا) ای السد ای الاقدار عليه (رحمة من ربی) نعمة لانه مانع من خروجهم (فاذا جاء وعد ربی) بخروجهم القريب من البعث (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا (وكان وعد ربی) بخروجهم وغيره (حقا) كائنا قال تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ) يوم خروجهم (يموج فی بعض) يختلط به لكثرتهم (ونفخ فی الصور) ای القرن للبعث (فجمعناهم) ای الخلائق فی مكان واحد يوم القيامة (وعرضنا) قربنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم) بدل من الكافرين (فی غطاء عن ذكرى) قبول ای القرآن فهم عمی لا يهتدون به (وكانوا لا يستطيعون سمعا) ای لا يقدرون ان يسمعوا من النبی ما يتلو عليهم بغضا له فلا يؤمنون به

عليهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب واضراس كالسباع ولهم شعر يوارى اجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يفترش احداهما ويلتحف بالاخرى يصيف فی واحدة ويشتی فی الاخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عاين ذو القرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب فلما وصل الى ظاهر الارض بنى بقطع الحديد وافرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكل هذا على ما تقدم من انهم اصناف لانه رأى صنفا من الاصناف (قوله آتونی) بفتح الهمزة وكسرها مع المد فيهما قراءتان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على المفعولية وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) ای فالقرآت السبعية ثلاث (قوله بالبناء) متعلق بساوى (قوله ووضع المنافخ) جمع منفخ كمنبر ويقال منفاخ كمفتاح ويجمع على منافيخ (قوله فنفخوا) ای وهذه كرامة لذی القرنين حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويفرغون النحاس مع انه اصعب من النار مع قربهم من ذلك (قوله وحذف من الاول) ای هو وضميره لانه فضلة والاصل آتونی قطرا افرغ عليه قطرا (قوله بين زبره) ای مكان الحطب والفحم الذی كان بينها فلما اكلته النار بقی ما بينها خاليا فافرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) ای فكان ارتفاعه مائتی ذراع (قوله وملاسته) ای فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) ای خرقا بالفعل كما يشهد له ما روى الشيخان عن ابی هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحضرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذی عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كاشد مما كان حتى اذا بلغ مدتهم واراد الله ان يبعثهم الى الناس قال الذی عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه الى الناس فيستقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فاذا جاء وعد ربی) ای وقت وعده (قوله بخروجهم) ای فيخرجون على الناس فينفرون منهم فيرمون بسهام الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فی الارض ومن فی السماء فيزدادون قوة وقسوة (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان كلام ذی القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فی بعض) ای لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين الى جبل الطور فرارا منهم ثم يسلط الله عليهم دودا فی انوفهم فيموتون به فتنتن الارض منهم فتاتی طيور ترميهم فی البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون الى من تحصن بورد اوذكر (قوله لكثرتهم) ای وضيق الارض فان ارضنا بالنسبة لارضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ فی الصور) ای النفخة الثانية بدليل التعقيب فی قوله فجمعناهم واما النفخة الاولى فعندها تخرج روح كل ذی روح واختلف فی القدر الذی بين النفختين والصحيح انه اربعون عاما (قوله ای القرن) وهو بيد اسرافيل عليه السلام (قوله قربنا) ای اظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) ان كان المراد به يوم الموقف فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والاظهار وان كان المراد بعد انفضاضه فالمراد بالعرض امتزاجها بهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وفائدة التاكيد على الاول الاشارة الى انه لم يكن بينهم وبينها حجاب (قوله اعينهم) ای بصائرهم (قوله لا يهتدون به) ای لا يتعظون ولا يؤثر فی قلوبهم (قوله لا يستطيعون سمعا) ای سماع

(أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي) أي ملائكتي وعيسى وعزيرا (من دوني أولياء) أربابا مفعول ثان ليتخذوا

والمفعول الثاني لحسب محذوف المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا (إنا أعتدنا جهنم للكافرين) هؤلاء وغيرهم (نزلا) أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) تمييز طابق المميز وبينهم بقوله (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) بطل عملهم (وهم يحسبون) يظنون (أنهم يحسنون صنعا) عملا يجازون عليه (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (ولقائه) أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب (فحبطت أعمالهم) بطلت (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا نجعل لهم قدرا (ذلك) أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وابتدأ (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) أي مهزوا بهما (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم) في علم الله (جنات الفردوس) هو وسط الجنة وأعلاها والإضافة إليه للبيان (نزلا) منزلا

(خالدين فيها لا يبغون) يطلبون (عنها حولا) تحولا إلى غيرها (قل لو كان البحر)

قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أفحسب الذين كفروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا فحسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أي ملائكتي وعيسى وعزيرا) أشار بذلك إلى تنوعهم في الكفر فالمشركون يعبدون الملائكة والنصارى يعبدون عيسى واليهود يعبدون العزير (قوله وعزيرا) هذا لقبه واسمه قطفير أو أطفير (قوله من دوني) أي غيري وهو صادق بكونهم يشركونهم معه في العبادة أو خصوهم بالعبادة دونه (قوله مفعول ثان ليتخذوا) أي والأول قوله عبادي فمفعولا اتخذ مذكوران (قوله والمفعول الثاني لحسب محذوف) أي والأول قوله أن يتخذوا الخ والتقدير أظن الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني أربابا لا يغضبني بل هو مغضب لي وأعاقبهم عليه وبتفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فمسلم أنه إشراك وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام لما ورد المرء مع من أحب (قوله كلا) هي كلمة ردع وزجر (قوله إنا أعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا (قوله هؤلاء) أي الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) أي من بقية الكفار (قوله كالمنزل المعد للضيف) أي فهو استهزاء وسخرية بهم حيث سمى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أو لما يهيأ له (قوله بالأخسرين) جمع أخسر إما بمعنى أشد الناس خسرانا أو بمعنى خاسر (قوله طابق المميز) جواب عما يقال كيف جمع التمييز مع أن أصله الإفراد ولم جمع المصدر مع أنه لا يثنى ولا يجمع فأجاب بأنه جمع لمشاكلة مميزه (قوله الذين ضل سعيهم) خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) أي لأن شرط الثواب الإسلام والكفر لا تنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله أي وبالبعث) أي فالمراد بلقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ (قوله فحبطت) أي فبسبب ذلك (قوله أي لا نجعل لهم قدرا) أي منزلة وإنما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم وبعضهم أجاب بأن الآية فيها حذف النعت والتقدير وزنا نافعا (قوله ذلك أي الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمحذوف (قوله الذي ذكرت) تفسير لاسم الإشارة (قوله وابتدأ) أشار بذلك إلى أن جملة جزاؤهم جهنم مستأنفة وهو صادق بأن يكون جزاؤهم مبتدأ وجهنم خبرا وبالعكس ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول (قوله بما كفروا) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله في علم الله) أي قبل أن يخلقوا وهو جواب عما يقال إنهم يدخلونها في المستقبل فلم عبر بالماضي فأجاب بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية (قوله هو وسط الجنة) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات أو بفتحها بمعنى خيارها قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والفردوس الجنة من الكرم خاصة أو ما غالبها كرم واختلف فيه فقيل هو عربي وقيل أعجمي وقيل هو رومي وقيل فارسي وقيل سرياني (قوله نزلا) أي وقيل هو ما يهيأ للضيف (قوله خالدين) حال مقدرة (قوله لا يبغون) حال أخرى (قوله تحولا) أي انتقالا عنها إلى غيرها لأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (قوله قل لو كان البحر مدادا) سبب نزولها أن اليهود قالت يا محمد إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقصدهم بذلك الإنكار عليه وإثبات الفضل لهم

(قوله أى ماؤه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله لكلمات ربى) أى النفسية القائمة بذاته ويصح ان يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ويكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أى فرغ (قوله قبل أن تنفد) ان قلت ان الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها لان مقتضى قوله قبل ان تنفد كلمات ربى انها تفرغ بعد فراغ المداد وأجيب بان قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لنفد) قدره اشارة الى ان لو شرطية جوابها محذوف ويوضح هذه الآية قوله تعالى فى سورة لقمان ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أى مدادا وقوله على التمييز أى لمثل (قوله باقية على مصدريتها) اى فما وان كفتها عن العمل لا تخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أى الماخوذ من التركيب (قوله عملا صالحا) اى بشروطه واركانه (قوله بان يرائى) هذا قدر زائد على التوحيد والعمل وحينئذ فيكون بيانا للايمان الكامل الذى يرقى به صاحبه المراتب العلية واللقى الخاص والا فالمراتب ثلاث من اراد بعمله الحظ الفانى فهو فى أدنى المراتب ومن اراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ومن اراد وجه الله فهو فى أعلى المراتب

﴿ سورة مريم مكية ﴾

سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفى بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها وان كان المقصود ذكر اسم السورة لا العلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحا فى القرآن الا مريم فذكرت فيه فى ثلاثين موضعا وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار انها زوجة الله لان العظيم يانف من ذكر زوجته باسمها فكان الله يقول لهم لو كان ما تزعمون حقا ما صرحت باسمها (قوله أو الا فخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل ان الاقوال ثلاثة قيل مكية بتمامها وقيل المدنى منها آية السجدة فيها وقيل المدنى منها آيتان قوله فخلف من بعدهم خلف الى قوله شيا (قوله كهيعص) اعلم ان الكاف والصاد يمدان لازما باتفاق السبعة وهو قدر ثلاث الفات والهاء والياء يمدان مدا طبيعيا باتفاقهم وهو قدر الف ويجوز فى العين المد اللازم المذكور والقصر بقدر الفين قراءتان سبعيتان ويتعين فى النون من عين اخفاؤها فى الصاد وغنتها وفتح العين ويجوز فى الدال الاظهار والادغام فى ذال ذكر والقراءتان سبعيتان (قوله الله اعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق وللسلف أقوال أخر منها ما قاله ابن عباس انه اسم من اسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم ولذا يذكره العارفون فى احزابهم كالسيد الدسوقى وابى الحسن الشاذلى وقيل هو اسم السورة وقيل قسم اقسم الله به وعن الكلبى هو ثناء اثنى الله به على نفسه وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق فى وعده فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعانى وقيل غير ذلك (قوله هذا) قدره اشارة الى ان ذكر خبر لمحذوف (قوله ذكر رحمة) هو مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف اى ذكر الله رحمته عبده زكريا (قوله مفعول رحمة) أى ورحمة من اضافة المصدر لفاعله وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر لانها من بنية الكلمة لا للوحدة ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها لعبده زكريا بمعنى عامله بالرحمة والنعمة لا بالغضب والنقمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لانه مستحيل (قوله متعلق برحمة) أى على انه ظرف له اى رحمة الله اياه وقت ان ناداه (قوله مشتملا على دعاء) أى وهو قوله رب انى وهن العظم الى قوله واجعله رب رضيا فجملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هو قوله فهب لى من لدنك الخ (قوله جوف الليل) اى فى جوفه (قوله لانه اسرع للاجابة)

اى ماؤه (مدادا) هو ما يكتب به (لكلمات ربى) الدالة على حكمه وعجائبه بان تكتب به (لنفد البحر) فى كتابتها (قبل ان تنفد) بالتاء والياء تفرغ (كلمات ربى ولو جئنا بمثله) أى البحر (مددا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هى ونصبه على التمييز (قل انما انا بشر) آدمى (مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد) ان المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحى الى وحدانية الاله (فمن كان يرجوا) يامل (لقاء ربه) بالبعث والجزاء (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه) أى فيها بان يرائى (أحدا)

﴿ سورة مريم مكية الا سجدتها فمدنية او الا فخلف من بعدهم خلف الآيتين فمدنيتان وهى ثمان أو تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص) الله أعلم بمراده بذلك هذا (ذكر رحمة ربك عبده) مفعول رحمة (زكريا) بيان له (اذ) متعلق برحمة (نادى ربه نداء) مشتملا على دعاء (خفيا) سرا جوف الليل لانه أسرع للاجابة

(قال ربّ انى وهن) ضعف (العظم) جميعه (منى واشتعل الراس) منى (شيبا) تمييز محول عن الفاعل اى انتشر الشيب فى شعره كما ينتشر شعاع النار فى الحطب وانى اريد ان ادعوك (ولم أكن بدعائك) اى بدعائى اياك (رب (٢٧) شقيا) اى خائبا فيما مضى فلا تخيبنى فيما ياتى (وانى خفت الموالى) اى الذين يلونى فى النسب كبنى العم (من ورائى) اى بعد موتى على الدين ان يضيعوه كما شاهدته فى بنى اسرائيل من تبديل الدين (وكانت امرأتى عاقرا) لا تلد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) ابنا (يرثنى) بالجزم جواب الامر و بالرفع صفة وليا (و يرث) بالوجهين (من آل يعقوب) جدى العلم والنبوة (واجعله رب رضيا) اى مرضيا عندك قال تعالى فى اجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يازكريا انا نبشرك بغلام) يرث كما سالت (اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا) اى مسمى بيحيي (قال رب انى) كيف (يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) من عتا يبس اى نهاية السن مائة وعشرين سنة و بلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة واصل عتى عتو وكسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الاولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قال) الامر (كذلك) من خلق غلام منكما (قال ربك هو على هين) اى بان ارد عليك قوة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) قبل خلقك ولاظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه الى سرعة المبشر به (قال رب اجعل لى آية) اى علامة على حمل امرأتى (قال آيتك) عليه (ان لا تكلم الناس)

أى ماذكر من كونه خفيا حاصلا فى جوف الليل فتحصل ان اخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من اسباب الاجابة سيما اذا كان فى جوف الليل (قوله قال رب) اى يامالكى ومربى (قوله وهن) من باب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرئ بضمها وكسرها (قوله جميعه) اشار بذلك الى ان ال فى العظم للاستغراق (قوله اى انتشر) اشار بذلك الى ان فى اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع ان كلا يضعف ما نزل به وأعاد الضمير على الرأس مذكرا لانها تذكر لا غير (قوله وانى اريد ان ادعوك) تمهيد لقوله ولم أكن الخ (قوله اى بدعائى اياك) اشار بذلك الى ان دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) اى انت قد اجبتنى فى الزمان الماضى حال شبوبيتى وعودتنى منك بالاحسان والاجابة فلا تخيبنى فيما ياتى فى حال شيخوختى (قوله وانى خفت الموالى) جمع مولى وهو العاصب (قوله كبنى العم) اى لانهم كانوا اشرار بنى اسرائيل فخاف ان يبدلوا دينهم (قوله من ورائى) متعلق بمحذوف اى جور الموالى من ورائى (قوله على الدين) متعلق بخفت (قوله من تبديل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى اشاع اخت حنة كلتاهما بنت فاقود فولدت اشاع يحيي وحنة مريم (قوله لا تلد) أى لم تلد اصلا لا فى صغرها ولا فى كبرها (قوله وبالرفع صفة وليا) هى سبعية ايضا وهى اظهر معنى لانها تفيد ان هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) اى لا المال لان الانبياء لا يورثون درهما ولا دينارا (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان هذا من كلام الله ولا ينافيه ما تقدم فى سورة آل عمران من انه من كلام الملائكة لانه يمكن ان يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعت للابن (قوله انا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيي) انما سماه بذلك لان رحم امه حيي به بعد موته بالعقم أو لحياة القلوب به وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية وتقول فى تثنيته يحييان رفعا و يحيين نصبا وجرا وتقول فى جمعه للسلامة يحيون رفعا و يحيين نصبا وجرا (قوله اى مسمى بيحيي) اى لم يسم بيحيي قبله (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لا بحسب القدرة الالهية او استفهام تعجب وسرور فى هذا الامر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقرا) اى ولم تزل (قوله يبس) بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليبس يقال عتا العود بمعنى يبس وجف ومعناه هنا يبس العظم والعصب والجلد (قوله عتوو) هو بضمتين وواوين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على اربع اعمالات فى الكلمة كسر التاء وقلب الواو الاولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق احداهما بالسكون وادغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص واما على قراءته من كسر العين اتباعا للتاء ففيه خمس اعمالات (قوله الامر) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) اى على لسان ملك او القاء فى القلب وأما الخطاب جهرا مشافهة فلم يكن لغير موسي وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وافتق) من باب نصر اى اشق (قوله للعلوق) بفتح العين اى المنى و يصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله ولما تاقت نفسه) اى تطلعت وتشوقت واشار بذلك الى ان قوله قال رب اجعل لى آية مرتب على محذوف (قوله الى سرعة المبشر به) اى بعلامة تدل على حصوله بالفعل وليس عند زكريا شك فى اجابة الله

دعاءه بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحا وشكرا (قوله اى تمنع) اى قهرا بلا آفة (قوله أى بايامها) أشار بذلك الى وجه الجمع بين ماهنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا ان الليل سابق على النهار وهذه السورة مكية والمكى مقدم على المدنى وآل عمران مدنية فاعطى السابق للسابق والمتاخر للمتاخر (قوله حال من فاعل تكلم) اى ينعدم منك الكلام حال كونك سليما لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام ويصح ان يكون صفة لثلاث اى ثلاثا كاملات لا نقص فيهن (قوله نخرج على قومه) اى متغير اللون عاجزا عن الكلام فانكروا ذلك عليه وقالوا له مالك فاشار اليهم ان صلوا بكرة وعشيا (قوله من المحراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت واكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديما (قوله اى المسجد) اى موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) اى فكان هو مقيما به ولا يفتحه الا وقت الصلاة ولا يدخلونه الا باذنه (قوله اشار اليهم) اى باصبعه وقيل كتب لهم (قوله اوائل النهار واواخره) أى فالمراد بالصلاة فى هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم ولا تنتظرونى أكلمكم بل دعونى وحالى (قوله فعلم) اى زكريا (قوله و بعد ولادته الخ) قدر ذلك اشارة الى ان قوله يايحيى الخ مرتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أى على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) اى اعمل باحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه فى المكتب مثلا لان الله القاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوة) اى بجد واجتهاد وانما امر بذلك لان كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبغى لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه ولا يتراخى فى طلبه فانك ان اعطيت العلم كلك اعطاك بعضه وان اعطيته بعضك لم يعطك شيأ منه ولذا قال الامام الشافعى رضي الله عنه

اخى لن تنال العلم الا بستة ＊ سانبيك عنها مخبرا ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ＊ نصيحة استاذ وطول زمان

ولم يامر الله سيدنا محمدا بتلقى ما اوحى اليه بقوة لان الله اعطاه عزما وقوة عظيمة فلم يحتج للامر بذلك بل قيل له انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (قوله ابن ثلاث سنين) اى فاحكم الله عقله وقوى فهمه وقولهم النبوة على رأس الاربعين محله فى غير يحيي وعيسى على ماياتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها واما النبوة فتاخرت للاربعين كغيره (قوله حنانا) اى رحمة ورقة فى قلبه وتعطفا على الناس (قوله صدقة عليهم) اى توفيقا للتصدق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الاوساخ أو طهارة من اتبعه او المراد ان الله تصدق به على والديه (قوله وكان تقيا) أى مجبولا على التقوى ومن جملة تقواه انه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجار على خده (قوله ولم يهم بها) اى لم تخطر بباله ولا خصوصية له بذلك بل جميع الانبياء كذلك (قوله عاصيا لربه) اشار بذلك الى ان المبالغة ليست مرادة بل المنفى اصل العصيان لا المبالغة فيه (قوله وسلام عليه) اى امان له من المخاوف ونكر هنا وعرف فى قصة عيسي لان ماهنا حاصل من الله والقليل منه كثير وماذكر فى قصة عيسي ال فيه للعهد اى السلام المعهود وهو الكائن من الله (قوله يوم ولد) اى من ان يناله الشيطان بمكروه (قوله و يوم يموت) اى من عذاب القبر (قوله و يوم يبعث حيا) اى من هول الموقف ولا ينافى هذا ما ورد ان الانبياء يوم القيامة يجثون على الركب و يقولون رب سلم سلم لان جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيبته وجلاله لا من عذابه وعقابه لصدق وعد الله فى تامينهم فلا يخاف وعده ＊ بقى شئ آخر وهو انه ورد ان يحيي قتل فى حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولدا يرثه واجابة الله له بقوله كذلك هو على هين اجيب بان هذه الرواية

اى تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثلاث ليال) اى بايامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سويا) حال من فاعل تكلم اى بلا علة (فخرج على قومه من المحراب) اى المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بامره على العادة (فاوحى) أشار (اليهم ان سبحوا) صلوا (بكرة وعشيا) اوائل النهار واواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيي و بعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يايحيي خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) بجد (وآتيناه الحكم) النبوة (صبيا) ابن ثلاث سنين (وحنانا) رحمة للناس (من لدنا) من عندنا (وزكاة) صدقة عليهم (وكان تقيا) روى انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (و برا بوالديه) اى محسنا اليهما (ولم يكن جبارا) متكبرا (عصيا) عاصيا لربه (وسلام) منا (عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا) اى فى هذه الايام المخوفة التى يرى فيها مالم يره قبلها فهو آمن فيها

(واذكر فى الكتاب) القرآن (مريم) اى خبرها (اذ) حين (انتبذت من اهلها مكانا شرقيا) اى اعتزلت فى مكان نحو الشرق من الدار (فاتخذت من دونهم حجابا) ارسلت سترا تستتر به لتفلى راسها او ثيابها او تغتسل من حيضها (فارسلنا اليها روحنا) جبريل (فتمثل لها) بعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) تام الخلق (قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) فتنتهى عنى بتعوذى (قال انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) بالنبوة (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) بتزوج (ولم اك بغيا) زانية (قال) الامر (كذلك)من خلق غلام منك من غير اب (قال ربك هو على هين) اى بان ينفخ بامرى جبريل فيك فتحملى به ولكونه ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولنجعله آية للناس) على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلقه (امرا مقضيا) به فى علمى فنفخ جبريل فى جيب درعها فاحست بالحمل فى بطنها مصورا (فحملته فانتبذت) تنحت (به مكانا قصيا) بعيدا من اهلها

ضعيفة والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر فى الكتاب مريم) أى قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى وتقدم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك الى أن أل فى الكتاب للعهد (قوله اذ انتبذت) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله أى خبرها وهو بدل اشتمال وليس المراد خصوص الخبر الواقع فى وقت الانتباذ بل هو وما بعده الى آخر القصة (قوله أى اعتزلت فى مكان) أشار بذلك الى أن مكانا منصوب على الظرفية ويصح أن يكون مفعولا به على أن معنى انتبذت أتت مكانا (قوله من الدار) أى دار زوج خالتها وهو زكريا القيم عليها وفى بعض النسخ أو شرق بيت المقدس أى فقوله فى الآية شرقيا يحتمل أن يكون شرقيا من دارها أو من بيت المقدس (قوله أو تغتسل من حيضها) أى لانها كانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين (قوله روحنا) سمى بذلك لان الله أحيا به القلوب والاديان كما أن الروح به حياة الاجساد أو كناية عن محبة الله له كما يقول الانسان لمن يحبه أنت روحى (قوله فتمثل لها) اختلف فى كيفية تمثل الملك فى غير صورته الاصلية هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أو لا تنفصل وانما تخفى عن الرائى وهو الذى ندين الله به لان لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال ان الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهى تغتسل فاجاب المفسر بانه انما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أى بصورة شاب أمرد معتدل الخلقة لتانس بكلامه ولعله يهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها ولا يقال ان النظر المهيج للشهوة حرام لان ذلك اذا كان مع اختيار وأما الميل الطبيعى فلا يؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم المغيث لها من الخلق (قوله ان كنت تقيا) أى عاملا بمقتضى تقواك وايمانك (قوله فتنتهى عنى) هو جواب الشرط وقدره فعلا مضارعا مقرونا بالفاء فهو على تقدير المبتدا ليكون الجواب جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالفاء أى فانت تنتهى عنى (قوله رسول ربك) أى جبريل وقولهم ان الوحى لم ينزل على امرأة قط اى برسالة واما بغيرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان فعلى الاولى الاسناد لله وعلى الثانية الاسناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الاول لانه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به ما يقال ان قولها لم يمسسنى بشر يدخل تحته ولم اك بغيا فاجاب بان المس عبارة عن النكاح فى الحلال والزنا ليس كذلك بل يقال فجر بها وما اشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لان بغيا غالب فى النساء فاجروه اجراء حائض وطامث وعاقر او يقال ان اصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء وكسرت الغين لتصح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك

ولا تلى فارقة فعولا ✻ اصلا ولا المفعال والمفعيلا

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وانما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الامر) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) بمنزلة العلة كانه قيل الامر كذلك لانه علينا هين ولنجعله الخ (قوله على قدرتنا) اى كمال قدرتنا على انواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وانثى (قوله امرا مقضيا) اى لا يتغير ولا يتبدل (قوله فنفخ جبريل) اى نفخة وصلت الى فرجها ودخلت منه جوفها وليس المراد انه نفخ فى فرجها مباشرة (قوله درعها) اى قميصها (قوله مكانا قصيا) اى بعيدا من اهلها

وهو بيت لحم فرارا من تعيير قومها بولادتها من غير زوج (قوله فاجاءها المخاض) اى الجأها (قوله لتعتمد عليه) اى فاعتمدت عليه وقيل حضنته وكان يابسا فاخضر وأثمر لوقته (قوله فولدت) اى ببيت لحم لخافت عليه فجاءت به الى بيت المدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهى الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به الى بحر الاردن فغمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذه النصارى عيدا ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه فى ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون فى كل ماء (قوله فى ساعة) هو الصحيح وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها اذذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) انما تمنت الموت لئلا تقع المصيبة بمن تكلم فى شانها بسوء والا فهى راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان وقوله منسيا تاكيد لنسيا (قوله فناداها) اى لما شق عليها الامر وعلمت انها تتهم ولا بد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها قيل اول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها يخدمان المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما احد أشد عبادة واجتهادا منهما فبقى متحيرا فى أمرها ثم قال لها قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال اخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم ألم تعلم ان الله أنبت الشجر بالقدرة من غير بذر ولا غيث أو تقول ان الله تعالى لا يقدر ان ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله يقدر على ما يشاء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد مدة نفاسها (قوله من تحتها) بفتح الميم وكسرها قراءتان سبعيتان فعلى الاولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق بنادى (قوله اى جبريل) تفسير لمن على الفتح وللضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل المنادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها اسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله أن لا تحزنى الى قوله فلن اكلم اليوم انسيا اول كلام عيسى (قوله وكان اسفل منها) اى كان جبريل فى مكان اسفل من مريم (قوله ان لا تحزنى) يحتمل ان تكون ان مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ماهو بمعنى القول ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهر ماء) اى وجمعه سريان كرغيف ورغفان ويطلق السرى على الشريف الرئيس واصله سريو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء كسيد ويكون المراد به عيسى وما مشى عليه المفسر اظهر لمناسبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) اى ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) اى ويصح ان تكون اصلية والمفعول محذوف والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لرطبا والتقدير وهزى اليك رطبا كائنا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة بتركها) اى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة سبعية أيضا وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطبا مفعول به (قوله تمييز) اى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لا على الثالثة (قوله جنيا) اى تاما نضجه صالحا للاجتناء (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قر يقر بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب تعب وقرئ شذوذا بكسر القاف وهى لغة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع من باب ضرب (قوله أى تسكن) اى فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح ان يكون من القر وهو البرد لان العين اذا فرح صاحبها كان دمعها باردا واذا حزن كان دمعها حارا كانه

(فاجاءها) جاء بها (المخاض) وجع الولادة (الى جذع النخلة) لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة فى ساعة (قالت يا) للتنبيه (ليتنى مت قبل هذا) الامر (وكنت نسيا منسيا) شيئا متروكا لا يعرف ولا يذكر (فناداها من تحتها) اى جبريل وكان اسفل منها (ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا) نهر ماء كان انقطع (وهزى اليك بجذع النخلة) كانت يابسة والباء زائدة (تساقط) اصله بتاءين قلبت الثانية سينا وادغمت فى السين وفى قراءة تركها (عليك رطبا) تمييز (جنيا) صفته (فكلى) من الرطب (واشربى) من السرى (وقرى عينا) بالولد تمييز محول من الفاعل اى لتقر عينك به اى تسكن فلا تطمح الى غيره (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما الزائدة (ترين)

قال اترکی الحزن وافرحی بما اعطاک ربک (قوله حذف منه لام الفعل) ای واصله ترا يين بهمزة هی عين الكلمة وياء مكسورة هی لامها واخری ساكنة هی ياء الضمير والنون علامة الرفع نقلت حركة الهمزة الى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت الفا فالتقی ساكنان حذفت لالتقائهما ثم اكد بالنون وحرك بالكسر ففيه ست اعمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء الفا وحذفها وتاكيده بالنون وتحريكه بالكسر وان نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة افاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتامل (قوله فسالك عن ولدك) جواب عما يقال ان قولها فلن اكلم اليوم انسيا كلام فقد حصل التناقض فاجاب بان المراد اذا رأيت احدا من البشر وسالك عن امرك فقولی الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان فی بنی اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتی يمسی وفی هذا دلالة علی ترک مجادلة السفهاء والتكلم معهم فانه اغيظ لهم (قوله مع الاناسی) ای لا مع الله كالذكر ولا مع الملائكة لما ورد انها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الانس والاناسی بفتح الهمزة جمع انسی او انسان واصله علی هذا اناسين قلبت النون ياء وادغمت فی الياء (قوله ای بعد ذلك) ای بعد قولها انی نذرت للرحمن صوما (قوله فاتت به) ای فی يوم وضعه وقيل بعدار بعين يوما طهرت من نفاسها (قوله فرأوه) ای ابصروه (قوله قالوا) ای اهلها وكانوا اهل بيت صالحين بمصدوق قوله تعالی ان الله اصطفی آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران علی العالمين ذرية بعضها من بعض (قوله لقد جئت) ای فعلت واتيت (قوله فريا) من فريت الجلد قطعته ای شيئا قاطعا وخارقا للعادة ومقطعا للعرض (قوله هو رجل صالح) ای فی بنی اسرائيل شبهت به فی عفتها وصلاحها قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا من بنی اسرائيل كلهم يسمون هرون سوی سائر الناس (قوله ما كان ابوك) ای عمران وقوله وما كانت امك ای حنة (قوله فاشارت اليه) ای وحينئذ غضب القوم وقالوا اتسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان فی المهد صبيا (قوله وجد) اشار المفسر الی ان كان تامة وحينئذ فصبيا حال ويصح ان تكون ناقصة وصبيا خبرها (قوله فی المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه وورد انه لما اشارت اليه ترک الرضاع واتكأ علی يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال انی عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ الها وكل هذه الاوصاف تقتضی براءة امه لان هذه اوصاف الكاملين المطهرين من الارجاس (قوله وجعلنی نبيا) ای فی الحال وقيل المراد سيجعلنی بعد الاربعين قولان للعلماء والله اعلم بحقيقة الحال (قوله ای نفاعا للناس) ای لانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيی الموتی ويهدی من ضل (قوله اخبار بما كتب له) ای فالماضی بمعنی المستقبل وقيل علی حقيقته (قوله امرنی بهما) ای بفعلهما (قوله وبرا) العامة علی فتح الباء وقرئ بكسرها اما علی حذف مضاف ای ذا بر او مبالغة (قوله متعاظما) ای بل جعلنی متواضعا ومن تواضعه انه كان ياكل ورق الشجر ويجلس علی التراب ولم يتخذ له مسكنا (قوله والسلام) ال فيه للعهد ای السلام الحاصل ليحيی حاصل لی فلا يقال ان يحيی سلم عليه ربه وعيسی سلم علی نفسه بل هو حاكی السلام عن الله (قوله ويوم ابعث حيا) هذا آخر كلامه ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتی بلغ المدة التی يتكلم فيها الاطفال (قوله قال تعالی) اشار بذلك الی ان هذا من كلام الله تعالی واما كلام عيسی فقد انتهی الی قوله حيا (قوله ذلك) ای المذكور بتلك الاوصاف واسم الاشارة مبتدأ وعيسی خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبر مبتدأ محذوف ای قول ابن مريم قول الحق وهو من اضافة الموصوف للصفة ای القول الحق والمعنی ان الموصوف بما ذكر من الاوصاف

حذفت منه لام الفعل وعينه والقيت حركتها علی الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر احدا) فيسالك عن ولدك (فقولی انی نذرت للرحمن صوما) ای امساكا عن الكلام فی شانه وغيره من الاناسی بدليل (فلن اكلم اليوم انسيا) ای بعد ذلك (فاتت به قومها تحمله) حال فراوه (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما حيث اتت بولد من غير اب (يا اخت هرون) هو رجل صالح ای يا شبيهته فی العفة (ما كان ابوك امرا سوء) ای زانيا (وما كانت امك بغيا) زانية فمن اين لك هذا الولد (فاشارت) لهم (اليه) ان كلموه (قالوا كيف نكلم من كان) ای وجد (فی المهد صبيا قال انی عبد الله آتانی الكتاب) ای الانجيل (وجعلنی نبيا وجعلنی مباركا اينما كنت) ای نفاعا للناس اخبار بما كتب له (واوصانی بالصلاة والزكاة) امرنی بهما (ما دمت حيا وبرا بوالدتی) منصوب بجعلنی مقدرا (ولم يجعلنی جبارا) متعاظما (شقيا) عاصيا لربه (والسلام) من الله (علی يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) يقال فيه ما تقدم فی السيد يحيی قال تعالی (ذلك عيسی ابن مريم قول الحق) بالرفع خبر مبتدأ مقدر ای قول ابن مريم

ابن الله كذبوا (ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) تنزيها له عن ذلك (اذا قضى أمرا) أى أراد أن يحدثه (فانما يقول له كن فيكون) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وان الله ربى وربكم فاعبدوه) بفتح ان بتقدير اذكر و بكسرها بتقدير قل بدليل ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (هذا) المذكور (صراط) طريق (مستقيم) مؤد الى الجنة (فاختلف الاحزاب من بينهم) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو اله معه او ثالث ثلاثة (فويل) فشدة عذاب (للذين كفروا) بما ذكر وغيره (من مشهد يوم عظيم) اى حضور يوم القيامة وأهواله (اسمع بهم وابصر) بهم صيغتا تعجب بمعنى مااسمعهم وما ابصرهم (يوم يأتوننا) فى الآخرة (لكن الظالمون) من اقامة الظاهر مقام المضمر (اليوم) اى فى الدنيا (فى ضلال مبين) اى بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن ابصاره أى اعجب منهم يامخاطب فى سمعهم وابصارهم فى الآخرة بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا (وانذرهم) خوف يامحمد كفار مكة (يوم الحسرة) هو يوم القيامة الذين

هو عيسى ابن مريم وقوله القول الحق اى الصدق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بتقدير قلت) اى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) اى على كل من القراءتين فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر لمحذوف اي هو عيسى الذى فيه يترددون ويتحيرون (قوله قالوا ان عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم وانما اقتصر على هذه هنا لانها التى يتضح ابطالها بقوله ماكان لله الخ (قوله ماكان لله) أى لا يمكن ولا يتاتى لانه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله ان يتخذ من ولد) أن وما دخلت عليه فى تاويل مصدر اسم كان والمعنى ماكان اتخاذ الولد من صفته بل هو محال قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله عن ذلك) أى اتخاذ الولد (قوله اذا قضى أمرا) هذا كالدليل لما قبله كانه قال ان اتخاذ الولد والسعى فى اسبابه شان العاجز الضعيف المحتاج الذى لا يقدر على شئ واما القادر الغنى الذى يقول للشئ كن فيكون فلا يحتاج فى اتخاذ الولد الى احبال الانثى وحيث أوجده بقول كن لا يسمى ابناله بل هو عبده ومخلوقه فهو تبكيت والزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير أن) اى بعد فاء السببية الواقعة بعد الامر (قوله وان الله ربى وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر ان أو فتحها فهو من تعلقات قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) اى اذكر ياعيسى ان الله الخ (قوله بتقدير قل) اى وان تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى ايضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد (قوله فاختلف الاحزاب) اى ان النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شان عيسى بعد رفعه الى السماء اربع فرق اليعقوبية والنسطورية والملكانية والاسلامية لما روى أنه اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر من كل قوم عالمهم فامتروا فى شان عيسى حين رفع فقال احدهم هو الله هبط الى الارض فاحيا من احيا وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم اتباع على ماقال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الاخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الذين اتبعوه منهم فهم الذين يعطون اجرهم مرتين كالنجاشى واتباعه وهم الذين قال تعالى فيهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الآيات (قوله فشدة عذاب) وقيل المراد بالويل واد فى جهنم ياكل الحجارة والحديد وقوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وسمى بذلك لشهادة الاعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون (قوله اسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الامر ومعناه التعجب واعرابه اسمع فعل ماض للتعجب والباء زائدة والضمير فاعله وابصر مثله وحذف بهم من الثانى لدلالة الاول عليه وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله لاستحالته عليه بل المراد التعجيب وهو حمل المخاطب على التعجب اى اعجبوا ياعبادى من شدة سمعهم و بصرهم فى ذلك اليوم (قوله من اقامة الظاهر مقام المضمر) اى اشارة الى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظالما (قوله فى ضلال) اى خطا وعدم اهتداء للحق (قوله به صموا) اى بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ فى الدنيا فالعجب منهم فى الحالتين شدة الاسماع والابصار فى الآخرة وضدهما فى الدنيا (قوله هو يوم القيامة) اى وله أسماء كثيرة منها يوم

الدين ويوم الجزاء ويوم الحساب والحاقة والقارعة واليوم الموعود وغير ذلك (قوله يتحسر فيه المسيء
الخ) اى والمحسن على ترك الزيادة في الاحسان كما في الحديث (قوله اذ قضى الامر) اى حكم وأمضى
وذلك انه ورد اذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين
الجنة والنار وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فعند ذلك يزداد
أهل النار حسرة على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم (قوله وهم في غفلة) الجملة حالية وكذا قوله
وهم لا يؤمنون وهذا الانذار لكل مكلف وانما خصه المفسر باهل مكة لانهم سبب نزولها والعبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب (قوله باهلاكهم) أى فلا يبقى حي سوى الله تعالى لما ورد ان الله تعالى ينادى
بعد انقراض الدنيا باهلها لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار (قوله والينا يرجعون) أى
يردون فيجازى كل احد بما قدمه من خير وشر (قوله واذكر في الكتاب ابراهيم) يحتمل انه معطوف
على قوله وانذرهم يوم الحسرة والمعنى واذكر لاهل مكة قصة ابراهيم لعلهم يعتبرون فيؤمنوا ويحتمل انه
معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الاقرب (قوله مبالغا في الصدق)
أى في أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لان كل نبي صديق ولا عكس وبين الولاية
والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولي ولا عكس لان الصديقية مرتبة تحت مرتبة
النبوة (قوله ويبدل منه) اى بدل اشتمال وحينئذ فقوله انه كان صديقا نبيا معترض بين البدل والمبدل
منه (قوله لابيه) قيل حقيقة وهو ما مشي عليه السيوطي في سورة الانعام تبعا للمفسر هنا ولا يضر كفر
أصول الانبياء فان الله يخرج الحي من الميت ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم ما زلت أنتقل من الاصلاب
الطاهرة الى الارحام الفاخرة لان المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية وان كانوا كفارا او يقال ان آزر لم
يتحقق كفره الا بعد بعثة ابراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور المحمدي الى ولده وهو في حالة الفترة وقيل
هو عمه واسم ابيه تارخ وسمي أبا على عادة الاكابر من تسمية العم أبا وعليه فلا يرد الحديث المقدم وهما
قولان للمفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) أى فاصله أبى فيقال في اعرابه يا حرف نداء وأب
منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والتاء
عوض عن الياء (قوله ولا يجمع بينهما) اى فلا يقال يا ابتي لان فيه الجمع بين العوض والمعوض ويقال
يا ابتا لان الالف عوض عن الياء أيضا ففيه جمع بين عوضين (قوله لم تعبد ما لا يسمع) اى لاى سبب
تعبد ما لا سمع فيه ولا بصر (قوله او ضر) أى أو دفع ضر (قوله من العلم) اى العلم بالتوحيد والشرع
(قوله فاتبعني) أى امتثل امري فيما آمرك به (قوله مستقيما) أى لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك
اياه) اى فالمراد بعبادته امتثال امره في عبادة الاصنام حيث حسنها له بوسوسته (قوله عصيا) اى
وطاعة العاصي عصيان (قوله انى اخاف ان يمسك عذاب) اى في المستقبل ان لم ترجع وانما
عبر بالخوف لانه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان مترجيا ايمانه وقيل المراد بالخوف العلم والاقرب
الاول لانه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرا وقرينا) المناسب
الاقتصار على تفسيره بالقرين لانه بعد الدخول في العذاب لا يتأتى معاونة ولا مناصرة (قوله
اراغب) مبتدا وانت فاعل سد مسد الخبر وسوغه اعتماده على الاستفهام وهو اولى من جعله
خبرا مقدما وانت مبتدا مؤخرا لانه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو راغب والمعمول وهو عن آلهتي
باجنبي وهو انت لان المبتدا غير معمول للخبر (قوله لئن لم تنته الخ) قابل التعطف واللطافة في الخطاب
بالفظاظة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لئن لم تنته لارجمنك * وكل اناء
بالذي فيه ينضح * (قوله بالحجارة) اى حتى تموت او تخلى سبيلي (قوله او بالكلام القبيح) أى الشتم

يتحسر فيه المسيء على ترك الاحسان في الدنيا (اذ قضي الامر) لهم فيه بالعذاب (وهم) في الدنيا (في غفلة) عنه (وهم لا يؤمنون) به (انا نحن) تاكيد (نرث الارض ومن عليها) من العقلاء وغيرهم باهلاكهم (والينا يرجعون) فيه للجزاء (واذكر) لهم (في الكتاب ابراهيم) اى خبره (انه كان صديقا) مبالغا في الصدق (نبيا) ويبدل من خبره (اذ قال لابيه) آزر (يا ابت) التاء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الاصنام (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك) لا يكفيك (شيا) من نفع او ضر (يا ابت انى قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا) طريقا (سويا) مستقيما (يا ابت لا تعبد الشيطان) بطاعتك اياه في عبادة الاصنام (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) كثير العصيان (يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن) ان لم تتب (فتكون للشيطان وليا) ناصرا وقرينا في النار (قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم) فتعيبها (لئن لم تنته) عن التعرض لها (لارجمنك) بالحجارة او بالكلام القبيح

فاحذرنى (واهجرنى مليا) دهرا (٣٤) طويلا (قال سلام عليك) منى اى لا أصيبك بمكروه (ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا)

من حفى اى بارا فيجيب دعائى وقد وفى بوعده المذكور فى الشعراء واغفر لابى وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله كما ذكره فى براءة (واعتزلكم وما تدعون) تعبدون (من دون الله وأدعو) أعبد (ربى عسى ان لا أكون بدعاء ربى) بعبادته (شقيا) كما شقيتم بعبادة الاصنام (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بان ذهب الى الارض المقدسة (وهبناله) ابنين يانس بهما (اسحق و يعقوب وكلا) منهما (جعلنا نبيا ووهبنا لهم) للثلاثة (من رحمتنا) المال والولد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) رفيعا هو الثناء الحسن فى جميع أهل الاديان (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا) بكسر اللام وفتحها من أخلص فى عبادته وخلصه الله من الدنس (وكان رسولا نبيا وناديناه) بقول ياموسى انى أنا الله (من جانب الطور) اسم جبل (الايمن) اى الذى يلى يمين موسى حين أقبل من مدين (وقربناه نجيا) مناجيا بان اسمعه الله تعالى كلامه (ووهبناله من رحمتنا) نعمتنا (أخاه هرون) بدل او عطف بيان (نبيا) حال هى المقصودة بالهبة اجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه (واذكر فى الكتاب اسمعيل انه

والدم (قوله فاحذرنى) قدره اشارة الى ان قوله واهجرنى معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرنى انشائية وجملة لئن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) امامنصوب على الظرفية واليه يشير المفسر بقوله دهرا طويلا أو على الحال من فاعل اهجرنى أى اعتزلنى سالما لا يصيبك منى مضرة (قوله أى لا أصيبك بمكروه) اى فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله ساستغفر لك ربى) اى أطلب غفرانه لك المترتب على هدايتك واسلامك (قوله حفيا) اى مبالغا فى اكرامى واللطف بى والاعتناء بشانى و يطلق الحفى على المستقصى فى السؤال ومنه قوله تعالى كانك حفى عنها (قوله وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار فاجاب بانه استغفر له قبل علمه انه عدو لله فلما علم ذلك تبرأ منه وبهذا تعلم انه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر ان قصد بها هدايته واسلامه فان قطع بكفره فلا يجوز (قوله واعتزلكم) اى أرتحل من أرضكم و بلادكم وقد فعل ذلك (قوله بان ذهب) اى من بابل العراق الى الارض المقدسة (قوله يانس بهما) استفيد منه انه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم انه بشر باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقد عاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة و بينه و بين آدم ألفا سنة و بينه و بين نوح ألف سنة (قوله اسحق و يعقوب) خصهما لانه سيذكر اسمعيل بمزايا تخصه (قوله للثلاثة) اى ابراهيم وولديه (قوله المال والولد) اى فبسط لهم الدنيا ووسع لهم الارزاق وأكثر لهم الاولاد فجميع الانبياء الذين جاؤا بعده من ذريته (قوله فى جميع اهل الاديان) اى فكل أهل دين يترضون عن ابراهيم واسحق و يعقوب و يذكرونهم بخير الى يوم القيامة (قوله واذكر فى الكتاب موسى) معطوف على قوله واذكر فى الكتاب مريم عطف قصة على قصة والحاصل ان الله تعالى ذكر فى هذه السورة أسماء عشرة من الانبياء زكريا و يحيى وعيسى وابراهيم واسحق و يعقوب واسمعيل وموسى وهرون وادريس وذكر لكل اوصافا ومناقب يجب الايمان بها تنبيها على عظيم شانهم وتعليما للامة المحمدية ليقتدوا بهم وكذا يقال فى جميع قصص الانبياء المذكورة فى القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من اخلص فى عبادته) اى لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله واخلصه الله) اى صفاه ونقاه وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لفا ونشرا مرتبا فموسى عليه السلام صفاه مولاه واختاره لخدمته ومحبته فتسبب عن ذلك اخلاصه فى عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) اى ثبت واستقر أزلا فى علمنا نبوته ورسالته والا فرسالته فى الخارج حين المناداة (قوله بقوله ياموسى) اى فى سورة القصص فى قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذى يلى يمين موسى) هذا صريح فى ان المراد به الطور الذى عند بيت المقدس لا الطور الذى عند السويس لانه على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو مشاهد والايمن صفة للجانب بدليل تبعيته له فى الاعراب فى قوله تعالى وواعدناكم جانب الطور الايمن والمعنى انه سمع النداء فى ذلك المكان بجميع أجزائه من كل جهة (قوله وقربناه) اى تقريب شرف ومكانة لا مكان (قوله من كل جهة) اى بكل جارحة (قوله بدل او عطف بيان) اى وأخاه مفعول به وقوله من رحمتنا اى من أجل رحمتنا (قوله هى المقصودة بالهبة) جواب عما يقال مامعنى هبته له مع كونه اسن منه والموهوب يكون متاخرا عن الموهوب له فاجاب بان المراد جعله نبيا يعينه و يشد عضده (قوله اجابة لسؤاله) تعليل لقوله وهبنا حيث قال واجعل لى وزيرا من أهلى (قوله وكان اسن منه) اى بسنة وقيل باربع سنين (قوله اسمعيل) اى ابن ابراهيم وكان من هاجر جارية سارة التى وهبتها له فلما ولدت له اسمعيل نقلها الى الحجاز قبل بناء البيت فتربى اسمعيل بين جرهم عرب من اليمن فزوجوه ولما كبر أرسله الله اليهم كما قال المفسر ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكفاه

وكفاه بهذا فخرا ولما كان اعظم مزية من اولاد ابراهيم افرده بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص
بهذا الوصف وان كان موجودا فى غيره من الانبياء لانه المشهور بين خصاله (قوله وانتظر من وعده)
اى شخصا وعده اسمعيل وكان عليه ابراز الضمير لان الصلة جرت على غير من هى له والمعنى ان اسمعيل
وعد شخصا ان ينتظره فى مكان ليذهب الرجل ويأتى له فمكث ثلاثة ايام أو حولا (قوله وكان رسولا)
اى بشريعة ابيه (قوله قلبت الواو ان الخ) اى فوقعت الواو الثانية متطرفة قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء
وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء وهذا الوصف جامع لكل خير لان من كانت
افعاله مرضية لربه لا يصدر عنه الا كل بر واحسان ولا شك ان الانبياء كذلك لان الله اعلم حيث يجعل
رسالته (قوله ادريس) هذا لقبه واسمه اخنوخ بن شيث بن آدم ولقب بذلك لانه اول من درس الكتب
لان الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هى التى نزلت على ابيه وقيل غيرها وهو اول من خط بالقلم وخاط
الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر فى علم النجوم والحساب (قوله هو جد أبى نوح) اى لان نوحا
ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشلخ بن ادريس (قوله ورفعناه مكانا عليا) اختلف المفسرون
فى المكان العلى فقيل المراد به المكان المعنوى وهو الرفعة وعلو المنزلة وقيل المراد به المكان الحسى وعليه
فقيل هو السماء الرابعة وقيل الجنة واختلفوا فى سبب رفعه فقيل انه كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة
مثل ما يرفع لجميع اهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه فى
زيارته فاذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه
فابى ان يأكل معه ففعل ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له فى الليلة الثالثة انى اريد ان اعلم من انت قال
انا ملك الموت استأذنت ربى ان اصحبك فقال ادريس لى اليك حاجة قال ماهى قال تقبض روحى
فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبضها وردها اليه فى ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض
الروح قال لاذوق الموت وغمته فاكون اشد استعدادا ثم قال له ادريس ان لى اليك حاجة قال وماهى قال
ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فاذن الله فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال
وما تريد قال تسأل مالكا حتى يفتح ابوابها ففعل فقال له كما أريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة
فاستفتح ففتح أبوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال
ما اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس
ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وماهم منها بمخرجين ولست اخرج
فاوحى الله الى ملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لايخرج منها فهو حى هناك وقيل سببه انه نام ذات
يوم فاشتد عليه حر الشمس فقال اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه فانه يمارس نارا حامية فاصبح
ملك الشمس وقد نصب له كرسى من نور عنده سبعون الف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه
ويتولون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من اين لى هذا قال دعا لك رجل من بنى آدم يقال
له ادريس فقال يارب اجعل بينى و بينه خلة فاذن له فى ذلك فصار يتردد على ادريس فقال له الملك اكرم
الملائكة عنده ملك الموت فاشفع لى عنده ليؤخر اجلى فازداد عبادة وشكرا فقال الملك لا يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها فرفعه فى مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك
لتؤخر اجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان احببت اعلمته متى يموت فيقدم لنفسه قال نعم
فنظر فى ديوانه فقال انك كلمتنى فى انسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال انى أتيتك
وتركته هناك فانطلق فوجده قد مات ثم احياه الله فهو يرفع فى الجنة تارة و يعبد الله مع
الملائكة فى السماء الرابعة تارة اخرى قال العلماء أربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض

كان صادق الوعد) لم يعد
شيا الا وفى به وانتظر من
وعده ثلاثة ايام او حولا
حتى رجع اليه فى مكانه
(وكان رسولا) الى جرهم
(نبيا وكان يأمر اهله) اى
قومه (بالصلاة والزكاة
وكان عند ربه مرضيا)
اصله مرضوو قلبت الواوان
ياءين والضمة كسرة
(واذكر فى الكتاب
ادريس) هو جد أبى نوح
(انه كان صديقا نبيا ورفعناه
مكانا عليا) هو حى فى السماء
الرابعة أو السادسة او
السابعة او فى الجنة أدخلها
بعد ان اذيق الموت
واحيى ولم يخرج منها

(اولئك) مبتدأ (الذين انعم الله عليهم) صفة له (من النبيين) بيان له وهو فى معنى الصفة وما بعده الى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله (من ذرية آدم) اى ادريس (وممن حملنا مع نوح) فى السفينة اى ابراهيم ابن ابنه سام (ومن ذرية ابراهيم) اى اسمعيل

واسحق و يعقوب (و) من ذرية (اسرائيل) وهو يعقوب أى موسى وهرون وزكريا و يحيي وعيسى (وممن هدينا واجتبينا) اى من جملتهم وخبر اولئك (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا و بكيا) جمع ساجد و باك اى فكونوا مثلهم واصل بكى بكوى قلبت الواو ياء والضمة كسرة (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة) بتركها كاليهود والنصارى (واتبعوا الشهوات) من المعاصي (فسوف يلقون غيا) هو واد فى جهنم اى يقعون فيه (الا) لكن (من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون) ينقصون (شيا) من ثوابهم (جنات عدن) اقامة بدل من الجنة (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) حال اى غائبين عنها (أنه كان وعده) اى موعده (ماتيا) بمعنى آتيا واصله ماتوى اوموعوده هنا الجنة يأتيه أهله (لا يسمعون فيها لغوا) من الكلام (الا) لكن يسمعون

(سلاما) من الملائكة عليهم اومن بعضهم على بعض (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) اى على قدرهما فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا (تلك الجنة التى نورث) نعطى وننزل (من عبادنا من كان تقيا) (قوله

وهما الخضر والياس واثنان فى السماء وهما عيسى وادريس (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على الانبياء المذكورين فى هذه السورة وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم ادريس كما تقدم (قوله صفة له) اى لاسم الاشارة اى أولئك الموصوفون بانعام الله عليهم وذلك ان الله لما وصف كلا من الانبياء باوصاف تخصه اولا ذكر ثانيا لهم صفة تعمهم (قوله بيان لهم) اى للمنعم عليهم (قوله اى ادريس) تفسير للذرية اى ان ادريس من ذرية آدم لانه تقدم انه ابن شيث بن آدم (قوله وممن حملنا) اى ومن ذرية من حملنا (قوله اى ابراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لان من حمل معه أولاده الثلاثة وابراهيم من ذرية احدهم وهو سام لكن بوسايط فان بين ابراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أى فاولاد البنات من الذرية والحاصل ان من ذرية آدم لصلبه ادريس ومن ذرية نوح بوسايط ابراهيم ومن ذريته اسمعيل واسحق و يعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون ويحيي وعيسى (قوله وممن هدينا) عطف على من ذرية آدم زيادة فى تمجيدهم (قوله خروا سجدا و بكيا) اى ان الانبياء اذا سمعوا آيات الله التى خصهم بها من الكتب المنزلة عليهم سجدوا و بكوا خضوعا وخشوعا (قوله و باك) اى على غير قياس وقياسه بكاة كقاض وقضاة (قوله فكونوا مثلهم) اى فى السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما فى الحديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا (قوله فخلف من بعدهم) اى وجد من بعد النبيين (قوله خلف) هو بالسكون فى الشر و بالفتح فى الخير يقال خلف سوء وخلف صدق (قوله هو واد فى جهنم) أى تستعيذ من حره أوديتها (قوله الا من تاب) قدر المفسر لكن اشارة الى ان الاستثناء منقطع لان المستثنى المؤمنون والمستثنى منه الكفار (قوله بدل من الجنة) قال بعضهم انه بدل كل من بعض لان الجنة بعض الجنات ورد بان أل فى الجنة جنسية فهو بدل كل من كل (قوله اى غائبين عنها) أى غير مشاهدين لها لان الوعد حاصل فى الدنيا ومن فيها لا يشاهد الجنة (قوله اى موعوده) اى الذى وعد به من الجنة وغيرها (قوله بمعنى آتيا) اى فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله أوموعوده الخ) اشار لتفسير آخر وعليه فاسم المفعول باق على ما هو عليه وحينئذ فيكون المراد بالموعود خصوص الجنة (قوله لغوا) هو الكلام الزائد المستغنى عنه (قوله لكن يسمعون سلاما) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع لان السلام ليس من جنس اللغو (قوله وليس فى الجنة نهار ولا ليل) أى وانما يعرفون الليل بارخاء الحجب وغلق الابواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روى وليس معرفة الليل للاستراحة فيه والنوم اذلا نوم ولا تعب فيها بل ذلك على عادة الملوك فى الدنيا من تهيئة تحف فى الصباح والمساء ليتم نظامهم (قوله تلك الجنة) اسم الاشارة عائد على الجنة فى قوله فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا وأتى باسم الاشارة البعيد اشارة لعلو رتبتها ورفيع منزلتها (قوله نورث من عبادنا) عبر بالميراث اشارة الى انهم يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل كالميراث (قوله من كان تقيا) اى سعيدا وهو من مات على كلمة الاخلاص ولو مصرا على الكبائر فما له للجنة وان ادخل النار وعذب فيها بقدر جرمه لان الجنة جعلت مسكنا للموحدين والنار جعلت مسكنا للمشركين ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى فى سورة فاطر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الى ان قال جنات عدن يدخلونها وقوله صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة وان زنى وان سرق وان شرب الخمر ولكن الجنة مراتب ودرجات على حسب التفاوت فى الاعمال الصالحة

بطاعته ونزل لما تاخر الوحي اياما وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا (وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا) اى امامنا من امور الآخرة (وما خلفنا) من امور الدنيا (وما بين ذلك) اى ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة اى له علم ذلك جميعه (وما كان ربك نسيا) بمعنى ناسيا اى تاركا لك بتاخير الوحي عنك هو (رب) مالك (السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته) اى اصبر عليها (هل تعلم له سميا) اى مسمى بذلك لا (ويقول الانسان) المنكر للبعث ابي بن خلف او الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أئذا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وادخال الف بينها بوجهيها وبين الاخرى (مامت لسوف أخرج حيا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي اى لا احيا بعد الموت وما زائدة للتاكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى (اولا يذكر الانسان) اصله يتذكر ابدلت التاء ذالا وادغمت فى الدال وفى قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) فيستدل بالابتداء على الاعادة (فوربك لنحشرنهم) اى المنكرين للبعث (والشياطين) اى نجمع كلا منهم وشيطانه فى سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم) من خارجها (جثيا) على الركب جمع جاث واصله جثوو او جثوى من جثا يجثوا ويجثى لغتان (ثم لننزعن من كل شيعة) فرقة منهم (ايهم اشد على الرحمن عتيا) جراء (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها) احق بجهنم الاشد وغيره منهم

(قوله بطاعته) اى ولو بمجرد الاسلام (قوله ونزل لما تاخر الوحى) اى حين ساله اليهود عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فتاخر الوحى حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد اربعين يوما وقيل خمسة عشر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات على حتى ساءنى واشتقت اليك فقال له جبريل انى كنت اشوق ولكنى عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست (قوله اكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل كانه قال له ان شوقى اليك فى ازدياد فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر (قوله وما نتنزل الا بامر ربك) هذا على لسان جبريل امره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله المذكور والتنزل النزول شيئا فشيئا (قوله من امور الآخرة) بيان لما يصح ان يحمل قوله ما بين ايدينا على ما ياتى وقوله وما خلفنا على ما سبق وقوله وما بين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) اى تفصيلا واما علم بعضه اجمالا فيكون لبعض الحوادث كالانبياء والاولياء بالهام من الله تعالى ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه الا ما اذن لهم فيه اذا علمت ذلك فالتشدق بالتجرى على المغيبات من الضلال المبين لانه لو استند لقواعد فهى كاذبة ولو صادفت الحق بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم كذب المنجمون ولو صدقوا وان استند لكشف فصاحبه لا يطلع الا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مامور بكتمها الا ان الله قال لنبيه على لسان جبريل له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك فكيف بغيره من آحاد الخلق (قوله اى تاركا لك) اى ان عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركا لك وهجرانا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى (قوله هو) قدره اشارة الى ان رب خبر لمحذوف (قوله فاعبده) اى دم على عبادته ولا تحزن بابطاء الوحى واستهزاء الكفرة (قوله اى مسمى بذلك) اى بلفظ الجلالة او برب السموات والارض وقيل معنى سميا مثلا يستحق ان يسمى الها واحدا يسمى بالله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط لظهور احديته وانه رب السموات والارض وما بينهما قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقد ورد ان امرأة سمت ولدها الله فنزلت عليه نار فاحرقته (قوله المنكر للبعث) اشار بذلك الى ان المراد بالانسان خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله او الوليد) او لتنويع الخلاف فى المراد بالانسان الذى قال تلك المقالة وفى الحقيقة كل من الشخصين قد قالها (قوله ائذا) منصوبة بقوله اخرج حيا ولا يقال ان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لان ذاك فى لام الابتداء واما هذه فهى زائدة كما قال المفسر (قوله وادخال الف بينها) اى الثانية وقوله وبين الاخرى اى الاولى وكان المناسب ان يقول وتركه فتكون القراآت اربعا وهى سبعيات (قوله أولا يذكر) الاستفهام للتوبيخ (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله من قبل) اى من قبل بعثه (قوله فيستدل بالابتداء على الاعادة) اى لانها اهون قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه (قوله فوربك) اضاف اسمه تعالى اليه صلى الله عليه وسلم تشريفا وتعظيما (قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا) اى وهو الموقف (قوله واصله جثوو) اى بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها فاجتمعت مع الواو والساكنة قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء (قوله او جثوى) اى بياء بعد الواو وقلبت الواو ياء وادغمت فى الياء وعلى كل كسرت التاء لتصح الياء (قوله ثم لننزعن من كل شيعة) اى من كل امة (قوله ايهم) موصولة بمعنى الذى بنيت على الضم لاضافتها وحذف صدر صلتها وقوله اشد خبر لمحذوف والجملة صلتها وهى وصلتها فى محل نصب مفعول لننزعن وعتيا تمييز محول عن المبتدا المحذوف

(صليا) دخولا واحتراقا فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وان) اى ما (منكم) أحد (الا واردها)

اى داخل جهنم (كان على ربك حتما مقضيا) حتمه وقضى به لا يتركه (ثم ننجي) مشددا ومخففا (الذين اتقوا) الشرك والكفر منهما (ونذر الظالمين) بالشرك والكفر (فيها جثيا) على الركب (واذا تتلى عليهم) اى المؤمنين والكافرين (آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات حال (قال الذين كفروا للذين آمنوا) اى الفريقين (نحن وانتم) (خير مقاما) منزلا ومسكنا بالفتح من قام وبالضم من اقام (وأحسن نديا) بمعنى النادى وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيرا منكم قال تعالى (وكم) اى كثيرا (اهلكنا قبلهم من قرن) اى امة من الامم الماضية (هم احسن أثاثا) مالا ومتاعا (ورئيا) منظرا من الرؤية فكما اهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قل من كان فى الضلالة) شرط جوابه (فليمدد) بمعنى الخبر أى يمد (له الرحمن مدا) فى الدنيا يستدرجه (حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب) كالقتل والاسر (واما الساعة) المشتملة على جهنم فيدخلونها (فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا) اعوانا أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة

اى عتوه أشد والمعنى انه يميز طوائف الكفار فيطرح الاعتى فالاعتى على الترتيب لان عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد (قوله صليا) بضم الصاد وكسرها قراءتان سبعيتان جمع صال كجثيا جمع جاث (قوله فنبدأ بهم) اى بالذين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) اى كرضي وقوله وفتحها اى كرمى (قوله وان منكم الا واردها) اى مسلما أو كافرا والحاصل انه اختلف المفسرون فى المراد بالورود فقيل الدخول وقيل الحضور معها فى الموقف والذى عول عليه الاشياخ ان المراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها احد من السيف وارق من الشعرة ويتسع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وهم فى المرور مختلفون لما فى الحديث يرد الناس النار ثم يصدرون عنها باعمالهم فاولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كعدو الفرس ثم كالراكب المجد ثم كشد الرجل فى مشيه (قوله اى داخل جهنم) اى وتكون على المؤمنين ولو ماتوا عصاة غير من تحقق فيهم الوعيد بردا وسلاما فالدخول فيها وهى خامدة فلا يشعرون بها (قوله كان) اى الورود (قوله حتما مقضيا) اى بمقتضى حكمته لا بايجاب عليه (قوله ثم ننجي الذين اتقوا) اى نخرجهم منها من غير ان يمسهم عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد او بعد العذاب ومن هو نفذ فيهم الوعيد (قوله ونذر الظالمين) اى نتركهم فيها على سبيل الخلود وقوله جثيا حال من الظالمين (قوله واذا تتلى عليهم الخ) اى حين نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وعجزوا عن معارضتها اخذ اغنياء الكفار فى الافتخار على فقراء المؤمنين بما لهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا الى منازلنا فترونها احسن من منازلكم والى مجالسنا فترونها احسن من مجالسكم نجلس فى صدر المجلس وتجلسون فى طرفه الحقير فاذا كان ذلك لنا فى الدنيا فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لاكرمكم كما كرمنا وقصدهم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا قال تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (قوله قال الذين كفروا) اى اغنياؤهم (قوله للذين آمنوا) اى الفقراء منهم (قوله نحن وانتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) اى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح على انه من قام ثلاثيا والضم على انه من اقام رباعيا وكل يحتمل ان يكون اسم مكان او اسم مصدر (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله هم احسن) مبتدأ وخبر والجملة صفة لقرن واثاثا ورئيا تمييزان (قوله ورئيا) اى مرئيا كالذبح بمعنى المذبوح وقوله منظرا أى هيئة وصورة (قوله قل) اى للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله فى الضلالة) اى الكفر والغفلة عن عواقب الامور (قوله بمعنى الخبر) اى واتى به على صورة الامر اعلاما بانه يحصل ولا بد بمقتضى حكمته كانه الزم نفسه بذلك (قوله اى يمد له الرحمن) انما ذكر الرحمن اشارة الى ان رحمته سبقت غضبه (قوله يستدرجه) اى بان يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية فى قوله فليمدد له الرحمن (قوله واما الساعة) اما حرف تفصيل وهى مانعة خلو تجوز الجمع والعذاب والساعة بدلان من ما والمعنى يستمرون فى الطغيان الى ان يعلموا اذا رأوا العذاب او الساعة من هو شر مكانا وأضعف جندا (قوله فسيعلمون) جواب اذا وقوله من هو شر مكانا راجع لقوله خير مقاما وقوله وأضعف جندا راجع لقوله واحسن نديا على طريق اللف والنشر المرتب (قوله أهم ام المؤمنون) اشار بذلك الى ان من استفهامية ويصح كونها موصولة مفعول يعلمون (قوله عليهم) متعلق بجند لتضمينه معنى المعاونين وذلك كما وقع لهم فى بدر فالكفار كان جندهم ابليس واعوانه جاؤا اليهم ليعينوهم ثم انخذلوا عنهم والمؤمنون كان جندهم الملائكة التى قاتلت معهم كما

(ويزيد الله الذين اهتدوا) بالايمان (هدى) بما ينزل عليهم من الآيات (والباقيات (٣٩) الصالحات) هى الطاعات تبقى لصاحبها

(خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أى ما يرد اليه و يرجع بخلاف اعمال الكفار والخيرية هنا فى مقابلة قولهم أى الفريقين خير مقاما (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) العاصي بن وائل (وقال) لخباب بن الارت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال (لاوتين) على تقدير البعث (مالا وولدا) فاقضيك قال تعالى (اطلع الغيب) أى أعلمه وان يؤتى ما قاله واستغنى بهمزة الاستفهام عن همز الوصل فحذفت (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) بان يؤتى ما قاله (كلا) أى لا يؤتى ذلك (سنكتب) نامر بكتب (ما يقول ونمد له من العذاب مدا) نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره (ونرثه ما يقول) من المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا مال له ولا ولد (واتخذوا) أى كفار مكة (من دون الله) الاوثان (آلهة) يعبدونهم (ليكونوا لهم عزا) شفعاء عند الله بان لا يعذبوا (كلا) أى لا مانع من عذابهم (سيكفرون) أى الآلهة (بعبادتهم) أى ينفقونها كما فى آية أخرى ما كانوا ايانا يعبدون (و يكونون عليهم ضدا)

اعوانا واعداء (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين) سلطناهم (على الكافرين تؤزهم) تهيجهم الى المعاصي (ازا فلا تعجل عليهم) بطلب العذاب

تقدم فى الانفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستانفة او معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كانه قال قل لهم من كان فى الضلالة الخ وقل لهم نزيد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أى فكلما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وايمانا قال تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا (قوله هى الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير فى الباقيات الصالحات وهو الاحسن (قوله خير عند ربك) اى من زينة الدنيا التى يتنعم بها الكفار (قوله بخلاف اعمال الكفار) اى فانها شر مردا لكونهم يردون الى جهنم فتحصل ان الاعمال كلها باقية لاصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الاعمال الصالحة فيتنعمون بها فى الجنة والكفار تبقى لهم الاعمال السيئة فيعذبون بها فى النار فالعاقل يختار لنفسه اى العملين يبقى له (قوله والخيرية الخ) اى فافعل التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق فاندفع ما يقال ان اعمال الكفار لا خير فيها أصلا فكيف تصح المفاضلة (قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الاستفهام تعجبى أى تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة (قوله العاصي بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذى فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهور (قوله لخباب ابن الارت) هو بدرى من فقراء الصحابة وذلك ان خبابا كان صائغا فصاغ للعاصي حليا ثم طالبه باجرته فقال له لن أقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لن اكفر به حتى تموت ثم تبعث قال وانى لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك اذا رجعت الى مال وولد (قوله واستغنى بهمزة الاستفهام الخ) أى فاصله أأطلع حذفت همزة الوصل تخفيفا (قوله كلا) ذكر النحويون فى هذه اللفظة ستة مذاهب احسنها انها حرف ردع وزجر الثانى انها حرف تصديق بمعنى نعم الثالث انها بمعنى حق الرابع انها رد لما قبلها الخامس انها صلة فى الكلام بمعنى أى السادس انها حرف استفتاح وذكرت فى القرآن فى ثلاثة وثلاثين موضعا وكلها فى النصف الثانى منه فى خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع الى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها وعلى ماقبلها فيبتدأ بها وذلك فى خمسة مواضع الاثنان فى هذه السورة واللتان فى الشعراء وواحد فى سبا وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها او يتعين على ماقبلها وذلك فى تسعة مواضع واحدة فى المؤمنون وثنتان فى سال سائل والاولى والثالثة فى المدثر والاولى فى سورة القيامة والثانية فى سورة ويل للمطففين والاولى فى سورة الفجر والتى فى سورة ويل لكل وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب ما يقول) أى نظهره له ونعلمه انا كتبناه فاندفع ما يقال ان الكتابة لا تتاخر عن القول قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (قوله نزيد بذلك عذابا الخ) أى لما تقدم ان كل من كان اشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله ونرثه ما يقول) أى نسلبه ونأخذه منه بان يخرج من الدنيا خاليا من ذلك (قوله فردا) اى منقطعا عن ماله وولده بالكلية فلا يلقى مالا ولا ولدا أصلا لا فى البعث ولا فى النار لانقطاع الاسباب بينهم وبين اولادهم بل وبين ما يشتهون كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واما المؤمنون وان كانوا يبعثون فرادى الا انهم يلاقون أحبابهم واولادهم وما يشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الاوثان) هو مفعول اول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) فى معنى التعليل (قوله ضدا) اى اضدادا وانما افرده اما لكونه مصدرا فى الاصل اولانه مفرد فى معنى الجمع (قوله على الكافرين) اى واما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم الى المعاصى) اى تغريهم بتزيين الشهوات لهم (قوله ازا) مفعول مطلق لتؤزهم والاز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والازعاج وهو المراد هنا (قوله فلا تعجل عليهم) أى لتستريح أنت والمؤمنون من شرهم وتطهر الارض من فسادهم لان لهم اياما محصورة وانفاسا

معدودة يعيشونها ثم يردون الى العذاب (قوله انما نعد لهم عدا) اى نضبط ما يقع منهم ولا نهمل منه شيا ليؤاخذوا به (قوله أو الانفاس) تفسير ثان (قوله الى وقت عذابهم) اى وهو موتهم لان بموتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها الى قيام الساعة فيقذفون فى النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أى اذكر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين اهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى راكب) هذا المعنى ليس ماخوذا من معنى الوفد لان الوفد فى اللغة الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو ماخوذ من قرينة مدح المتقى لما ورد انهم يحشرون ركبانا على نجائب سرجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد واختلف فى وقت ركوبهم فقيل من اول خروجهم من القبور وقيل من منصرفهم من الموقف وعلى كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا ابواب الجنة وجمع بانهم يركبون من أول خروجهم من القبور حتى يأتوا الموقف ثم بعد انفضاض الموقف يركبون حتى يدخلوا الجنة وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد الى الله تعالى على خيل لا تروث ولا تبول لجمها من الياقوت الاحمر ومن الزبرجد الاخضر ومن الدر الابيض وسرجها السندس والاستبرق ومن كان يحب ركوب الابل فعلى نجائب لا تبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الاهوال وورد ايضا يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير (قوله بكفرهم) أشار بذلك الى ان المراد بالمجرمين الكفار (قوله وردا) اى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يحملون اوزارهم على ظهورهم لما ورد ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى احسن صورة واطيب ريح فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك واتعبتك فى الدنيا اركبنى اليوم وان الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتنها ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك السيء طالما ركبتنى وأتعبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك قال تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله لا يملكون) اى الخلق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة اى كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه (قوله الا من اتخذ) مستثنى من العموم المتقدم وهو متصل (قوله عند الرحمن) كرر لفظ الرحمن فى هذه السورة ست عشرة مرة اشارة الى ان رحمته غلبت غضبه (قوله اى شهادة ان لا اله الا الله) اى مع عديلتها وهى محمد رسول الله (قوله ولا حول ولا قوة الا بالله) فى رواية والتبرى من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم أن الملائكة بنات الله) اى وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار اثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) اى تقريعا وتوبيخا (قوله منكرا عظيما) اى فظيعا شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشيء منكرا عظيما (قوله ينفطرن) اى يتفتتن ويتقطعن (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا وظاهره ان القراآت أربع وليس كذلك بل هى ثلاث فقط لان فى قراءة التاء من تكاد وجهين التاء والنون من ينفطرن وفى قراءة الياء وجها واحدا وهو التاء من يتفطرن والثلاث سبعيات (قوله وتنشق الارض) اى تنخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى ان هذه المقالة منهم موجبة للغضب عليهم الذى ينشا عنه زوال السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الارض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته اوالمعنى ان هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفزع منها السموات والارض والجبال وتتمنى أنها لو أهلكت من تفوه بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله وما ينبغى للرحمن) اى لا يليق به ذلك ولا يتاتى لاستحالته عليه عقلا ونقلا لان الولد

(انما نعد لهم) الايام والليالى أو الانفاس (عدا) الى وقت عذابهم اذكر (يوم نحشر المتقين) بايمانهم (الى الرحمن وفدا) جمع وافد بمعنى راكب (ونسوق المجرمين) بكفرهم (الى جهنم وردا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لا يملكون) أى الناس (الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) أى شهادة ان لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله (وقالوا) اى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتخذ الرحمن ولدا) قال تعالى لهم (لقد جئتم شيا ادا) اى منكرا عظيما (تكاد) بالتاء والياء (السموات ينفطرن) بالنون وفى قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) أى تنطبق عليهم من أجل (ان دعوا للرحمن ولدا) قال تعالى (وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) اى ما يليق به ذلك (ان) اى ما (كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزير وعيسى

علامة الضعف والحدوث (قوله لقد احصاهم) أي أحاط بهم علمه (قوله وعدهم عدا) اى عد اشخاصهم وانفاسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله احصاهم فكأنه قال أحاط بهم علمه جمعا وفرادى (قوله فردا) أي منفردا (قوله سيجعل لهم الرحمن ودا) اى في الدنيا والآخرة والتنوين للتعظيم اى ودا عظيما فكلما عظمت طاعاتهم عظم ودهم لربهم ولاحبابه وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فان المحبة رأس الايمان وأساسه لما في الحديث الا لا ايمان لمن لا محبة له فمن أعطي المحبة لله ولاحبابه فقد أعطي خير الدنيا والآخرة لان المحبة حكمة ايجاد الخلق لما في الحديث القدسي فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني و بالجملة فالمحبة أمرها عظيم ولذا كان تنافس العارفين فيها فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا وعبر باداة الاستقبال لان المؤمنين كانوا بمكة في مبدا الاسلام مفرقين فوعد الله رسوله بان يؤلف بين قلوب المؤمنين و يضع فيها المحبة فهذه الآية نزلت في مبدا الاسلام تسلية له صلى الله عليه وسلم وودا بضم الواو للسبعة وقرئ بفتحها وكسرها فهو مثلث (قوله فانما يسرناه) أي انزلناه ميسرا (قوله العربي) أي فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع ألد) أي شديد الخصومة (قوله وكم أهلكنا الخ) تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحس رباعيا والاستفهام انكاري كما اشار له بقوله لا وقرئ شذوذا بفتح التاء وضم الحاء أو كسرها (قوله منهم) حال من أحد لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) اى والمعنى استأصلناهم بالهلاك جميعا حتى لا يرى منهم أحد ولا يسمع له صوت خفي

﴿سورة طه مكية﴾

أي كلها وقيل الا فاصبر على ما يقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت سببا فيه (قوله وأربعون الخ) أي فالخلاف في سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) اشار بذلك الى ان طه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وقيل ان طه اسم من اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء وقيل انه فعل امر وأصله طاها والمعنى طا الارض بقدميك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه في تهجده حيث كان يقوم الليل كله و يقف على احدى رجليه و يريح الاخرى من شدة التعب فامره الله بالتخفيف على نفسه فكان يصلي و ينام و يقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما وقيل ان معنى لتشقى لتتعب نفسك بتاسفك على كفر من كفر فانما عليك البلاغ فارح نفسك من هذا التعب فانا انزلنا القرآن لمن يذكر و يخشي وقيل انه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجده انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن أنزل عليك لتشقى به (قوله لكن) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع لان التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لاجله والتشقي كذلك وانما نصب الثاني دون الاول لان فاعل الذكرى والانزال هو الله بخلاف الاول (قوله لمن يخشي) اى لمن في قلبه رقة يتأثر بالمواعظ (قوله بدل من اللفظ) أي عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر والاصل نزلناه تنزيلا فحذف الفعل وجوبا لنيابة المصدر عنه في المعنى والعمل (قوله هو) قدره اشارة الى ان الرحمن خبر لمحذوف وحينئذ فيكون نعتا مقطوعا قصد به المدح (قوله سرير الملك) اى الذي يجلس عليه الملك قال تعالى في حق بلقيس قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضي الله عنه عن معنى الاستواء على العرش في حقه تعالى حيث قال للسائل الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة اخرجوا عني هذا المبتدع وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون ان المراد بالاستواء

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فانما يسرناه) أي القرآن (بلسانك) العربي (لتبشر به المتقين) الفائزين بالايمان (وتنذر) تخوف (به قوما لدا) جمع ألد أي جدل بالباطل وهم كفار مكة (وكم) أي كثيرا (اهلكنا قبلهم من قرن) أي أمة من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل (هل تحس) تجد (منهم من أحد او تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا لا فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

﴿سورة طه﴾

مكية مائة وخمس وثلاثون آية أو اربعون أو ثنتان (بسم الله الرحمن الرحيم طه) الله اعلم بمراده بذلك (ما انزلنا عليك القرآن) يا محمد (لتشقى) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن نفسك (الا) لكن أنزلناه (تذكرة) به (لمن يخشى) يخاف الله (تنزيلا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (ممن خلق الارض والسموات العلى) جمع عليا ككبرى وكبر هو (الرحمن على العرش) وهو في اللغة سرير الملك (استوى) استواء يليق به (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما)

الاستيلاء بالتصرف والقهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا
المعنيين وارد فى اللغة يقال استوى السلطان على الكرسى بمعنى جلس واستوى على الاقطار بمعنى ملك
وقهر ومن الثانى قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وحينئذ فالمتعين اطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثانى (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة (قوله هو
التراب الندى) اى الذى فيه نداوة فان لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى (قوله وان تجهر بالقول)
المقصود منه النهى عن الجهر لغير امر شرعى كانه يقول ان الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر
بالذكر او الدعاء او القراءة بقصد اسماع الله تعالى اما جهل او كفر واما لغرض آخر كارشاد العباد وحضور
القلب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فالله غنى الخ) قدره اشارة الى ان جواب الشرط
محذوف وقوله فانه يعلم السر الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله واخفى) هو افعل تفضيل اى والذى هو
اخفى من السر (قوله اى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد اقوال فى تفسير السر واخفى وقال ابن عباس
السر ما اسره ابن آدم فى نفسه وأخفى ما خفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه
فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلائق فى علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح التاء
والهاء او ضم التاء وكسر الهاء من جهد واجهد اى لا تتعب نفسك بالجهر بقصد اسماع الله تعالى وهذا
نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسنى مؤنث الاحسن) اى فهى اسم تفضيل يوصف
بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر لغير العاقل كما هنا (قوله وهل اتاك حديث موسى) الاستفهام
للتشويق والتقرير فى ذهن السامع والجملة مستانفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان الله يقول
له انا ارسلناك بالتوحيد ولا غرابة فى ذلك فانه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به
موسى حيث قيل له انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وبه ختم موسى مقالته حيث قال انما الهكم الله الذى
لا اله الا هو فالمقصود من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ما ذكر بتطلع والتفات وحضور وقلب
لا حقيقته فانه مستحيل عليه تعالى او ان هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله اذ رأى نارا) ظرف لحديث
(قوله امرأته) اى وهى بنت شعيب واسمها صفورا وقيل صفوريا وقيل صفورة واسم اختها ليا وقيل
شرفا وقيل عبدا واختلف فى التى تزوجها فقيل هى الصغرى وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكثوا)
انما اتى بجمع المذكور وان كان الخطاب لامرأته تعظيما او مراعاة لمن معها من الخدم والاولاد (قوله
وذلك فى مسيره الخ) روى انه عليه السلام استاذن شعيبا عليه السلام فى الخروج الى امه واخيه بمصر
فخرج باهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من
الطور الذى هو بفلسطين لانه هو الذى على يمين المتوجه من مدين وقيل هو الذى بين مصر وأيلة ورد
بانه على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن
ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية باردة وكانت ليلة الجمعة وقد اخطأ الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده
وقدح زنده فلم يخرج نارا فبينما هو فى ذلك اذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور نارا فامر اهله بالمكث
لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال
فلما وصل الى تلك النار التى ابصرها خاطبه الله وارسله الى فرعون وخلف اهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم
يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى
ببنى اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب الى موسى بمصر (قوله انى آنست) من الايناس

من المخلوقات (وما تحت الثرى) هو التراب الندى والمراد الارضون السبع لانها تحته (وان تجهر بالقول) فى ذكر او دعاء فالله غنى عن الجهر به (فانه يعلم السر واخفى) منه اى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (وهل) قد (أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله) لامرأته (امكثوا) هنا وذلك فى مسيره من مدين طالبا مصر (انى آنست) ابصرت (نارا لعلى آتيكم منها بقبس) شعلة فى رأس فتيلة أو عود

وهو الا بصار ومنه انسان العين لانه يبصر الاشياء (قوله أو أجد على النار هدى) او مانعة خلو تجوز الجمع وعلى بمعنى عند اى عند النار (قوله وكان اخطأها) اى لانه سار على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لانه لا يدرى ما يفعل الله به (قوله فلما أتاها) اى النار التى آنسها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا احد أقوال فيها وقيل عليق وقيل عناب (قوله نودى ياموسى انى انا ربك) هذا أول المكالمة بينه وبين الله تعالى وآخرها قوله فيما يأتى ان العذاب على من كذب وتولى وهذا بالنسبة لهذه الواقعة والا فله مكالمات أخر وسمع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا (قوله فاخلع نعليك) اى تواضعا لله ومن ثم كان السلف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما لانهما كانا من جلد حمار ميت لم يدبغ روى انه خلعهما وألقاهما خلف الوادى (قوله بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان (قوله وأنا اخترتك) اى للنبوة والرسالة وكان عمره اذ ذاك اربعين سنة كما سيأتى عند قوله تعالى ثم جئت على قدر ياموسى (قوله اننى انا الله) بدل مما يوحى وهو اشارة للعقائد العقلية وقوله فاعبدنى اشارة للاعمال الفرعية وقوله ان الساعة آتية اشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة العبادات لعظم شأنها واحتوائها على الذكر وشغل القلب واللسان والجوارح فهى افضل اركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكرى فيها) اى لتذكرنى فيها لانها مشتملة على كلامى وغيره من انواع الذكر (قوله ان الساعة آتية) اى حاصلة ولا بد وسميت ساعة لانها تأتى فى ساعة اى قطعة من الزمان (قوله اكاد أخفيها) اى اريد اخفاء وقتها والحكمة فى اخفاء وقتها واخفاء الموت ان الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفى الغرغرة فلو عرف الخلق وقتهما لاشتغلوا بالمعاصى الى قرب ذلك الوقت ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب المعصية فتعريف وقتهما كالاغراء بفعل المعاصى (قوله بعلاماتها) اى اماراتها واول العلامات الصغرى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدى (قوله لتجزى) اما متعلق بأخفيها أو بآتية وقوله اكاد اخفيها جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق (قوله بما تسعى) ما موصولة وجملة تسعى صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به وقوله من خير وشر بيان لما (قوله فلا يصدنك) الخطاب لموسى والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة مقدرة على الالف بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب النهى (قوله وما تلك بيمينك ياموسى) اى بعد ان خلع عليه خلعة النبوة والرسالة بسط له الكلام ليزداد حبا وشغفا ويؤيده بالمعجزات الباهرة وما اسم استفهام مبتدأ وتلك اسم اشارة خبر وقوله بيمينك متعلق بمحذوف حال والعامل فيه معنى الاشارة وهذا احسن من جعل تلك اسما موصولا بمعنى التى وبيمينك صلتها لانه ليس مذهب البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) اى فحكمة الاستفهام كون موسى يقر ويعترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق ما يعلم منها وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم فانه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها (قوله قال هى عصاى) اى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما زوجه ابنته أمرها ان تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الانبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم فاخذها موسى بعلم شعيب وانما زاد فى الجواب لان المقام مقام مباسطة وخطاب الحبيب ولاشك ان الزيادة فى الجواب فى هذا المقام مما يريح الفؤاد والا فكان يكفيه ان يقول هى عصاى (قوله عند الوثوب) اى النهوض للقيام (قوله وأهش) بضم الهاء من هش يهش بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه وأما هش يهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة (قوله ولى فيها مآرب اخرى)

(او أجد على النار هدى) اى هاديا يدلنى على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل وقال لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد (فلما أتاها) وهى شجرة عوسج (نودى ياموسى انى) بكسر الهمزة بتاويل نودى بقيل وبفتحها بتقدير الباء (انا) تاكيد لياء المتكلم (ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس) المطهر او المبارك (طوى) بدل او عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتانيث باعتبار البقعة مع العلمية (وانا اخترتك) من قومك (فاستمع لما يوحى) اليك منى (اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى) فيها (ان الساعة آتية اكاد اخفيها) عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها (لتجزى) فيها (كل نفس بما تسعى) به من خير او شر (فلا يصدنك) يصرفنك (عنها) اى عن الايمان بها (من لا يؤمن بها واتبع هواه) فى انكارها (فتردى) اى فتهلك ان انصددت عنها (وما تلك) كائنة (بيمينك ياموسى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قال هى عصاى اتوكأ) اعتمد (عليها) عند الوثوب والمشى (واهش) اخبط ورق الشجر (بها) ليسقط (على غنمى) فتاكله (ولى فيها مآرب) جمع مأربة مثلث الراء اى حوائج (اخرى)

كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام زاد في الجواب بيان حاجاته بها (قال القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية) ثعبان عظيم (تسعى) تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبر به فيها في آية اخرى (قال خذها ولا تخف) منها (سنعيدها سيرتها) منصوب بنزع الخافض اى الى حالتها (الاولى) فادخل يده في فمها فعادت عصا وتبين ان موضع الادخال موضع مسكها بين شعبتيها وارى ذلك السيد موسى لئلا يجزع اذا انقلبت حية لدى فرعون (واضمم يدك) اليمنى بمعنى الكف (الى جناحك) اى جنبك الايسر تحت العضد الى الابط واخرجها (تخرج) خلاف ما كانت عليه من الادمة (بيضاء من غير سوء) اى برص تضيء كشعاع الشمس تغشي البصر (آية اخرى) وهي و بيضاء حالان من ضمير تخرج (لنريك) بها اذا فعلت ذلك لاظهارها (من آياتنا) الآية (الكبرى) اى العظمى على رسالتك واذا اراد عودها الى حالتها الاولى ضمها الى جناحه كما تقدم واخرجها (اذهب) رسولا (الى فرعون) ومن معه (انه طغى) جاوز الحد في كفره الى ادعاء الالهية (قال رب اشرح لي صدري)

أجمل في هذا الجواب اما حياء من الله تعالى لطول الكلام أو اتكالا على علمه تعالى (قوله كحمل الزاد) أشار بالكاف الى أن لها منافع أخرى فكان يستقي بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبتيها تصير دلوا ممتلئا وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكله يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت وكانت شعبتاها تضيآن بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحاربه (قوله فالقاها) أى طرحها على الارض (قوله فاذا هي حية تسعى) عبر عنها بالحية وفي آية أخرى بثعبان وفي أخرى بانها كالجان ووجه الجمع ما أشار له المفسر بقوله تمشي على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الخ * والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعبانا عظيما وجانا باعتبار سرعة مشيها (قوله المسمى بالجان) أى وهو الثعبان الصغير وأما الجن فهو النوع المعروف (قوله قال خذها ولا تخف) انما حصل له الخوف لان صورتها هائلة فشعبتاها صارتا شدقين لها والمحجن عنقها وعيناها تتقدان نارا تمر بالشجرة العظيمة فتلتقمها وتقطع الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لانيابها صوت عظيم فظن انها سطوة من الله عليه فولى مدبرا ولم يعقب فلما قال الله له خذها ولا تخف تبين له أنها نعمة لا نقمة (قوله فادخل يده) أى مكشوفة وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال له خذها لف كم المدرعة على يده فامره الله أن يكشف يده وقال أرأيت لو أذن الله لها أكانت المدرعة تغني عنك شيأ قال لا ولكني ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض فاعله ضمير يعود على موسى أى علم (قوله أن موضع الخ) في محل المفعول به (قوله موضع مسكها) أى الاتكاء عليها والمعنى أنه لما وضع يده في فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو ما بين الشعبتين فالشعبتان صارتا شدقين وصار ما تحتهما وهو محل مسكها بيده عنقا لها (قوله وارى ذلك) أى بصر الله موسى قلبها حية في ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) أى عنده (قوله بمعنى الكف) أى لا بمعنى حقيقتها وهي من الاصابع الى المنكب (قوله تحت العضد) بيان المراد من الجنب وقوله الى الابط أى من المرفق منتهيا الى الابط (قوله من الادمة) أى السمرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراسا وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد لان البياض قد يراد به البرص والبهق (قوله تضيء كشعاع الشمس) أى فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه وادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها كان لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوأ ثم اذا ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول (قوله الآية الكبرى) قدره اشارة الى ان الكبرى صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله نريك والكاف مفعول اول والكبرى اسم تفضيل والمعنى التي هي اكبر من غيرها حتى من العصا لانها لم تعارض اصلا واما العصا فقد عارضها السحرة (قوله اذهب الى فرعون) اى بهاتين الآيتين وهما العصا واليد روى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي ونصري وانى البسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في امرك ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي فسكت موسى سبعة ايام لا يتكلم ثم جاءه الملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب

اشرح

اشرح لى صدرى الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) اى فانك كلفتنى بامر عظيم لا يقوى عليه الا من شرحت صدره وقويته (قوله واحلل عقدة من لسانى) اى لكنة حاصلة فيه وقد أجيب بحلها فعاد لفصاحته الاصلية وهذا هو الاحسن وقيل زال بعضها بدليل قوله هو أفصح منى لسانا وقول فرعون ولا يكاد يبين ورد بان معنى هو أفصح أنه لم يطرأ عليه اللكنة وقول فرعون باعتبار مايعهده منه (قوله بجمرة وضعها الخ) اى وذلك ان موسى لاعبه فرعون ذات يوم فنتف لحيته ولطمه على وجهه فاغتم وهم بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا الغلام لا يغتم منه لا يفرق بين التمرة والجمرة فاتى له بطشت فيه تمر وقيل جوهر و بطشت فيه جمر فاراد ان ياخذ التمرة او الجوهر فاخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فاخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه وصار فيه لكنة (قوله يفقهوا قولى) مجزوم فى جواب الدعاء (قوله وزيرا) من الوزر وهو الثقل سمى بذلك لانه يتحمل مشاق الملك و يعينه على أموره و يقوم بها (قوله مفعول ثان) اى والاول وزيرا والاحسن عكسه بان يجعل وزيرا مفعولا ثانيا مقدما وهرون مفعول أول مؤخر لان القاعدة اذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الاول هو المعرفة لان أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثانى لان أصله الخبر ووزيرا نكرة وهرون معرفة بالعلمية (قوله والفعلان بصيغتى الامر والمضارع الخ) حاصل ماهنا ان القراآت السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخى وهما قراءة الفعلين بصيغتى الامر فتضم الهمزة فى الاول وتفتح فى الثانى والمضارع فتفتح فى الاول وتضم فى الثانى وثلاثة عند وصل أخى بما بعده وهى ان تسكن الياء ممدودة قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع اوتفتحها والفعلان بالامر أو تحذفها وهما بالامر أيضا (قوله وهو جواب الطلب) اى وهو اجعل لى (قوله كى نسبحك كثيرا) تعليل لكل من الافعال الثلاثة التى هى اجعل واشدد وأشرك (قوله قال قد اوتيت) اى جوابا لمطلوباته وقوله سؤلك اى مسؤلك ففعل بمعنى مفعول كاكل وخبز بمعنى ماكول ومخبوز (قوله ياموسى) خاطبه باسمه اشعارا بمحبته وتعظيم شانه ورفعة قدره عليه السلام (قوله مننا عليك) اى تفضلا حاصلا عليك وقدره دخولا على ما بعده (قوله ولقد مننا عليك) استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى كان الله يقول له انا قد مننا عليك بمنن سابقة من غير دعاء منك ولا طلب فلان نعطيك ما تطلبه بالاولى وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الاعتناء بشانه (قوله مرة أخرى) تانيث آخر بمعنى غير أى تحققت مننا عليك مرة أخرى غير المنة التى تحققت لك بسؤالك والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتعليل) اى لقوله مننا والمعنى لانا اوحينا الى أمك الخ و يصح ان تكون للظرفية والمعنى ولقد مننا عليك وقت ايحائنا الى أمك الخ وحاصل ماذكره من المنن من غير سؤال ثمانية الاولى قوله اذ أوحينا الثانية قوله وألقيت عليك الثالثة قوله ولتصنع على عينى الرابعة قوله فرجعناك الى أمك الخامسة قوله وقتلت نفسا السادسة قوله وفتناك فتونا السابعة قوله فلبثت سنين الثامنة قوله واصطنعتك لنفسى (قوله الى أمك) اى واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فالف فنون مكسورة فذال معجمة (قوله مناما أو الهاما) اى أو يقظة ولا ينافيه كونها ليست نبية فان المخصوص بالانبياء الوحى بالشرائع والتكاليف واما الوحى بغير الشرع فجائز حتى للنساء كما وقع لمريم أم عيسى (قوله لما ولدتك) اى فى السنة التى رتب فرعون اتباعه لذبح كل من يولد من الذكور فى تلك السنة وذلك ان فرعون رأى رؤيا هالته فقصها على الكهنة فعبرت له بمولود يكون زوال ملكه على يديه فامر أتباعه بان يذبحوا كل من يولد من الذكور حتى شق الامر فابقى القتل فى سنة و رفعه فى سنة فصادف ولادة موسى فى السنة التى فيها القتل فلما ولد جاء أتباع فرعون

وسعه لتحمل الرسالة (ويسر) سهل (لى أمرى) لابلغها (واحلل عقدة من لسانى) حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير (يفقهوا) يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة (واجعل لى وزيرا) معينا عليها (من أهلى هرون) مفعول ثان (أخى) عطف بيان (اشدد به أزرى) ظهرى (وأشركه فى امرى) اى الرسالة والفعلان بصيغتى الامر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب (كى نسبحك) تسبيحا (كثيرا ونذكرك) ذكرا (كثيرا انك كنت بنا بصيرا) عالما فانعمت بالرسالة (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) منا عليك (ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ) للتعليل (أوحينا الى أمك) مناما أو الهاما لما ولدتك وخافت ان يقتلك فرعون فى جملة من يولد

(مايوحى) في امرك ويبدل منه (أن اقذفيه) القيه (في التابوت فاقذفيه) بالتابوت (في اليم) بحر النيل (فليلقه اليم بالساحل) اى شاطئه والامر بمعنى الخبر (يأخذه عدوّ لي وعدو له) وهو فرعون (والقيت) بعد أن أخذك (عليك محبة مني) لتحب من الناس فاحبك فرعون وكل من رآك (ولتصنع على عيني) تربى على رعايتي وحفظي لك (اذ) للتعليل (تمشي اختك) مريم لتتعرف خبرك وقد احضروا مراضع وانت لاتقبل ثدي واحدة منهن (فتقول هل ادلكم على من يكفله) فاجيبت فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى امك كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) حينئذ (وقتلت نفسا) هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون (فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) اختبرناك بالايقاع في غير ذلك وخلصناك منه (فلبثت سنين) عشرا (في اهل مدين) بعد مجيئك اليها من مصر عند شعيب النبي وتزوجك بابنته (ثم جئت على قدر) في علمي بالرسالة وهو اربعون سنة من عمرك (ياموسى واصطنعتك) اخترتك (لنفسي) بالرسالة (اذهب انت واخوك) الى الناس (بآياتي) التسع (ولا تنيا) تفترا (في ذكري) بتسبيح

يفتشون على المولود فوضعته امه في التنور فجاءت اخته وأوقدته ففتشوا عليه فلم يجدوه فخرجوا من عندها فنظرت الى التنور فوجدته موقدا فخافت عليه فناداها من التنور فاخرجته سالما فاوحى الله اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فاخذت صندوقا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه ثم طلت رأس التابوت بالقار والقته في اليم فوجهه البحر حتى ادخله في نهر كائن في بستان فرعون وكان فرعون جالسا مع آسية زوجته فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي احسن الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا حتى انه لم يقدر على بعده عنه وذلك قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني (قوله مايوحى) ابهمه للتعظيم كقوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم (قوله في امرك) اى شانك (قوله ويبدل منه) اى بدل مفصل من مجمل (قوله اى شاطئه) المراد قربه لان الصندوق اخذ من نفس البحر قريبا من البر (قوله والامر بمعنى الخبر) اى وحكمة العدول عنه انه لما كان إلقاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بامر لا يستطيع مخالفته (قوله والقيت عليك محبة مني) يحتمل ان المعنى القيت عليك محبة صادرة مني بان أحببتك فتسبب عن محبتي محبة الناس لك ويحتمل ان المعنى القيت عليك محبة خلقتها في قلوب الناس لك فاحبوك والاول احسن لعدم الكلفة فيه (قوله ولتصنع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربى على رعايتي الخ) اى فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازا مرسلا من اطلاق السبب وهو نظر العين على المسبب وهو الحفظ والرعاية لان شان من ينظر للشيء بعينه ان يحفظه ويرعاه (قوله أختك مريم) اى وكانت شقيقته وهي غير ام عيسى (قوله لتتعرف خبرك) اى فوجدتك وقعت في يد فرعون فدلتهم على امك حيث قالت هل ادلكم الخ (قوله وانت لاتقبل الخ) اى لحكمة عظيمة وهي وقوعك في يد امك لانك لو رضعت غيرها لاستغنوا عن امك (قوله على من يكفله) اى يكمل رضاعه وقد ارضعته امه قيل ثلاثة اشهر وقيل اربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فاجيبت الخ (قوله كي تقر عينها) اى تسكن وتبرد دمعة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) اى حين اذ قبلت ثديها والمراد نفي دوام الحزن (قوله هو القبطي) اى واسمه قاب قان وكان طباخا لفرعون (قوله من جهة فرعون) اى لا من جهة قتله فانه كان كافرا (قوله وفتناك فتونا) اى خلصناك من محنة بعد اخرى روى ان سعيد بن جبير سال ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وضلت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير (قوله سنين عشرا) اى ولبث في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة فمكث بمدين لرعي الغنم عشر سنين وبعدها ثماني عشرة سنة (قوله على قدر) أي مقدار من الزمان (قوله واصطنعتك لنفسي) اى لتشتغل باوامري وتبلغ رسالتي وان تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لغيري (قوله اذهب انت واخوك بآياتي) اى قد اجبناك فيما طلبت واعطينا أخاك الرسالة فاذهب انت وهو الى فرعون وقومه (قوله الى الناس) قدره اشارة الى انه حذف من هنا لدلالة قوله فيما ياتي الى فرعون عليه كما انه حذف فيما ياتي قوله بآياتي لدلالة ماهنا عليه ففي الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر (قوله بآياتي التسع) المناسب للمفسر ان يقول العصا واليد لان باقي التسع لم يكن في المبدا بل كان في اثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة (قوله ولا تنيا في ذكري) يقال ونى يني ونيا كوعد يعد وعدا اذا فتر وأصله تونيا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها الفتحة

والكسرة

وغيره (اذهبا الى فرعون انه طغى) بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) فى رجوعه من ذلك (لعله يتذكر) يتعظ (او يخشى) الله فيرجع والترجى بالنسبة اليهما لعلمه تعالى بانه لا يرجع (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) أى يعجل بالعقوبة (او ان (٤٧) يطغى) علينا اى يتكبر (قال لا تخافا اننى معكما) بعونى (أسمع) ما يقول (وأرى) ما يفعل (فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل) الى الشام (ولا تعذبهم) اى خل عنهم من استعمالك اياهم فى اشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل (قد جئناك بآية) بحجة (من ربك) على صدقنا بالرسالة (والسلام على من اتبع الهدى) اى السلامة له من العذاب (انا قد اوحى الينا أن العذاب على من كذب) ما جئنا به (وتولى) اعرض عنه فأتياه وقالا له جميع ما ذكر (قال فمن ربكما ياموسى) اقتصر عليه لانه الاصل ولا دلالة عليه بالتربية (قال ربنا الذى أعطى كل شىء) من الخلق (خلقه) الذى هو عليه متميز به عن غيره (ثم هدى) الحيوان منه الى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك (قال) فرعون (فما بال) حال (القرون) الامم (الاولى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح فى عبادتهم الاوثان (قال) موسى (علمها) اى علم حالهم محفوظ (عند ربى فى كتاب) هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لا يضل) يغيب (ربى) عن شىء (ولا ينسى) ربى شيأ هو (الذى جعل لكم) فى جملة الخلق (الارض مهادا) فراشا (وسلك) سهل (لكم فيها سبلا) طرقا (وانزل من السماء ماء) مطرا قال تعالى تتميما لما وصفه به

والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو المقصود بالذات (قوله اذهبا الى فرعون) ان قلت ما حكمة جمعهما فى ضمير واحد مع ان هرون لم يكن حاضرا فى محل المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر أجيب بان الله كشف الحجاب فى ذلك الوقت عن سمع هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن ما يقال (قوله فقولا له قولا لينا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله فى سورة النازعات فى قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض (قوله فى رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة اليهما) أى الى موسى وهرون والمعنى اذهبا مترجيين ايمانه وطامعين فيه ولا تذهبا آيسين منه (قوله لعلمه تعالى بانه لا يرجع) اى والفائدة فى ارسالهما الزامه الحجة وقطع عذره لجريان عادته سبحانه وتعالى انه لا يعذب أحدا الا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك (قوله قالا ربنا) أسند القول لهما لانه وقع من كل منهما وان كان مكانهما اختلفا لما تقدم انه لا مانع من ازالة الحجاب عن هرون وسماعه من جبريل ما قيل لموسى وقت المناجاة (قوله أى يعجل بالعقوبة) أى فلا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة (قوله او ان يطغى) أى يزداد تكبرا وكفرا أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) اى لا تنزعجا منه (قوله فأتياه) اى اذهبا بانفسكما اليه ولا تقعدا فى مكان وترسلا له (قوله فقولا انا رسولا ربك) امرهما الله ان يقولا له ست جمل اولها قولهما انا رسولا ربك الثانية قوله فارسل معنا بنى اسرائيل الثالثة ولا تعذبهم الرابعة قد جئناك بآية من ربك الخامسة والسلام على من اتبع الهدى السادسة انا قد اوحينا الينا أن العذاب على من كذب وتولى (قوله فارسل معنا بنى اسرائيل) اى أطلقهم من أسرك ولا تتول عليهم فانهم اولاد الانبياء ولا يليق أن يولى عليهم خسيس والمعنى ان موسى وهرون ارسلا الى فرعون بانه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى اسرائيل (قوله بحجة) أى دليل وبرهان على ما ادعيناه من الرسالة (قوله فأتياه وقالا له جميع ما ذكر) قدر ذلك اشارة الى ان قوله قال فمن ربكما الخ مرتب على محذوف واشعارا بانهما سارعا الى امتثال الامر من غير توان فيه (قوله فمن ربكما) لم يضف الرب لنفسه تكبرا وطغيانا وخوفا على قومه اذا اضاف الرب لنفسه ان يميلوا لموسى (قوله اقتصر عليه) أى مع توجيهه الخطاب لهما (قوله لانه الاصل) أى فى الرسالة وهرون وان كان رسولا الا ان المقصود منه معاونة موسى (قوله ولا دلالة عليه بالتربية) اى ولاقامة فرعون الدليل على موسى بان ذكره بتربيته له فى قوله الآتى فى الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) اى صورته وشكله (قوله الحيوان منه) اى من كل شىء (قوله قال فما بال القرون الاولى) لما ظهر للعين حقية ما قال موسى وبطلان ما هو عليه اراد ان يصرفه عليه السلام الى ما لا يعنيه من الامور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رياسته ان تذهب فلم يلتفت موسى عليه السلام الى ذلك الحديث وقال علمها عند ربى (قوله فى عبادتهم الاوثان) أى أكان سببا فى شقاوتهم اوسعادتهم وانما لم يوضح له الجواب لانه مامور بملاطفته فاذا وضح له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لا يضل ربى) اى لا يذهب شىء عن علمه (قوله ولا ينسى) اى ما علمه (قوله الذى جعل لكم الارض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الاول (قوله مهادا) اى كالمهاد (قوله طرقا) اى تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا مآربكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك

موسى وخطابا لاهل مكة (فاخرجنا به أزواجا) اصنافا (من نبات شتى) صفة ازواجا اى مختلفة الالوان والطعوم وغيرها وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شت الامر تفرق (كلوا) منها (وارعوا انعامكم) فيها جمع نعم هى الابل والبقر والغنم يقال رعت الانعام ورعيتها والامر للاباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير فاخرجنا اى مبيحين لكم الاكل ورعى الانعام

(ان فى ذلك) المذكور هنا (لآيات) لعبرا (لاولى النهى) لاصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمى به العقل لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (منها) اى من الارض (خلقناكم) بخلق ابيكم آدم منها (وفيها نعيدكم) مقبورين بعد الموت (ومنها نخرجكم) عند البعث (تارة) مرة (اخرى) كما اخرجناكم عند ابتداء خلقكم (ولقد اريناه) اى بصرنا فرعون (آياتنا كلها) التسع (فكذب) بها وزعم انها سحر (وابى) ان يوحد الله تعالى (قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا) مصر ويكون لك الملك فيها (بسحرك ياموسى فلنأتينك بسحر مثله) يعارضه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) لذلك (لانخلفه نحن ولا انت مكانا) منصوب بنزع الخافض فى (سوى) بكسر اوله وضمه اى وسطا تستوى اليه مسافة الجائى

من الطرفين (قال) موسى (موعدكم يوم الزينة) يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون (وان يحشر الناس) يجمع أهل مصر (ضحى) وقته للنظر فيما يقع (فتولى فرعون) ادبر (فجمع كيده) اى ذوى كيده من السحرة (ثم أتى) بهم الموعد (قال لهم موسى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا (ويلكم) أى الزمكم الله الويل (لاتفتروا على الله كذبا) باشراك أحد معه (فيسحتكم) بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما اى يهلككم (بعذاب) من عنده (وقد خاب) خسر (من افترى) كذب على الله (فتنازعوا أمرهم بينهم) فى موسى

الى ان قوله فاخرجنا به ازواجا من كلامه تعالى لا بطريق الحكاية عن موسى بل خطابا لاهل مكة وامتنانا عليهم وينتهى الى قوله تارة اخرى وقيل انه من كلام موسى ايضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لاهل مكة) اى فى قوله كلوا وارعوا (قوله شتى) ألفه للتانيث (قوله يقال رعت الانعام الخ) اى فيستعمل لازما ومتعديا (قوله اى مبيحين لكم) المناسب ان يقول اى قائلين لكم كلوا الخ فهو امر اباحة (قوله جمع نهية) وقيل انه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى (قوله بخلق ابيكم آدم منها) اى فجميع الخلق غير آدم خلقوا من الارض بواسطة وهذا احد قولين وقيل كل انسان خلق من التراب بلا واسطة لان كل نطفة وقعت فى الرحم يأخذ الملك الموكل بها شيئا من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) اخبار عما وقع لموسى فى مدة دعائه لفرعون وبهذا التقرير صح قول المفسر التسع واندفع مايقال ان فرعون فى ابتداء الامر لم ير الا العصا واليد وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى) اى بعد ان رأى مارأى من معجزة العصا واليد قال ماذكر تسترا وخوفا على حظره باسته لئلا يؤمن قومه (قوله فلنأتينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتى وكبريائى وقوله بسحر متعلق بنأتينك (قوله مثله) اى فى الغرابة (قوله موعدا) الاحسن انه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل وقوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض اى فالمعنى عين زمانا بيننا وبينك نجتمع فيه فى مكان سوى أى متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال موعدكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتعيين لمزيد وثوقه بربه وعدم مبالاته بهم وليكون ظهور الحق على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد فيكون أعظم فخر الموسى عليه السلام (قوله يوم عيد لهم) اى وكان يوم عاشوراء واتفق انه يوم سبت (قوله وان يحشر الناس) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر معطوف على الزينة أى ويوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) اى وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله ادبر) اى انصرف من المجلس (قوله أى ذوى كيده) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله ثم أتى بهم الموعد) أى فى يوم الزينة فى المكان المتوسط وهو سكندرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بنى اسرائيل وهذا أحد اقوال فى عددهم وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهو ما فى بعض النسخ وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد حبل وعصا) تقدم انها كانت حمل اربعمائة بعير (قوله اى الزمكم الله الويل) أشار بذلك الى ان ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والهلاك (قوله باشراك احد معه) أى بسبب اشراك احد مع الله والمعنى الزمكم الله الويل ان افتريتم على الله الكذب بسبب اشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) اى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعى والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا امرهم بينهم) اى تناظروا وتشاوروا فى امر موسى واخيه سرا واختلف فيما أسروه فقيل هو

واخيه (واسروا النجوى) اى الكلام بينهم فيهما (قالوا) لانفسهم (ان هذين) لابى عمرو ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتى
في المثنى بالالف في احواله الثلاث (لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) مؤنث امثل بمعنى اشرف اى باشرافكم بميلهم اليهما لغلبتهما (فاجمعوا كيدكم) من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع اى لم وبهمزة قطع وكسر الميم من اجمع احكم (ثم ائتوا صفا) حال اى مصطفين (وقد افلح) فاز (اليوم من استعلى) غلب (قالوا ياموسى) اختر (اما ان تلقى) عصاك اى اولا (واما ان نكون اول من القى) عصاه (قال بل القوا) فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) اصله عصوو قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد (يخيل اليه من سحرهم انها) حيات (تسعى) على بطونها (فاوجس) احس (في نفسه خيفة موسى) اى خاف من جهة ان سحرهم من جنس معجزته ان يلتبس امره على الناس فلا يؤمنوا به (قلنا) له (لا تخف انك انت الاعلى) عليهم بالغلبة (والق ما في يمينك) وهي عصاه (تلقف) تبتلع (ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر) اى جنسه (ولا يفلح الساحر حيث اتى) بسحره فالقى موسى عصاه فتلقفت كل ما
 صنعوه (فالقى السحرة سجدا) خروا ساجدين لله تعالى و(قالوا آمنا برب هرون وموسى قال) فرعون (آمنتم)

قولهم ان هذين لساحران الخ وقيل هو قول بعضهم لبعض ماهذا ساحر فان غلبنا اتبعناه وان غلبناه بقينا على مانحن عليه (قوله واسروا النجوى) اى تحدثوا اسرا فيما بينهم (قوله لابى عمرو) اى فقراءته بالياء اسم ان وساحران خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر وقوله ولغيره خبر مقدم وهذان مبتدأ مؤخر وقوله وهو موافق اى هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الالف فيبنى اسم الاشارة الدال عليه على الالف وقد اجمل المفسر في قوله ولغيره هذان * والحاصل ان القراآت السبعيات اربع الاولى لابى عمرو والتى ذكرها المفسر وبقى ثلاث الاولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون ان والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون ان او تخفيفها فعلى تشديد نون ان يكون هذان اسمها مبنيا على الالف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبرا وان مخففة واسمها ضمير الشان والجملة خبر ان (قوله اى باشرافكم) تفسير لطريقتكم فان من جملة معانى الطريقة اماثل الناس واشرافهم اى وذلك كفرعون وجلسائه (قوله فاجمعوا كيدكم) اى اجعلوه مجمعا بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم (قوله بهمزة وصل الخ) اى فهما سبعيتان (قوله ثم ائتوا صفا) اى لانه اهيب في صدور الرائين (قوله اما ان تلقى) ان وما بعدها في تاويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل القوا) اى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فاذا حبالهم) اذا فجائية وحبالهم وعصيهم مبتدأ خبره جملة يخيل اليه الخ (قوله اصله عصوو) بوزن فلوس وقوله قلبت الواوان ياءين الخ اى قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت في الياء (قوله وكسرت العين) اى اتباعا للصاد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخيل اليه) اى لانهم طلوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخيل انها تتحرك (قوله خيفة) اصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ماقبلها (قوله من جهة ان سحرهم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بانه على الحق ولا يصل له سوء منهم (قوله انك انت الاعلى) فيه اشارة الى ان لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمنه الله بامور لا تخطر بباله فان ابتلاع العصا لحبالهم وعصيهم امر لا يخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف او بسكون اللام وفتح القاف قراءتان سبعيتان (قوله ماصنعوا) اى اخترعوا مما لا حقيقة له (قوله اى جنسه) دفع بذلك مايقال لم لم يقل ولا يفلح السحرة بصيغة الجمع وفيه اشارة الى ان الكلام موجه للعموم فكانه قال لا يفلح كل ساحر سواء كان من هؤلاء او من غيرهم (قوله حيث اتى) اى في اى زمان او مكان اقبل منه (قوله فالقى موسى عصاه الخ) قدره اشارة الى ان قوله فالقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فالقى السحرة سجدا) اى ايمانا بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب ورأوا منازلهم في الجنة (قوله وقالوا آمنا) قدر المفسر الواو اشارة الى انه معطوف على قوله فالقى السحرة سجدا وفيه ايماء الى انهم جمعوا في الايمان بين القول والفعل (قوله قال آمنتم له قبل ان آذن لكم) اى لما شاهد فرعون من السحرة السجود والاقرار خاف ان يقتدى الناس بهم في الايمان بالله وحده فالقى شبهتين الاولى قوله آمنتم له قبل ان آذن لكم اى لم تشاوروني ولم تستعينوا بنظر غيركم بل في الحال آمنتم له فحينئذ دل ذلك على ان ايمانكم ليس عن بصيرة بل بسبب آخر الثانية قوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر اى فانتم اتباعه في السحر فتواطأتم معه على ان تظهروا العجز من انفسكم ترويجا لامره وتفخيما لشانه لتنزعوا

بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا (له قبل ان آذن) انا (لكم انه لكبيركم) معلمكم (الذى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) حال بمعنى مختلفة اى الايدى اليمنى والارجل اليسرى (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) اى عليها (ولتعلمن اينا) يعنى نفسه ورب موسى (أشد عذابا وابقى) ادوم على مخالفته (قالوا لن نؤثرك) نختارك (على ماجاءنا من البينات) الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) خلقنا قسم اوعطف على ما (فاقض ما انت قاض) اى اصنع ماقلته (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) النصب على الاتساع اى فيها وتجزى عليه فى الآخرة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الاشراك وغيره (وما اكرهتنا عليه من السحر) تعلما وعملا لمعارضة موسي (والله خير) منك ثوابا اذا اطيع (وابقى) منك عذابا اذا عصى قال تعالى (انه من يات ربه مجرما) كافرا كفرعون (فان له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة تنفعه (ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات) الفرائض والنوافل (فاولئك لهم الدرجات العلى) جمع عليا مؤنث اعلى (جنات عدن) اى اقامة بيان له (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى)

الملك منى وهاتان الشبهتان لا يقبلهما الا من عنده ترددا وشك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلا يدخل عليه شئ من ذلك لظهور شمس الهدى واتضاحها لهم (قوله بتحقيق الهمزتين) اى الاولى وهى للاستفهام والثانية وهى المزيدة فى الفعل الرباعى وقوله وابدال الثانيه ألفا صوابه الثالثة وهى فاء الكلمة فيكون فى كلامه اشارة لقراءة واحدة او يقال ان معنى قوله الثانية أى فى الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام وبقيت قراءة أخرى وهى تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتاتى هنا الرابعة المتقدمة فى الاعراف وهى قلب الاولى واوا لعدم الضمة قبلها هنا بخلاف ماتقدم فانها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون أآمنتم واصل الفعل أأمن كاكرم بهمزتين الاولى زائدة والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية ألفا على القاعدة قال ابن مالك

ومدا ابدل ثانى الهمزين من * كلمة ان يسكن كآثر وائتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أى فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (قوله اى عليها) أشار بذلك الى ان فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت لفظة فى الموضوعة للظرفية الخاصة لمعنى على الموضوعة للاستعلاء الخاص بجامع التمكن فى كل (قوله على مخالفته) متعلق بكل من اشد وابقى (قوله قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا) اى قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم (قوله من البينات) اى المعجزات الظاهرة وجمعها باعتبار مااشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وانما نسب المجئ لهم وان كان موسي جاء بها لفرعون وقومه ايضا لانهم هم المنتفعون بها (قوله قسم) اى وجوابه محذوف تقديره لا نؤثرك على الحق ولا يجوز ان يكون قوله لن نؤثرك جوابا له لان القسم لا يجاب بلن الا شذوذا ولا ينبغى حمل التنزيل عليه (قوله اوعطف على ما) اى والتقدير لن نؤثرك على الذى جاءنا من البينات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما انت قاض) اقض فعل امر وفاعله مستتر تقديره انت وما اسم موصول مفعوله وانت قاض صلته والعائد محذوف تقديره الذى انت قاضيه وقد اشار لهذا ابن مالك بقوله

كذاك حذف مايوصف خفضا * كانت قاض بعد أمر من قضي

وهو جواب عن تهديده المذكور كانهم قالوا لا نبالى بك ولا بتهديدك فافعل مابدا لك ولم يثبت فى الكتاب ولا فى السنة انه فعل ماهددهم به (قوله النصب على الاتساع) اى نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطايانا أى ويغفر لنا الذى اكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلما وعملا) اى لان فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بنى اسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين فاحب ان يتهيأ لمعارضته باكراه الناس على تعليم السحر واكراههم ايضا على الاتيان بهم من المداين البعيدة ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله ماروى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى وهو نائم ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ماهذا اساحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا أن يعارضوه (قوله والله خير وابقى) رد لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان قوله انه من يات ربه الخ مستانف من كلامه تعالى وقيل انه من كلام السحرة الهمهم الله اياه (قوله انه من يات ربه مجرما) اى بان يموت على كفره (قوله فيستريح) اى من العذاب (قوله حياة تنفعه) اى بان تكون هنية مرية (قوله من تحتها الانهار) اى من تحت قصورها (قوله وذلك) اى ماتقدم من قوله جنات عدن الخ

(قوله

تطهر من الذنوب (ولقد اوحينا الى موسي أن أسر بعبادى) بهمزة قطع من اسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان اى سر بهم ليلا من ارض مصر (فاضرب) اجعل (لهم) بالضرب بعصاك (طريقا فى البحر يبسا) اى يابسا فامتثل ما امر به وايبس الله الارض فمروا فيها (لاتخاف دركا) اى ان يدركك فرعون (ولا تخشى) غرقا (فاتبعهم فرعون بجنوده) وهو معهم (فغشيهم من اليم) اى البحر (ماغشيهم) فاغرقهم (واضل فرعون قومه) بدعائهم الى عبادته (وما هدى) بل أوقعهم فى الهلاك خلاف قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يابنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم) فرعون باغراقه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) فنؤتى موسي التوراة للعمل بها (ونزلنا عليكم المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر والمنادى من وجد من اليهود ومن النبي صلى الله عليه وسلم وخوطبوا بما انعم الله به على اجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم (كلوا من طيبات مارزقناكم) اى المنعم به عليكم (ولا تطغوا فيه) بان تكفروا النعمة به (فيحل عليكم غضبي) بكسر الحاء اى يجب و بضمها اى ينزل (ومن يحلل عليه غضبي) بكسر اللام وضمها (فقد هوى) سقط فى النار (وانى لغفار لمن تاب) من الشرك (وآمن) وحد الله (وعمل صالحا) يصدق بالفرض والنفل (ثم اهتدى)

(قوله تطهر من الذنوب) اى بعدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا الى موسي) عطف قصة على قصة لان الله تعالى قص علينا اولا مبدأ رسالة موسي الى فرعون وماوقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للامة المحمدية ليعلموا ان الظالم وان امهله الله وأمده بالنعم لا يهمله وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة وتقدم ذكرها فى الاعراف مبسوطا (قوله بعبادى) اى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا (قوله لغتان) اى وقراءتان سبعيتان وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك (قوله اى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله من ارض مصر) اى الى البحر فهو مامور بالسير له فلا يقال لم لم يسر بهم فى البر فى طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به لتضمن اضرب معنى اجعل كما أشار له المفسر والمراد بالطريق جنسه فان الطرق كانت اثنتى عشرة بعدد اسباط بنى اسرائيل (قوله يبسا) اى يؤل الى ذلك لانه لم يكن يابسا قبل وانما مرت عليه الصبا فجففته قال ابن عباس لما امر الله موسي ان يقطع بقومه البحر وكان يوسف عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا امكانها حتى دلتهم عليها عجوز فاخذوها وقال لها موسى اطلبي منى شيا فقالت اكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون فلما وصل البحر وكان على حصان اقبل جبريل على فرس انثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدى فرعون فابصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على اثرها فصاحت الملائكة بالقبط الحقوا حتى اذا لحق آخرهم وكاد اولهم ان يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا ياموسي ادع الله ان يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلفظهم البحر الى الساحل فاصابوا من امتعتهم شيا كثيرا (قوله لاتخاف) العامة ماعدا حمزة وحده على الرفع وعليه فهو جملة مستانفة لامحل لها من الاعراب اوحال من فاعل اضرب اى اضرب لهم طريقا حال كونك غير خائف وقرأ حمزة بالجزم على ان لا ناهية وتخف مجزوم بها وقوله ولا تخشى هو بالالف باتفاق القراء فعلى رفع لاتخاف العطف ظاهر وعلى الجزم فيكون قوله ولا تخشى معطوفا على لاتخف مجزوما وعلامة جزمه حذف الالف والالف الموجودة للاشباع اتى بها موافقة للفواصل ورؤس الآى (قوله فاتبعهم فرعون) اى بعد ماارسل حاشرين يجمعون له الجيش فجمعوا جيوشا كثيرة حتى كان مقدمة جيشه سبعمائة الف فضلا عن الجناحين والقلب والساقة (قوله بجنوده) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فرعون (قوله فغشيهم من اليم ماغشيهم) اى علاهم وغمرهم من الامر الهائل مالم يبلغ كنهه احد (قوله واضل فرعون قومه) اخبار عن حاله قبل الغرق (قوله خلاف قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد) اى انه مخالف له فهو تكذيب لفرعون فى قوله (قوله قد انجيناكم من عدوكم الخ) قدم اولا نعمة الانجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنيوية فهو ترتيب فى غاية الحسن (قوله فنؤتى موسي التوراة) جواب عما يقال ان المواعدة كانت لموسي لا لهم فكيف اضيفت لهم واجيب ايضا بانه امر موسي ان يختار منهم سبعين رجلا فاضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار (قوله هما الترنجبين) هو شئ حلو ابيض مثل الثلج كان ينزل عليهم فى التيه من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع (قوله والطير السمانى) اى فكان ريح الجنوب يأتيهم به فيذبح الرجل منهم مايكفيه وشربهم من العيون التى تخرج من الحجر (قوله والمنادى من وجد من اليهود الخ) هذا احد قولين وقيل المخاطب من كان فى عهد موسي (قوله توطئة) اى تمهيدا (قوله من طيبات مارزقناكم) اى لذائذه وحلالاته (قوله بان تكفروا النعمة) اى بعدم شكرها وبطركم لها (قوله بكسر الحاء الخ) اى ففى كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط فى النار) أى على سبيل الخلود (قوله يصدق بالفرض والنفل) اى

موته (وما اعجلك عن قومك) لمجئ ميعاد أخذ التوراة (ياموسى قال هم أولاء) اى بالقرب منى يأتون (على اثرى وعجلت اليك رب لترضى) عنى اى زيادة على رضاك وقيل الجواب اتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما (قال) تعالى (فانا قد فتنا قومك من بعدك) اى بعد فراقك لهم (واضلهم السامرى) فعبدوا العجل (فرجع موسى الى قومه غضبان) من جهتهم (أسفا) شديد الحزن (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) اى صدقا انه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) مدة مفارقتى اياكم (ام اردتم ان يحل) يجب (عليكم غضب من ربكم) بعبادتكم العجل (فاخلفتم موعدى) وتركتم المجىء بعدى (قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) مثلث الميم اى بقدرتنا او امرنا (ولكنا حملنا) بفتح الحاء مخففا وبضمها وكسر الميم مشددا (أوزارا) اثقالا (من زينة القوم) اى حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو اسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم (فقذفناها) طرحناها فى النار بامر السامرى (فكذلك)كما

العمل الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ماذكر الى موته) اى بان يدوم على التوبة والايمان والاعمال الصالحة وهو جواب عما يقال ما فائدة ذكر الاهتداء آخرا مع انه داخل فى عموم قوله وآمن فافاد المفسر ان النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والايمان والاعمال الصالحة ثم استمر عليها الى ان اتى مولاه (قوله وما أعجلك عن قومك ياموسى) ما استفهامية مبتدأ واعجلك خبره وعن قومك متعلق باعجلك والمعنى اى شئ جعلك متعجلا عن قومك وسابقا لهم * وحاصل ذلك ان الله سبحانه وتعالى وعد موسى ثلاثين يوما وأتمها بعشر بعد اغراق فرعون وقومه يصومها ولا ياكل ولا يشرب ولا ينام فيها وأمره تعالى ان يحضر من قومه سبعين رجلا يختارهم من بنى اسرائيل ليذهبوا معه الى الطور لاجل ان ياخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقى وفى رواية انه امر هرون أن لا ياتى بهم عند تمام الميقات فسار موسى بالسبعين ثم عجل من بينهم تشوقا الى ربه وخلفهم وراءه وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له وما أعجلك الخ والمقصود من سؤال الله لموسى اعلامه بما حصل من قومه والا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم (قوله عن قومك) سياق المفسر يقتضى ان المراد بهم جملة بنى اسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لمجئ ميعاد اخذ التوراة) اى لمجيئك فى ميعاد اخذ التوراة (قوله قال هم اولاء على اثرى) هم مبتدأ وأولاء خبره وقوله على أثرى خبر بعد خبر (قوله اى زيادة على رضاك) اى فسارعت الى امتثال امرك طلبا لزيادة رضاك لا لاصل الرضا فانه حاصل وطلبه لا يليق بحال الانبياء (قوله وقيل الجواب) اى جواب السؤال وهو قوله وعجلت اليك رب لترضى (قوله أتى بالاعتذار) اى عن سبقه لقومه وقوله بحسب ظنه متعلق بالاعتذار (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) اى ظهر لموسى ان ظنه تخلف حين اخبره الله بان قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ما قلناه اولا ان المراد بالقوم جميع بنى اسرائيل (قوله أى بعد فراقك لهم) اى بعشرين يوما وهذا الاخبار من الله تعالى عند تمام الاربعين (قوله واضلهم السامرى) اسمه موسى بن ظفر منسوب الى سامرة قبيلة من بنى اسرائيل كان منافقا وكان قد رباه جبريل لان فرعون لما شرع فى ذبح الولدان وضعته امه فى حفرة فتعهده جبريل وكان يغذيه من اصابعه الثلاثة فيخرج له من احداها لبن ومن الاخرى سمن ومن الاخرى عسل (قوله فرجع موسى) اى بعد ان تم الاربعين واخذ التوراة روى انه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله انه يعطيكم التوراة) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول ثان لقوله يعدكم والاول الكاف (قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم) المعنى ان كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فانه لم يطل وان كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم المجئ بعدى) اى لانه وعدهم ان يتبعوه على اثره الميقات فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى لا لو خلينا وانفسنا ما أخلفنا ولكن السامرى سول لنا وغلب على عقولنا فاطعناه (قوله مثلث الميم) أى وكلها قراآت سبعيات (قوله وبضمها وكسر الميم) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو اسرائيل) اى قبل مسخ اموالهم (قوله بعلة عرس) اى ان بنى اسرائيل اظهروا أن العلة فى استعارتها هو العرس وفى الواقع ليس كذلك (قوله بامر السامرى) اى فقال لهم انما تاخر عنكم موسى لما معكم من الاوزار فالرأى ان تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها

القينا (القى السامرى) ما معه من حليهم ومن التراب الذى اخذه من اثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتى (قوله

(فاخرج لهم عجلا) صاغه من الحلى (جسدا) لحما ودما (له خوار) اى صوت يسمع اى انقلب كذلك بسبب التراب الذى أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه فى فمه (فقالوا) أى السامرى واتباعه هذا (الهكم واله موسى فنسي) موسى ربه هنا وذهب يطلبه قال تعالى (افلا يرون أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (لا يرجع) العجل (اليهم قولا) أى لا يرد لهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا) اى دفعه (ولا نفعا) أى جلبه اى فكيف يتخذ الها (ولقد قال لهم هرون من قبل) أى قبل ان يرجع موسى (يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى) فى عبادته (واطيعوا أمرى) فيها (قالوا لن نبرح)

نزال (عليه عاكفين) على عبادته مقيمين (حتى يرجع الينا موسى قال) موسى بعد رجوعه (ياهرون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادته (ان لا تتبعن) لا زائدة (افعصيت أمرى) باقامتك بين من يعبد غير الله تعالى (قال) هرون (يا ابن أم) بكسر الميم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (لا تأخذ بلحيتى) وكان أخذها بشماله (ولا برأسى) وكان أخذ شعره بيمينه غضبا (انى خشيت) لو اتبعتك ولا بد ان يتبعنى جمع ممن لم يعبد العجل (ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) وتغضب على (ولم ترقب) تنظر (قولى) فيما رأيته فى ذلك (قال فما خطبك) شانك الداعى الى ماصنعت (يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به) بالياء والتاء اى علمت مالم يعلموه (فقبضت قبضة من) تراب (اثر) حافر فرس (الرسول) جبريل (فنبذتها) القيتها فى صورة العجل المصاغ (وكذلك سولت) زينت (لى نفسى) وألقى فيها ان آخذ قبضة من تراب ما ذكر والقيها على مالا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك ان تجعل لهم الها فحدثتنى نفسي ان يكون ذلك العجل الههم (قال) له موسى (فاذهب) من بيننا (فان لك فى الحياة) اى مدة حياتك (ان تقول) لمن رأيته (لا مساس) اى لا تقربنى فكان يهيم فى البرية واذا مس احدا اومسه احد حما جميعا (وان لك موعدا) لعذابك (لن تخلفه) بكسر اللام اى لن تغيب عنه و بفتحها اى بل تبعث اليه (وانظر الى الهك الذى ظلت) اصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفا اى دمت (عليه عاكفا) اى مقيما تعبده (لنحرقنه) بالنار

(قوله فاخرج لهم عجلا) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامرى فهو معطوف على قوله واضلهم السامرى (قوله جسدا) حال من العجل ولا يقال جسد الا للحيوان ولا يقال لغيره جسد الا للزعفران والدم اذا يبس (قوله واتباعه) أى الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بنى اسرائيل (قوله افلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله ان مخففة من الثقيلة) اى فقوله لا يرجع بالرفع فى قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) اى فنصحهم هرون قبل رجوع موسى (قوله وان ربكم الرحمن) انما ذكر هذا الاسم تنبيها على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن (قوله حتى يرجع الينا موسى) غاية لعكوفهم بطريق التعلل والتسويف لا بطريق الوعد وترك عبادته عند رجوعه (قوله اذ رأيتهم) ظرف منصوب بمنعك والمعنى اى شيء منعك وقت رؤيتك ضلالهم (قوله لا زائدة) أى للتاكيد والمعنى مامنعك من اتباعى فى الغضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله باقامتك بين من يعبد غير الله) اى ولم تبالغ فى منعهم والانكار عليهم (قوله بكسر الميم) اى فحذفت الياء و بقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفتحها أى فحذفت الالف المنقلبة عن الياء و بقيت الفتحة دالة عليها والقراء تان سبعيتان (قوله أعطف لقلبه) اى لا لكونه أخاه من أمه فقط فان الحق انه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم ترقب قولى) معطوف على ان تقول اى وخشيت عدم ترقبك اى انتظارك وتاملك فى قولى حتى تفهم عذرى فالياء فى قولى واقعة على هرون هذا هو المتبادر من عبارة المفسر وقيل انه معطوف على فرقت اى وخشيت ان تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعليه الياء واقعة على موسى (قوله قال بصرت) بضم الصاد فى قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرها من باب تعب (قوله بالياء) اى بنو اسرائيل وقوله والتاء اى انت وقومك والقراء تان سبعيتان (قوله من اثر الرسول) أى وعرفه لسابق الالفة فلما جاء جبريل ليطلب موسى الى الميقات لاخذ التوراة كان راكبا على فرس كلما وضعت حافرها على شيء اخضر فعرف السامرى ان للتراب الذى تضع الفرس حافرها عليه شانا (قوله فى صورة العجل) أى فى فمه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما فى بعض النسخ (قوله طلبوا منك) اى حين جاوزوا البحر كما قال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم الآية (قوله فان لك فى الحياة) ان حرف توكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وان تقول فى محل نصب اسمها مؤخر والمعنى ان هذا القول ثابت لك مادمت حيا لا ينفك عنك فكان يصيح فى البرية لا مساس وحرم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته و يقال ان قومه باقية فيهم تلك الحالة الى الآن وهذه الآية اصل فى نفى اهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم فى البرية) اى مع السباع والوحوش يقال ان موسى هم بقتله فقال الله لا تقتله فانه سخى (قوله و بفتحها) اى فهما قراءتان

(ثم لننسفنه فى اليم نسفا) نذرينه فى هواء البحر وفعل موسى ما ذكره بعد ذبحه (انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) تمييز محول عن الفاعل اى وسع علمه كل شئ (كذلك) اى كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نقص عليك من انباء) اخبار (ما قد سبق) من الامم (وقد آتيناك) اعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكرا) قرآنا (من اعرض عنه) فلم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) حملا ثقيلا من الاثم (خالدين فيه) اى فى عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) تمييز مفسر للضمير فى ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يوم ننفخ فى الصور) القرن النفخة الثانية (ونحشر المجرمين) الكافرين (يومئذ زرقا) عيونهم مع سواد وجوههم (يتخافتون بينهم) يتسارّون (ان) ما (لبثتم) فى الدنيا (الا عشرا) من الليالى بايامها (نحن اعلم بما يقولون) فى ذلك اى ليس كما قالوا (اذ يقول امثلهم) اعدلهم (طريقة) فيه (ان لبثتم الا يوما) يستقلون لبثهم فى الدنيا جدا لما يعاينونه فى الآخرة من اهوالها (ويسئلونك عن الجبال) كيف تكون يوم القيامة (فقل) لهم (ينسفها ربى نسفا) بان يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فيذرها قاعا) منبسطا (صفصفا) مستويا (لا ترى فيها عوجا) انخفاضا (ولا امتا) ارتفاعا (يومئذ) اى يوم اذ نسفت الجبال (يتبعون) اى الناس بعد القيام من القبور (الداعى) الى المحشر بصوته وهو اسرافيل يقول هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) اى لاتباعهم اى لا يقدرون ان لا يتبعوا (وخشعت) سكنت (الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) صوت وطء الاقدام فى نقلها الى المحشر كصوت اخفاف الابل فى مشيها (يومئذ لا تنفع الشفاعة) احدا (الا من اذن له الرحمن) ان يشفع له (ورضى له قولا)

سبعيتان (قوله ثم لننسفنه فى اليم) أى فلا يبقى له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله انما الهكم الله الخ) كلام مستانف لتحقيق الحق وابطال الباطل وهذا آخر قصة موسى المذكورة فى هذه السورة (قوله كذلك نقص عليك) جملة مستانفة ذكرت تسلية له صلى الله عليه وسلم وتكثيرا لمعجزاته وزيادة فى علم أمته ليعرفوا أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشأنا حيث اطلعوا على سير الاوائل (قوله أى كما قصصنا عليك) أشار بذلك الى أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقص عليك الخ (قوله هذه القصة) أل للجنس لان المتقدم ثلاث قصص قصة موسى مع فرعون ومع بنى اسرائيل ومع السامرى (قوله ذكرا) سمى بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة (قوله من أعرض عنه) هذه الجملة فى محل نصب صفة لذكرا (قوله فلم يؤمن به) أشار بذلك الى أن المراد بالاعراض عنه الكفر به وانكار كونه من عند الله كلا أو بعضا (قوله من الاثم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيه) الجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى يحمل العائد على من باعتبار معناها والتقدير يحملون الوزر حال كونهم مخلدين فيه (قوله أى فى الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لانشاء الذم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحملا تمييز والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله وزرهم (قوله يوم ننفخ) أى نامر بالنفخ وفى قراءة سبعية أيضا بالياء مع بناء الفعل للمفعول أى ينفخ اسرافيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد وجوههم) خصت بالذكر لانها مظهر القبح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول (قوله من الليالى بايامها) حمل المفسر العشر على الليالى دون الايام لتجريده من التاء فان المعدود اذا كان مؤنثا جرد العدد من التاء عكس المذكر (قوله أمثلهم طريقة) أى أعدلهم رأيا فى الدنيا (قوله لما عاينوه فى الآخرة من الهول) أى فنسب ذلك القول لهم لشدة ما عاينوا من الهول لا لكونه أقرب الى الصدق (قوله ويسئلونك) أى كفار مكة تعنتا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح) أى فالمعنى انها تذهب بقدرة الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرها) أى يتركها والضمير عائد على الارض (قوله قاعا صفصفا) حالان من الضمير فى يذرها والقاع المستوى الصلب والصفصف الارض الملساء فهو قريب فى المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا) تقدم أن العوج بالكسر فى المعانى وبالفتح فى المحسوسات وما هنا من الثانى لكن عبر فيه بالكسر لانه لشدة غرابته كانه صار من قبيل المعانى (قوله يتبعون الداعى) اى فيقبلون من كل جهة (قوله وهو اسرافيل) اى فيضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول يا ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه وقيل المنادى جبريل والنافخ اسرافيل وصححه بعضهم (قوله الى عرض الرحمن) اى العرض عليه (قوله لا عوج له) اى لا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل ياتونه سراعا (قوله للرحمن) اى لجلاله وهيبته (قوله الا همسا) مفعول به وهو استثناء مفرغ (قوله الا من اذن له الرحمن) من مفعول به وهى واقعة على المشفوع

المشفوع له او على الشفيع فقول المفسر ان يشفع له اى او يشفع فى غيره (قوله بان يقول لا اله الا الله) اى
مع عديلتها وهى محمد رسول الله والمعنى ان من مات على الاسلام فقد رضى الله قوله وأذن له ان يشفع فى
غيره وان يشفع غيره فيه (قوله ما بين ايديهم) اى الخلق عموما (قوله ولا يحيطون به) اى بما بين ايديهم
وما خلفهم (قوله لا يعلمون ذلك) أى لا تفصيلا ولا اجمالا وانما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت
الوجوه) عنا فعل ماض والتاء للتانيث والوجوه فاعل وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت
الفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين فهو من باب سما يسمو سموا واما عنى كرضي يعنى عنا فهو بمعنى تعب
وليس مرادا هنا بل المراد خضعت وذلت وأل فى الوجوه للاستغراق أى كل الوجوه والمراد أصحابها
وخصت الوجوه بالذكر لان الذل اول ما يظهر فيها (قوله للحى) اى الذى حياته أبدية لا أول لها ولا آخر
(قوله القيوم) أى القائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها على الخير والشر (قوله وقد خاب من حمل
ظلما) اشار بذلك الى ان الخلائق تنقسم فى القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما فى خضوع
وذل لله جل جلاله لكن اهل السعادة خضوعهم اجلالا وهيبة ورغبة فى الله واهل الشقاوة خضوعهم
رهبة واشفاقا من عذاب الله ويأسا من رحمة الله قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله خسر) اى ظهر خسرانه (قوله من حمل ظلما) اى تحمله وارتكبه
وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على ان أهل الظلم خائبون خاسرون اى معرضون لذلك ففى الحديث
الظلم ظلمات يوم القيامة فان الظالم ربما أداه ظلمه الى الكفر والعياذ بالله تعالى فاذا مات على ذلك فهو مخلد
فى النار وان مات على الاسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة فى سيآته والنقص
من حسناته (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى وبضدها تتميز الاشياء
فالعاصى الظالم يخاف زيادة سيآته ونقص حسناته لما ورد انه يؤخذ من حسناته للمظلوم فاذا لم يبق له
حسنات طرح من سيآت المظلوم عليه (قوله أى مثل انزال ماذكر) اى الآيات المشتملة على تلك
القصص العجيبة الغريبة (قوله انزلناه) اى على لسان جبريل مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة على حسب
الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا انه فى الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر (قوله من
الوعيد) اى التخويف (قوله لعلهم يتقون الشرك) اى يجعلون بينهم وبين الشرك وقاية بان يؤمنوا (قوله
او يحدث لهم ذكرا) اى موعظة فى القلوب فينشا عنها امتثال الاوامر واجتناب النواهى وتكرار المواعظ
فى القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع امهالهم وعدم معاجلتهم بالاخذ ولذلك يقال للكفار يوم
القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (قوله الملك) اى النافذ حكمه وأمره (قوله الحق)
اى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه)
المعنى لا تعجل بقراءة ما القاه عليك جبريل فى قلبك حتى يقرأه عليك وسبب ذلك ان جبريل كان يأتى
للنبى بالقرآن فيلابس جسمه ويضعه فى قلبه فيريد النبى التعجل والنطق به فامره الله ان لا ينطق به حتى
يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهرا وهذا معنى قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه والحكمة فى تلقى رسول الله عن جبريل ظاهرا انه يكون سنة
متبعة لامته فهم مامورون بالتلقى من افواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم او القرآن
من السطور بل التلقى له سر آخر (قوله وقل رب زدنى علما) اى سل ربك الاستزادة من العلوم
بسبب توالى نزول القرآن فانها افضل ما يسئل واعز ما يطلب ومن هنا امر المشايخ للمريدين بتلاوة
القرآن والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكملوا يامرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه

بان يقول لا اله الا الله يعلم
ما بين ايديهم) من امور
الآخرة (وما خلفهم) من
امور الدنيا (ولا يحيطون
به علما) لا يعلمون ذلك
(وعنت الوجوه) خضعت
(للحى القيوم) اى الله (وقد
خاب) خسر (من حمل ظلما)
اى شركا (ومن يعمل من
الصالحات) الطاعات
(وهو مؤمن فلا يخاف
ظلما) بزيادة فى سيآته (ولا
هضما) بنقص من حسناته
(وكذلك) معطوف على
كذلك نقص اى مثل
انزال ماذكر (أنزلناه) أى
القرآن (قرآنا عربيا
وصرفنا) كررنا (فيه من
الوعيد لعلهم يتقون) الشرك
(او يحدث) القرآن (لهم
ذكرا) بهلاك من تقدمهم
من الامم فيعتبرون
(فتعالى الله الملك الحق)
عما يقول المشركون (ولا
تعجل بالقرآن) اى
بقراءته (من قبل ان يقضى
اليك وحيه) اى يفرغ
جبريل منه ابلاغه (وقل
رب زدنى علما) اى
بالقرآن فكلما أنزل عليه
شيء منه زاد به علمه (ولقد
عهدنا الى آدم)

وصيناه ان لا يا كل من الشجرة (من (٥٦) قبل) اى قبل اكله منها (فنسي) ترك عهدنا (ولم نجد له عزما) حزما وصبرا عما نهيناه عنه (و)

اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) وهو ابو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أبى) عن السجود لآدم قال انا خير منه (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء بالمد (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقاه لان الرجل يسعى على زوجته (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك) بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم ان وجملتها (لا تظمأ فيها) تعطش (ولا تضحى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس فى الجنة (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) اى التى يخلد من يا كل منها (وملك لا يبلى) لا يفنى وهو لازم الخلود (فأكلا) اى آدم وحواء (منها فبدت لهما سوآتهما) اى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لان انكشافه يسوء صاحبه (وطفقا يخصفان) اخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به (وعصى آدم ربه فغوى) بالاكل من الشجرة (ثم اجتباه ربه) قربه (فتاب عليه) قبل توبته (وهدى) اى هداه الى المداومة على التوبة (قال اهبطا) اى آدم وحواء

لتخلص قلوبهم والحكمة فى ذلك ان الغفلة فى الذكر اخف منها فى القرآن لما فى الاثر رب قارئ والقرآن يلعنه فجمل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون انفسهم فيها لنزدادوا بقراءتهم القرآن علوما ومعارف واخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة فى المبدأ لكون غيره افضل منه بل لينظفوا انفسهم للقراءة (قوله وصيناه ان لا يا كل من الشجرة) اى نهيناه عن الاكل منها وحتمنا عليه الاكل منها فغلب مرادنا على امرنا (قوله ترك عهدنا) اى متاولا حيث غلطه ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فظن انه لا يحلف احد بالله كذبا (قوله واذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة فى سبع سور من القرآن تعليما للعباد امتثال الامر واجتناب النهى وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على المسبب لان هذه القصة سبب فى عداوة ابليس لآدم (قوله فسجدوا) اى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة باوضح وجه (قوله الا ابليس) استثناء متصل او منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيه للاتصال لكونه لم يعبر بلكن (قوله فلا يخرجنكما) النهى لابليس صورة والمراد نهيهما عن تعاطى اسباب الخروج فيتسبب عن ذلك حصول التعب له فى الدنيا (قوله واقتصر على شقاه) اى مع ان النهى لهما معا (قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى الخ) قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعرى والظما والضحو وان كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحو لان الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظما حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفى عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله بفتح الهمزة وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبدت لهما سوآتهما) اى بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما اكلا من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) اى يحزنه (قوله من ورق الجنة) اى ورق التين فصارا يلزقان بعضه ببعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيما نهى عنه متاولا حيث تخلف ما قصده باكله من الشجرة وضل عن مطلوبه وهو الخلود فى الجنة فمعصيته ووقوعه فى المخالفة باعتبار الواقع لا فى القصد والنية بل قصده ونيته امتثال الامر وتجنب ما يوجب الخروج وحينئذ فلا يجوز ان يطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتاويل ولا نفى اسم العصيان عنه لصريح الآية وعلى كل حال فالله عنه راض وهو معصوم قبل النبوة وبعدها من كل ما يخالف امر الله هذا هو الحق فى تقرير هذا المقام واعلم ان الخطا والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كما هو معهود فى نصوص الشرع وتسمية الله له فى حقهم معصية من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله بالاكل من الشجرة) تقدم انها الحنطة وقيل التين وقيل غير ذلك (قوله ثم اجتباه) اى اصطفاه واختاره (قوله قبل توبته) اى بقوله ربنا ظلمنا انفسنا الخ (قوله الى المداومة على التوبة) اى الاستمرار عليها (قوله قال اهبطا) اى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لان مكثهما فيها كان معلقا على عدم اكلهما من الشجرة وقد سبق فى علمه تعالى انهما يا كلان منها فهو امر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فاخراجهما ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما لانهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان اليها بمائة وعشرين صفا من اولادهما لا يحيط بعدة تلك الصفوف الا الله تعالى * ان قلت ما الحكمة فى تعليق الخروج على الاكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب * اجيب بان الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريم ان لا يسلب نعمته عن المنعم اليه الا بحجة قال تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم (قوله اى آدم وحواء) يحتمل ان اى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم فى محل نصب وحواء معطوف

على

بما اشتملتما عليه من ذريتكما (منها) من الجنة (جميعا بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (فاما) فيه ادغام نون أن الشرطية في ما الزائدة (يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى) اى القرآن (فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة (٥٧) (ومن اعرض عن ذكرى) اى القرآن فلم يؤمن به (فان له معيشة ضنكا) بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره (ونحشره) اى المعرض عن القرآن (يوم القيامة أعمى) اى اعمى البصر (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) في الدنيا وعند البعث (قال) الامر (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) تركتها ولم تؤمن بها (وكذلك) مثل نسيانك آياتنا (اليوم تنسى) تترك في النار (وكذلك) ومثل جزائنا من اعرض عن القرآن (نجزى من اسرف) اشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وابقى) ادوم (افلم يهد) يتبين (لهم) لكفار مكة (كم) خبرية مفعول به (اهلكنا) اى كثيرا اهلكنا (قبلهم من القرون) اى الامم الماضية بتكذيب الرسل (يمشون) حال من ضمير لهم (في مساكنهم) في سفرهم الى الشام وغيرها فيعتبروا وما ذكر من اخذ اهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه (ان في ذلك لآيات) لعبرا (لأولى النهى) لذوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتاخير العذاب عنهم الى الآخرة (لكان) الاهلاك (لزاما) لازما لهم في الدنيا (واجل مسمى) مضروب لهم

على آدم ويحتمل ان أي حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير في اهبطا (قوله بما اشتملتما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الاعراف حيث جمع فيها وتقدم لما وجه آخر في التوفيق بينهما بان الجمع باعتبار آدم وحواء وابليس والحية وعلى هذا فقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار ان الحية وابليس عدو لآدم وذريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) اى من اجل ظلم بعضهم بعضا لما في الحديث سألت ربي ان لا يسلط على أمتي عدوا من سوى انفسها فاستجاب لي (قوله فاما يأتينكم مني هدى) ان شرطية مدغمة في ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبني على الفتح في محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومني متعلق بهدى وهدى فاعل وقوله فمن اتبع الخ من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضل جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة شرطية ايضا والجملتان في محل جزم جواب الشرط الاول (قوله اى القرآن) في تفسير الهدى والذكر فيما يأتي بالقرآن قصور لان الخطاب مع آدم وذريته وهداهم وتذكيرهم اعم من ان يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل فالمناسب ان يقول اى كتاب ورسول (قوله بالتنوين) اى وصلا وابداله الفا وقفا وفي قراءة شاذة ضنكى كسكرى بالف بدل عن التنوين اجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) اى وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل هو بلفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضنكة (قوله بعذاب الكافر في قبره) اى لما ورد انه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال في العذاب حتى يبعث وقيل المراد بالمعيشة الضنكى الحياة فيما يغضب الله تعالى وان كان في رخاء ونعمة اذ لا خير في نعمة بعدها النار لما في الحديث رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (قوله اى المعرض عن القرآن) المناسب ان يقول المعرض عن الهدى لما علمت (قوله اى اعمى البصر) اى وذلك في المحشر فاذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده في النار وعذابه بها (قوله الامر كذلك) قدره اشارة الى ان كذلك خبر لمحذوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) اى فالمراد بالنسيان الاعراض وعدم الايمان بها وليس المراد حقيقة النسيان وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على ان من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى لانه امر اختلف فيه العلماء فمذهب مالك رضي الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن مستحب اكيدا ابتداء ودواما فنسيانه مكروه ومذهب الشافعي نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدوم) اى لانه لا ينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أفلم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يتبين) أشار بذلك الى ان يهد فعل لازم والمعنى أعموا فلم يظهر لهم اهلاكنا كثيرا من قبلهم من القرون (قوله مفعول به) اى وتمييزها محذوف اى قرنا وقوله من القرون متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز (قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية اى ان الاهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الايمان بالله ورسله (قوله وما ذكر) مبتدأ وقوله لا مانع منه خبره والمعنى ان اخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لا يتوقف على الحرف المصدري بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابك لتوقف المعنى عليه واما لصحة الاعراب فلا يكون غالبا الا بحرف مصدري (قوله لذوى العقول) اى السليمة الصافية وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) اى ان الله سبحانه وتعالى سبق في علمه تأخير العذاب العام لهذه الامة اكراما لنبيها ولولا ذلك لحل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتأخيره

معطوف على الضمير المستتر فى كان وقام الفصل بخبرها مقام التاكيد (فاصبر على ما يقولون) منسوخ بآية القتال (وسبح) صل (بحمد ربك) حال أى متلبسا به (قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آناء الليل) ساعاته (فسبح) صل المغرب والعشاء (وأطراف النهار) عطف على محل من آناء المنصوب أى صل الظهر لان وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الاول وطرف النصف الثانى (لعلك ترضى) بما تعطى من الثواب (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا) اصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) بان يطغوا (ورزق ربك) فى الجنة (خير) مما اتوه فى الدنيا (وابقى) ادوم (وامر اهلك بالصلاة واصطبر) اصبر (عليها لا نسالك) نكلفك (رزقا) لنفسك ولا لغيرك (نحن نرزقك والعاقبة) الجنة (للتقوى) لاهلها (وقالوا) اى المشركون (لولا) هلا (يأتينا) محمد (بآية من ربه) مما يقترحونه (اولم تأتهم)

امهال لا اهمال ليتدارك الكافر مافاته فيما بقى من عمره فان تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر فى كان) أى والمعنى لكان الاهلاك والاجل المعين له لزاما أى لازما لهم ولم يقل لازمين لان لزاما مصدر فى الاصل وان كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام الفصل الخ أى ان العطف على ضمير الرفع المتصل جائز اذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما * وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله وأجل مسمى معطوفا على كلمة والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم فى الدنيا التى قدرها الله لهم لكان العذاب العام لازما (قوله فاصبر على ما يقولون) أى حيث علمت أن تاخير عذابهم ليس باهمال بل هو لازم لهم فى القيامة فتسل واصبر ولا تنزعج (قوله منسوخ بآية القتال) أى وعليه فالمراد بقوله اصبر لا تعاجلهم بالقتال وقيل ان الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الاذية (قوله صل) انما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما ولان المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الخمس ولما كان الاصل فى الامر الوجوب حمل الامر بالتسبيح والتحميد على الامر بالصلاة (قوله حال) أى من فاعل سبح والباء فى بحمد ربك للملابسة كما قال المفسر (قوله ومن آناء الليل) جمع انى بكسر الهمزة والقصر كمعى وأصله أأناء بهمزتين أبدلت الثانية الفا على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع مافوق الواحد لان المراد به الزمن الذى هو آخر النصف الاول وأول الثانى (قوله المنصوب) أى بسبح والمعنى صل فى أطراف النهار وهو الوقت الذى يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح فى هذه الاوقات لعلك ترضى بذلك وانظر الى هذا الخطاب اللطيف المشعر بانه صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم يقل لعلى أرضى عليك ونحو ذلك ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقول السيدة عائشة رضى الله عنها ما أرى ربك الا يسارع فى هواك فصلاته صلى الله عليه وسلم مامور بها ليرضى هو لا ليكفر الله عنه سيئاته ولا ليرضى عليه وحينئذ فلا كلفة عليه فيها الا ان فيها شهوده لربه الذى هو قرة عينه وللعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر أى لا تنظر بعينيك الى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله والمراد غيره لان ذلك مستحيل عليه لما ورد أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وورد لست من الدنيا وليست الدنيا منى (قوله أصنافا منهم) أى الخلق فالدنيا دائرة فى أصناف الخلق فتارة تكون مع الشريف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الاحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثان لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والاول هو قوله أزواجا (قوله بان يطغوا) الباء سببية أى نفتنهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك خير وأبقى) أى فعلى الانسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهو الجنة ونعيمها ويترك ما يفنى وهو الدنيا وقسمته الازلية تاتيه منها من غير تعب ولا مشقة (قوله وأمر أهلك) أى أمتك (قوله واصطبر عليها) أى وأمرهم بذلك (قوله نحن نرزقك) أى نحن متكفلون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلنا لك به روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (قوله والعاقبة للتقوى) أى الجميلة المحمودة لاهل التقوى (قوله أى المشركون) أى وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أى يطلبونه تعنتا كما تقدم بعضه فى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات (قوله أولم تأتهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف

اى اعموا ولم تاتهم الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مافي الصحف الاولى) أى الكتب المتقدمة والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوى على اخبار الامم الماضية (قوله ولو انا اهلكناهم) كلام مستانف لتقرير ماقبله (قوله لقالوا ربنا الخ) اى لكان لهم ان يحتجوا يوم القيامة و يعتذروا بهذا العذر فقطع الله عذرهم بارسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل ان نذل) اى يحصل لنا الذل والهوان (قوله ونخزى) اى نفتضح (قوله مايؤل اليه الامر) اى امرنا وامركم (قوله فتربصوا) اى انتظروا (قوله من اصحاب الصراط السوى) من في الموضعين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من اصحاب الخ وهو انهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار المفسر الى وجه المغايرة بين القسمين فاصحاب الصراط السوى من لم يضل اصلا كالنبي ومن اسلم صبيا ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم اسلم بعد ذلك

﴿سورة الانبياء عليهم السلام﴾

سميت بذلك لذكر قصص جملة من الانبياء فيها (قوله مكية) اى نزلت قبل الهجرة باتفاق (قوله او اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف مرتب على الخلاف في قوله تعالى قال افتعبدون من دون الله الى قوله أفلا تعقلون هل هو آية واحدة او آيتان واول الثانية قوله أف لكم الخ (قوله اهل مكة) أشار بذلك الى انه من اطلاق العام وارادة الخاص وحاصل ذلك ان كفار قريش قالوا محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الاعمال وهذا بعيد فانزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب انه آت لا محالة وكل آت قريب أو يقال انه قرب باعتبار ما مضى من الزمان فان ما بقى اقل مما مضى (قوله وهم في غفلة معرضون) الجملة حالية اى قرب حسابهم والحال انهم غافلون معرضون غير متاهبين له والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية وان كان سببها الرد على كفار مكة الا ان العبرة بعمومها (قوله ما ياتيهم من ذكر) هذا في معنى العلة لما قبله كانه قال معرضون لانه ما ياتيهم من ذكر الخ (قوله من ربهم) الجار والمجرور متعلق بياتيهم (قوله اى لفظ قرآن) دفع بذلك ما يقال كيف وصف الذكر بالحدوث مع ان المراد به القرآن وهو قديم فاجاب بان وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم واما ما دلت عليه الالفاظ الحادثة فمنها ما هو قديم كمدلول آية الكرسي والصمدية ومنها ما هو حادث كمدلول القصص واخبار المتقدمين ومنها ما هو مستحيل كمدلول ما اتخذ الله من ولد (قوله وهم يلعبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم والمعنى ما يقرأ عليهم القرآن الا استمعوه في حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلا يسمعونه سماع تدبر وقبول وكل آية وردت في الكفار جرت بذيلها على عصاة الامة ففي هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن في حال لهوه ولعبه واقبح منه من يطرب بسماعه من حيث اشتماله على الانغام المعروفة لا من حيث بلاغته ومواعظه واحكامه وكونه من عند الله فانا لله وانا اليه راجعون (قوله بدل من واو اسروا النجوى) أشار بذلك الى ان اسر فعل ماض والواو فاعله والنجوى مفعوله والذين بدل وهذه احدى طريقتين للنحويين في الفعل الذى لحقته العلامة واسند للظاهر والطريقة الثانية ان الواو حرف علامة والذين فاعل وتسمى بلغة اكلوني البراغيث ولما كانت ضعيفة لا ينبغي حمل الآية عليها اعرض عنها المفسر (قوله هل هذا الا بشر مثلكم) بدل من النجوى مفسر لها أى فكانوا يتناجون بذلك سرا بينهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أفتاتون السحر) اى تحضرونه وتقبلونه (قوله وانتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تاتون (قوله في السماء والارض) اشار المفسر الى انه حال من القول أى يعلم القول حال كون القول كائنا في

الرسل (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله) قبل محمد الرسول (لقالوا) يوم القيامة (ربنا لولا) هلا (أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (من قبل ان نذل) في القيامة (ونخزى) في جهنم (قل) لهم (كل) منا ومنكم (متربص) منتظر ما يؤل اليه الامر (فتربصوا فستعلمون) في القيامة (من اصحاب الصراط) الطريق (السوى) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة أنحن ام انتم

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واحدى او اثنتا عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم اقترب) قرب (للناس) أهل مكة منكرى البعث (حسابهم) يوم القيامة (وهم في غفلة) عنه (معرضون) عن التاهب له بالايمان (ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث) شيأ فشيأ اى لفظ قرآن (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن (لاهية) غافلة (قلوبهم) عن معناه (واسروا النجوى) اى الكلام (الذين ظلموا) بدل من واو اسروا النجوى (هل هذا) اى محمد (الا بشر مثلكم) فما ياتى به سحر (أفتاتون السحر) تتبعونه (وانتم تبصرون) تعلمون انه سحر (قل) لهم (ربى يعلم القول) كائنا (في السماء والارض وهو السميع) لما اسروه (العليم) به (بل)

للانتقال من غرض الى آخر في المواضع الثلاثة (قالوا) فيما أتى به من القرآن (هو أضغاث أحلام) أخلاط رآها في النوم (بل افتراه) اختلقه (بل هو شاعر) فما أتى به شعر (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) كالناقة والعصا واليد قال تعالى (ما آمنت قبلهم من قرية) أي أهلها (أهلكناها) بتكذيبها ما أتاها من الآيات (أفهم يؤمنون) لا (وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لا ملائكة (فاسألوا أهل الذكر) العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا) بمعنى أجسادا (لا يأكلون الطعام) بل يأكلونه (وما كانوا خالدين) في الدنيا (ثم صدقناهم الوعد) بانجائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) أي المصدقين لهم (وأهلكنا المسرفين) المكذبين لهم (ولقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) لأنه بلغتكم (أفلا تعقلون)

السماء والأرض (قوله للانتقال من غرض الى آخر) أي فلا تقع بل في القرآن الا للانتقال لا للابطال لأنه يكون اضرابا عن الكلام السابق واعراضا عنه لكونه صدر على وجه الغلط وتنزه الله عنه خلافا لمن يقول انها تأتي للابطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل في ذلك لأن بل فيهما للانتقال من الاخبار بقولهم الى الاخبار بالواقع تأمل (قوله أضغاث أحلام) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو والجملة مقول القول (قوله بل هو شاعر) أي يأتي بكلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص الكلام المقفى الموزون قصدا بل ما هو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كأنه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما أرسل الأولون) صفة لمصدر محذوف والتقدير اتيانا كائنا مثل ارسال الأولين (قوله من قرية) من زائدة في الفاعل (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله وما أرسلنا) رد لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم (قوله يوحى اليهم) أي يأتيهم الوحي بالشرائع والأحكام والمعنى ما أرسلنا الى الأمم قبل ارسالك الا رجالا من أفراد جنسك متأهلين للارسال (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله فاسألوا أهل الذكر) أي المطلعين على أحوال الرسل الماضية فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والانجيل) انما أحالهم عليهم لأنهم كانوا يراسلون للمشركين ان ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون في العداوة لرسول الله وأصحابه فلا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أي أقرب من تصديقكم المؤمنين والمعنى اذا أخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لا لفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) أي ماكثين على سبيل الخلود في الدنيا بل يموتون كغيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أي باهلاك أعدائهم (قوله بانجائهم) محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فانهم لم يؤمروا بالجهاد (قوله ومن نشاء) أي المؤمنين الذين اتبعوهم وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كبراء أصحابه الذين حضروا مغازيه لم يموتوا في حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه (قوله لقد أنزلنا اليكم كتابا) كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لأنه بلسانكم وعلى لغتكم فكان مقتضى الحمية والعقل ان تعظموا هذا الكتاب وهذا النبي الذي جاء به وتكونوا أول مؤمن به فاعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) أي الثناء عليكم بالجميل أو شرفكم ومواعظكم (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون ان الأمر كذلك (قوله وكم قصمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقصمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أي أهلها) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الايمان والرجوع عن الكفر بأنهم لا يغرنهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالأموال والأولاد كأن الله يقول لهم لا تغتروا بذلك فانا أهلكنا كثيرا من أهل القرى الكفار وما جرى عليهم يجري عليكم وأهل القرى قيل المراد بهم الأمم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى ابن عمران فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى نساءهم فلما استمر فيهم

فتؤمنون به (وكم قصمنا) أهلكنا (من قرية) أي أهلها (كانت ظالمة) كافرة (وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) القتل

اى شعر اهل القرية بالاهلاك (اذاهم منها يركضون) يهربون مسرعين فقالت لهم الملائكة استهزاء (لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم) نعمتم (فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) شيئا من دنياكم على العادة (قالوا يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (انا كنا ظالمين) بالكفر (فما

القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فانكم اهل نعمة وغنى فاتبعهم بختنصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا ثارات الانبياء فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الاول كم واقعة على القرى وعلى الثانى واقعة على اشخاص تلك القرية (قوله اى شعر اهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فمعناه تكلم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) اى فالركض كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم) جواب عما يقال ان الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بانهم مهلكون عن آخرهم فاجاب بان هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد ذق انك انت العزيز الكريم (قوله ومساكنكم) بالجر عطفا على ما (قوله شيئا من دنياكم) اى فانتم اهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيخ وتهكم بهم (قوله بالكفر) اى وقتل موسى (قوله فما زالت) ما نافية وزال فعل ماض ناقص وتلك اسمها ودعواهم خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) اى رجالهم واما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم وكلام المفسر يفيد ان هذه الآية حكاية عن اهل حضور (قوله كخمود النار) اى سكون لهبها مع بقاء جمرها واما الهمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لاعبين) حال من فاعل خلقنا وهو محط النفى (قوله بل دالين على قدرتنا) و يسبحوننا بدليل قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده (قوله ونافعين لعبادنا) اى وتفصيل جهات النفع بها لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى (قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا) رد على من اثبت الولد والزوجة لله (قوله لا تخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم والمعنى لو تعلقت ارادتنا باتخاذ الزوجة والولد لاتخذناه من عندنا لكنا لم نتخذه فلم تتعلق به ارادتنا لاستحالة ذلك علينا (قوله ان كنا فاعلين) يحتمل ان تكون نافية اى ما كنا فاعلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) اى شاننا ان نؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) اشار بذلك الى ان ما موصولة والعائد محذوف ويصح ان تكون مصدرية والمعنى ولكم الويل من اجل وصفكم اياه بما لا يليق (قوله اى الملائكة) عبر عنهم بالعندية اشارة الى انهم فى مكانة وشرف ورفعة (قوله لا يستكبرون) اى يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) اى لا يكلون ولا يتعبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكيت الكفار على تركها لان العبادة والتسبيح وصف اهل القرب والشرف وتركها وصف اهل البعد والخسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) اى فهو سجية وطبيعة لهم ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كلا من الكفرة ونزول الارض وتبليغ الاحكام وغير ذلك كما ان اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام ان قلت ان هذا قياس مع الفارق لان آلة النفس غير آلة الكلام واما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال اجيب بان الملائكة لهم السنة كثيرة بعضها يسبحون الله به و بعضها يلعنون اعداء الله به فلا يقاسون على بنى آدم (قوله وهمزة الانكار) اى وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) اى حيث ادعوا انها آلهة لزمهم ما ذكرنا والتزاما والا فهم لم يدعوا انها تحيى الموتى (قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) لو حرف شرط وكان تامة فعل الشرط وآلهة فاعلها وفيهما متعلق بكان والا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيما بعدها وقوله لفسدتا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالى واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم والمعنى لكنهما لم

زالت تلك) الكلمات (دعواهم) يدعون بها ويرددونها (حتى جعلناهم حصيدا) اى كالزرع المحصود بالمناجل بان قتلوا بالسيف (خامدين) ميتين كخمود النار اذا طفئت (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا (لو اردنا ان نتخذ لهوا) ما يلهى به من زوجة او ولد (لاتخذناه من لدنا) من عندنا من الحور العين والملائكة (ان كنا فاعلين) ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده (بل نقذف) نرمى (بالحق) الايمان (على الباطل) الكفر (فيدمغه) يذهبه فاذاهو زاهق) ذاهب ودمغه فى الاصل اصاب دماغه بالضرب وهو مقتل (ولكم) يا كفار مكة (الويل) العذاب الشديد (مما تصفون) الله به من الزوجة او الولد (وله) تعالى (من فى السموات والارض) ملكا (ومن عنده) اى الملائكة مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون) لا يعيون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه

شاغل (ام) بمعنى بل للانتقال وهمزة الانكار (اتخذوا آلهة) كائنة (من الارض) كحجر وذهب وفضة (هم) اى الآلهة (ينشرون) اى يحيون الموتى لا ولا يكون الها الا من يحيي الموتى (لو كان فيهما) اى السموات والارض (آلهة الا الله)

تفسـد افلم يكن فيهما آ لهة غيرالله والجمع فى آ لهة ليس قيدا وكذاقوله فيهما وانما أتى بذلك رداعلى الكفار فى اتخاذهم الآ لهة فى السماء والارض (قوله أى غيره) أشار بذلك الى ان الاصفة بمعنى غير فهى اسم لكن لم يظهر اعرابها الا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز ان تكون اداة استثناء لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ اما الاول فلانه يلزم منه نفى التوحيد اذالتقدير لوكان فيهما آ لهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقضى بمفهومه انه لوكان فيهما آ لهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأماالثانى فلان المستثنى منه يشترط ان يكون عاماوآ لهة جمع منكر فى الاثبات فلاعموم له فلا يصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أى التخالف بين الآ لهة و يسـمى الدليل عـلى ذلك ببرهان التمانع والتطارد فى فرض اختلافهما وتقريره ان يقال لو فرض الهان متصفان بصفات الالوهية واراد أحدهما ايجاد شىء والآخر اعدامه فاماان يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أولا يتم مرادهما معا وهو باطل ايضا للزوم عجز من لا يتم مراده وعجز من يتم مراده ايضا لوجود المماثلة بينهما فبطـل التعدد وثبتت الوحدانية واذافرض اتفاقهما فهو باطل ايضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا ان يقال لوفرض الهان وارادا معا ايجاد شىء فاما ان يحصل بارادتهما معا وذلك باطل لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على اثر واحد او يسبق أحدهما الى ايجاده فيلزم عليه عجز الآخر اوتحصيل الحاصل و يلزم عجز الاول لوجود المماثلة بينهما واعلم ان الدليل على ثبوت الوحدانية لله النقل والعقل اما النقل فآيات كثيرة جدا منها والهكم اله واحد لا اله الا هو الله لا اله الا هو الحى القيوم هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو الى غيرذلك وأما العقـل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض وكهذه الآية اذا علمت ذلك فالدليل فى هذه الآية قطعى كما هو الحق لكون الفساد مرتبا على فرض الاتفاق والاختلاف وليس اقناعيا بحسب ما يفهمه المخاطب خلافا لما تقتضيه عبارة المفسر حيث احاله على العادة و بهذه الآية انتفت الكموم الخمسة الكم المتصل فى الذات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير فيها والكم المتصـل فى الصفات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير والكم المنفصل فى الافعال وهو المشارك له فيها والمتصل فيها لا ينفى لانه ثابت لان افعاله كثيرة على حسب شؤونه فى خلقه (قوله الكرسى) الصواب ابقاء العرش على ما هو عليه لان التحقيق ان العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسي تحته وخص العرش بالذكر لانه اعظم من غيره فاذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالاولى (قوله لا يسئل عما يفعل) اى لا يسئل عما يحكم فى عباده من اعزاز واذلال وهـدى واضلال واسعاد واشقاء لانه الرب الخالق المالك لجميع الاشياء اذا علمت ذلك فالاعتراض على افعال الله اما كـفر أو قريب منه (قوله وهم يسئلون) أى يقال للخلق لم فعلتم كذا لانهم عبيـد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم وتبين بهذا أن من يسئل عن اعماله كعيسي والملائكة لا يصـلح للالوهيـة (قوله أم اتخـذوا من دونه آلهة) اضراب انتقالى من بطلان التعدد الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآ لهة من غير دليل على الوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أى من حيث ان أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنـا والمناسب لما تقـدم انها بمعناها ايضـا (قوله على ذلك) اى الاتخـاذ كان الله يقول لهـم نحن قد أتينا براهـين دالة على وحدانيتنـا فائتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا (قوله هذا ذكر من معى) أى عظتهم ومتمسكهم على التوحيد (قوله ليس فى واحـد منها) اى فراجعوها وانظروا هل فى واحد

أى غيره (لفسدتا) خرجتا عن نظامهما المشاهـد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع فى الشىء وعدم الاتفاق عليه (فسبحان) تنزيه (الله رب) خالق (العرش) الكرسى (عما يصفون) أى الكفار الله به من الشريك له وغيره (لا يسال عما يفعل وهم يسالون) عن افعالهم (أم اتخذوا من دونه) تعـالى أى سواه (آلهة) فيه استفهام توبيخ (قل هاتوا برهانكم) على ذلك ولا سبيل اليه (هـذا ذكر من معى) أى امتى وهو القرآن (وذكر من قبلى) من الامم وهو التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله ليس فى واحد منها أن مع الله الها مما قالوا تعـالى عن ذلك

(بل أكثرهم لا يعلمون الحق) اى توحيد الله (فهم معرضون) عن النظر الموصل اليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) اى وحدونى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) (٦٣) من الملائكة (سبحانه بل) هم (عباد مكرمون) عنده والعبودية تنافى الولادة (لا يسبقونه بالقول) لا يأتون بقولهم الا بعد قوله (وهم بامره يعملون) اى بعده (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) اى ما عملوا وما هم عاملون (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) تعالى ان يشفع له (وهم من خشيته) تعالى (مشفقون) اى خائفون (ومن يقل منهم انى اله من دونه) اى الله اى غيره وهو ابليس دعا الى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فذلك نجزيه جهنم كذلك) كما نجزيه (نجزى الظالمين) اى المشركين (أولم) بواو وتركها (ير) يعلم (الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا) اى سدا بمعنى مسدودة (ففتقناهما) اى جعلنا السماء سبعا والارض سبعا اوفتق السماء ان كانت لا تمطر فامطرت وفتق الارض ان كانت لا تنبت فانبتت (وجعلنا من الماء) النازل من السماء والنابع من الارض (كل شئ حى) نبات وغيره اى فالماء سبب لحياته (أفلا يؤمنون) بتوحيدى (وجعلنا فى الارض رواسى) جبالا ثوابت (أن) لا (تميد) تتحرك (بهم وجعلنا فيها) اى الرواسى (فجاجا) مسالك (سبلا) بدل اى طرقا نافذة واسعة (لعلهم يهتدون) الى مقاصدهم فى الاسفار (وجعلنا السماء سقفا) للارض كالسقف للبيت (محفوظا) عن الوقوع (وهم عن آياتها)

منها غير الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب انتقالى من محاجتهم الى بيان أنهم كالبهائم لا يميزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف اى توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطقت به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة و بنو سلمة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافى الولادة) اى لان عبد الانسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بامره يعملون) اى لا يخالفونه فى القول ولا فى العمل (قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) اى فهم يراقبونه فى جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لعلمهم بانه تعالى محيط بهم (قوله الا لمن ارتضى) اى ان كان مؤمنا فلا يقدمون على الشفاعة الا لمن علموا ان الله راض عنه و يقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) اى وجلون لا يأمنون مكره والاشفاق الخوف مع الاجلال و يرادفه الخشية (قوله ومن يقل منهم) اى من الملائكة المحدث عنهم أولا بقوله بل عباد مكرمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لانهم معصومون من الكفر والمعاصى و يحتمل ان القول قد وقع من بعضهم وهو ابليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار انه كان بينهم وملحقا بهم فى العبادة حتى قيل انه كان أعبدهم (قوله دعا الى عبادة نفسه) اى لاجل الاضلال والاغواء ولا مانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم فى الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه انه رب العالمين وكما وقع لبرصيصا العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجد لى وأنا أخلصك وان كان فى الواقع معترفا بالعبودية لله تعالى وآيسا من رحمته اذا علمت ذلك فكلام المفسر لا غبار عليه (قوله كذلك نجزى الظالمين) اى اياها (قوله أولم ير) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ولم يعلموا (قوله بواو ودونها) قراءتان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع فى ذكر ستة أدلة على التوحيد وان ماسوى الله مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله كانتا رتقا) اى شيأ واحدا لما روى ان الله خلق السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطها ففتقها بها وقيل خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والارض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعا والارض سبعا ولكن السموات طباق والارض مختلف فيها قيل طباق وقيل متجاورة لبعضها كناية عن الاقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات وافراد الارض بان جنس السموات مختلف بخلاف الارض (قوله أن كانت لا تمطر) بفتح الهمزة مصدرية اى كونها لا تمطر فامطرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شئ مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئا ومتسببا عنه (قوله نبات وغيره) اى فالحياة فى كل شئ بحسبه فحياة الحيوان قيام الروح به وحياة النبات بروزه من الارض وخضرته واثماره (قوله رواسى) جمع راسية من رسا الشئ اذا ثبت واستقر (قوله ان تميد) قدر المفسر لا النافية لصحة التعليل اى لاجل عدم تحركها بهم لان تثبيتها بالجبال لاجل عدم التحرك لا للتحرك (قوله الى مقاصدهم) اى الدنيوية والاخروية (قوله كالسقف للبيت) اى وهذا ماعليه أهل السنة وقالت الحكماء ان السماء محيطة بالارض كاحاطة بياض البيضة بصفارها اذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله الا اليه (قوله محفوظا عن الوقوع) اى او عن الفساد والخلل (قوله وهم عن آياتها)

من الشمس والقمر والنجوم (معرضون) لا يتفكرون فيها فيعلمون ان خالقها لاشريك له (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل) تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فى فلك) أى مستدير كالطاحونة فى السماء (يسبحون) يسيرون بسرعة كالسابح فى الماء وللتشبيه به اتى بضمير جمع من يعقل * ونزل لما قال الكفار ان محمدا سيموت (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) اى البقاء فى الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) فيها لا فالجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكارى (كل نفس ذائقة الموت)فى الدنيا (ونبلوكم) نختبركم (بالشر والخير) كفقر وغنى وسقم وصحة (فتنة) مفعول له اى لننظر أتصبرون وتشكرون أولا (والينا ترجعون) فنجازيكم (واذا رآك الذين كفروا ان) ما (يتخذونك الا هزؤا) اى مهزوأ به يقولون (أهذا الذى يذكر آلهتكم) اى يعيبها (وهم بذكر الرحمن) لهم (هم) تاكيد (كافرون) به اذقالوا ما نعرفه * ونزل فى استعجالهم العذاب (خلق الانسان من عجل) اى انه لكثرة عجله فى احواله كانه خلق منه (سأريكم آياتى)

اى الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وافعاله (قوله من الشمس والقمر) اى وغيرهما كالنجوم وارتفاعها من غير عمد ونزول الماء منها (قوله لا يتفكرون فيها) اى مع انهم لو سئلوا عمن خلق السموات والارض ليقولن الله (قوله وهو الذى خلق الليل الخ) فيه التفات من التكلم للغيبة (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف اليه المحذوف (قوله اى مستدير كالطاحونة) اى كهيئة فلك المغزل اى تقالته وقيل الفلك السماء التى تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن فى البحر واختلف الناس فى حركات الكواكب على ثلاثة اقوال قيل ان الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذى يدل عليه لفظ القرآن وقيل ان الفلك متحرك والكواكب متحركة وحركة كل تدافع حركة الآخر وقيل ان الفلك متحرك والكواكب ساكنة ولا يعلم الحقيقة الا الله تعالى واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الارض وعليه الحكماء ومنتهى سيرهما فى العالم العلوى وعليه أهل السنة (قوله وللتشبيه به) جواب عما يقال لم جمعهما بضمير العقلاء فاجاب بانه لما استندت لهما السباحة التى هى من افعال العقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار ان محمدا سيموت) اى شماتة به (قوله وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) اى سبقت حكمتنا بان كل بشر من قبلك بل ومن بعدك لايخلد فى الدنيا بل يذوق الموت واقتصر على البشر وان كان غيره كذلك بدليل مابعده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجملة الاخيرة الخ) اى فالهمزة مقدمة من تاخير لان الاستفهام له الصدارة والاصل أفهم الخالدون ان مت (قوله كل نفس) أى مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى وهو دليل لما قبله اعم منه وليس معينا وقوله ذائقة الموت اى ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم وهى فى غاية الصعوبة جدا ومثلوه بعصر القصب بالآلة المعروفة فانه لا يبقى فيه طراوة اصلا بل يؤخذ للنار حالا غير ان المؤمن يتسلى برؤية ما اعدله من النعم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعدله من العذاب المقيم (قوله نختبركم) اى نعاملكم معاملة المختبر اذ لايخفى على الله شئ (قوله أتبصرون) راجع للشر وقوله وتشكرون راجع للخير فالمؤمن الكامل يشاهد الاشياء كلها من الله فاذا ابتلى بالفقر اوالمرض مثلا رضى به وازداد اقبالا عليه واذا أنعم عليه بالغنى اوالصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله فى الحالتين واما الكافر والفاسق فيشاهد الاشياء من الخلق فاذا ابتلى سخط واذا أنعم عليه بطر فهو مغضوب عليه فى الحالين (قوله والينا ترجعون) اى تردون فيظهر لكم جزاء اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله واذا رآك الذين كفروا) رأى بصرية اى ابصرك المشركون (قوله ان يتخذونك) جواب اذا وان نافية بمعنى ما كما قال المفسر (قوله يقولون) قدره اشارة الى ان قوله أهذا الذى الخ مقول لقول محذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض فى حال الهزء والسخرية اهذا الخ (قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خبره وبذكر متعلق به وهم الثانية تاكيد لفظى للاولى وحينئذ فقد فصل بين العامل والمعمول بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول واضافة ذكر للرحمن من اضافة المصدر لفاعله كما اشار له المفسر حيث قدر لهم وحينئذ فالمراد بالذكر ارشاد الله لعباده بارسال الرسل وانزال الكتب ويحتمل انه مضاف لمفعوله اى ذكرهم الرحمن بالتوحيد (قوله اذقالوا ما نعرفه) اى الرحمن وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (قوله فى استعجالهم العذاب) اى حيث قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضد البطء اى السرعة فى الامور (قوله اى انه لكثرة عجله فى احواله الخ)اشار بذلك الى ان فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث ان الانسان طبع عليه حتى صار كالجبلة له بالطين الذى خلق منه البشر وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشئ من لوازمه وهو خلق والمعنى أن

مواعيدى بالعذاب (فلا تستعجلون) فيه فاراهم القتل ببدر (ويقولون متى هذا الوعد) بالقيامة (ان كنتم صادقين) فيه قال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولاهم ينصرون) يمنعون منها فى القيامة وجواب لو ماقالوا ذلك (بل تاتيهم) القيامة (بغتة فتبهتهم) تحيرهم (فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون) يمهلون (٦٥) لتوبة اومعذرة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل) لهم (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من عذابه ان نزل بكم اى لا احد يفعل ذلك والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لانكارهم له (بل هم عن ذكر ربهم) اى القرآن (معرضون) لا يتفكرون فيه (ام) فيها معنى الهمزة للانكار اى أ (لهم آلهة تمنعهم) مما يسوؤهم (من دوننا) اى ألهم من يمنعهم منه غيرنا لا (لا يستطيعون) اى الآلهة (نصر انفسهم) فلا ينصرونهم (ولاهم) اى الكفار (منا) من عذابنا (يصحبون) يجارون يقال صحبك الله اى حفظك واجارك (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) بما انعمنا عليهم (حتى طال عليهم العمر) فاغتروا بذلك (أفلا يرون انا نأتى الارض) نقصد أرضهم (ننقصها من اطرافها) بالفتح على النبي (افهم الغالبون) لا بل النبي واصحابه (قل) لهم (انما انذركم بالوحى) من الله لا من قبل نفسى (ولا يسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ماينذرون) اى هم لتركهم العمل بما سمعوه من الانذار كالصم (ولئن مستهم نفحة) وقعة خفيفة (من عذاب ربك ليقولن يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (انا كنا ظالمين) بالاشراك وتكذيب محمد (ونضع الموازين

الانسان جبل على السرعة فى الامور والعجلة فيها حتى انه يقع فى المضرة ولا يشعر (قوله مواعيدى بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو انواع العذاب فى الدنيا كوقعة بدر وغيرها وفى الآخرة كعذاب النار (قوله ويقولون) اى استهزاء واستعجالا للعذاب (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير فاتوا به وهو خطاب منهم للنبي واصحابه (قوله قال تعالى) كلام مستانف لبيان شدة هول مايستعجلونه لجهلهم به (قوله ولا عن ظهورهم) اى فهو كناية عن احاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ماقالوا ذلك) قدره اشارة الى ان جواب لو محذوف (قوله بل تاتيهم بغتة) اضراب انتقالى من قولهم الى بيان كيفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) اى دفعها (قوله فيه تسلية للنبي) أى حيث كان يغتم من استهزائهم وعدم انقيادهم (قوله قل من يكلؤكم الخ) أى قل يامحمد للمستهزئين القائلين لا نعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه ان اراده بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمخاطبون لا يخافون الخ) توطئة لقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون والمعنى ليس لهم حافظ ولا مانع غير الرحمن غير انهم لا يخافونه لاعراضهم عن ذكره (قوله فيها معنى الهمزة) اى زيادة على بل (قوله لا يستطيعون نصر انفسهم) اى فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم (قوله يجارون) اى ينقذون (قوله بل متعنا هؤلاء الخ) اضراب عما توهموه من ان حفظهم وامدادهم بالنعم من قبل آلهتهم بل ماهم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم (قوله بالفتح على النبي) أى وتسليط المسلمين عليهم (قوله افهم الغالبون) استفهام توبيخ وتقريع وفيه معنى الانكار ولذا قدر المفسر لا وقوله بل النبي واصحابه أى هم الغالبون (قوله قل انما انذركم بالوحى) المقصود من ذلك توبيخهم على ماوقع منهم حيث أقام لهم الحجج والبراهين فلم يذعنوا لها (قوله ولا يسمع الصم الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على الفاعلية ونصب الدعاء على المفعولية وفى قراءة سبعية ايضا بالتاء المضمومة وكسر الميم خطاب للنبي والصم مفعوله الاول والدعاء مفعوله الثانى والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له أرح قلبك ولا تعلقه بهم وارض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق الهمزتين) اى همزة الدعاء وهمزة اذا (قوله وتسهيل الثانية) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقعة خفيفة) اخذ الخفة من التعبير بالمس والنفح والتاء الدالة على المرة والنفح فى الاصل هبوب رائحة الشئ والمعنى ولئن اصابهم عذاب خفيف ليقولن تحسرا وتندما ياويلنا الخ وهو كناية عن كونهم فى غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلا يبالى به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قريش فى هذه السورة والجمع فى الموازين للتعظيم فان الصحيح انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب ومكانه قبل الصراط كفته اليمنى للحسنات وهى نيرة عن يمين العرش وكفته اليسرى للسيئات وهى مظلمة عن يساره يأخذ جبريل بعموده ناظرا الى لسانه وميكائيل امين عليه بحضرة الجن والانس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن فى حق كل احد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت اعماله ومن لا فلا والحق ان الكفار توزن اعمالهم السيئة غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر واعمالهم الحسنة التى لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن اعمالهم لاجل ذلك

القسط) ذوات العدل (ليوم القيامة) أي فيه (فلا تظلم نفس شيا) من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وان كان) العمل (مثقال) زنة (حبة من خردل اتينا بها) اى بموزونها (وكفى بنا حاسبين) محصين فى كل شيء (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) اى التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وضياء) بها (وذكرا) اى عظة بها (للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب) عن الناس اى فى الخلاء عنهم (وهم من الساعة) اى اهوالها (مشفقون) اى خائفون (وهذا) اى القرآن (ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون) الاستفهام فيه للتوبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل) اى هداه قبل بلوغه (وكنا به عالمين) اى بانه اهل لذلك (اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل) الاصنام (التى انتم لها عاكفون) اى على عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم (قال) لهم (لقد كنتم انتم وآباؤكم) بعبادتها

لا النجاة من عذاب الكفر فانه لا يخفف عنهم ولا ينقطع وأما قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فمعناه نافعا بحيث ينجون من الخلود فى النار وقيل حسناتهم التى فعلوها يجازون عليها فى الدنيا كصحة وعافية ولا يجازون عليها فى الآخرة أصلا واختلف هل الوزن بصنج أولا واستظهر الاول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات فى مقابلة الحسنات فان رجح أحدهما وضع صنج بقدر ما رجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له الا حسنات فقط أو سيئات فقط وضعت الصنج فى الكفة الاخرى واختلف أيضا هل الاعمال تصور وتوزن فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية ثم توضع فى كفة الحسنات والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع فى كفة السيئات أو توزن الصحائف أو توزن الاشخاص ولا مانع من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لانه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيا) اما مفعول ثان أو مفعول مطلق (قوله وان كان العمل) قدره المفسر اشارة الى أن كان ناقصة اسمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبرها وفى قراءة سبعية برفعه على انها تامة (قوله من خردل) المراد أقل قليل (قوله وكفى بنا حاسبين) أي عالمين والمقصود منه التحذير لان الانسان العاقل اذا علم ان الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه واحاطة علمه بجزئيات أعماله فانه يكون على حذر وخوف منه (قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) شروع فى ذكر قصص الانبياء تسلية له صلى الله عليه وسلم وزيادة فى علم أمته وذكر منها عشر قصص الاولى قصة موسى وهرون الثانية قصة ابراهيم الثالثة قصة لوط الرابعة قصة نوح الخامسة قصة داود وسليمان السادسة قصة أيوب السابعة قصة اسمعيل وادريس وذى الكفل الثامنة قصة يونس التاسعة قصة زكريا العاشرة قصة مريم وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله وضياء) أي يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم) أي عذابه (قوله بالغيب) حال من الفاعل فى يخشون أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس والناس فى ذلك مراتب فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محجوب قد تقع منه المعاصي ومنهم من يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد انه فى حضرة الله وانه مطلع عليه وهذا أعلى من الاول ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام المشاهدة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خصت بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه (قوله مبارك) أي كثير الخير (قوله أفانتم له منكرون) الخطاب لاهل مكة تقريعا لهم أي ان هذا القرآن فيه تذكيركم وفيه خير كثير أيليق منكم انكاره والاستهزاء به (قوله أي هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصلاح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله وليس المراد به النبوة وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل انه ان كان المراد بقوله قبل قبل البلوغ فالمراد بالرشد الاهتداء لصلاح الدين والدنيا لان الله لم يتخذ وليا جاهلا بمعرفته فضلا عن نبي وان كان المراد به قبل موسى وهرون فالمراد بالرشد النبوة وارشاد الخلق (قوله وكنا به عالمين) أي ولم نزل كذلك (قوله اذ قال لابيه) ظرف لقوله آتينا او لمحذوف اى اذكر (قوله لابيه) اى آزر (قوله التماثيل) جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام او نحاس او خشب وكانت تلك الاصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان متقدتان تضيآن بالليل (قوله عاكفون) عبر بالعكوف الذى هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم (قوله قالوا وجدنا آباءنا الخ) أجابوا بذلك وان

(فى ضلال مبين) بين (قالوا اجئتنا بالحق) فى قولك هذا (ام انت من اللاعبين) فيه (قال بل ربكم) المستحق للعبادة (رب) مالك

(السموات والارض الذى فطرهن) خلقهن على غير مثال سبق (وانا على ذلكم) الذى قلته (من الشاهدين) به (وتالله لا كيدن اصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) بعد ذهابهم الى مجتمعهم فى يوم عيد لهم (جذاذا) بضم الجيم وكسرها فتاتا بفاس (الا كبيرا لهم) علق الفاس فى عنقه (لعلهم اليه) اى الى الكبير (يرجعون) فيرون ما فعل بغيره (قالوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) فيه (قالوا) اى بعضهم لبعض (سمعنا فتى يذكرهم) أى يعيبهم (يقال له ابراهيم قالوا فائتوا به على أعين الناس) اى ظاهرا (لعلهم يشهدون) عليه انه الفاعل (قالوا) له بعد اتيانه (أأنت) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال) ساكتا عن فعله (بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم) عن فاعله (ان كانوا ينطقون) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بان الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون الها

(فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكر (فقالوا) لانفسهم (انكم انتم الظالمون) اى بعبادتكم من لا ينطق (ثم نكسوا) من الله (على رؤسهم)

كان غير موافق لسؤاله بما لانه ما آل سؤاله اذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب اوغيره كانه قال ماهى لاى شئ عبدتموها وحينئذ فلم يكن لهم جواب الا التقليد (قوله فى ضلال مبين) اى لعدم استنادكم الى دليل (قوله قالوا أجئتنا بالحق الخ) اى لما استبعدوا تضليل آبائهم ظنوا ان ماقاله على وجه اللعب فقالوا اصدق ماتقوله أم أنت هازل فيه (قوله قال بل ربكم الخ) اضراب عن قولهم باقامة البرهان على صدق ما ادعاه (قوله وانا على ذلكم) أى على ماذكرته من كون ربكم رب السموات والارض دون ماعداه (قوله من الشاهدين) اى العالمين بالبرهان (قوله وتالله لا كيدن اصنامكم) انتقال من دلالة قولية الى دلالة فعلية فلما لم يفد فيهم الدليل القولى عدل الى الدليل الفعلى وهو الكسر والمعنى لاجتهدن فى كسرها وأكيد نكم فيها (قوله بعد ذهابهم الى مجتمعهم) أى وقد ذهب معهم ابراهيم فلما كان فى أثناء الطريق القى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجله فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لا كيدن اصنامكم فسمعها الضعفاء فرجع ابراهيم الى بيت الاصنام وقبالة الباب صنم عظيم والى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم اصغر من الذى يليه وكانوا وضعوا عند الاصنام طعاما يا كلون منه اذا رجعوا من عيدهم اليهم فقال لهم ابراهيم ألا تأكلون فلم يجيبوه فكسرها (قوله بضم الجيم وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتحها (قوله بفاس) هو مهموز الآلة التى يكسر بها الحجر (قوله الا كبيرا لهم) أى لم يكسره بل تركه والضمير فى لهم يصح ان يعود على الاصنام اوعلى عابديها (قوله من فعل هذا) أى التكسير ومن يحتمل ان تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره اوموصولة وفعل صلته وانه لمن الظالمين خبره (قوله قالوا سمعنا فتى) القائل هم الضعفاء من قوم ابراهيم الذين سمعوا احلفه (قوله اى يعيبهم) اى ينتقصهم ويستهزئ بهم (قوله يقال له ابراهيم) مرفوع على انه نائب فاعل يقال على ارادة لفظه اومبتدأ خبره محذوف اى يقال له ابراهيم فاعل ذلك اومنادى وحرف النداء محذوف اوخبر لمحذوف أى يقال له هذا ابراهيم (قوله قالوا فائتوا به) القائل لذلك النمروذ (قوله لعلهم يشهدون) اى لعل الناس يشهدون عليه بفعله بان يكون احد من الناس رآه يكسرها (قوله بتحقيق الهمزتين) اى بادخال الف بينهما وتركه فتكون القرا آت السبعيات خمسا وحاصلها ان الهمزتين امامحققتان او الثانية مسهلة وفى كل امابادخال الف بينهما اولا فهذه أربع والخامسة ابدال الثانية الفا (قوله قال بل فعله كبيرهم هذا) اعلم ان هذا من التعريض لان القاعدة انه اذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه واثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره فى الآخر فهو اشارة لنفسه مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرهم اونعت له وورد ان ابراهيم قال لهم ان الكبير غضب من اشراككم معه غيره الصغار فى العبادة فكسرهن واراد بذلك اقامة الحجة عليهم (قوله ان كانوا ينطقون) أى ان كانوا ممن يمكن ان ينطق وخص النطق بالذكر وان كان غيره من السمع والعقل وبقية اوصاف العقلاء كذلك لانه اظهر فى تبكيتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أى وهو قوله فاسألوهم وفيه اشارة الى ان قوله بل فعله كبيرهم هذا مرتبط بقوله ان كانوا ينطقون والمعنى بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسألوهم (قوله فرجعوا الى انفسهم) أى الى عقولهم وتذكروا ان من لا يقدر على دفع المضرة اوجلب المنفعة كيف يصلح ان يكون الها (قوله ثم نكسوا على رؤسهم) اى انقلبوا الى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيا للمفعول فى القراءة العامة وفاعل النكس هو الله كما يشير له المفسر وقرئ شذوذا بالتشديد وبالتخفيف

مبنيا للفاعل (قوله أي ردوا الى كفرهم) اى الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) اشار بذلك الى ان قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) اى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها اى بترك التنوين فالقرا آت ثلاث سبعيات (قوله افلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تعقلون (فائدة) ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتان منها في ذات الله قوله انى سقيم وقوله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه اختى والمعنى انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب الا هذه الكلمات الثلاث فقوله انى سقيم اراد سقيم القلب من ضلالتكم وقوله بل فعله كبيرهم هذا تبكيت لقومه وقوله هذه اختى اى في الدين والخلقة فهذه الالفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب أصلا ومعنى كون الاولى والثانية في ذات الله انهما من اجل غيرته على الله وأما الثالثة فمن اجل غيرته على زوجته وهذا ما فتح الله به (قوله قالوا احرقوه) القائل ذلك النمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن نمروذ بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هينون خسف الله به الارض والحكمة في اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل ان ابراهيم بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فاحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة (قوله فجمعوا له الحطب الخ) حاصل القصة في ذلك انه لما اجتمع نمروذ وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه لئن اصابته لتحطبن في نار ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما ارادوا واشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فاوقدوا عليها سبعة ايام فلما ارادوا أن يلقوا ابراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل ان ابليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقى في النار وليس في ارضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا في نصرته فقال الله تعالى انه خليلي ليس لي خليل غيره وانا الاله ليس له اله غيري فان استغاث باحدكم أو دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا وليه وأنا اعلم به فخلوا بينه وبيني فلما أرادوا القاءه في النار اتاه خازن المياه وقال ان اردت اخمدت النار واتاه خازن الهواء وقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم لا حاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل روى انه قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال جبريل فاسال ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي وكان وقت القائه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ولما ألقى فيها جعل كل شيء يطفئ النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله وكان من قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك ذكر بعض الحكماء ان الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران ومدة مكثه في النار سبعة ايام وقيل اربعون يوما وقيل خمسون يوما (قوله في منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارسي معرب لان الج١ والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كوني بردا وسلاما) اى ابردى بردا غير ضار وورد انه لما ألقى فيها أخذت الملائكة بضبعيه فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس

أي ردوا الى كفرهم وقالوا والله (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) اى فكيف تامرنا بسؤالهم (قال افتعبدون من دون الله) أي بدله (مالا ينفعكم شيا) من رزق وغيره (ولا يضركم) شيا اذا لم تعبدوه (اف) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتنا وقبحا (لكم ولما تعبدون من دون الله) أي غيره (أفلا تعقلون) ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وانما يستحقها الله تعالى (قالوا حرقوه) أي ابراهيم (وانصروا آلهتكم) أي بتحريقه (ان كنتم فاعلين) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه واوثقوا ابراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار قال تعالى (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت اضاءتها

و بقوله وسلاما سلم من الموت ببردها (وأرادوا به كيدا) وهو التحريق (فجعلناهم الاخسرين) فى مرادهم (ونجيناه ولوطا) ابن اخيه هاران من العراق (الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) بكثرة الانهار والاشجار وهى الشام نزل ابراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة و بينهما يوم (و وهبنا له) اى لابراهيم وكان سال ولدا كما ذكر فى الصافات (اسحق ويعقوب نافلة) اى زيادة على المسؤل أو هو ولد الولد (وكلا) اى هو وولداه (جعلنا صالحين) أنبياء (وجعلناهم أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء يقتدى بهم فى الخير (يهدون) الناس (بأمرنا) الى ديننا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة) اى ان تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء اقامة تخفيف (وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما) فصلا بين الخصوم (وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل) اى اهلها الاعمال (الخبائث) من اللواط والرمى بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (انهم كانوا قوم سوء) مصدر ساءه نقيض سره (فاسقين وادخلناه فى رحمتنا) بان انجيناه من قومه (انه من الصالحين و) اذكر (نوحا) وما بعده بدل منه (اذ نادى) دعا

وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له يا ابراهيم ان ربك يقول لك اما علمت ان النار لا تضر أحبابى قال ابراهيم ما كنت اياما قط أنعم منى من الايام التى كنت فى النار ثم نظر نمروذ واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا فى روضة والملك قاعد الى جنبه فناداه يا إبراهيم ان الهك الذى بلغت قدرته ان حال بينك و بين النار لكبير هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى اذا قمت ان تضرك قال لا قال قم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثلك فى صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الى ربى ليؤنسنى فيها قال نمروذ يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده وانى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى دينى فقال لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له فذبحها له نمروذ وكف عن ابراهيم عليه السلام (قوله و بقوله سلاما الخ) اى ولو لم يقل على ابراهيم لما احرقت النار احدا ولما اوقدت (قوله فجعلناهم الاخسرين) اى لانهم خسروا السعى والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل ان المراد بالاخسرين الهالكون لان الله سلط عليهم البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت فى رأس النمروذ بعوضة فاهلكته (قوله ابن اخيه هاران) اى الاصغر وكان له أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة اولاد آزر وأما هاران الاكبر فهو عم ابراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) اى وصحب معه لوطا وسارة ونزل بحران فمكث بها ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام فنزل بالسبع من ارض فلسطين وترك لوطا بالمؤتفكة فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الانهار والاشجار) اشار بذلك الى ان المراد بالبركة الدنيوية وعليه يحمل ما ورد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب ألا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره فقال كعب انى وجدت فى كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه من عباده والا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق (قوله بفلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لاغير قرى بيت المقدس (قوله ولوط بالمؤتفكة) هى قرى قوم لوط رفعها جبريل واسقطها مقلوبة بامر من الله (قوله كما ذكر فى الصافات) اى فى قوله رب هب لى من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعقوب اى اعطى يعقوب لابراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولداه) اى اسحق ويعقوب (قوله وابدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدمت فى سورة براءة (قوله يهدون بامرنا) اى يدعون الناس بوحينا (قوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة) عطف خاص على عام لان الصلاة افضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (قوله وكانوا لنا عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أى كانوا لنا لا لغيرنا (قوله ولوطا) منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا (قوله فصلا بين الخصوم) اى على وجه الحق (قوله وعلما) اى بالشرائع والاحكام (قوله اى اهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف أو فيه مجاز عقلى (قوله الاعمال) قدره اشارة الى ان الخبائث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمى بالبندق) اى رمى المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث الا فى هذه الامة (قوله وغير ذلك) اى كالضراط فى المجالس (قوله بان انجيناه من قومه) المناسب ان يقول وأدخلناه فى أهل رحمتنا أى جنتنا والا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان نوحا منصوب بفعل محذوف وبعث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث فى قومه الف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان

ستين فجملة عمره الف وخمسون سنة وهذا احد اقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر على الارض الخ)
اى بعد ان أوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (قوله الذين في سفينته) وجملتهم ستة رجال
ونساؤهم وقيل اربعون رجلا واربعون امرأة (قوله منعناه) اشار بذلك الى انه ضمن نصر معنى منع
حيث عدى بمن (قوله ان لا يصلوا اليه) اى لئلا يصلوا اليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداود وسليمان)
معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع
وستون سنة وقيل وتسع وسبعون وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين وبينه وبين مولد النبي صلى الله عليه
وسلم نحو الف سنة وسبعمائة سنة (قوله اى قصتهما) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف
(قوله ويبدل منهما) في الحقيقة الابدال من المضاف المحذوف (قوله اذ يحكمان) عبر عنه بالمضارع
استحضارا للحال الماضية لغرابتها (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين وعلى كل كان قبل
تمام نضجه (قوله اذ نفشت) اى تفرقت وانتشرت فيه فافسدته (قوله غنم القوم) اى بعض القوم اى
قوم داود وهم امته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) اى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها ايها العاقل
ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) اى بناء على ان اقل الجمع اثنان ويجاب ايضا بان
الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما (قوله قال داود لصاحب الحرث رقاب الغنم) اى عوضا
عن حرثه وحاصل تلك القصة ان رجلين دخلا على داود عليه السلام احدهما صاحب حرث والآخر
صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا قد انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فافسدته فلم تبق منه
شيا فاعطاه داود رقاب الغنم في الحرث فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال كيف
قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير هذا وروى انه قال غير هذا ارفق بالفريقين
فاخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع
الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه
فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت
ومن احكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن
احداهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به
للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين اشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل
يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى (قوله ففهمناها) اى فهمناه الصواب فيها (قوله وحكمهما باجتهاد
الخ) اى ويجوز الخطا على الانبياء اذا لم يكن فيه مفسدة ولكن لا يقرهم الله عليه لعصمتهم والمجتهد
ماجور أخطأ أو اصاب لكن المصيب له اجران والمخطئ له اجر واحد (قوله وقيل بوحي) اى لكل منهما
وهذا في شريعتهم واما في شريعتنا فمذهب مالك ما أتلفته البهائم ليلا وهي غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يغلق
عليها فعلى ربها وان زاد على قيمتها يقوم ان لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف وان بدا صلاحه ضمن
قيمته على البت وأما ما اتلفته نهارا وهي غير عادية ولم يكن معها راع وسرحت بعيدة عن المزارع فلا ضمان
على ربها وان كان معها راع أو سرحها بها قرب المزارع او كانت عادية فعلى ربها ليلا ونهارا ومذهب
ابي حنيفة لا ضمان فيما أتلفته البهائم ليلا ونهارا الا أن يكون معها سائق أو قائد ومذهب الشافعي فيه
تفصيل فانظره ويمكن تخريج حكم داود على شريعتنا بانه رأى ان قيمة الغنم مثل الحرث وصاحب الغنم
مفلس فالحكم انها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكما وعلما) دفع بذلك ما يتوهم من قوله
ففهمناها سليمان ان داود ناقص في العلم (قوله وسخرنا) اى ذللنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله

على قومه بقوله رب لا تذر
الخ (من قبل) اى قبل
ابراهيم ولوط (فاستجبنا
له فنجيناه واهله) الذين
في سفينته (من الكرب
العظيم) اى الغرق وتكذيب
قومه له (ونصرناه) منعناه
(من القوم الذين كذبوا
بآياتنا) الدالة على رسالته
ان لا يصلوا اليه بسوء
(انهم كانوا قوم سوء
فاغرقناهم أجمعين و) اذكر
(داود وسليمان) اى
قصتهما ويبدل منهما (اذ
يحكمان في الحرث) هو
زرع او كرم (اذ نفشت فيه
غنم القوم) اى رعته ليلا
بلا راع بان انفلتت (وكنا
لحكمهم شاهدين) فيه
استعمال ضمير الجمع
لاثنين قال داود لصاحب
الحرث رقاب الغنم وقال
سليمان ينتفع بدرها
ونسلها وصوفها الى ان
يعود الحرث كما كان
باصلاح صاحبها فيردها
اليه (ففهمناها) اى
الحكومة (سليمان)
وحكمهما باجتهاد
ورجع داود الى سليمان
وقيل بوحي والثاني ناسخ
للاول (وكلا) منهما
(آتيناه) (حكما) نبوة
(وعلما) بامور الدين
(وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير) كذلك

سخرا للتسبيح معه لامره به اذا وجد فترة لينشط له (وكنا فاعلين) تسخير تسبيحهما معه وان كان عجبا عندكم اى مجاوبته

والطير فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب اما على انه مفعول معه او معطوف على الجبال والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لامره به اذا وجد فترة) اى فكأنه اذا وجد فترة امر الجبال والطير فسبحن (قوله وان كان عجبا عندكم) اى مستغرب وقد اتفق في هذه الامة لغير واحد منها كالسيد الدسوقي وامثاله (قوله وعلمناه صنعة لبوس) اى وسبب ذلك انه مر به ملكان على صورة رجلين فقال أحدهما للآخر نعم الرجل الا انه يأكل من بيت المال فسأل الله ان يرزقه من كسبه فألان الله له الحديد فكان يعمل منه الدروع بغير نار كأنه طين في يده (قوله وهي الدروع) أنث الضمير لكون درع الحديد تؤنث وتذكر واما درع المرأة أى قميصها فهو مذكر (قوله وهو أول من صنعها) اى حلقها بعضها داخل في بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) اى يا أهل مكة (قوله في جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لاهل مكة مع ان صنع داود لم يكن في زمنهم فأفاد انها نعمة اتصلت بمن بعده الى ان كانوا من جملتهم (قوله و بالفوقانية للبوس) اى لانه بمعنى الدرع وهي تؤنث (قوله ولسليمان الريح) عبر باللام اشارة الى ان الله ملكه الريح وجعلها ممتثلة لامره وعبر بمع في حق داود لان الجبال والطير قد صاحباه في التسبيح واشتركا معه (قوله اى شديدة الهبوب الخ) لف ونشر مرتب (قوله تجرى بامره) حال (قوله الى الارض التى باركنا فيها) اى لانها مقره فكان ينتقل منها و يرجع اليها قال وهب كان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريره وكان امرأ غازيا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا أتاه حتى يذله وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس و يرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الارض مشرقا ومغربا بالملك سلطنة وحكم واما رسالته فكانت لبني اسرائيل (قوله ومن الشياطين) اى الكفار منهم (قوله وغيره) أى كالنورة والطاحون والقوارير والصابون فان ذلك من استخراجاتهم (قوله لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل الخ) قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله و يخرب به (قوله وأيوب) قدر اذكر اشارة الى ان أيوب معمول لمحذوف (قوله و يبدل منه) اى من أيوب والمعنى اذكر قصة أيوب اذ نادى ربه ففي الحقيقة الابدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسيأتي (قوله لما ابتلى) متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) اى فجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور وحاصل قصته باختصار ان أيوب كان رجلا من الروم وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخي ابراهيم وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له اهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكرا لانعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات فيقف فيهن من حيث ما اراد

للسيد داود (وعلمناه صنعة لبوس) وهي الدرع لانها تلبس وهو اول من صنعها وكان قبلها صفائح (لكم) في جملة الناس (لتحصنكم) بالنون لله و بالتحتانية لداود و بالفوقانية للبوس (من باسكم) حربكم مع أعدائكم (فهل أنتم) يا اهل مكة (شاكرون) نعمي بتصديق الرسول اى اشكروني بذلك (و) سخرنا (لسليمان الريح عاصفة) وفي آية اخرى رخاء اى شديدة الهبوب وخفيفته بحسب ارادته (تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها) وهي الشام (وكنا بكل شيء عالمين) من ذلك علمه تعالى بان ما يعطيه سليمان يدعوه الى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه (و) سخرنا (من الشياطين من يغوصون له) يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (و يعملون عملا دون ذلك) اى سوى الغوص من البناء وغيره (وكنا لهم حافظين) من ان يفسدوا ما عملوا لانهم كانوا اذا فرغوا من عمل قبل الليل افسدوه ان لم يشغلوا بغيره (و) اذكر (أيوب) و يبدل منه (اذ نادى ربه) لما ابتلى بفقد جميع ماله و ولده و تمزيق جسده و هجر جميع الناس له الا زوجته سنين ثلاثا او سبعا

فسمع صلاة الملائكة على ايوب فحسده وقال الهى نظرت فى عبدك ايوب فوجدته شاكرا حامدا لك ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك فقال الله له انطلق فقد سلطتك على ماله فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال ايوب فقال عفريت اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شيء آتى عليه قال ابليس اذهب فائت الابل ورعاتها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها ثم جاء ابليس فى صورة القيم على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلى فقال له أحرقت نار ابلك ورعاتها فقال ايوب الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها ثم سلط عفريتا على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فماتوا جميعا وعلى الحرث فتحول ريحا عاصفا فاطارها ثم جاء ابليس واخبر ايوب بذلك فحمد الله واثنى عليه فلما راى انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد الى السماء وقال يارب سلطنى على اولاده فقال له انطلق فقد سلطتك على أولاده فذهب اليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعا ثم جاء فى صورة المعلم الذى يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه فاخبره بموت اولاده وفصل له ذلك حتى رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت امى لم تلدنى ففرح ابليس وصعد الى السماء سريعا لينظر ما يفعل به فاوحى الله الى ايوب انه ابليس فاستغفر فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يارب سلطنى على جسده فقال له انطلق فقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله فانقض عدو الله سريعا فاتاه فوجده ساجدا فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج منها ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى تقطع جسده وأنتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وهجره الناس كلهم الا زوجته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تخدمه وتاتيه بالطعام وهجره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دينهم ونقل ان سبب قوله أنى مسنى الضر ان الدود قصد قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر ولا ينافى صبره قوله انى مسنى الضر لانه شكوى للخالق وهي لا تنافى الصبر ان قلت ان الانبياء يستحيل عليهم المنفر من الامراض اجيب بان ما نزل به ليس من المنفرات فى شيء وانما هو حرارة وحكة ظهرت من آثار نفخ اللعين ابليس واعظم الله ضرها لخصوص ايوب تعظيما لقدره لان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل كما ورد بذلك الحديث (قوله او ثمانى عشرة) هذا هو الصحيح (قوله وضيق) اما فعل مبنى للمفعول عطف على ابتلى أو مصدر عطف على فقد (قوله وانت ارحم الراحمين) تعريض بطلب الرحمة (قوله فاستجبنا له نداءه) اى الذى فى ضمنه الدعاء (قوله فكشفنا ما به من ضر) روى ان الله قال له اركض برجلك الارض فركض فخرجت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان وهو معنى قوله تعالى فى سورة ص اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (قوله بان احيوا له) اى لانهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم وقيل رزقه الله مثلهم روى ان امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا (قوله ثلاث اوسبع) اى فجملتهم ستة أو اربعة عشر (قوله وكان له اندر) هو الموضع الذى يدرس فيه الطعام (قوله افرغت احداهما على اندر القمح والذهب) اى لمناسبته له فى الحمرة وكذا يقال فيما بعده (قوله وذكرى للعابدين) خصهم لانهم المنتفعون بذلك (قوله واسمعيل) عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات ابوه تسع وثمانون سنة وقصة صبره على الذبح ستاتى مفصلة فى سورة الصافات (قوله وادريس) هو جد

أو ثمانى عشرة وضيق عيشته (انى) بفتح الهمزة بتقدير الباء (مسنى الضر) أى الشدة (وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له) نداءه (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله) أولاده الذكور والاناث بان احيوا له وكل من الصنفين ثلاث اوسبع (ومثلهم معهم) من زوجته وزيد فى شبابها وكان له اندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين افرغت احداهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض (رحمة) مفعول له (من عندنا) صفة (وذكرى للعابدين) ليصبروا فيثابوا (و) اذكر (اسمعيل وادريس

(وذا الكفل كل من الصابرين) على طاعة الله وعن معاصيه (وادخلناهم فى رحمتنا) من النبوة (انهم من الصالحين) لها وسمى ذا الكفل لانه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وان يقضى بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبيا (و) اذكر (ذا النون) صاحب الحوت وهو يونس بن متى و يبدل منه (اذ ذهب مغاضبا) لقومه اى غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له فى ذلك (فظن ان لن نقدر عليه) اى نقضى عليه بما قضينا من حبسه فى بطن الحوت او نضيق عليه بذلك (فنادى فى الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (ان) اى بان (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) فى ذهابى من بين قومى بلا اذن (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بتلك الكلمات (وكذلك) كما نجيناه (ننجى المؤمنين) من كربهم اذا استغاثوا بنا داعين (و) اذكر (زكريا) ويبدل منه (اذ نادى ربه) بقوله (رب لا تذرنى فردا) اى بلا ولد يرثنى (وانت خير الوارثين) الباقى بعد فناء خلقك (فاستجبنا له) نداءه (ووهبنا له يحيى) ولدا (واصلحنا له زوجه) فاتت بالولد بعد عقمها (انهم) اى من ذكر من الانبياء (كانوا يسارعون) يبادرون (فى الخيرات) الطاعات (ويدعوننا رغبا) فى رحمتنا (ورهبا) من عذابنا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين فى عبادتهم

نوح ولد فى حياة آدم قبل موته بمائة سنة و بعث بعد موته بمائتى سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فجملة عمره أربعمائة وخمسون سنة وكان بينه وبين نوح ألف سنة (قوله وذا الكفل) هذا لقبه واسمه بشر وهو ابن ايوب (قوله وادخلناهم) معطوف على محذوف تقديره فاعطيناهم ثواب الصابرين وادخلناهم الخ (قوله لانه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) اى فكان يصوم النهار و يصلى بالليل ولا يفتر وكان ينام وقت القيلولة وكان لا ينام الا تلك النومة فامتحنه ابليس لينظر هل يغضب ام لا فاتاه ابليس حين اخذ مضجعه فدق عليه الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم بينى و بين قومى خصومة وانهم ظلمونى فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له اذا قعدت للحكم فائتنى أخلص حقك فلما جلس للحكم لم يجده فلما رجع الى القائلة من الغد اتاه ودق الباب فقال له من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال الم أقل لك اذا قعدت للحكم فائتنى فقال ان خصومى أخبث قوم اذا علموا انك قاعد قالوا نعطيك حقك واذا قمت جحدونى فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة جاءه ابليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له اتنام والخصوم ببابك فعرف انه عدو الله وقال فعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أى بل كان عبدا صالحا والصحيح انه نبي قيل بعث الى رجل واحد (قوله وذا النون) لقب ليونس وجمعه انوان ونينان وهو اسم للحوت كبيرا او صغيرا (قوله ابن متى) اسم ابيه وقيل اسم أمه (قوله و يبدل منه) اى بدل اشتمال (قوله مغاضبا لقومه) اى لا لربه لان خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب فلم ينزل بهم ظن انه ان بقى بينهم قتلوه لانهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله اى غضبان عليهم) أشار بذلك الى ان المفاعلة ليست على بابها (قوله اى نقضى عليه بما قضينا) اشار بذلك الى ان معنى ان لن نقدر عليه نقضي عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء والمعنى فظن اننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أو نضيق عليه) اى فمعنى نقدر نضيق كما فى قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التى هى ضد العجز (قوله من حبسه فى بطن الحوت) اى وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوما او سبعة ايام او ثلاثة او اربع ساعات واوحى الله الى ذلك الحوت لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فانه ليس رزقا لك وانما جعلتك سجنا له * وحاصل ذلك انه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى توعدهم به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقفت فى لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضربوها فخرجت على يونس فالقوه فى البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه اياه فدعا ربه فالقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تأتيه غزالة صباحا ومساء فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع الى قومه فآمنوا به جميعا قال تعالى وارسلناه الى مائة ألف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين (قوله ان لا اله الا انت) ان اما مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وما بعدها خبرها او تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتماله على التهليل والتسبيح والاقرار بالذنب ولذا ورد فى الحديث ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له (قوله وزكريا) معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله اى بلا ولد يرثنى) اى فى العلم والنبوة (قوله بعد عقمها) المراد به انسداد الرحم عن الولادة (قوله انهم كانوا يسارعون) علة لمحذوف اى قالوا ما قالوا الا انهم الخ (قوله رغبا ورهبا) اما منصوبان على المفعول من

(و) اذكر مريم (التى احصنت فرجها) حفظته من أن ينال (فنفخنا فيها من روحنا) أى جبريل حيث نفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى (وجعلناها وابنها آية للعالمين) الانس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل (ان هذه) اى ملة الاسلام (امتكم) دينكم ايها المخاطبون اى يجب أن تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة (وانا ربكم فاعبدون) وحدون (وتقطعوا) اى بعض المخاطبين (امرهم بينهم) اى تفرقوا امر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال تعالى (كل الينا راجعون) اى فجازيه بعمله (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران) اى جحود (لسعيه وانا له كاتبون) بان نامر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه (وحرام على قرية اهلكناها) اريد اهلها (انهم لا) زائدة (يرجعون) اى ممتنع رجوعهم الى الدنيا (حتى) غاية لامتناع رجوعهم (اذا فتحت) بالتخفيف والتشديد ياجوج وماجوج) بالهمز وتركه اسمان اعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف اى سدهما وذلك قرب القيامة

أجله أو على انهما واقعان موقع الحال أى راغبين راهبين (قوله والتى أحصنت فرجها) صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك المفسر بقوله واذكر مريم (قوله من أن ينال) أى يصل اليه أحد بحلال أو حرام ان قلت المزية ظاهرة فى حفظه من الحرام واما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه أجيب بان الترهب كان مشروعا لهم أو لتكون ولادتها خارقة للعادة (قوله حيث نفخ فى جيب درعها) أى أمرناه نفعل ذلك أو المراد نفخنا فيها بعض الارواح المخلوقة لنا وهى روح عيسى (قوله آية للعالمين) لم يقل آيتين لان كلا من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة أو فيه الحذف من الاول لدلالة الثانى عليه (قوله ان هذه أمتكم) أشار المفسر الى أن اسم الاشارة يعود على ملة الاسلام والامة فى الاصل الجماعة ثم أطلقت على الملة لانها تستلزم الاجتماع والمعنى أن ملة الاسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم الى محمد فلا تغيير ولا تبديل فى أصول الدين وانما التغاير فى الفروع فمن غير وبدل فى الملة فهو خارج عنها ضال مضل وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع ما يتوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل (قوله حال لازمة) أى من أمة وقيل بدل من هذه ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبر ان نحو ان زيدا قائم أخاك وأمتكم بالرفع خبر ان وقرئ شذوذا بالنصب على انه بدل من هذه أو عطف بيان (قوله فاعبدون) ان كان الخطاب للمؤمنين فمعناه دوموا على العبادة وان كان الخطاب للكفار فمعناه انشاء العبادة والتوحيد (قوله وتقطعوا أمرهم) أى تفرقوا فى أمرهم واختلفوا فى دينهم وهذا اخبار من الله بان الجميع لم يكونوا على دين واحد لسبق حكمته البالغة بذلك والحكمة فى ذكر العبادة هنا والتقوى فى المؤمنون وذكر الواو هنا والفاء هناك قيل تفنن وقيل لان الخطاب هنا للكفار فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك للرسل فناسبه ذكر التقوى وأتى بالواو هنا لانها لا تقتضى الترتيب وهو المراد هنا فان التفرق كان حاصلا من قبل بخلاف ما يأتى فان التفرق حصل بعد ارسال الرسل فناسبه الفاء (قوله وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم له بل هذه الامة افترقت ثلاثا وسبعين فرقة اثنان وسبعون فى النار وواحدة ناجية كما فى الحديث (قوله كل الينا راجعون) تهديد للكفار والمعنى أن الله تعالى لا يفلت احدا بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع اليه (قوله من الصالحات) اى الاعمال الحسنة من فرض ونفل (قوله فلا كفران لسعيه) اى لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه فالكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار فشبه منع الثواب بالكفر والجحود (قوله وانا له كاتبون) اى حافظون للعمل فلا يضيع منه شئ (قوله وحرام) خبر مقدم وانهم لا يرجعون مبتدأ مؤخر والمعنى رجوع اهل قرية اهلكناها ممتنع وقوله الى الدنيا اى الى البقاء والمعيشة فيها وقيل الى الايمان يعنى ان رجوعهم الى الايمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (قوله غاية لامتناع رجوعهم) اى فهى متعلقة بحرام غاية لما قبلها ويصح ان تكون ابتدائية وتكون الجملة مستأنفة (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالهمز وتركه) قراءتان سبعيتان (قوله اسم قبيلتين) اى من بنى آدم يقال انهم تسعة أعشار بنى آدم وتقدمت قصتهم (قوله وذلك قرب القيامة) اى بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتى ويمكث اربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كباقى الايام وفى الحديث فقلنا يارسول الله فى اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فينزل عيسى على منارة بنى أمية شرقى دمشق عليه حلتان ممصرتان فيقتله ثم يخرج ياجوج وماجوج من السد فيحصل للخلق جدب

عظيم

عظيم حتى تكون رأس الثور خيرا من مائة دينار ثم يدعو الله عيسى فيرسل الله عز وجل النغف فى رقابهم
فيهلكون جميعا فتملأ رممهم وجيفهم الارض فيدعو الله عيسى فيرسل الله عليهم طيرا كاعناق البخت
فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا فيغسل الارض من آثارهم ثم يقول الله للارض
أنبتي ثمرك فيكثر الرزق جدا و يستقيم الحال لعيسى والمؤمنين فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم ريحا
لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فى الارض كتهارج الحمر فعليهم تقوم
الساعة و بين موت عيسى والنفخة الاولى مائة وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما ان الشهر بقدر
جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسى والنفخة الاولى قدر ثنتى عشرة سنة من السنين
المعتادة وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس
من مغربها ونزول عيسى ابن مريم و يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (قوله وهم من
كل حدب ينسلون) أى يأجوج ومأجوج ينتشرون فى الارض و يسرعون فيها من كل مرتفع من
الارض (قوله واقترب الوعد) عطف على فتحت (قوله اى القصة) أشار بذلك الى ان الضمير للقصة
وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر هى والتعقيب عرفى لان التفاوت القليل كالعدم
فاندفع ما يقال انه رتب الشخوص على فتح السد واقتراب الساعة مع ان الشخوص لا يوجد الا يوم
القيامة (قوله يقولون ياويلنا) أشار بذلك الى ان ياويلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين)
اضراب عن قولهم قد كنا فى غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الاوثان) خصها
بالذكر لانها كانت معظم معبوداتهم والا فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين فى النار (قوله
وقودها) اى وسمى حصبا لانه يرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء (قوله لو كان هؤلاء آلهة الخ) تبكيت
عليهم (قوله زفير) أى أنين وتنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أى فعدم سماعهم لشدة غليان النار
عليهم لما وردا اذا بقى من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى ثم
تلك التوابيت فى توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم ان فى النار أحدا
يعذب غيره (قوله ونزل لما قال ابن الزبعرى الخ) حاصل ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث
فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل ابن الزبعرى وهو بكسر الزاى وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء
مقصورا وقد أسلم بعد ذلك فاخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم فقال أما والله لو وجدته
لخصمته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبعرى أنت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح و بنو مدلج يعبدون الملائكة فقال
النبى صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فنزلت هذه الآية ردا عليه
(قوله المنزلة الحسنى) اى الدرجة والرتبة الحسنى او المراد الكلمة الحسنى وهى لا اله الا الله
اوالمراد السعادة الابدية (قوله ومنهم من ذكر) اى العزير وعيسى والملائكة والمعنى ان كل
من سبقت له الحسنى سواء عبد أولا فهو مبعد عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) اى عن جهنم
ان قلت كيف ذلك مع قوله تعالى وان منكم الا واردها والورود يقتضى القرب منها أجيب بان
المراد مبعدون عن عذابها وألمها فان المؤمنين اذا مروا على النار تخمد وتقول جزيا مؤمن فان نورك
قد أطفأ لهبى وهذا لا ينافى الورود (قوله لا يسمعون حسيسها) اى حركة لهبها وفى هذا تأكيد

(وهم من كل حدب) مرتفع
من الارض (ينسلون)
يسرعون (واقترب الوعد
الحق) اى يوم القيامة
(فاذا هى) اى القصة
(شاخصة ابصار الذين
كفروا) فى ذلك اليوم لشدته
يقولون (يا) للتنبيه (ويلنا)
هلاكنا (قد كنا) فى الدنيا
(فى غفلة من هذا) اليوم (بل
كنا ظالمين) أنفسنا بتكذيبنا
للرسل (انكم) يا أهل مكة
(وما تعبدون من دون الله)
اى غيره من الاوثان
(حصب جهنم) وقودها
(أنتم لها واردون) داخلون
فيها (لو كان هؤلاء)
الاوثان (آلهة) كما زعمتم
(ماوردوها) دخلوها
(وكل) من العابدين
والمعبودين (فيها خالدون
لهم) للعابدين (فيها زفير
وهم فيها لا يسمعون) شيئا
لشدة غليانها * ونزل لما قال
ابن الزبعرى عبد عزير
والمسيح والملائكة فهم فى
النار على مقتضى ما تقدم
(ان الذين سبقت لهم منا)
المنزلة (الحسنى) ومنهم من
ذكر (أولئك عنها مبعدون
لا يسمعون حسيسها)
صوتها (وهم فيما
اشتهت أنفسهم) من
النعيم (خالدون)

(هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فى الدنيا (يوم) منصوب باذكر مقدرا قبله (نطوى السماء كطى السجل) اسم ملك (للكتاب) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة او السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كما بدأنا اول خلق) عن عدم (نعيده) بعد اعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد الى اول وما مصدرية (وعدا علينا) منصوب بوعدنا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (انا كنا فاعلين) ما وعدنا (ولقد كتبنا فى الزبور) بمعنى الكتاب اى كتب الله المنزلة (من بعد الذكر) بمعنى ام الكتاب الذى عند الله (ان الارض) ارض الجنة (يرثها عبادى الصالحون) عام فى كل صالح (ان فى هذا) القرآن (لبلاغا) كفاية فى دخول الجنة (لقوم عابدين) عاملين به (وما ارسلناك) يا محمد (الا رحمة) اى للرحمة (للعالمين) الانس والجن بك (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) اى ما

بعدهم عنها (قوله لايحزنهم الفزع الاكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع اثر بيان نجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد الى النار) اى الكافر وقيل هو حين تغلق النار على اهلها و ييأسون من الخروج وقيل هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادى يا اهل النار خلود بلا موت وقيل هو جميع اهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك وقيل تستقبلهم على ابواب الجنة ولا مانع انها تستقبلهم فى الحالين (قوله اسم ملك) أى فى السماء الثالثة وعلى هذا فالمصدر مضاف لفاعله فان هذا الملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه (قوله واللام زائدة) اى والكتاب مفعوله (قوله او السجل الصحيفة) اى والمعنى كطى الصحف على مكتوبها وعليه فهو من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على ما فيها (قوله وفى قراءة) اى سبعية أيضا (قوله جمعا) أى وأما على قراءة الافراد فأل للجنس (قوله كما بدأنا اول خلق) اى كما بدأناهم فى بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق واضافة اول له من اضافة الصفة للموصوف والمعنى كما بدأنا المخلوق الاول نعيده ثانيا (قوله بعد اعدامه) هذا احد قولين لاهل السنة والقول الثانى ان الاعادة بعد تفرق الاجزاء قال فى الجوهرة

وقل يعاد الجسم بالتحقيق * عن عدم وقيل عن تفريق

(قوله وما مصدرية) اى وبدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف واول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدا علينا) اى فعلينا انجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على انفاذه (قوله لمضمون ما قبله) اى الجملة الخبرية (قوله انا كنا فاعلين) توكيد لما قبله (قوله بمعنى الكتاب) اى فال فى الزبور للجنس والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) اى وهو اللوح المحفوظ (قوله ان الارض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) اى من هذه الامة وغيرها من الامم والمراد بالصلاح الموت على الايمان والمعنى ان المؤمنين يرثون الجنة ويتنعمون فيها على قدر اعمالهم وعبر بالميراث لانه ملك مستمر يأتى من غير تكسب واما من مات على الكفر فليس له فى الجنة نصيب لان الجنة عزيزة عند الله فلا يعطيها لاعدائه واما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لما فى الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء ومعناه لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه ولو كانت باقية ما نعم الكافر فيها لهوانه عليه فقدر الله فى الازل ان الدنيا فانية زائلة لا قدر لها عنده فنعم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) اى من حيث انه يوصل لمراضى الله تعالى فى الدنيا ويؤنس صاحبه فى القبر ويوضع فى الميزان ويرقى به فى درجات الجنة (قوله عاملين به) أى ممتثلين اوامره مجتنبين نواهيه (قوله اى للرحمة) أشار بذلك الى ان رحمة منصوب على انه مفعول لاجله ويصح ان يكون منصوبا على الحال اى انه نفس الرحمة لما ورد ان الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة او على حذف مضاف اى ذا رحمة أو راحما لما فى الحديث انما انا رحمة مهداة (قوله الانس والجن) اى برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لانه رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ورحمة ايضا من حيث انه جاء بما يرشد الخلق الى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له فى الدنيا فقط (قوله قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد) اعلم ان فى هذه الآية قصرين الاول قصر الصفة على الموصوف والثانى بالعكس والمعنى كما قال المفسر ما يوحى الى فى أمر الاله الا اختصاصه بالوحدانية ففيه رد على الكفرة الذين يعبدون غير الله (قوله بمعنى الامر) اى فالمراد منه التحضيض على الاسلام لا الاستفهام عنه (قوله اعلمتكم بالحرب) اى انذرتكم به والمراد بالحرب محاربته هو واصحابه لهم والمعنى اعلمتكم بانى محاربكم

يوحى الى فى امر الاله الا وحدانيته (فهل انتم مسلمون) منقادون لما يوحى الى من وحدانية الاله والاستفهام بمعنى الامر (فان تولوا) عن ذلك (فقل آذنتكم) اعلمتكم بالحرب (على سواء) حال من الفاعل والمفعول أى مستوين فى علمه لا أستبد به

عاربكم والحال انى وأنتم مستوون فى العلم بنقض الصلح لئلا ينسب للغدر المذموم فاعله (قوله لتتاهبوا) اى لتستعدوا وتتهيؤا له وهو علة للنفى لا للمنفى فالمعنى لا أستبد به بل اعلمكم لتتاهبوا (قوله وان أدرى اقريب ام بعيد ما توعدون) اى لا أدرى الوقت الذى يحل بكم العذاب فيه وانما علمه موكول الى الله والمراد بالعذاب تعذيبه اياهم بحربه فى الدنيا وقوله او القيامة اى تعذيبهم بالنار (قوله انه يعلم الجهر من القول) اى ما تقولونه جهرا مما لا يليق (قوله والفعل) اشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء (قوله اى ما أعلمتكم به) اى وهو تاخير العذاب عنهم فى الدنيا (قوله اختبار لكم) اى معاملتكم معاملة المختبر (قوله وهذا مقابل للاول الخ) حاصله ان قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه واما قوله ومتاع الى حين فهو محقق الحصول والاحسن ان يجعل قوله ومتاع خبر المحذوف تقديره وهذا امتاع الى حين اى اى وتاخير عذابكم متاع اى تمتع لكم الى وقت فراغ الاجل والجملة مستانفة (قوله وفى قراءة قال) اى وهى سبعية ايضا فالاولى امر والثانية اخبار عن مقالته (قوله احكم بالحق) اى عجل النصر لى والعذاب لاعدائى (قوله والخندق) المناسب حذفه لانه هو الاحزاب (قوله المستعان) اى الذى تطلب منه الاعانة (قوله على ما تصفون) اى على وصفكم لربكم ولنبيه بالنقائص فقد امر رسول الله بتفويض الامر الى الله والصبر على المشاق تعليما لامته حسن الالتجاء الى ربهم

سورة الحج مكيه

سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله الا ومن الناس الخ) هذا احد قولين فى المدنى منها (قوله أو الا هذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أى وتنتهى الى صراط الحميد لكن اربع آيات منها متعلقات بالكفار وآيتان متعلقتان بالمؤمنين وقيل ان السورة كلها مدنية وقيل الا اربع آيات من قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الى قوله عذاب مقيم فهى مكيات والتحقيق انها مختلطة منها مكى ومنها مدنى وهى من اعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا وسفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها (قوله أو ثمان وسبعون آية) اى انها سبعون آية جزما والخلاف فى النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله اى اهل مكة) اما برفع اهل على ان اى حرف تفسير واهل تفسير للناس او نصبه على ان اى حرف نداء واهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع او النصب واشار بذلك الى ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بان تطيعوه) اى بفعل المامورات واجتناب المنهيات (قوله ان زلزلة الساعة الخ) تعليل للامر بالتقوى والمعنى اتقوا ربكم لتامنوا من المخاوف فان من دخل حضرته امن من كل ما يزعج قال تعالى ان المتقين فى مقام أمين واضافة زلزلة للساعة من اضافة المصدر لفاعله والمفعول محذوف تقديره الارض واسناد الزلزلة للساعة مجاز عقلى لانها مقدمتها ومن علامتها الكبرى لما روى فى حديث الصور انه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين وان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الارض كالسفينة تضربها الامواج او كالمنديل المعلق تحركه الرياح (قوله اى الحركة الشديدة) اى وتكون تلك الحركة فى نصف رمضان (قوله التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها) اشار المفسر بذلك الى ان تلك الزلزلة تكون فى الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها ويقوى هذا القول قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت الآية والرضاع والحمل انما هو فى الدنيا وقيل تكون مع النفخة الاولى وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية وحينئذ يكون قوله تذهل

دونكم لتتاهبوا (وان) ما (أدرى اقريب أم بعيد ما توعدون) من العذاب او القيامة المشتملة عليه وانما يعلمه الله (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) والفعل منكم ومن غيركم (ويعلم ما تكتمون) انتم وغيركم من السر (وان) ما (ادرى لعله) أى ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فتنة) اختبار (لكم) ليرى كيف صنعكم (ومتاع) تمتع (الى حين) اى انقضاء آجالكم وهذا مقابل للاول المترجى بلعل وليس الثانى محلا للترجى (قل) وفى قراءة قال (رب احكم) بينى وبين مكذبى (بالحق) بالعذاب لهم او النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد والاحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من كذبكم على الله فى قولكم اتخذ ولدا وعلى فى قولكم ساحر وعلى القرآن فى قولكم شعر

سورة الحج مكية الا ومن الناس من يعبد الله الآيتين والا هذان خصمان الست آيات فمدنيات وهى اربع اوخمس أوست او سبع اوثمان وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياايها الناس) اى اهل مكة وغيرهم (اتقوا ربكم) اى عقابه بان تطيعوه (ان زلزلة الساعة) اى الحركة الشديدة للارض التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذى هو قرب الساعة (شيء عظيم) فى ازعاج الناس الذى هو نوع العقاب (يوم ترونها تذهل) بسببها

(كل مرضعة) بالفعل (عما ارضعت) اى تنساه (وتضع كل ذات حمل) اى حبلى (حملها وترى الناس سكارى) من شدة الخوف (وما هم بسكارى) من الشراب (ولكن عذاب الله شديد) فهم يخافونه ونزل فى النضر بن الحرث وجماعة (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين وانكروا البعث واحياء من صار ترابا (ويتبع) فى جداله (كل شيطان مريد) اى متمرد (كتب عليه) قضى على الشيطان (انه من تولاه) اى اتبعه (فانه يضله ويهديه) يدعوه (الى عذاب السعير) اى النار (يا أيها الناس) اى اهل مكة (ان كنتم فى ريب) شك (من البعث فانا خلقناكم) اى اصلكم آدم (من تراب ثم) خلقنا ذريته (من نطفة) منى (ثم من علقة) وهى الدم الجامد (ثم من مضغة) وهى لحمة قدر ما يمضغ (مخلقة) مصورة تامة الخلق (وغير مخلقة) اى غير تامة الخلق (لنبين لكم) كمال قدرتنا لتستدلوا بها فى ابتداء الخلق على اعادته (ونقر) مستانف (فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى) وقت خروجه (ثم نخرجكم) من بطون امهاتكم (طفلا) بمعنى اطفالا (ثم) نعمركم (لتبلغوا اشدكم) اى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين سنة (ومنكم من يتوفى) يموت قبل بلوغ الاشد (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) اخسه من الهرم والخرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة

قرأ

كل مرضعة مبالغة اى ان الزلزلة من شدة هولها وعظمة شانها ان تذهل كل مرضعة عن ولدها (قوله كل مرضعة بالفعل) والمعنى مباشرة للارضاع (قوله عما ارضعت) يصح ان تكون ما مصدرية اى عن ارضاعها ويصح ان تكون ما موصولة اى عن الذى ارضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان فى بطن أو على رأس شجرة واما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه الاحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الخ فما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأهما عليهم فلم ير باكيا أكثر من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل فى الله) اى فى قدرته وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وانكروا البعث) اى حيث قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (قوله مريد) أى عات والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وهو الاقرب لقوله فى الآية الاخرى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبنى للمفعول وان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر نائب فاعل (قوله من تولاه) اما شرطية والفاء واقعة فى جوابها أو موصولة والفاء زائدة فى الخبر لشبه المبتدأ بالشرط (قوله يدعوه) اى وسمى الدعاء هداية تهكما بهم (قوله اى النار) اشار بذلك الى ان المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة المسماة بذلك (قوله يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر من يجادل فى قدرة الله بغير علم وكان جدالهم فى البعث ذكر دليلين على ذلك الاول فى نفس الانسان وابتداء خلقه والثانى فى الارض وما يخرج منها فاذا تامل الانسان فيهما ثبت عنده البعث وانه واقع لا محالة (قوله ثم من علقة) اى بان تصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى فى سورة المؤمنون ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة لما ورد ان النطفة اذا وقعت فى الرحم واراد الله ان يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث اربعين يوما ثم تصير دما فى الرحم فذلك جمعها وهو وقت جعلها علقة واتفقوا على ان نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك اربعة اشهر (قوله تامة الخلق) اى تامة التصوير بان خلق الرأس واليدان والرجلان (قوله اى غير تامة الخلق) اى غير تامة التصوير بان لم يخلق فيها شيء من ذلك (قوله كمال قدرتنا) قدره اشارة الى ان مفعول نبين محذوف (قوله ونقر فى الارحام ما نشاء) اى فلا تسقطه الرحم (قوله الى اجل مسمى) اى معين لاخراجه فتارة يخرج لستة اشهر وتارة لاكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وافرده لانه مصدر فى الاصل أو لانه يراد به الجنس أو لان المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغيف اى كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال الى البلوغ (قوله الى ارذل العمر) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والخرف) بفتحتين هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعلق بيرد اى لكيلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا ليعود كهيئته الاولى فى اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) اى فهو مخصوص بغير من

قرأ القرآن والعلماء وأماهم فلا يردون الى الارذل بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم كما هو مشاهد (قوله وترى الارض هامدة) هذا هو الدليل الثانى على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أى فى رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بان الله هو الحق) أى هذا الصنع بسبب انه تعالى هو الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا ابدا الموجد للاشياء على طبق علمه وارادته (قوله وان الساعة آتية) توكيد لقوله وانه يحيى الموتى وكذا قوله وان الله يبعث من فى القبور (قوله ونزل فى أبى جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا بابى الحكم (قوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الاول والمعنى ان الكفار تنوعوا فى كفرهم فبعضهم كان يقلد غيره فى الكفر وقد دلت الآية الاولى على هذا القسم وبعضهم كان قدوة يقتدى به غيره فى الضلال والكفر وقد دلت هذه الآية عليه وبعضهم كان يدخل الاسلام باللسان وفى قلبه الريب والشك وهو الآتى فى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وحينئذ فليس فى الآية تكرار (قوله بغير علم) اى معرفة وقوله ولا هدى اى استدلال وقوله ولا كتاب اى وحى والمعنى انه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثانى عطفه) أى لاوى جنبه والمراد منه الاعراض عن الحق لان شان من أعرض عن شئ لوى جنبه عنه فشبه عدم التمسك بالحق بلى الجانب واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الاعراض فى كل على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية والعامة على كسر العين وهو الجانب وقرئ شذوذا بفتحها وهو مصدر بمعنى التعطف كانه قال تاركا تعطفه اى رحمته وتمسك بالقسوة (قوله اى لاوى عنقه) الاوضح ان يقول جنبه لان العطف بالكسر الجانب الا ان يقال يلزم من لى الجانب لى العنق (قوله ليضل) متعلق بيجادل وقوله بفتح الياء أى فهو فعل لازم والمعنى ليحصل له الضلال فى نفسه وقوله وضمها اى فهو متعد والمعنى ليوقع غيره فى الضلال وهما قراءتان سبعيتان واللام للعاقبة والصيرورة (قوله عذاب) فى بعض النسخ زيادة ثقيل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التنوين على حد شر أهر ذا ناب (قوله عذاب الحريق) من اضافة الموصوف لصفته أى العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أى من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب (قوله ذلك) أى ماذكر من الخزى وعذاب الحريق (قوله عبر عنه بهما الخ) جواب عما يقال لم خص اليدين بالذكر مع أن الفاعل هو الشخص ذاته (قوله تزاول) أى تعالج (قوله وان الله) عطف على قدمت (قوله أى بذى ظلم) أى فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار ودفع بذلك ما يقال ان نفى الكثرة يستدعى ثبوت أصل الظلم مع انه مستحيل لان الظلم التصرف فى ملك الغير بغير اذنه ولا ملك لاحد معه لان حكمه فى ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يسئل عما يفعل وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على احكام الله تعالى وانما يرضى ويسلم ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أى وسماه ظلما لانه وعد الطائع بالجنة ووعده لا يتخلف لكن لو فرض لم يكن ظالما (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت فى المنافقين وأعراب البوادى كان احدهم اذا قدم المدينة فصح فيها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمان له وان اصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت فى هذا الدين الا شرا فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أى متزلزلا وقد صار مثلا لكل من كان عنده شك فى شئ (قوله اى شك فى عبادته) اى ضعف يقين فيها (قوله شبه بالحال على حرف جبل فى عدم ثباته) اشار بذلك الى أن فى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الاسلام من غير اعتقاد وصحة قصد

(وترى الارض هامدة) يابسة (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت (وربت) ارتفعت وزادت (وانبتت من) زائدة (كل زوج) صنف (بهيج) حسن (ذلك) المذكور من بدء خلق الانسان الى آخر احياء الارض (بان) بسبب أن (الله هو الحق) الثابت الدائم (وانه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لا ريب) شك (فيها وان الله يبعث من فى القبور) ونزل فى ابى جهل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى) معه (ولا كتاب منير) له نور معه (ثانى عطفه) حال اى لاوى عنقه تكبرا عن الايمان والعطف الجانب عن يمين اوشمال (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيل الله) اى دينه (له فى الدنيا خزى) عذاب فقتل يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أى الاحراق بالنار ويقال له (ذلك بما قدمت يداك) اى قدمته عبر عنه بهما دون غيرهما لان اكثر الافعال تزاول بهما (وان الله ليس بظلام) اى بذى ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب (ومن الناس من يعبد الله على حرف) اى شك فى عبادته شبه بالحال على حرف جبل فى عدم ثباته (فان اصابه خير) صحة وسلامة فى نفسه وماله

بحال الجالس على طرف جبل تحته مهاوى بجامع التزلزل وعدم الثبات فى كل (قوله اطمأن به) اى رضى به وسكن اليه (قوله فتنة) المراد بها هنا كل مكروه للطبع وثقيل على النفس ولم يقل وان اصابه شر ليقع فى مقابلة الخير لان ما ينفر عنه الطبع ليس شرا فى نفسه بل قد يكون خيرا اذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله انقلب على وجهه) اى ارتد للحالة التى كان عليها أولا من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بفوات ما امله) اى وهو كثرة ماله واجتماعه باحبائه (قوله ذلك هو الخسران المبين) اى الذى لا خسران مثله لفوات حظه من الدنيا والآخرة (قوله من الصنم) لا مفهوم له بل مثله كل مخلوق والحاصل ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية تقال ايضا لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق معتمدا على ذلك المخلوق واما الالتجاء للمخلوق من حيث انه مهبط الرحمات كمواصلة آل البيت والاولياء والصالحين فهو مطلوب وهو فى الحقيقة التجاء للخالق يقرب ذلك ان الله تعالى امرنا بالجلوس فى المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها وما ذاك الا للتعرض للرحمة النازلة فى تلك الاماكن والازمان فلا فرق بين الاشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمات لا منشؤها تامل (قوله اللام زائدة) اى ومن مفعول يدعو وضره مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة من ان قلت انه اثبت الضر والنفع هنا ونفاهما فيما تقدم فقد حصل التعارض والتناقض أجيب بان النفى باعتبار ما فى نفس الامر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره اشارة الى ان المخصوص بالذم محذوف (قوله وعقب ذكر الشاك بالخسران) الجار والمجرور حال من الشاك والباء للملابسة وقوله بذكر المؤمنين متعلق بعقب والمعنى لما ذكر الشاك فى الدين حال كونه ملتبسا بالخسران ذكر عقبه المؤمنين وما اعد لهم من الثواب الجزيل (قوله من الفروض) اى وهى ما امر بها المكلف امرا جازما يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والنوافل هى ما امر بها الشخص امرا غير جازم يترتب على فعلها الثواب وليس فى تركها عقاب (قوله تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها (قوله ان الله يفعل ما يريد) اى فلا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل (قوله من كان يظن ان لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف واما قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين اوصاف الشاك لجرى عادة الله بذكر اهل الوعد اثر اهل الوعيد والمعنى من كان يظن من الكفار والشاكين فى دينهم ان الله لا ينصر محمدا فى الدنيا وفى الآخرة فليأت بحبل يشده فى سقف بيته وفى عنقه ثم يختنق به حتى يموت فلينظر هل فعله هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد فالاتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظا فيكون بمعنى قوله تعالى قل موتوا بغيظكم وهذا هو المشهور فى تفسير الآية ولذا مشى عليه المفسر وقيل ان المعنى من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا فليطلب حيلة يصل بها الى السماء ثم ليقطع النصر عنه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه ان امكنه ذلك (قوله بان يقطع نفسه) بالتحريك وهو اشارة الى ان مفعول يقطع محذوف (قوله كما فى الصحاح) راجع لجميع ما ذكر من قوله بحبل الى السماء الخ والصحاح بفتح الصاد اسم كتاب فى اللغة للامام ابى النصر اسمعيل بن حماد الجوهرى (قوله ما يغيظ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف ويغيظ صلته والعائد محذوف والتقدير الشئ الذى يغيظه (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصرة النبي (قوله حال) اى من الهاء فى انزلناه (قوله على هاء انزلناه) اى فالمعنى وانزلنا ان الله يهدى من يريد اى ويضل من يريد ففى الآية اكتفاء (قوله

منها (والآخرة) بالكفر (ذلك هو الخسران المبين) البين (يدعو) يعبد (من دون الله) من الصنم (ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه) ان عبده (ذلك) الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق (يدعو لمن) اللام زائدة (ضره) بعبادته (اقرب من نفعه) ان نفع بتخيله (لبئس المولى) هو اى الناصر (ولبئس العشير) الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب فى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الفروض والنوافل (جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) من اكرام من يطيعه واهانة من يعصيه (من كان يظن أن لن ينصره الله) اى محمدا نبيه (فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) بحبل (الى السماء) اى سقف بيته يشده فيه وفى عنقه (ثم ليقطع) اى ليختنق به بان يقطع نفسه من الارض كما فى الصحاح (فلينظر هل يذهبن كيده) فى عدم نصرة النبي (ما يغيظ) ه منها المعنى فليختنق غيظا منها فلا بد منها (وكذلك) اى مثل انزالنا الآيات السابقة (انزلناه) اى القرآن الباقى (آيات بينات) ظاهرات حال (وان الله يهدى من يريد) هداه معطوف على هاء انزلناه

بينهم يوم القيامة) بادخال المؤمنين الجنة وادخال غيرهم النار (ان الله على كل شيء) من عملهم (شهيد) عالم به علم مشاهدة (ألم تر) تعلم (ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) اى يخضع له بما يراد منه (وكثير من الناس) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكافرون لانهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (ومن يهن الله) يشقه (فما له من مكرم) مسعد (ان الله يفعل ما يشاء) من الاهانة والاكرام (هذان خصمان) اى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (اختصموا في ربهم) اى في دينه (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) يلبسونها يعني أحيطت بهم النار (يصب من فوق رؤسهم الحميم) الماء البالغ نهاية الحرارة (يصهر) يذاب (به ما في بطونهم) من شحوم وغيرها (و) تشوى (به) الجلود ولهم مقامع من حديد) لضرب رؤسهم

(قوله ان الذين آمنوا الخ) أى فالاديان ستة واحد للرحمن وأصحابه في الجنة وخمسة للشيطان وأصحابها في النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس و يقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والاصل نجوس أبدلت النون ميما (قوله طائفة منهم) اى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله ان الله على كل شيء شهيد) تعليل لقوله ان الله يفصل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك الى ان الشهيد معناه الذي لا يغيب عنه شيء (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من في السموات ونص عليها الماوردي لان بعضهم كان يعبدها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من في الارض وخصها بالذكر لان بعضهم كان يعبدها (قوله اى يخضع له) أشار بذلك الى ان المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله وهو أحد قولين وقيل المراد بالسجود حقيقته لانه ورد ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له وقال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر الى انه معطوف على فاعل يسجد (قوله يشقه) اى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله ان الله يفعل ما يشاء) اى فلا حرج عليه ولا منازع له في حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الاشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قال المفسر وسبب نزولها تخاصم حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر وقيل نزلت في المسلمين واهل الكتاب حيث قال اهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسدا * واختلف هل هذا الخصام في الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحقق مضمونه أو في الآخرة بدليل التعقيب ولذا قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) اى لانه مصدر في الاصل والغالب استعماله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم و يثنى و يجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الاشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قوله اى في دينه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) اى قدرت على قدر جثثهم ففي الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه اعداد النار واحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترها لابدانهم وجمع الثياب لان تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم) لما ذكر أن الثياب تغطي الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذي يذيب ما في البطون من الاحشاء لما في الحديث ان الحميم ليصب من فوق رؤسهم فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (قوله وتشوى به الجلود) أشار بذلك الى ان الجلود مرفوع بفعل مقدر لان الجلود لا تذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح ان يكون معطوفا على ماء و يراد بالاذابة التقطيع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والزجر (قوله من غم) اى من أجل حصوله لهم (قوله أعيدوا فيها) اى لما ورد ان جهنم تفور بهم فيصعدون الى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد

(كلما أرادوا أن يخرجوا منها) اى النار (من غم) يلحقهم بها (أعيدوا فيها) ردوا اليها بالمقامع

فيهوون فيها سبعين خريفا (قوله وقيل لهم) اى تقول لهم الملائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من اضافة الموصوف للصفة اى العذاب المحرق (قوله ان الله يدخل الذين آمنوا الخ) لم يقل فى حقهم والذين آمنوا عطفا على قوله فالذين كفروا اشارة لتعظيم شان المؤمنين (قوله الانهار) جمع نهر والمعنى تجرى من تحت قصورهم (قوله من اساور) من اما زائدة او للتبعيض او لبيان الجنس وقوله من ذهب من لابتداء الغاية (قوله بان يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والاصل بان يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل انهم يلبسون الاساور من النوعين الذهب واللؤلؤ وفى آية هل أتى وحلوا أساور من فضة فهم يلبسونها من الانواع الثلاثة لما ورد ان المؤمن يسور فى الجنة بثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وفى الحديث تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء (قوله ولباسهم فيها حرير) غاير الاسلوب حيث لم يقل و يلبسون فيها حريرا اشارة الى ان الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة فان العدول الى الجملة الاسمية يدل على الدوام (قوله وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا) أى يعوضهم الله فى الآخرة الى ما حرمه عليهم فى الدنيا قال عليه الصلاة والسلام من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة واختلف فى معنى الحديث فقيل لم يلبسه فى الآخرة اذا مات مصرا ودخل النار فلا ينافى انه اذا دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه اصلا ولو دخل الجنة بل يتنعم بغير الحرير واما هو فلا يشتهيه فيها والمعتمد الاول وكذا يقال فى الاحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا اله الا الله) اى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى افضل القول لما فى الحديث افضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله فهى رأس المال لذاكرها لا يقبل شئ من الاعمال الا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة والسيادة نسال الله تعالى الثبات عليها فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله الى صراط الحميد) اى وهو دين الاسلام وسمى صراطا لانه طريق يوصل الى رضا الله تعالى (قوله اى طريق الله المحمودة) اشار بذلك الى ان الحميد وصف لله تعالى ومعناه المحمود فى افعاله (قوله ويصدون) معطوف على كفروا ففيه عطف المستقبل على الماضي وحينئذ فاما ان يراد بالماضى المضارع او يجرد المضارع عن معناه بان يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف وهذا هو الاحسن ولا يصح جعل جملة ويصدون حالا لان الجملة المضارعية المثبتة اذا وقعت حالا لا تقرن بالواو قال ابن مالك

وذات بدء بمضارع ثبت * حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لان الاصل عدمها وخبر ان محذوف يقدر بعد قوله والباد لدلالة قوله نذقه من عذاب أليم والتقدير نذيقهم من عذاب اليم كما سياتى فى المفسر (قوله منسكا) قدره اشارة الى ان مفعول جعلنا الثانى محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرف لغو اما متعلق بمنسكا الذى قدره المفسر او بجعلنا وهذا التقدير انما هو لايضاح المعنى والا فيصح جعل جملة سواء العاكف فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العاكف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم والعاكف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء لانه مصدر وصف به فهو فى قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف الخ والمعنى ان المقيم فى المسجد والطارئ سواء فى النزول به فمن سبق الى مكان فيه فهو حقه لا يقيمه منه غيره وليس المراد ان دور مكة غير مملوكة لاربابها فالغريب واهل البلد سواء فيها بل هى مملوكة لاربابها ويجوز بيعها واجارتها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفا وحذفها فيهما وحذفها وقفا واثباتها وصلا ثلاث قراآت سبعيات وقوله الطارئ دفع به ما يتوهم من قوله البادى ان المراد به ساكن البادية بل المراد به الطارئ كان من البادية اولا وانما

(و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) اى البالغ نهاية الاحراق وقال فى المؤمنين (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ) بالجر اى منهما بان يرصع اللؤلؤ بالذهب وبالنصب عطفا على محل من اساور (ولباسهم فيها حرير) وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا (وهدوا) فى الدنيا (الى الطيب من القول) وهو لا اله الا الله (وهدوا الى صراط الحميد) اى طريق الله المحمودة ودينه (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) طاعته (و) عن (المسجد الحرام الذى جعلناه) منسكا ومتعبدا (للناس سواء العاكف) المقيم (فيه والباد) الطارئ

(ومن يرد فيه بالحاد) الباء زائدة (بظلم) اى بسببه بان ارتكب منهيا ولو شتم الخادم (نذقه من (٨٣) عذاب اليم) مؤلم اى بعضه ومن هذا يؤخذ خبر ان اى نذيقهم من عذاب اليم (و) اذكر (اذ بوأنا) بينا (لابراهيم مكان البيت) ليبنيه وكان قد رفع زمن الطوفان وامرناه (ان لا تشرك بى شيا وطهر بيتى) من الاوثان (للطائفين والقائمين) المقيمين به (والركع السجود) جمع راكع وساجد المصلين (واذن) ناد (فى الناس بالحج) فنادى على جبل ابى قبيس يا أيها الناس ان ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج اليه فاجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فاجابه كل من كتب له ان يحج من اصلاب الرجال وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك وجواب الامر (ياتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام (و) ركبانا (على كل ضامر) اى بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والانثى (ياتين) اى الضوامر حملا على المعنى (من كل فج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) أى يحضروا (منافع لهم) فى الدنيا بالتجارة او فى الآخرة او فيهما اقوال (ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات) اى عشر ذى الحجة او يوم عرفة او يوم النحر الى آخر ايام التشريق أقوال (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) الابل والبقر والغنم التى تنحر فى يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فكلوا منها) اذا كانت مستحبة (واطعموا البائس الفقير) اى الشديد الفقر

سمى الطارى باديا لانه لا ياتى اليها الا من البادية (قوله ومن يرد فيه) اى يقصد فى المسجد الحرام (قوله بالحاد) اى عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة) اى فى المفعول (قوله نذقه من عذاب اليم) اى فى الآخرة الا ان يتوب وأخذ منه ان السيئة فى مكة اعظم من السيئة فى غيرها ومن هنا كره مالك المجاورة فى مكة لغير اهلها وندبها بالمدينة (قوله ومن هذا) اى جواب الشرط (قوله يؤخذ خبر ان) اى ويكون مقدرا بعد قوله والبادى (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان قوله بوأنا ظرف لمحذوف (قوله بينا لابراهيم مكان البيت) اى اريناه أصله ليبنيه حين أسكن ولده اسمعيل وأمه هاجر فى تلك الارض وأنعم الله عليهما بزمزم فدعا الله بعمارة هذا البيت فبعث الله له ريحا فازالت فكشفت عن أساس آدم فرتب قواعده عليه لان أساسه فى الارض كما قيل ثلاثون ذراعا بذراع آدم وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحذاء البيت وفيه رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على دورى فبنى عليه وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذراعه وأدخل الحجر فى البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلقى فيه ما يهدى للبيت وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الملائكة ثم بعد ابراهيم بناه العمالقة ثم جرهم ثم قصى ثم قريش ثم ابن الزبير ثم الحجاج وهى باقية الآن على بنائه ثم يهدمها فى آخر الزمان ذو السويقتين فيجددها عيسى ابن مريم عليه السلام (قوله وامرناه) قدره اشارة الى ان قوله ان لا تشرك معمول لمحذوف وذلك المحذوف معطوف على بوأنا (قوله من الاوثان) قيل المراد بها الاصنام لان جرهما والعمالقة كانت لهم اصنام فى محل البيت قبل ان يبنيه ابراهيم عليه السلام وقيل المراد نزهه عن ان يعبد فيه غيره تعالى فهو كناية عن اظهار التوحيد و يصح ان يكون المراد طهره من الاقذار والانجاس والدماء وجميع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن فى الناس بالحج) اى بالدعاء اليه والامر به (قوله على جبل ابى قبيس) اى فلما صعد للنداء خفضت الجبال رؤسها ورفعت له القرى فنادى فى الناس بالحج فاول من اجابه اهل اليمن فليس حاج من يومئذ الى يوم تقوم الساعة الا من اجاب ابراهيم عليه السلام يومئذ فمن لبى مرة حج مرة ومن لبى مرتين حج مرتين ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته (قوله لبيك اللهم لبيك) اى اجبتك اجابة بعد اجابة (قوله ياتوك) اى ياتوا مكانك لان المقصود اتيان البيت لا اتيان ابراهيم وقوله رجالا وعلى كل ضامر ليس فيه دليل على ان راكب البحر لا يجب عليه الحج لان مكة ليست على البحر وانما يتوصل اليها على احدى هاتين الحالتين (قوله وعلى كل ضامر) التضمير فى الاصل ان تعلف الفرس حتى تسمن ثم تقلل عنه الاكل شيا فشيا حتى يصل الى حد القوت وحينئذ فيكون سريع الجرى وقدم الراجل لما ورد ان له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كل حسنة مائة الف حسنة وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة وأخذ الشافعى من هذا الحديث ان المشى افضل من الركوب وقال مالك الركوب افضل لانه اقرب للشكر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا ولو كان المشى افضل لفعله رسول الله واجاب عن الحديث بانه مزية وهى لا تقتضى الافضلية (قوله حملا على المعنى) اى حيث الحق الفعل العلامة ولو راعى اللفظ لقال ياتى (قوله بالتجارة) اى لانها جائزة للحاج من غير كراهة اذا لم تكن مقصودة بالسفر (قوله ويذكروا اسم الله) اى عند اعداد الهدايا وذبحها (قوله عشر ذى الحجة) اى وسميت معلومات لحرص الحجاج على علمها لان وقت الحج فى آخرها (قوله الى آخر ايام التشريق) راجع للقولين قبله (قوله على ما رزقهم) اى لاجل ما رزقهم (قوله فكلوا منها) امر اباحة لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الاكل من لحوم هداياهم فامر الله بمخالفتهم واتفق العلماء

(ثم ليقضوا تفثهم) اى يزيلوا اوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وليوفوا) بالتخفيف والتشديد (نذورهم) من الهدايا والضحا
(وليطوفوا) طواف الافاضة (بالبيت العتيق) اى القديم لانه اول بيت وضع للناس (ذلك) خبر مبتدا مقد

اى الامر اوالشان ذلك المذكور (ومن يعظم حرمات الله) هى ما لا يحل انتهاكه (فهو) أى تعظيمها (خير له عند ربه) فى الآخرة (وأحلت لكم الانعام) اكلا بعد الذبح (الا ما يتلى عليكم) تحريمه فى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) من للبيان اى الذى هو الاوثان (واجتنبوا قول الزور) اى الشرك بالله فى تلبيتهم او شهادة الزور (حنفاء لله) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غير مشركين به) تاكيد لما قبله وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله فكانما خر) سقط (من السماء فتخطفه الطير) اى تاخذه بسرعة (او تهوى به الريح) اى تسقطه (فى مكان سحيق) بعيد اى فهو لا يرجى خلاصه (ذلك) يقدر قبله الامر مبتدا (ومن يعظم شعائر الله فانها) اى فان تعظيمها وهى البدن التى تهدى للحرم بان تستحسن وتستسمن (من تقوى القلوب) منهم وسميت شعائر لاشعارها بما تعرف به انها هدى كطعن حديدة بسنامها (لكم فيها منافع) كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها (الى أجل مسمى) وقت نحرها (ثم محلها) اى مكان حل نحرها (الى البيت العتيق) اى عنده والمراد الحرم جميعه (ولكل امة) اى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) بفتح السين مصدر وبكسرها اسم

على أن الهدى اذا كان تطوعا جاز الاكل منه واختلفوا فى الهدى الواجب فقال الشافعى لا يا كل منه وقال مالك يا كل من كل هدى وجب الا من جزاء الصيد وفدية الاذى والنذر اذا قصد به المساكين وقال أصحاب أبى حنيفة يا كل من دم التمتع والقران ولا يا كل من واجب سواهما (قوله ثم ليقضوا تفثهم) أى بعد تمام حجهم وتحللهم لان الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمى فالنحر فالحلق فطواف الافاضة فبعد الفراغ منها احل له كل شئ كان محرما عليه قبل الاحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان (قوله لانه أول بيت وضع) وقيل سمى عتيقا لان الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه ومن الغرق لانه رفع أيام الطوفان (قوله أى الامر أو الشان ذلك) أشار بذلك الى أن قوله ذلك خبر لمحذوف وهذا على عادة الفصحاء اذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض فى كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهى كلام واحد (قوله هى ما لا يحل انتهاكه) أى وهى التكاليف التى كلف الله بها عباده من واجب ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمه فى الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفى المكروه والحرام ترك كل بل وترك ما يؤدى لذلك (قوله خير له عند ربه) أى قربة وطاعة يثاب عليها فى الآخرة واسم التفضيل على بابه باعتبار ما يزعمه أهل اللهو والفسوق من أن من أطلق نفسه فى الشهوات فقد أصاب حظه فهو خير باعتبار ما عندهم لا باعتبار ما عند الله لما ورد رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا (قوله الانعام) أى الابل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) أى أو النحر أو العقر (قوله الا ما يتلى عليكم) أى الا مدلول الآية التى تتلى عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) اى ووجهه ان فى الآية ما ليس من جنس الانعام كالدم ولحم الخنزير (قوله ويجوز ان يكون متصلا) اى ووجه العموم فى قوله الانعام لان ظاهره حل الانعام مطلقا ولو منخنقة وموقوذة ومتردية فافاد ان الحلال ما عدا ما فى الآية (قوله فاجتنبوا الرجس) هو فى الاصل القذر والاوساخ وعبادة الاوثان قذر معنوى (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيص لان عبادة الاوثان رأس الزور (قوله اى الشرك بالله فى تلبيتهم) اى فانهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك (قوله او شهادة الزور) اى الشهادة بما لا يعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أى مخلصين له (قوله حالان من الواو) اى فى اجتنبوا لكن الاولى مؤسسة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والمعنى انه شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء فى ان كلا لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لا محالة اما بتخطف الطير لحمه أو تفرقة الرياح لاجزائه فى أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الامر مبتدا) اى واسم الاشارة خبر نظير ما تقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة او شعارة (قوله وهى البدن) فسرها بذلك وان كانت الشعائر فى الاصل اعلام الحج وافعاله مراعاة للسياق (قوله بان تستحسن) اى تختار حسنة بان تكون غالية الثمن لما روى ان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) اى من امتثال الاوامر واجتناب النواهى وقوله منهم قدره اشارة الى ان العائد محذوف (قوله بما تعرف به) اى بعلامة يعرف بها انها هدى (قوله كطعن حديدة بسنامها) اى وشق الجلال واخراج السنام من الشق وكتعليق النعال فى رقبتها (قوله كركوبها والحمل عليها) اى وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله اى عنده) اشار بذلك الى ان الى بمعنى عند (قوله والمراد الحرم جميعه)

مكان اى ذبحا قربانا ومكانه (ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها (فالهكم اله واحد فله اسلموا)

أى لاخصوص الكعبة (قوله أى ذبحا قربانا) مفعول للمصدر الذى هو ذبحا والمعنى ان يذبحوا القربان وقيل معنى منسكا نوعا من التعبد والتقرب (قوله ليذكروا اسم الله) معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله (قوله من بهيمة الانعام) اى عند ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) اى خضعوا وفوضوا أمورهم اليه ورضوا باحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لان الاخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض (قوله الذين اذا ذكر الله) اى بان سمعوا الذكر من غيرهم أو ذكروا بانفسهم (قوله من البلايا) اى المحن بان لايجزعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) اى صدقة التطوع ويعلم منه انهم يخرجون الزكاة الواجبة بالاولى (قوله وهى الابل) أى فالبدن عند الشافعى خاصة بالابل وقال ابوحنيفة البدن الابل والبقر وعلى كل حال فالبقر من شعائر الله ايضا (قوله لكم فيها خير) الجملة اماحالية أومستانفة (قوله فاذكروا اسم الله عليها) اى بان تقولوا عند ذبحها بسم الله والله أكبر اللهم ان هذا منك واليك (قوله قائمة) المناسب ان يقول قائمات (قوله فاذا وجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع ان البعير اذا سقط عند النحر انما يسقط على أحد جنبيه لان ذلك الجمع فى مقابلة جمع البدن (قوله سقطت الى الارض) اى فالوجوب السقوط يقال وجبت الشمس أى سقطت (قوله فكلوا منها) اى ان كانت مستحبة باتفاق وكذا ان كانت واجبة عند مالك الا فى جزاء الصيد وفدية الاذى والنذر اذا قصد به المساكين ولا يا كل من الواجبة عند الشافعى (قوله وأطعموا القانع) اى المستغنى بما أعطيه المتعفف عما فى ايدى الناس الذى لا التفات له اليهم الذى قال الله فى حق من اتصف بصفته يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وقال الامام الشافعى رضي الله عنه

أمت مطامعى فارحت نفسى * فان النفس ماطمعت تهون

واحييت القنوع وكان ميتا * ففى احيائه عرضى مصون

اذا طمع يحل بقلب شخص * علته مهانة وعلاه هون

(قوله أى مثل ذلك التسخير) اى المفهوم من قوله صواف (قوله والالم تطق) أى والالا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) رد لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضميخها بالدم تقربا الى الله تعالى (قوله اى لا يرفعان اليه) اى وانما يرفع اليه العمل الصالح ومنه التصدق (قوله لتكبروا الله على ماهداكم) اى بان تقولوا الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ما اولانا (قوله وبشر المحسنين) اى برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ان الله تعالى لماذكر جملة من افعال الحج والترغيب فيه وذكر ان الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام كان قائلا يقول باى شيء تتمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع فانزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وانهم يتمكنون من المسجد الحرام ويدفع عنهم اعداءهم وهذه الآية وان كان سبب نزولها ماذكر الا ان العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم فالمؤمنون مآلهم للعز والنصر والفوز الاكبر وان امتحنوا ببلاء اوغيره فذلك لتكفير سيآتهم ورفع درجاتهم فهو بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره اشارة الى ان المعمول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهى مايصيب الانسان من المكروه (قوله فى اماناته) مفرد مضاف أى أماناته وهى الاوامر والنواهى (قوله وهم المشركون) اى لانهم خائنون كافرون فى كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار اثر وعد المؤمنين لان شان الخائن يجازى على خيانته بالخزى والعقاب (قوله اذن للذين يقاتلون)

انقادوا (وبشر المخبتين) المطيعين المتواضعين (الذين اذا ذكر الله وجلت) خافت (قلوبهم والصابرين على مااصابهم) من البلايا (والمقيمى الصلاة) فى اوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والبدن) جمع بدنة وهى الابل (جعلناها لكم من شعائر الله) اعلام دينه (لكم فيها خير) نفع فى الدنيا كما تقدم واجر فى العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) عند نحرها (صواف) قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى (فاذا وجبت جنوبها) سقطت الى الارض بعد النحر وهو وقت الاكل منها (فكلوا منها) ان شئتم (واطعموا القانع) الذى يقنع بما يعطى ولا يسال ولا يتعرض (والمعتر) السائل أو المتعرض (كذلك) أى مثل ذلك التسخير (سخرناها لكم) بان تنحر وتركب والالم تطق (لعلكم تشكرون) انعامى عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) اى لا يرفعان اليه (ولكن يناله التقوى منكم) اى يرفع اليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الايمان (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم) ارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه (وبشر المحسنين) اى الموحدين (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) غوائل المشركين (ان الله لايحب كل خوان) فى أمانته (كفور) لنعمته وهم المشركون المعنى انه يعاقبهم (اذن للذين يقاتلون) اى للمؤمنين ان يقاتلوا

اخرجوا من ديارهم بغير حق) في الاخراج ما اخرجوا (الا ان يقولوا) اى بقولهم (ربنا الله) وحده وهذا القول حق فالاخراج به اخراج بغير حق (ولولا دفع الله الناس بعضهم) بدل بعض من الناس (ببعض لهدمت) بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صوامع) للرهبان (وبيع) كنائس للنصارى (وصلوات) كنائس لليهود بالعبرانية (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) اى في المواضع المذكورة (اسم الله كثيرا) وتنقطع العبادات بخرابها (ولينصرن الله من ينصره) اى ينصر دينه (ان الله لقوي) على خلقه (عزيز) منيع في سلطانه وقدرته (الذين ان مكناهم في الارض) بنصرهم على عدوهم (اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول ويقدر قبله هم مبتدأ (ولله عاقبة الامور) اى اليه مرجعها في الآخرة (وان يكذبوك) الى آخره فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فقد كذبت قبلهم قوم نوح) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين) قوم شعيب (وكذب

اى يريدون القتال والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله ان يقاتلوا وفي قراءة سبعية ايضا يقاتلون بالبناء للمفعول (قوله وهذه اول آية نزلت في الجهاد) اى بعد ان نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيف وسبعين آية وذلك ان مشركي مكة كانوا يؤذون اصحاب رسول الله ويعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية فحينئذ كان يوم عيد عند المسلمين (قوله وان الله على نصرهم لقدير) جملة مستأنفة سيقت لوعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية (قوله هم الذين) قدر المفسر الضمير اشارة الى ان الموصول خبر لمحذوف وهو احد اوجه في اعرابه ويصح ان يكون نعتا او بيانا أو بدلا من الذين الاول أو منصوبا على المدح (قوله الا ان يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره المفسر بقوله ما اخرجوا وهو متصل والمعنى لم يكن لهم سبب في اخراجهم الا تعصب المشركين عليهم من اجل مخالفتهم في الدين ان قلت ان سبب خروجهم امر الله لنبيه اجيب بان سبب الخروج باطنا امر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب المشركين عليهم ولا يصح استثناؤه من المذكور لانه يصير المعنى الذين اخرجوا من ديارهم الا ان يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) لولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود ودفع اضافة دفع لما بعده من اضافة المصدر لفاعله وقوله بعضهم اى الكافرين وقوله ببعض اى المؤمنين والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن نبينا المساجد وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطل كل دين يخالف دينه قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فالمعنى لولا عز الاسلام وقوة شوكته لعبد الله في اى زمن (قوله بالتشديد للتكثير) باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صوامع) جمع صومعة وهي المحل المرتفع البناء في الاماكن الخالية (قوله للرهبان) اى وقيل للصابئين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميت الكنائس بذلك لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا بفتح الصاد واللام المشددة والمد ومعناه في لغتهم المصلى (قوله اى ينصر الله دينه) اى واولياءه ومعنى نصرة الله هو ان يظفر اولياءه على اعدائه ومعنى نصر العبيد لربهم هو تجلدهم بالقتال لاعداء الله أو بايضاح الادلة والحجج على السنة العلماء (قوله منيع في سلطانه) لمناسبة ان يقول غالب على امره وقد انجز الله وعده بان اذل الكفرة واعز المسلمين فاورثهم ارضهم وديارهم (قوله الذين ان مكناهم في الارض) الخ يحتمل ... الموصول ... في التي قبله (قوله جواب الشرط) اى قوله اقاموا وما عطف عليه (قوله وهو وجوابه) اى الشرط فهو وجوابه (قوله صلة الموصول) اى لا محل لها من الاعراب (قوله ويقدر قبله هم) اى على احد الاحتمالات المتقدمة وهو اخبار من الله عما تكون عليه المهاجرون والانصار رضي الله عنهم (قوله ولله عاقبة الامور) اى آخر امور الخلق مصيرها اليه فيجازي كل شخص بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وان يكذبوك) اى يدوموا على تكذيبك بعدم الايمان لك والضمير عائد على اهل مكة والمعنى لا تحزن وتسل فلست باول من كذبه قومه (قوله باعتبار المعنى) اى معنى الامة والقبيلة (قوله وعاد وثمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارهما بهذين الاسمين (قوله واصحاب مدين) خصهم بالذكر وان كان شعيب ارسل الى اصحاب الايكة ايضا ... المذكورين ... بالتكذيب

(قوله كذبه القبط لا قومه) اشار بذلك الى وجه بناء الفعل فى هذا الاخير للمفعول والقبط بوزن القسط اهل مصر (قوله فامليت للكافرين) وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التشنيع عليهم (قوله اى انكارى عليهم) اشار بذلك الى أن نكير مصدر بمعنى الانكار (قوله باهلاكهم) أى بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) اى والمعنى فليقر المخاطبون بان اهلاكى لهؤلاء كان واقعا موقعه وفى الحقيقة هو مضمن معنى التعجب والمعنى ما أشد ما كان انكارى عليهم (قوله فكاين) مبتدأ ومن قرية تمييز وقوله اهلكتها خبره وقوله وهى ظالمة الجملة حالية والمعنى عدد كثير من القرى اهلكنها والحال انها ظالمة (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله اى اهلها) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله فهى خاوية على عروشها) اى تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله وبئر معطلة) قدر المفسر كم والجار اشارة الى انه معطوف على قرية والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت اهلها وقيل ان البئر واحدة معهودة وهى التى نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهم بحضرموت وسميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وهناك بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم والمتبادر من الآية العموم ولذا مشى عليه المفسر (قوله افلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره اغفلوا فلم يسيروا فهو تحريض لهم على السير ليشاهدوا آثار من اهلكهم من الكفار ليعتبروا وهم وان كانوا سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر فجعلوا كانهم لم يسافروا ولم يروا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على قوله يسيروا المنفى فهو منفى ايضا (قوله ما نزل بالمكذبين) مفعول يعقلون (قوله اى القصة) اى وما بعده تفسيرله (قوله لا تعمى الابصار الخ) اى فالخلل ليس فى حواسهم الظاهرية وانما هو فى قلوبهم فترتب على ذلك انهما كهم فى الشهوات وعدم انقيادهم للحق لان عمى القلب هو الضار فى الدين لما ورد فى الحديث الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب (قوله تاكيد) اى قوله التى فى الصدور تاكيد للموصوف لعلمه من المعلوم ان القلوب حالة فى الصدور ومنه قولهم سمعت باذنى ونظرت بعينى (قوله ويستعجلونك بالعذاب) اى يطلبون كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون اين ما توعدنا به مع كونه كذبا لك كما كذبت الامم الماضية رسلهم (قوله ولن يخلف الله وعده) تضمن ذلك نزول العذاب بهم فى الدنيا وتصديق قوله [illegible] وان يوما عند ربك الخ عذابهم فى الآخرة فهم معذبون [illegible] فى الدنيا بالقتل [illegible] والاسر وفى الآخرة بدخول النار الدائم (قوله فانجزه يوم بدر) أى قتل منهم سبعون واسر سبعون [illegible] صناديدهم (قوله كالف سنة) اقتصر على الالف لانه منتهى العدد بلا تكرار وهو كناية عن طول العذاب [illegible] (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وكاين من قرية) أى [illegible] [illegible] [illegible] فى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما الخ بحذف الاولى [illegible] بالفاء [illegible] وقوله فكيف كان نكير [illegible] كل بما يناسبه (قوله قل يا ايها الناس) [illegible] وصفوا باستعجال العذاب [illegible] عادة الله فى كتابه انه يخاطب المؤمنين بيا ايها الذين آمنوا وكفار مكة بيا ايها الناس (قوله وبشيرا للمؤمنين) قدره اشارة الى ان فى الآية اكتفاء [illegible] [illegible] [illegible] لهم مغفرة) [illegible] الذنوب الصغائر والكبائر (قوله والذين سعوا) اى [illegible] بابطالها) [illegible]

العقاب لهم (ثم أخذتهم) بالعذاب (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بتكذيبهم باهلاكهم والاستفهام للتقرير اى هو واقع موقعه (فكاين) اى كم (من قرية اهلكتها) وفى قراءة اهلكناها (وهى ظالمة) اى اهلها بكفرهم (فهى خاوية) ساقطة (على عروشها) سقوفها (و) كم من (بئر معطلة) متروكة بموت اهلها (وقصر مشيد) رفيع خال بموت اهله (افلم يسيروا) اى كفار مكة (فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) ما نزل بالمكذبين قبلهم (او آذان يسمعون بها) اخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فانها) أى القصة (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) تاكيد (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) بانزال العذاب فانجزه يوم بدر (وان يوما عند ربك) من ايام الآخرة بسبب العذاب (كالف سنة مما تعدون) بالتاء والياء فى الدنيا (وكاين من قرية امليت لها وهى ظالمة ثم اخذتها) المراد اهلها (والى المصير) المرجع (قل يا ايها الناس) اى اهل مكة (انما انا لكم نذير مبين) بين الانذار وانا بشير للمؤمنين (فالذين

آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة (والذين سعوا فى آياتنا) القرآن بابطالها (معجزين)

من اتبع النبي اى ينسبونهم
الى العجز و يثبطونهم
عن الايمان أو مقدرين
عجزنا عنهم وفى قراءة
معاجزين مسابقين لنا
اى يظنون ان يفوتونا
بانكارهم البعث والعقاب
(أولئك اصحاب الجحيم)
النار (وما ارسلنا من قبلك
من رسول) هو نبي أمر
بالتبليغ (ولا نبي) اى لم
يؤمر بالتبليغ (الا اذا تمنى)
قرأ (القى الشيطان فى
امنيته) قراءته ما ليس من
القرآن مما يرضاه المرسل
اليهم وقد قرأ النبي صلى الله
عليه وسلم فى سورة النجم
بمجلس من قريش بعد
افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى
بالقاء الشيطان على لسانه
من غير علمه صلى الله عليه
وسلم به تلك الغرانيق العلا
وان شفاعتهن لترتجى
ففرحوا بذلك ثم أخبره
جبريل بما القاه الشيطان
على لسانه من ذلك فحزن
فسلى بهذه الآية ليطمئن
(فينسخ الله) يبطل
(ما يلقى الشيطان ثم
يحكم الله آياته) يثبتها (والله
عليم) بالقاء الشيطان
ما ذكر (حكيم) فى
تمكينه منه يفعل ما يشاء

فى والمعنى اجتهدوا فى ابطالها حيث قالوا فى القرآن انه اساطير الاولين وسحر وكهانة (قوله من اتبع النبي)
اشار به الى ان مفعول معجزين محذوف (قوله ويثبطونهم) اى يعوقونهم ويشغلونهم (قوله او مقدرين
عجزنا) اى فالمفعول محذوف تقديره الله والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم (قوله وفى قراءة معاجزين)
اى وهى سبعية ايضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله اى مسابقين له ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار
من عذاب الله ومعنى مسابقة الله انزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون ان يفوتونا) اى
فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) اى ما لهم لها وهى معدة لهم (قوله وما ارسلنا من قبلك الخ)
هذه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من رسول) من زائدة فى المفعول اى رسولا (قوله
هو نبي امر بالتبليغ) اى انسان ذكر حر أوحى اليه بشرع وامر بتبليغه (قوله ولا نبي) عطف على رسول
ان قلت ان تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ ينافى قوله ارسلنا اجيب بان الارسال معناه البعث
لنفسه لانه اوحى اليه بشرع يعمل به فى نفسه وليس مامورا بتبليغه للخلق او يقدر قبل قوله ولا نبي
ما يناسبه كان يقال مثلا ولا نبأنا من نبي على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله اى لم يؤمر بالتبليغ)
اشار المفسر بهذا الى أن العطف فى الآية مغاير وان كان لفظ النبي أعم (قوله قراءته) انما سميت
القراءة أمنية لان القارئ اذا وصل الى آية رحمة تمنى حصولها أو آية عذاب تمنى البعد عنه (قوله ما ليس
من القرآن) مفعول القى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله المرسل اليهم) اى وهم الكفار (قوله وقد قرأ
النبي) اشار بذلك الى ان سبب نزول هذه الآية قراءة النبي سورة النجم وذلك كان فى رمضان سنة
خمس من البعثة وكانت الهجرة الى الحبشة فى رجب من تلك السنة وقدوم المهاجرين الى مكة كان
فى شوال من تلك السنة (قوله بالقاء الشيطان) متعلق بقرأ (قوله تلك الغرانيق) معمول قرأ والغرانيق
فى الاصل الذكر من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس اوغرنوق كعصفور وكانوا يزعمون ان
الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع (قوله ففرحوا بذلك)
اى بما سمعوه وقالوا ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) اى يزيل فالنسخ فى اللغة معناه الازالة
وما ذكره المفسر من قصة الغرانيق رواية عامة المفسرين الظاهريين قال الرازى اما اهل التحقيق
فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول أما القرآن
فبوجوه احدها قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية ثانيها قل ما يكون لى ان ابدله من
تلقاء نفسي الآية ثالثها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى واما السنة فمنها ما روى عن محمد بن خزيمة
انه سئل عن هذه القصة فقال هى من وضع الزنادقة وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل
فقد روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار
والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فمن أوجه احدها ان من جوز على النبي
صلى الله عليه وسلم تعظيما للاوثان فقد كفر ثانيها لو كان الالقاء على الرسول ثم الازالة عنه لكانت
عصمته من اول الامر اولى وهو الذى يجب علينا اعتقاده فى كل نبي ثالثها وهو أقوى الاوجه انا لو
جوزنا ذلك لارتفع الامان عن شرعه ثم قال الرازى وقد عرفنا ان هذه القصة موضوعة وخبر الواحد
لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة قاله الخطيب ثم قال وهذا هو الذى يطمئن اليه القلب وان
اطنب ابن حجر العسقلانى فى صحتها انتهى ويكون معنى الآية على هذا التحقيق القى الشيطان فى امنته اى
تلاوته شبها وتخيلات فى قلوب الامم بان يقول لهم الشيطان هذا سحر وكهانة فينسخ الله تلك الشبه من قلوب
من اراد لهم الهدى ويحكم الله آياته فى قلوبهم والله عليم بما القاه الشيطان فى قلوبهم حكيم فى تسليطه عليهم

(ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) محنة (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) أي المشركين عن قبول الحق (وان الظالمين) الكافرين (لفي شقاق بعيد) خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم ابطل ذلك (وليعلم الذين اوتوا العلم) التوحيد والقرآن (انه) اي القرآن (الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت) تطمئن

(له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط) طريق (مستقيم) اي دين الاسلام (ولا يزال الذين كفروا في مرية) شك (منه) اي القرآن بما القاه الشيطان على لسان النبي ثم ابطل (حتى تأتيهم الساعة بغتة) اي ساعة موتهم او القيامة فجأة (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير او هو يوم القيامة لا ليل له (الملك يومئذ) اي يوم القيامة (لله) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (يحكم بينهم) بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) شديد بسبب كفرهم (والذين هاجروا في سبيل الله) اي طاعته من مكة الى المدينة (ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) هو رزق الجنة

(وان الله لهو خير الرازقين) افضل المعطين (ليدخلنهم مدخلا) بضم الميم وفتحها اي ادخالا او موضعا (يرضونه) وهو الجنة (وان الله لعليم) بنياتهم (حليم) عن عقابهم الامر (ذلك) الذي قصصناه عليك (ومن عاقب) جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظلما من المشركين اي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرم (ثم بغي عليه) منهم اي ظلم باخراجه من منزله (لينصرنه الله ان الله

تمييز المفسد من المصلح (قوله ليجعل ما يلقي الشيطان) متعلق بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل الخ (قوله والقاسية قلوبهم) عطف على الذين اي فتنة للقاسية قلوبهم (قوله حيث جرى على لسانه الخ) قد علمت أن هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن في القرآن (قوله وليعلم) عطف على ليجعل (قوله فيؤمنوا به) اي بالقرآن (قوله اي دين الاسلام) اي وسمي صراطا لانه يوصل لمرضات الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم (قوله ولا يزال الذين كفروا) رجوع لذكر حال الكفار وما هم عليه (قوله اي القرآن) أشار بذلك الى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول اي في شك في امر الرسول من كونه صادقا اولا (قوله بما القاه الشيطان على لسان النبي) هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول بما القاه الشيطان في قلوب من أضلهم الله (قوله يوم عقيم) العقم في الاصل عدم الولادة فشبه اليوم الذي لا خير فيه بمرأة عقيم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو العقم فاثباته تخييل والجامع عدم الثمرة في كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أي الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم العذاب يوم القيامة لله ومعنى كونه لله عدم نسبة شيء في الملك لاحد سواه في ذلك اليوم (قوله ناصب للظرف) اي قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستأنفة سيقت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلا من الله) أي لا بسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدا خبره ليرزقنهم وخصهم بالذكر وان كانوا داخلين في جملة المؤمنين تعظيما لشانهم (قوله ثم قتلوا) اي في الحروب وقوله او ماتوا أي على فراشهم من غير قتل (قوله هو رزق الجنة) أي التنعم فيها (قوله أفضل المعطين) أي فالمراد بالرزق الاعطاء وهو ينسب للخلق كما ينسب للخالق الا أن نسبته للخالق حقيقة ولغيره مجاز (قوله ليدخلنهم الخ) اما مستأنف او بدل من قوله ليرزقنهم (قوله بضم الميم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) اي فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذي قصصناه عليك) اي من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين واسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره الامر الذي قصصناه عليك ذلك اي لا تغيير فيه ولا تبديل فهي كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام الى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجيء الشيء بعد غيره وحينئذ فقوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية وأما قوله بمثل ما عوقب به أتى به لمشاكلة الاول للازدواج نظير فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والباء في بمثل للآلة والباء في به للسببية (قوله اي قاتلهم) اي قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم والى هذا يشير المفسر بقوله غفور لهم عن قتالهم في الشهر الحرام وقيل نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله وقيل انها عامة في النبي واصحابه وذلك ان المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعد الله بالنصر محمدا واصحابه فانهم حزب الله والكفار حزب الشيطان

لقعو) عن المؤمنين (غفور) لهم عن قتالهم فى الشهر الحرام (ذلك) النصر (بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) اى يدخل كلا منهما فى الآخر بان يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التى بها النصر (وان الله سميع) دعاء المؤمنين (بصير) بهم حيث جعل فيهم الايمان فاجاب دعاءهم (ذلك) النصر ايضا (بان الله هو الحق) الثابت (وان ما يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه) وهو الاصنام (هو الباطل) الزائل (وان الله هو العلى) اى العالى على كل شئ بقدرته (الكبير) الذى يصغر كل شئ سواه (ألم تر) تعلم (ان الله انزل من السماء ماء) مطرا (فتصبح الارض مخضرة) بالنبات وهذا من أثر قدرته (ان الله لطيف) بعباده فى اخراج النبات بالماء (خبير) بما فى قلوبهم عند تاخير المطر (له ما فى السموات وما فى الارض) على جهة الملك (وان الله لهو الغنى) عن عباده (الحميد) لاوليائه (ألم تر) تعلم (ان الله سخر لكم ما فى الارض) من البهائم (والفلك) السفن (تجرى فى البحر) للركوب والحمل (بامره) باذنه (ويمسك السماء) من (ان) اولئلا (تقع على الارض الا باذنه) فتهلكوا (ان الله بالناس لرؤف رحيم) فى التسخير والامساك (وهو الذى احياكم) بالانشاء (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (ان الانسان) اى المشرك (لكفور) لنعم الله بتركه توحيده (لكل أمة جعلنا منسكا) بفتح السين وكسرها شريعة (هم ناسكوه) عاملون به (فلا ينازعنك) يراد به لا تنازعهم (فى الامر) اى امر الذبيحة اذ قالوا ما قتل الله أحق ان تاكلوه مما قتلتم

(قوله غفور لهم) اى ما فعلوه لانهم فعلوه دفعا عن أنفسهم لا تجريا على المحرم (قوله ذلك) مبتدأ و بان الله خبره (قوله بان يزيد) اى الآخر وقوله ذلك اى الايلاج فهو اشارة الى ان الايلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لان القادر على ادخال كل منهما فى الآخر قادر على نصر احبابه وخذلان اعدائه (قوله وان الله) بالفتح فى قراءة العامة عطف على ان الاولى وقرئ شذوذا بالكسر استئنافا (قوله ذلك بان الله) مبتدأ وخبر وقوله هو اما مبتدأ أو ضمير فصل (قوله الثابت) اى الذى لا يقبل الزوال ازلا ولا ابدا (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) اى الفانى الذى لا بقاء له (قوله وان الله هو العلى الكبير) نتيجة ما قبله من الاوصاف (قوله ألم تر ان الله انزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وما سواه باطل وفى الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذى قبله ففى الادلة الترقى فى الاحتجاج والمعرفة فتامل الاول انزال الماء الناشئ عنه اخضرار الارض الثانى قوله له ما فى السموات وما فى الارض الثالث تسخير ما فى الارض الرابع تسخير الفلك الخامس امساك السماء السادس الاحياء ثم الاماتة ثم الاحياء ثانيا (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الابصار لان الماء وان كان مرئيا الا ان كون الله منزلا له من السماء غير مرئى (قوله مطرا) لا مفهوم له لان النيل وماء الآبار من السماء الا ان يقال اقتصر على المطر لانه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبح الارض مخضرة) عبر بالمضارع اشارة الى استمرار النفع به بعد نزوله (قوله بما فى قلوبهم عند تاخير المطر) اى من التاثر والقنوط (قوله على جهة الملك) اى فلا ملك لاحد معه (قوله سخر لكم ما فى الارض) اى ذلل لكم ما فيها من الدواب لتنتفعوا بها (قوله والفلك) بالنصب فى قراءة العامة عطف على ما فى قوله ما فى الارض اى وسخر لكم الفلك وافردها بالذكر لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من ان أو لئلا تقع) اشار بذلك الى أن تقع اما فى محل نصب على المفعول لاجله اى لاجل ان لا تقع أو فى محل جر على حذف حرف الجر والتقدير من ان تقع اى من وقوعها (قوله الا باذنه) استثناء مفرغ من معنى قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض والتقدير لا يتركها تقع فى حال من الاحوال الا فى حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذى أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا فكل من الاحياء الاول والثانى اما نعمة او نقمة (قوله ثم يحييكم عند البعث) اى للثواب أو العقاب (قوله ان الانسان لكفور) اى جحود لنعم خالقه (قوله لكل أمة) اى اهل دين فالمراد بالامة من له ملة وشرع (قوله بفتح السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شريعة) اى أحكام دين لكل أمة معينة من الامم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة أخرى فالامة التى كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى منسكهم التوراة ومن مبعث عيسى الى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل والامة الموجودون عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم الى يوم القيامة منسكهم القرآن لا غيره وحينئذ فقوله فلا ينازعنك فى الامر اى لا ينازعك هؤلاء الامم فى امر دينك زعما منهم ان شريعتهم باقية لم تنسخ فان التوراة والانجيل شريعتان لمن مضى من الامم قبل بعث محمد ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم اذا علمت ذلك فقول المفسر فلا ينازعك فى الامر اى امر الذبيحة الخ لا يسلم لانه يقتضى ان يكون أكل الميتة من جملة المناسك والشرائع التى

(وادع الى ربك) اى الى دينه (انك لعلى هدى) دين (مستقيم وان جادلوك) فى امر الدين (فقل الله اعلم بما تعملون) فتجازيكم عليه وهذا
قبل الامر بالقتال (الله يحكم بينكم) بها المؤمنون والكافرون (يوم القيامة فيما كنتم فيه (٩١) تختلفون) بان يقول كل من الفريقين

خلاف قول الآخر (ألم تعلم) الاستفهام فيه للتقرير (ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك) اى ما ذكر (فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (ان ذلك) اى علم ما ذكر (على الله يسير) سهل (ويعبدون) اى المشركون (من دون الله ما لم ينزل به) هو الاصنام (سلطانا) حجة (وما ليس لهم به علم) انها آلهة (وما للظالمين) بالاشراك (من نصير) يمنع عنهم عذاب الله (واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) ظاهرات حال (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) اى الانكار لها اى اثره من الكراهة والعبوس (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) اى يقعون فيهم بالبطش (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) اى باكره اليكم من القرآن المتلو عليكم هو (النار وعدها الله الذين كفروا) بان مصيرهم اليها (وبئس المصير) هى (يا أيها الناس) اى اهل مكة (ضرب مثل فاستمعوا له) وهو (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) اى غيره وهم الاصنام (ان يخلقوا ذبابا) اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث

جعلها الله لبعض الامم ولا شك فى بطلان ذلك فكان المناسب له ان يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع الى ربك) اى ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهو منسوخ بآية القتال وهذا احد قولين وقيل ان الآية محكمة وحينئذ فيكون المعنى اترك جدالهم وفوض الامر الى الله بقولك الله اعلم بما تعملون فيكون وعيدا لهم على اعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافى قتالهم لان القتال يرفعه احد امرين الاسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) اى يقضي ويفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله اى علم ما ذكر) اى الموجود فى السماء والارض (قوله هو اللوح المحفوظ) هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق فى الهواء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب (قوله سلطانا) اى من جهة الوحى (قوله وما ليس لهم به علم) اى دليل عقلى (قوله حال) اى من آيات (قوله فى وجوه الذين كفروا) وضع الظاهر موضع المضمر تبكيتا عليهم (قوله اى الانكار لها) اشار بذلك الى ان المنكر مصدر ميمى على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال اما من الموصول أو من الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فعداه بالباء والا فهو متعد بعلى (قوله النار) قدر المفسر الضمير اشارة الى ان النار خبر لمحذوف كانه قيل وما الاشر فقيل هو النار (قوله وعدها الله الذين كفروا) وعد يتعدى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدم والذين كفروا مفعول اول مؤخر نظير قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ويصح العكس بان يجعل الضمير هو المفعول الاول والذين كفروا هو المفعول الثانى واليه يشير المفسر بقوله بان مصيرهم اليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هى الموعودة والمعنى جعل الله الكفار طعاما للنار وعدها بهم والاول انسب من جهة العربية لان المفعول الاول شرطه صلاحيته للاخذ كاعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) هذه الآية مرتبطة بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا فالخطاب وان كان لاهل مكة الا ان المراد به عموم من كان يعبد الاصنام والمثل فى اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية فى ماشبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن وليس مرادا هنا بل المراد به الامر الغريب والقصة العجيبة واليه يشير المفسر فى آخر العبارة بقوله هذا امر مستغرب (قوله فاستمعوا له) اى اصغوا اليه لتعتبروا (قوله وهو) اى المثل المضروب (قوله واحده ذبابة) اى ويجمع على ذبان بالكسر كغربان وذبان بالضم كقضبان وأذبة كاغربة ماخوذة من ذب اذا طرد وآب اذا رجع لانه يذب فيرجع وهو احرص الحيوانات واجهلها لانه يرمى نفسه فى المهلكات ومدة عيشه اربعون يوما واصل خلقته من العفونات ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشئ الابيض فيرى اسود وعلى الاسود فيرى ابيض (قوله ولو اجتمعوا له) الجملة حالية كانه قال انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو فى حال اجتماعهم (قوله وان يسلبهم) اى يأخذ ويختطف منهم (قوله مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) اى لانهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وكانوا يحلونها باليواقيت واللآلئ وانواع الجواهر ويطيبونها بانواع الطيب فربما سقط شئ منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله الملطخون بها) المناسب ان يقول الملطخين لانه نعت سببي للطيب والزعفران (قوله لا يستنقذوه) اى لا يخلصونه منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب عما يقال ان الذى ضرب وبين ليس بمثل حقيقة

(ولو اجتمعوا له) لخلقه (وان يسلبهم الذباب شيئا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به (لا يستنقذوه) لا يستردوه (منه) لعجزهم
فكيف يعبدون شركاء لله تعالى هذا امر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضعف الطالب) العابد (والمطلوب) المعبود

فكيف سماه مثلا فاجاب بان القصة العجيبة تسمى مثلا تشبيها لها ببعض الامثال فى الغرابة (قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها وعليه فيكون سبب نزولها كما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله اصحابه وفى القوم مالك بن أبى الصيف من احبار اليهود فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين فقال نعم فقال له رسول الله وانت حبر سمين فضحك القوم فالتفت مالك الى عمر بن الخطاب وقال ما أنزل الله على بشر من شئ وقيل سبب نزولها ان اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الاحد والارض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والاوراق والاشجار يوم الاربعاء والشمس والقمر فى يوم الخميس وخلق آدم وحواء فى يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع احدى رجليه على الاخرى واستراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها من تتمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله يصطفى) اى يختار (قوله من الملائكة رسلا) ان قلت ان هذا يقتضى ان يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم وآية فاطر تقتضى ان الكل رسل اجيب بان التبعيض بالنسبة لارسالهم لبنى آدم والجمع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك الى ان فى الآية الحذف من الثانى لدلالة الاول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) اى من الاعمال (قوله وما خلفوا) اى لم يعملوه بالفعل (قوله او ما عملوا) اى بالفعل وقوله وما هم عاملون اى فى المستقبل (قوله ترجع الامور) اى تصير امور الخلائق اليه تعالى ويجازى كلا بعمله (قوله اى صلوا) اى وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشئ باسم أشرف اجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الاخلاق) اى وغيرهما من الخيرات الواجبة والمندوبة (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح محقق لمن فعل هذه الامور (قوله وجاهدوا فى الله) اى اعداءكم الظاهرية والباطنية فالظاهرية فرق الضلال والكفر ومجاهدتها معلومة ويسمى الجهاد الاصغر والباطنية النفس والهوى والشيطان ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيأ فشيأ ويسمى الجهاد الاكبر كما فى الحديث ووجه تسميته أكبر ان الاعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب اخرى وتصالح واذا قتلها الشخص او قتلته فهو فى الجنة بخلاف الاعداء الباطنية فلا تغيب اصلا ولا يمكن الصلح معها واذا قتلت صاحبها وغلبته فهو فى النار (قوله حق جهاده) من اضافة الصفة للموصوف اى جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) اى اصطفاكم وجعلكم امة وسطا (قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج) المراد بالدين اصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم فمن ذلك قبول توبتهم اذا ندموا وأقلعوا ولم يجعل توبتهم قتل انفسهم واذا أذنب الشخص منهم ذنبا ستره الله ولم يفضحه فى الدنيا بان يجده مكتوبا فى جبهته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك ان قلت كيف لا حرج فى الدين مع ان اليد تقطع بسرقة ربع دينار والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك اجيب بان رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع واما السراق واصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لان الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل احل اشياء وحرم اشياء فما جزاء من يتعدى الحدود الا التشديد عليه (قوله بنزع الخافض الكاف) أى كملة ابيكم فالتشبيه فى اصول الدين وفى سهولة الفروع (قوله هو سماكم المسلمين) أشار المفسر الى ان الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على ابراهيم (قوله اى قبل هذا الكتاب) اى فى الكتب القديمة (قوله وفى هذا) اى بقوله ورضيت لكم الاسلام دينا

(ماقدروا الله) عظموه (حق قدره) عظمته اذ أشركوا به مالم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله لقوى عزيز) غالب (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) رسلا نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا (ان الله سميع) لمقالتهم (بصير) بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وابراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) اى ماقدموا وما خلفوا أو ما عملوا وما هم عاملون بعد (والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) اى صلوا (واعبدوا ربكم) وحدوه (وافعلوا الخير) كصلة الرحم ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) تفوزون بالبقاء فى الجنة (وجاهدوا فى الله) لاقامة دينه (حق جهاده) باستفراغ الطاقة فيه ونصب حق على المصدر (هو اجتباكم) اختاركم لدينه (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) اى ضيق بان سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم واكل الميتة والفطر للمرض والسفر (ملة ابيكم) منصوب بنزع الخافض الكاف (ابراهيم) عطف بيان (هو) اى الله (سماكم المسلمين من قبل) اى قبل هذا الكتاب (وفى هذا) (قوله

(قوله ليكون الرسول) متعلق بسماكم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) اى بشروطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) اى لمستحقيها (قوله ثقوا) اى فى جميع أموركم (قوله هو) قدره اشارة الى ان المخصوص بالمدح محذوف وحذفه من الثانى لدلالة هذا عليه

﴿ سورة المؤمنون مكية ﴾

سورة مبتدأ والمؤمنون مضاف اليه مجرور بياء مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية ومكية خبر وظاهره ان جميعها مكى وقيل الا ثلاث آيات وهى قوله ولو رحمناهم الى آخرها فانهن مدنيات (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله او تسع عشرة آية هو قول البصريين وسبب هذا اختلافهم فى قوله تعالى ثم أرسلنا موسى وآخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية كما قاله البصريون او بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) اى لتحقيق ما يحصل فى المستقبل وتنزيله منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) اى ظفروا بمقصودهم ونجوا من كل مكروه قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله خاشعون) اى ظاهرا او باطنا فالخشوع الظاهرى التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد فى الخاصرة وغير ذلك والخشوع الباطنى استحضار عظمة الله وعدم التفكر بدنيوى وقدم الصلاة لانها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة فى الدين او الدنيا كان قولا او فعلا أو مكروها او مباحا كالهزل واللعب وضياع الاوقات فيما لا يعنى والتغول فى الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه و بالجملة فينبغى للانسان ان يرى ساعيا فى حسنة لمعاده او درهم لمعاشه ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (قوله والذين هم للزكوة) اعلم ان الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين والعشر او نصفه من الحرث والشاة من الاربعين وعلى المصدر الذى هو فعل الفاعل فعلى الاول يكون معنى فاعلون مؤدون لان القدر المخرج لا معنى لفعله وعلى الثانى ففاعلون على بابه (قوله حافظون) اى مانعون (قوله عن الحرام) اى عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله اى من زوجاتهم) أشار بذلك الى ان على بمعنى من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بما دون من وان كان المقام له لان الاناث ناقصات ولا سيما الارقاء ففيهن شبه بالبهائم فى حل البيع والشراء (قوله اى السرارى) جمع سرية بالضم وهى فى الاصل الامة التى بوئت ببيت مأخوذة من السر وهو الجماع او الاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها و يسترها عن حرته او من السرور لان مالكها يسر بها (قوله فانهم غير ملومين) علة الاستثناء (قوله كالاستمناء باليد) اى فهو حرام عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وقال أحمد بن حنبل يجوز بشروط ثلاثة ان يخاف الزنا وان لا يجد مهر حرة أو ثمن أمة وان يفعله بيده لا بيد أجنبى او أجنبية (قوله والذين هم لاماناتهم) أى ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهى عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم (قوله جمعا ومفردا) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للامانات (قوله حافظون) اى غير مضيعين لها (قوله يحافظون) اى يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لا غيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لان الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو اضافى لا حقيقى لانه ثبت ان الجنة يدخلها الاطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا

اى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة أنه بلغكم (وتكونوا) أنتم (شهداء على الناس) ان رسلهم بلغتهم (فاقيموا الصلواة) داوموا عليها (وآتوا الزكوة واعتصموا بالله) ثقوا به (هو مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى) هو (ونعم النصير) اى الناصر لكم

﴿ سورة المؤمنون مكية وهى مائة وثمان او تسع عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم قد) للتحقيق (أفلح) فاز (المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) متواضعون (والذين هم عن اللغو) من الكلام وغيره (معرضون والذين هم للزكوة فاعلون) مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) عن الحرام (الا على أزواجهم) اى من زوجاتهم (أو ما ملكت أيمانهم) اى السرارى (فانهم غير ملومين) فى اتيانهن (فمن ابتغى وراء ذلك) من الزوجات والسرارى كالاستمناء باليد فى اتيانهن (فاولئك هم العادون) المتجاوزون الى ما لا يحل لهم (والذين هم لاماناتهم) جمعا ومفردا (وعهدهم) فيما بينهم اوفيما بينهم و بين الله من صلاة وغيرها (راعون) حافظون (والذين هم على صلواتهم) جمعا ومفردا (يحافظون) يقيمونها فى أوقاتها (أولئك هم الوارثون) لا غيرهم

هو جنة أعلى الجنان (هم فيها خالدون) فى ذلك اشارة الى المعاد ويناسبه ذكر المبدا بعده (و) الله (لقد خلقنا الانسان) آدم (من سلالة) هى من سللت الشئ من الشئ أى أستخرجته منه وهو خلاصته (من طين) متعلق بسلالة (ثم جعلناه) اى الانسان نسل آدم (نطفة) منيا (فى قرار مكين) هو الرحم (ثم خلقنا النطفة علقة) دما جامدا (فخلقنا العلقة مضغة) لحما قدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وفى قراءة عظما فى الموضعين وخلقنا فى المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثم أنشأناه خلقا آخر) بنفخ الروح فيه (فتبارك الله احسن الخالقين) اى المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به اى خلقا (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) للحساب والجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) اى سبع سموات جمع طريقة لانها طرق الملائكة (وما كنا عن الخلق) تحتها (غافلين) ان تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية ويمسك السماء ان تقع على الارض (وانزلنا من السماء ماء بقدر) من

على الايمان بعد العفو لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء او يقال ان الحصر فيهم حقيقى بالنسبة للفردوس وباقى الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرثون الفردوس) عبر بالارث دون الاستحقاق لان الارث ملك دائم (قوله ويناسبه ذكر المبدا بعده) اشار بذلك الى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها والمعنى ان الآية التى سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤل اليه أمر من اتصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدا وحينئذ فبين الآيتين مناسبة وهذا اتم مما قيل ان هذه الآية جملة مستانفة لا ارتباط لها بما قبلها (قوله ولقد خلقنا الانسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات من هنا الى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى الاول تقلب الانسان فى أطوار خلقته وهى تسعة آخرها قوله تبعثون الثانى خلق السموات الثالث انزال الماء الرابع منافع الحيوانات وذكر منها اربعة انواع واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق بسلالة) اى لانه بمعنى مسلول (قوله أى الانسان نسل آدم) اشار بذلك الى ان الضمير يعود على الانسان لكن لا بالمعنى الاول وحينئذ ففى الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى فى الآية الاخرى وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (قوله فى قرار مكين) اى فى مقر متمكن وصف بذلك لانه محفوظ لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقة) قيل كلها وقيل جزء منها والباقى يوضع نصفه فى موضع تربته والنصف الثانى يوضع فى السماء فاذا اراد الله احياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية فى الارض فتوجد الخلائق بينهما وهذا هو حكمة قوله تعالى كما بدأكم تعودون (قوله وفى قراءة عظما) أى وهى سبعية ايضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أى من غير توان والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها الى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبى والضحاك وقيل الخلق الآخر هو خروجه الى الدنيا وقيل خروج اسنانه وشعره وقيل كمال شبابه والاتم انه عام فى هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل المعقولات وجميع الامور التى اشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والمعنوية التى يشير لها قول بعض العارفين

وتحسب انك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الاكبر

(قوله فتبارك الله) اى تعاظم وارتفع قدره (قوله المقدرين) اى المصورين ودفع بذلك ما يقال ان اسم التفضيل يقتضى المشاركة مع انه لا خالق غيره فاجاب بان المراد بالخلق التقدير لا الايجاد والابداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعلم به) أى من قوله الخالقين فانه يدل عليه (قوله بعد ذلك) اى من الامور العجيبة (قوله يوم القيامة) اى عند النفخة الثانية ان قلت ما حكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء لانه ورد ان مدة كل طور اربعون يوما فان نظر لآخر المدة واولها اقتضى ان يعطف بثم وان نظر لآخرها اقتضى ان يعطف بالفاء اجيب بانه نزل التفاوت بين الاطوار منزلة التراخى والبعد الحسى لان حصول النطفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها دما بخلاف جعل الدم لحما فهو قريب لمشابهته له فى اللون والصورة وكذا جعلها عظما واما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير فى كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لان كونها فوقا انما هو بعد خلق الخلق والا فوقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لانها طرق الملائكة) اى فى العروج والهبوط والطيران وقيل معنى طرائق مطروقات اى موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا فى الآية الاخرى (قوله وانزلنا من السماء) الجار والمجرور متعلق بانزلنا (قوله بقدر) أى تقدير لجلب منافعهم ودفع مضارهم وقيل المعنى

كفايتهم (فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون) فيموتون مع دوابهم عطشا (فانشا لكم به جنات من نخيل واعناب) هما اكثر فوا كه العرب (لكم فيها فوا كه كثيرة ومنها تاكلون) صيفا وشتاء (و) أنشانا (شجرة تخرج من طور سيناء) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتانيث للبقعة (تنبت) من الرباعى والثلاثى (بالدهن) الباء زائدة على الاول ومعدية على الثانى وهى شجرة الزيتون (وصبغ للآكلين) عطف على الدهن أى ادام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت (وان لكم فى الانعام) اى الابل والبقر والغنم (لعبرة) عظة تعتبرون بها (نسقيكم) بفتح النون وضمها (مما فى بطونها) اى اللبن (ولكم فيها منافع كثيرة) من الاصواف والاوبار والاشعار وغير ذلك (ومنها تاكلون وعليها) اى الابل (وعلى الفلك) اى السفن (تحملون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) أطيعوه ووحدوه (ما لكم من اله غيره) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (افلا تتقون) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره (فقال الملا الذين كفروا من قومه) لاتباعهم (ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل

بقدر حاجاتهم واليه يشير المفسر (قوله فاسكناه فى الارض) اى جعلناه ساكنا ثابتا مستقرا فى الارض بعضه على ظهرها وبعضه فى بطنها (قوله وانا على ذهاب به لقادرون) الباء فى به للتعدية والمعنى وانا لقادرون على اذهابه روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل انزل من الجنة خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله عز وجل جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد أهلها خير الدنيا والدين (قوله لكم فيها) اى الجنات (قوله ومنها) اى من ثمر الجنات كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخصت بسيناء لان اصلها منه ثم نقلت وهى اول شجرة نبتت فى الارض بعد الطوفان وتبقى فى الارض كثيرا حتى قيل انها تعمر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو الملتف بالاشجار وهو الجبل الذى نودى عليه موسى (قوله منع الصرف للعلمية والتانيث) اى وقيل للعلمية والعجمة لانه اسم اعجمى نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتهم فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كامرىء القيس ومنع من الصرف وان كان جزء علم نظرا الى انه عومل معاملة العلم (قوله والتانيث للبقعة) اى والهمزة فيه ليست للتانيث بل للالحاق بقرطاس وهى منقلبة عن ياء او واو لوقوعها متطرفة بعد الف زائدة (قوله من الرباعى والثلاثى) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وان لكم فى الانعام لعبرة) عبر فى جانب الانعام بالعبرة دون النبات لان العبرة فيها اظهر (قوله مما فى بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لان المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير فى النحل باعتبار البعض فان المراد خصوص الاناث بدليل الاقتصار على اللبن (قوله اى الابل) خصها لانها المحمول عليها غالبا و يصح عوده على الانعام لان منها ما يحمل عليه ايضا كالبقر (قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) شروع فى ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستا الاولى قصة نوح الثانية قصة هود الثالثة قصة القرون الآخرين الرابعة قصة موسى وهرون الخامسة قصة عيسى وامه والمقصود منه اطلاع الامة المحمدية على احوال من مضى ليقتدوا بهم فى الخصال المرضية و يتباعدوا عن خصالهم المذمومة ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر الف سنة وخمسين لانه ارسل على راس الاربعين ومكث يدعو قومه الف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد اقوال تقدمت (قوله مالكم من اله غيره) بمنزلة التعليل لما قبله (قوله وهو اسم ما) اى قوله اله وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع اتباعا لمحل اله والجر اتباعا للفظه قراءتان سبعيتان (قوله وماقبله الخبر) اى وهو الجار والمجرور وما مشى عليه المفسر طريقة ضعيفة للنحاة وهى جواز اعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها اذا كان الخبر ظرفا اوجارا ومجرورا والمشهور اهمالها حينئذ فكان المناسب ان يقول وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير اجهلتم فلا تتقون (قوله فقال الملأ) اى الاشراف وحاصل ماذكروه خمس مقالات الاولى ماهذا الا بشر مثلكم الثانية ولو شاء الله لانزل ملائكة الثالثة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين الرابعة ان هو الا رجل به جنة الخامسة فتربصوا به حتى حين ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردها

يتشرف (عليكم) بان يكون متبوعا وانتم أتباعه (ولو شاء الله) ان لا يعبد غيره (لانزل ملائكة) بذلك لا بشرا (ما سمعنا بهذا) الذى دعا اليه نوح من التوحيد (فى آبائنا الاولين) أى الامم الماضية (ان هو) اى ما نوح (الا رجل به جنة) حالة جنون (فتربصوا به) انتظروه (حتى حين) الى زمن موته (قال) نوح (رب انصرنى) عليهم (بما كذبون) اى بسبب تكذيبهم اياى بان تهلكهم قال تعالى مجيبا دعاءه (فاوحينا اليه ان اصنع الفلك) السفينة (٩٦) (باعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) امرنا (فاذا جاء أمرنا) باهلاكهم (وفار التنور) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فاسلك فيها) اى ادخل فى السفينة (من كل زوجين) أى ذكر وانثى أى من كل انواعهما (اثنين) ذكرا وانثى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك وفى القصة ان الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع لتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما فى السفينة وفى قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تاكيد له (واهلك) اى زوجته واولاده (الا من سبق عليه القول منهم) بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفى سورة هود ومن آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كانوا فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون فاذا استويت) اعتدلت للضمير (انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) الكافرين واهلاكهم (وقل) عند نزولك من الفلك (رب انزلنى منزلا) بضم الميم وفتح الزاى مصدرا واسم مكان و بفتح الميم وكسر الزاى مكان النزول (مباركا) ذلك الانزال أو المكان (وانت خير المنزلين) ماذكر (ان فى ذلك) المذكور من امر نوح والسفينة واهلاك الكفار (لآيات) دلالات على قدرة الله تعالى

(قوله بان يكون متبوعا) اى بادعاء الرسالة (قوله ان لا يعبد غيره) اشار بذلك الى ان مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أى بان لا يعبد غيره (قوله لا بشرا) اى لان الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شانهم ينقاد الخلق اليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا انه ما ارسل رسولا (قوله حالة جنون) اى فعلة بالكسر للهيئة قال ابن مالك * وفعلة لهيئة كجلسة * (قوله الى زمن موته) أى فكانوا يقولون لبعضهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره و يقوى أمره وان كان كاذبا فالله يخذله و يبطل امره فنستريح منه أو المراد بالحين الزمان الذى تظهر فيه العواقب فالمعنى انتظروا عاقبة أمره فان أفاق والا فاقتلوه (قوله قال رب انصرنى) أى قال ذلك بعد ان أيس من ايمانهم (قوله ان اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله باعيننا) حال من الضمير فى اصنع وجمع الاعين للمبالغة (قوله بمرأى منا وحفظنا) اشار بذلك الى ان فى الآية مجازا مرسلا لان شان من نظر الى الشئ بعينه حفظه فاطلق اللازم واريد الملزوم (قوله ووحينا) اى تعليمنا فان الله أرسل اليه جبريل فعلمه صنعتها وصنعها فى عامين وجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين والذراع الى المنكب وهذا أشهر الروايات وقيل غير ذلك وقد تقدم ا فى هود وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والهوام والوسطى للدواب والانعام والعليا للانس (قوله فاذا جاء أمرنا) اى ابتدأ ظهوره (قوله وفار التنور) عطف بيان لمجىء الامر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور فاركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء فصار الى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل مما يلى باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام (قوله علامة لنوح) أى على ركوب السفينة (قوله من كل زوجين) اى غير البشر لما يأتى انه ادخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين (قوله وغيرهما) أى من كل ما يلد أو يبيض بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق فلم يحمله فيها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بالتنوين) أى فحذف ما اضيف اليه كل وعوض عنه التنوين (قوله أى زوجته) اى المؤمنة لانه كان له زوجتان احداهما مؤمنة فاخذها معه فى السفينة والاخرى كافرة تركها وهى أم ولده كنعان (قوله وهو زوجته) أى الكافرة (قوله بخلاف سام) اى وهو ابو العرب وحام هو ابو السودان و يافث هو ابو الترك (قوله ستة رجال) اى فالجملة اثنا عشر (قوله بترك اهلاكهم) متعلق بتخاطبنى (قوله انهم مغرقون) اى محكوم عليهم بالغرق (قوله واهلاكهم) اى ونجانا من اهلاكهم (قوله وقل رب انزلنى الخ) العبرة بعموم اللفظ فهذا الدعاء تنبغى قراءته لكل من نزل فى محل يريد الاقامة فيه (قوله عند نزولك من الفلك) اى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة اشهر (قوله بضم الميم) اى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره ان الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين (قوله مباركا ذلك الانزال) تفسير

للضمير فى مباركا والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله وان كنا لمبتلين) ان مخففة واللام فارقة والمعنى
وانا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر هل يتبعونه ويتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم)
اى من بعد قوم نوح (قوله قرنا) اى قوما سموا بذلك لان بعضهم مقترن ببعض فى الزمان (قوله هم عاد)
اسم قبيلة أرسل اليها هود وماذكره المفسر من ان المراد بالقرن عاد وبالرسول هود هو ما عليه اكثر
المفسرين ويشهد له مجئ قصة هود عقب قصة نوح فى الاعراف وهود والشعراء * وخير ما فسرته بالوارد *
ولا يشكل على هذا قوله فى آخر القصة فأخذتهم الصيحة الموهم ان القرن ثمود وان الرسول صالح لانه يقال
المراد بالصيحة صيحة الريح أى شدة صوته (قوله فارسلنا فيهم) اى فى القرن وانما جعل القرن موضع
الارسال ليدل على انه لم يأت من مكان غير مكانهم (قوله رسولا منهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لان هود
ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهم ينسبون لعاد وتقدم ذلك فى هود
(قوله بان اعبدوا) أشار بذلك الى ان أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملة فيها معنى القول
دون حروفه لان ارسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال الملأ) عطف على ماقبله وأتى بالواو اشارة الى تباين الكلامين
بخلاف ما فى الاعراف وهود فانه فى جواب سؤال مقدر ولذا تركت الواو (قوله الذين كفروا) وصف
مخصص لان قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر (قوله وأترفناهم فى الحياة الدنيا) اى اعطيناهم ملكا عظيما
قال تعالى مذكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيهم أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون (قوله ما هذا الا بشر
مثلكم) هذه شبهة أولى تنتهى لقوله لخاسرون والثانية انكارهم البعث وتنتهى لقوله بمبعوثين وأهمل
الجواب عنهما لفسادهما وركاكتهما (قوله ويشرب مما تشربون) اى منه فحذف العائد لاستكمال
الشروط التى اشار اليها ابن مالك بقوله كذا الذى جر بما الموصول جر * كمر بالذى مررت فهو بر
(قوله ولئن اطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لاولهما) اى
على القاعدة التى ذكرها ابن مالك بقوله

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولا يصلح ان يكون جوابا للشرط لعدم وجود الفاء (قوله انكم اذا متم الخ) الكاف اسم ان وخاسرون
خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر واذا لتأكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر اذا اطعتموه (قوله
أيعدكم) استفهام لتقرير ماقبله (قوله انكم مخرجون) اى من القبور ومن العدم الى الوجود تارة اخرى
(قوله تأكيدا لها) اى تأكيد لفظى (قوله اسم فعل ماض) اختلف فى اسم الفعل فقيل معناه لفظ الفعل وعليه
فهو مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب والثانى توكيد له واللام زائدة وما اسم موصول فاعله وتوعدون
صلته او اللام للبيان والفاعل مستتر فيه والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور وقيل معناه المصدر وعليه فهو
مبتدأ فى محل رفع والثانى توكيد له ولما توعدون متعلق بمحذوف خبر المبتدأ واللام ليست زائدة اذا علمت
ذلك فكلام المفسر رضي الله عنه فى غاية الاجمال لان قوله اسم فعل ماض احد قولين وقوله بمعنى مصدر
هو القول الثانى وقوله اى بعد يصح ان يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيرا للفعل الماضى او بلفظ المصدر
فيكون تفسيرا للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهره على كل من القولين وليس كذلك بل هى زائدة على
كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لا على كونها للبيان ولا على كونه مصدرا وقوله للبيان هذا قول
ثان فكان المناسب ان يأتى باو وترك التفريع على المصدر وتقدم انها ليست زائدة بل متعلقة بمحذوف
خبر وفى هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الاربعين والمشهور منها ستة عشر وهى هيهات بفتح التاء

(وان) مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشان (كنا
لمبتلين) مختبرين قوم نوح
بارساله اليهم ووعظه (ثم
انشأنا من بعدهم قرنا) قوما
(آخرين) هم عاد (فارسلنا
فيهم رسولا منهم) هودا
(ان) اى بان (اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره أفلا
تتقون) عقابه فتؤمنون
(وقال الملأ من قومه الذين
كفروا وكذبوا بلقاء
الآخرة) أى بالمصير اليها
(واترفناهم) نعمناهم (فى
الحياة الدنيا ما هذا الا بشر
مثلكم يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون و)
الله (لئن اطعتم بشرا مثلكم)
فيه قسم وشرط والجواب
لاولهما وهو مغن عن جواب
الثانى (انكم اذا) اى اذا
أطعتموه (لخاسرون) اى
مغبونون (أيعدكم انكم اذا
متم وكنتم ترابا وعظاما
انكم مخرجون) هو خبر انكم
الاولى وانكم الثانية تاكيد
لها لما طال الفصل (هيهات
هيهات) اسم فعل ماض
بمعنى مصدر أى بعد بعد
(لما توعدون) من
الاخراج من القبور واللام
زائدة للبيان (ان هى)

أى ما الحياة (الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا) بحياة ابنائنا (ومانحن بمبعوثين أن هو) اى ما الرسول (الارجل افترى على الله كذبا ومانحن له بمؤمنين) اى مصدقين فى البعث بعد الموت (قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل) من الزمان وما زائدة (ليصبحن) ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (٩٨) (فاخذتهم الصيحة) صيحة العذاب والهلاك كائنة (بالحق) فماتوا (فجعلناهم غثاء) وهو نبت يبس اى صيرناهم مثله فى اليبس (فبعدا) من الرحمة (للقوم الظالمين) المكذبين (ثم انشانا من بعدهم قرونا) اقواما (آخرين ماتسبق من امة اجلها) بان تموت قبله (وما يستاخرون) عنه ذكر الضمير بعد تانيثه رعاية للمعنى (ثم ارسلنا رسلنا تترا) بالتنوين وعدمه اى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كلما جاء امة) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو (رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا) فى الهلاك (وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين) حجة بينة وهى اليد والعصا وغيرهما من الآيات (الى فرعون وملئه فاستكبروا) عن الايمان بها وبالله (وكانوا قوما عالين) قاهرين بنى اسرائيل بالظلم (فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) مطيعون خاضعون (فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) اى قومه بنى اسرائيل (يهتدون) به من الضلالة واوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة استثقلت (وجعلنا ابن مريم) عيسى (وامه آية) لم يقل آيتين لان الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل (وآويناهما الى ربوة) مكان مرتفع وهو بيت المقدس اودمشق اوفلسطين اقوال (ذات قرار) اى مستوية يستقر عليها ساكنوها (ومعين) اى ماء جار ظاهر تراه العيون

وضمها وكسرها وفى كل مع التنوين وبدونه وهيهات باسكان التاء أو ابدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان اما بالهاء أولا أو ابدالها همزة وقرئ بالجميع لكن المتواتر القراءة الاولى وهى الفتح من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) اشار بذلك الى أن ان نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياة ابنائنا) جواب عما يقال ان فى قولهم ونحيا اعترافا بالبعث مع كونهم منكرين له * فاجاب بان المراد وتحيا ابناؤنا بعد موتنا (قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم اياى (قوله صيحة العذاب والهلاك) جواب عما يقال ان الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود (قوله كائنة بالحق) أى العدل فيهم واشار بذلك الى ان الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غثاء) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو نبت يبس) الاوضح ان يقول وهو العشب اذا يبس (قوله فبعدا للقوم الظالمين) بعدا مصدر بدل من لفظ الفعل والاصل بعدوا بعدا واللام اما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعدا وهو اخبار أو دعاء عليهم (قوله ثم أنشانا من بعدهم) اى من بعد قوم هود ونوح وقوله قرونا آخرين أى كقوم صالح وابراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله وما يستاخرون) اى لا يتاخرون عنه والمقصود من هذه الآية التقريع والتخويف لاهل مكة كانه قال لا تغتروا بطول الامل فان للظالم وقتا يؤخذ فيه لا يتقدم عليه ولا يتاخر عنه (قوله بعد تانيثه) اى فى قوله اجلها الراجع الى أمة وقوله رعاية للمعنى اى لان أمة بمعنى قوم (قوله تترا) التاء مبدلة من واو وأصله وترا وهو مصدر على التحقيق ومعناه المتابعة مع مهلة وقيل المتابعة مطلقا وان لم تكن مهلة ولكن الآية تفسر بالاول لانه الواقع (قوله بالتنوين وعدمه) اى فهما قراءتان سبعيتان فمن نون قال ان الفه للالحاق بجعفر كعلقى ولما نون ذهبت الفه لالتقاء الساكنين ومن لم ينون قال ان ألفه للتانيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) اى فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع احدوثة كاعجوبة واضحوكة ما يتحدث به عجبا وتسليا ولا يقال ذلك الا فى الشر ولا يقال فى الخير (قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون) بعدا منصوب بمحذوف اى بعدوا عن رحمتنا بعدا لا يزول (قوله بآياتنا) اى التسع وهى العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف اشارة الى ان المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان ايضا (قوله وغيرهما) اى من باقى التسع (قوله لبشرين مثلنا) افرد مثل لانه يجرى مجرى المصادر فى الافراد والتذكير ولا يؤنث أصلا (قوله وقومهما لنا عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أى من جملة من هلك (قوله أى قومه بنى اسرائيل) اشار بذلك الى ان الضمير فى لعلهم راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه لان التوراة انما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) اما راجع لقوله وأوتيها او راجع لهلاك فرعون وقومه (قوله لان الآية فيهما واحدة) اى لان ولادته من غير اب امر خارق للعادة فيصح نسبته لها وله (قوله وآويناهما الى ربوة) سبب ذلك ان ملك ذلك الزمان كان اراد ان يقتل عيسى فهربت به امه الى تلك الربوة ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك (قوله وهو بيت المقدس) هو اعلى مكان من الارض لانه يزيد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو اقرب البقاع الى السماء (قوله ومعين) اسم مفعول من عان يعين فهو معين واصله معيون كمبيوع

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) الحلالات (واعملوا صالحا) من فرض ونفل (إني بما (٩٩) تعملون عليم) فاجازيكم عليه (و) اعلموا

(ان) هذه) اى ملة الاسلام (أمتكم) دينكم ايها المخاطبون اى يجب ان تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة وفى قراءة بتخفيف النون وفى أخرى بكسرها مشددة استئنافا (وأنا ربكم فاتقون) فاحذرون (فتقطعوا) اى الاتباع (أمرهم) دينهم (بينهم زبرا) حال من فاعل تقطعوا اى احزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كل حزب بما لديهم) اى عندهم من الدين (فرحون) مسرورون (فذرهم) اى اترك كفار مكة (فى غمرتهم) ضلالتهم (حتى حين) اى حين موتهم (أيحسبون انما نمدهم به) نعطيهم (من مال وبنين) فى الدنيا (نسارع) نعجل (لهم فى الخيرات) لا (بل لا يشعرون) ان ذلك استدراج لهم (ان الذين هم من خشية ربهم) خوفهم منه (مشفقون) خائفون من عذابه (والذين هم بآيات ربهم) القرآن (يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) معه غيره (والذين يؤتون) يعطون (ما آتوا) اعطوا من الصدقة والاعمال الصالحة (وقلوبهم وجلة) خائفة ان لا تقبل منهم (انهم) يقدر قبله لام الجر (الى ربهم راجعون اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) فى علم الله (ولا نكلف نفسا الا وسعها) اى طاقتها فمن لم يستطع ان يصلى قائما فليصل جالسا ومن لم يستطع ان يصوم فليأكل (ولدينا)

استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) خطاب لجميع الرسل على وجه الاجمال فليس المراد انهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة بل المراد خوطب كل رسول فى زمانه بذلك بان قيل مثلا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا انى بما تعمل عليم وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشنيع على رهبانية النصارى حيث يزعمون ان ترك المستلذات مقرب الى الله فرد الله عليهم بان المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات (قوله الحلالات) اى مستلذات ام لا (قوله واعملوا صالحا) أى شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا من ربكم (قوله فاجازيكم عليه) اى ان خيرا فخير وان شرا فشر فالآية فيها ترغيب وترهيب (قوله واعلموا ان هذه امتكم) قدر المفسر لفظ اعلموا اشارة الى ان ان بفتح الهمزة معمولة لمحذوف وهذه اسمها وأمتكم خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم) اشار بذلك الى ان المراد بالامة الدين والمراد به العقائد لانها هى التى اتحدت فى جميع الشرائع واما الاحكام الفرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع (قوله وفى قراءة بتخفيف النون) اى والهمزة مفتوحة والعامل مقدر كما فى المشددة واسمها ضمير الشان وهذه أمتكم مبتدأ وخبر والجملة خبر ان (قوله استئنافا) اى فهو اخبار من الله بان جميع الشرائع متفقة الاصول والقرآت الثلاث سبعيات (قوله فاتقون) اى افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه (قوله فتقطعوا أمرهم) اى جعلوا دينهم مفرقا فلذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الاديان الباطلة (قوله زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) اى لاعتقادهم أنهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير لكفار مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسلية له (قوله فى غمرتهم) مفعول ثان لذرهم اى مستقرين فيها والغمرة فى الاصل الماء الذى يغمر القامة ثم استعير ذلك للجهالة والغمر بالضم يقال لمن لم يجرب الامور والغمر بالكسر الحقد (قوله من مال وبنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) اضراب انتقالى أى لا يعلمون ان توسعة الدنيا عليهم ليست ناشئة عن الرضا عليهم بل استدراج لهم قال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما (قوله ان الذين هم) الذين اسم ان وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون وكذا يقال فيما بعده (قوله مشفقون) الاشفاق الخوف مع زيادة التعظيم فهو اعلى من الخشية وهذه الاوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزمه الاتصاف بالباقى (قوله القرآن) اى وغيره من باقى الكتب السماوية (قوله يعطون) اشار بذلك الى ان قوله يؤتون من الايتاء وهو الاعطاء (قوله وقلوبهم وجلة) الجملة حالية من فاعل يؤتون اى والحال ان قلوبهم خائفة من عدم قبول اعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه ولذا ورد عن ابى بكر الصديق انه قال لا آمن مكر الله ولو كانت احدى قدمى داخل الجنة والاخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى اثرت الدموع فى خديه (قوله يقدر قبله لام الجر) اى فيكون تعليلا لقوله وجلة (قوله أولئك يسارعون فى الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله ان الذين هم من خشية ربهم وما عطف عليه فاسم ان اربع موصولات وخبرها جملة أولئك الخ (قوله وهم لها سابقون) الضمير قيل للخيرات وقيل للجنة وقيل للسعادة وقوله فى علم الله اى كتبوا سابقين فى علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم (قوله ولا نكلف نفسا الا وسعها) اى تفضلا منه سبحانه وتعالى والا فلا يسئل عما يفعل وأتى بهذه الآية عقب اوصاف المؤمنين اشارة الى ان تلك الاوصاف فى طاقة الانسان وكذا جميع التكاليف التى افترضها الله على عباده فعلا وتركا وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب

عند نا (كتاب ينطق بالحق) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الاعمال (وهم) اى النفوس العاملة (لا يظلمون) شيا منها فلا ينقص من ثواب اعمال الخيرات ولا يزاد فى السيآت (بل قلوبهم) اى الكفار (فى غمرة) جهالة (من هذا) القرآن (ولهم اعمال من دون ذلك) المذكور للمؤمنين (هم لها عاملون) فيعذبون عليها (حتى) ابتدائية (اذا أخذنا مترفيهم) اغنياءهم ورؤساءهم (بالعذاب) اى السيف يوم بدر (اذاهم يجارون) يضجون يقال لهم (لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون) لا تمنعون (قد كانت آياتى) من القرآن (تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون) ترجعون قهقرى (مستكبرين) عن الايمان (به) اى بالبيت أو بالحرم بانهم اهله فى أمن بخلاف سائر الناس فى مواطنهم (سامرا) حال اى جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تهجرون) من الثلاثى تتركون القرآن ومن الرباعى أى تقولون غير الحق فى النبي والقرآن قال تعالى (أفلم يدبروا) أصله يتدبروا فادغمت التاء فى الدال (القول) اى القرآن الدال على صدق النبي (ام جاءهم مالم يات آباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجىء الرسل للامم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والامانة وان لا جنون به (بل) للانتقال (جاءهم بالحق) القرآن اى القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق) اى القرآن (أهواءهم) بان جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك (لفسدت السموات والارض ومن فيهن) اى خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع فى الشىء

واما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها قال بعض العارفين

اذا رفع الحجاب فلا ملاله * لتكليف الاله ولا مشقه

(قوله عندنا) اى عندية رتبة ومكانة واختصاص (قوله ينطق بالحق) اى يبين اعمال العباد خيرها وشرها (قوله بما عملته) الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها (قوله وهم لا يظلمون) الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس لانه نكرة فى سياق النفى (قوله فلا ينقص من ثواب اعمال الخيرات الخ) اى لان الاعمال كلها والجزاء عليها مثبتة فى اللوح المحفوظ وهو مطابق لما فى علم الله (قوله بل قلوبهم) رجوع لاحوال الكفار (قوله ولهم اعمال) اى سيئة (قوله من دون ذلك) اى غير ما ذكر للمؤمنين والمعنى ان الكفار لهم اعمال مضادة ومخالفة لاوصاف المؤمنين المقدمة (قوله هم لها عاملون) اى مستمرون عليها (قوله ابتدائية) اى تبتدأ بعدها الجمل (قوله اذا أخذنا مترفيهم) اذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه واذا الثانية للمفاجاة قائمة مقام الفاء قال ابن مالك

وتخلف الفا اذا المفاجاه * كان تجد اذا لنا مكافاه

(قوله اغنياءهم ورؤساءهم) اى كابى جهل واضرابه من صناديدهم (قوله يجارون) أى يصرخون ويبتهلون او يستغيثون ويلتجؤن فى كشف العذاب عنهم ومع ذلك فلا ينفعهم (قوله يقال لهم) الاقرب ان ذلك عند قبض ارواحهم حين تاتيهم الملائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم وقيل انه يوم القيامة حين يعذبون فى النار (قوله قد كانت آياتى الخ) تعليل لما قبله (قوله تنكصون) من باب جلس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقرى) اى الى جهة الخلف وهو كناية عن اعراضهم عن الايمان (قوله به) الجار والمجرور اما متعلق بمستكبرين او بسامرا وأشار المفسر الى ان الضمير اما عائد على البيت او الحرم (قوله سامرا) من السمر وهو الحديث ليلا (قوله حال) المناسب للمفسر ان يقول احوال ويؤخره عن قوله تهجرون لان الاحوال ثلاثة مستكبرين وسامرا وتهجرون (قوله اى جماعة) اشار بذلك الى ان سامرا اسم جمع واحده سامر (قوله من الثلاثى) اى ماخوذ من الهجران وهو الترك او من هجر هجرا بالتحريك هذى وتكلم بما لا يعقله (قوله ومن الرباعى) اى ماخوذ من الاهجار وهو الفحش فى الكلام (قوله افلم يدبروا القول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلم يدبروا وهذا شروع فى بيان ان اقدامهم على هذه الضلالات لا بد ان يكون لاحد أمور أربعة احدها ان لا يتاملوا فى دليل نبوته وهو القرآن المعجز مع انهم تاملوا وظهرت لهم حقيقته ثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول امر غريب لم تسمع ولم ترد عن الامم السابقة وليس كذلك لانهم عرفوا ان الرسل كانت ترسل الى الامم ثالثها ان لا يكونوا عالمين بامانته وصدقه قبل ادعاء النبوة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه فى غاية الامانة والصدق رابعها ان يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لانهم كانوا يعلمون انه اعقل الناس وسياتى خامس فى قوله ام تسئلهم خرجا وأم فى المواضع الاربعة مقدرة ببل الانتقالية وهمزة الاستفهام التقريرى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله من صدق النبي الخ) بيان للحق على طبق الآية على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله واكثرهم للحق) أى

قراءة اخرى خراجا فيهما (وهو خير الرازقين) افضل من اعطى واجر (وانك لتدعوهم الى صراط) طريق (مستقيم) اى دين الاسلام (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) اى الطريق (لناكبون) عادلون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أى جوع اصابهم بمكة سبع سنين (للجوا) تمادوا (فى طغيانهم) ضلالتهم (يعمهون) يترددون (ولقد اخذناهم بالعذاب) الجوع (فما استكانوا) تواضعوا (لربهم وما يتضرعون) يرغبون الى الله بالدعاء (حتى) ابتدائية (اذا فتحنا عليهم بابا ذا) صاحب (عذاب شديد) هو يوم بدر بالقتل (اذا هم فيه مبلسون) آيسون من كل خير (وهو الذى انشأ) خلق (لكم السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة) القلوب (قليلا ما) تاكيد للقلة (تشكرون وهو الذى ذرأكم) خلقكم (فى

القرآن وغيره فهو أعم من الحق الاول ولذا أظهر فى مقام الاضمار وأشار بقوله وأكثرهم الى أن الاقل لم يدم على كراهة الحق بل رجع عن كفره وآمن (قوله عادة) المناسب أن يقول عقلا لان وجود الشريك يقضى بفساد العالم عقلا لا عادة (قوله بل أتيناهم بذكرهم) اضراب انتقالى والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه والعامة على قصر أتيناهم وقرئ بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ فالباء اما زائدة وذكرهم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أو تاء المخاطب وقوله بذكرهم هكذا قرأ العامة وقرئ شذوذا بذكراهم بالف التانيث وبذكركم بنون العظمة (قوله أم تسالهم خرجا) راجع لقوله أم يقولون به جنة وما بينهما اعتراض (قوله فخراج ربك خير) تعليل لنفى السؤال المستفاد من الانكار (قوله أجره وثوابه) أى فى الآخرة وقوله ورزقه أى فى الدنيا فهذه الامور كالخراج من حيث ان الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفى قراءة خرجا فى الموضعين الخ) أى فالقراآت الثلاث سبعيات لكن الاولى أبلغ من حيث انه عبر فى حق الله بالخراج المفيد للتكرار وفى حق العبيد بالخرج المفيد عدم التكرار والمماثلة فى القراءتين الباقيتين المشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد أى أثاب (قوله عن الصراط) متعلق بناكبون (قوله عادلون) أى زائغون ومنحرفون (قوله ولو رحمناهم الخ) قال الاشياخ الاظهر ان هذه الآية والتين بعدها الى مبلسون مدنيات وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة دعا على أهل مكة بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فقحطوا حتى اكلوا العلهز وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاى معجمة شئ كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل فى سنى المجاعة فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت الآية (قوله للجوا) اللجاج التمادى والاستمرار على العناد فى تعاطى الفعل المنهى عنه (قوله ولقد أخذناهم بالعذاب) تاكيد لما قبله (قوله فما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو الى ماقبلها فتحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت الفا والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع الى الله فى الماضى ولم يحصل منهم التجاء الى الله فى المستقبل (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل (قوله اذا فتحنا عليهم) اذا شرطية واذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أى فالابلاس اليأس ومنه ابليس ليأسه من رحمة الله (قوله وهو الذى انشأ لكم الخ) خطاب للخلق عموما قصد به تذكير النعم للمؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم فى مصارفها لان السمع خلق ليسمع به مايرشد والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال اوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتامل بها فى مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النعم فى مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ وافرد السمع وجمع الابصار تفننا (قوله تاكيد للقلة) اى لفظ ما تاكيد للقلة المستفادة من التنكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) اى تحيون بعد الموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) اى خلقا وايجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه اى اغفلتم فلا تعقلون ان القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) اى كفار مكة (قوله مثل ما قال الاولون) اى من

الارض واليه تحشرون) تبعثون (وهو الذى يحيي) بنفخ الروح فى المضغة (ويميت وله اختلاف الليل والنهار) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) صنعه تعالى فتعتبرون (بل قالوا) اى كفار مكة (مثل ما قال الاولون قالوا) اى الاولون (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون)

لا وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) اي البعث بعد الموت

(من قبل ان) ما (هذا الا اساطير) أكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع أسطورة بالضم (قل) لهم (لمن

الارض ومن فيها) من الخلق (ان كنتم تعلمون) خالقها ومالكها (سيقولون لله قل) لهم (افلا تذكرون) بادغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون ان القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) الكرسي (سيقولون الله قل افلا تتقون) تحذرون عبادة غيره (قل من بيده ملكوت) ملك (كل شيء) والتاء للمبالغة (وهو يجير ولا يجار عليه) يحمى ولا يحمى عليه (ان كنتم تعلمون سيقولون الله) وفي قراءة لله بلام الجر في الموضعين نظرا الى ان المعنى من له ما ذكر (قل فاني تسحرون) تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده اي كيف تخيل لكم أنه باطل (بل أتيناهم بالحق) بالصدق (وانهم لكاذبون) في نفسه وهو (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا) اي لو كان معه اله (لذهب كل اله بما خلق) اي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء

عليه (ولعلا بعضهم على بعض) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سبحان الله) تنزيه له (عما يصفون) ه به مما ذكر (عالم) الغيب الذي

والشهادة) ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو مقدرا (فتعالى) تعظم (عما يشركون) ه معه (قل رب اما) فيه ادغام نون ان

الشرطية في ما الزائدة (تريني ما يوعدون) من العذاب هو صادق بالقتل ببدر (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين)

قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله وادخال الف بينهما) اي وترك الادخال فالقراآت اربع سبعيات في الثاني وثلاث في الاول بترك الادخال بين المحققتين (قوله لقد وعدنا) وعد فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توكيد له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل ايضا وقوله هذا مفعول ثان لوعدونا ئب الفاعل مفعول اول والاصل وعدنا الآن محمد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبلنا به وقدم المرفوع الذي هو نائب الفاعل هنا وعكس في النمل تفننا واشارة الى انه يجوز الامران (قوله قل لهم) اي لاهل مكة المنكرين للبعث (قوله من الخلق) اي المخلوقات عقلاء وغيرهم (قوله ان كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فاخبروني بخالقهما (قوله سيقولون الله) اخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه (قوله بادغام التاء) اي بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها (قوله الكرسي) المناسب ابقاؤه على ظاهره فان العرش على التحقيق غير الكرسي (قوله والتاء للمبالغة) اي وكذا الواو فهما زائدتان كزيادتهما في الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة (قوله يحمى ولا يحمى عليه) الاول بفتح الياء كيرمي والثاني بضمها والمعنى يمنع ويحفظ من اراد حفظه ولا يمنع منه احد ولا ينصر من اراد خذلانه قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده (قوله وفي قراءة لله بلام الجر) اي وهو لمعظم السبعة (قوله في الموضعين) اي الاخيرين واما جواب السؤال الاول فهو باللام باتفاق السبعة ولم يقرأ بدونها احد (قوله نظرا الى ان المعنى) اي فلام الجر مقدرة في السؤال فظهرت في الجواب نظرا للمعنى واما على قراءة اسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لانه لا فرق بين قوله من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وان شئت قلت لزيد لان السؤال لا فرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أو من ربها (قوله قل فاني) اي فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله اي فكيف يخيل لكم) اشار بذلك الى ان المراد بالسحر التخيل والوهم لا حقيقته (قوله في نفيه) اي الحق (قوله من ولد) من زائدة في المفعول وقوله من اله من زائدة في اسم كان (قوله اي لو كان معه اله) اشار بذلك الى ان قوله اذا لذهب جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية علم من قوله وما كان معه من اله وتقدم تحقيق الكلام في هذا البرهان في الانبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضي ان هذا أمر عادي لا الزام قطعي وهو خلاف التحقيق بل التحقيق انه دليل عقلي قطعي (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على الوحدانية كانه قال الله عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلمهما فغيره ليس باله (قوله بالجر صفة) اي للفظ الجلالة او بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدرا اي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما يشركون) عطف على معنى ما تقدم كانه قال علم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب لان الله ما أمره بدعاء الا استجاب له (قوله اما تريني) ان شرطية وما زائدة وتريني فعل الشرط والنون للوقاية والياء مفعول اول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تاكيد للاول وقوله فلا تجعلني الخ جواب الشرط (قوله بالقتل ببدر) اي وهو

(السيئة) أذاهم اياك وهذا قبل الامر بالقتال (نحن أعلم بما يصفون) اى يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه (وقل رب أعوذ) أعتصم (بك من همزات الشياطين) نزغاتهم بما يوسوسون به (وأعوذ بك رب أن يحضرون) فى أمورى لانهم انما يحضرون بسوء (حتى) ابتدائية (اذا جاء أحدهم الموت) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قال رب ارجعون) الجمع للتعظيم (لعلى أعمل صالحا) بان أشهد أن لا اله الا الله يكون (فيما تركت) ضيعت من عمرى أى فى مقابلته قال تعالى (كلا) اى لا رجوع (انها) اى رب ارجعون (كلمة هو قائلها) اى ولا فائدة له فيها (ومن ورائهم) أمامهم (برزخ) حاجز يصدهم عن الرجوع (الى يوم يبعثون) ولا رجوع بعده (فاذا نفخ فى الصور) القرن النفخة الاولى أو الثانية (فلا أنساب بينهم يومئذ) يتفاخرون بها (ولا يتساءلون) عنها خلاف حالهم فى الدنيا لما يشغلهم من عظم الامر عن ذلك فى بعض مواطن القيامة وفى بعضها يفيقون وفى آية فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فاولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيآت (فاولئك الذين خسروا أنفسهم) فهم (فى جهنم خالدون

الذى رآه بالفعل (قوله فاهلك بهلاكهم) اى لان شؤم الظالم قد يعم غيره ان قلت ان رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجيب بانه أمر بذلك اظهارا للعبودية وتواضعا لربه وتعظيما للاجر وليكون فى جميع الاوقات ذاكرا لله تعالى (قوله وانا على ان نريك الخ) ان حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وما واقعة على العذاب وقادرون خبر ان واللام لام الابتداء زحلقت للخبر والمعنى وانا لقادرون على ان نريك العذاب الذى نعدهم به (قوله اى الخصلة الخ) أشار بذلك الى ان التى صفة لموصوف محذوف وقوله من الصفح الخ بيان للخصلة التى هى أحسن (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالتى هى أحسن ولو فى حال القتال كان الله يقول له اذا قدرت عليهم فاصفح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به وحينئذ فتكون الآية محكمة وقد حصل منه هذا الامر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى فى كل وقت لان العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جدا وهو وان كان معصوما فالمقصود تعليم أمته واظهارا لالتجاء لربه (قوله من همزات الشياطين) جمع همزة وهى النخسة (قوله نزغاتهم) اى افساداتهم والمعنى أتحصن بك من وساوس الشيطان (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل اشارة الى ان هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال الكافر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم يقل رب ارجعنى بالافراد مع ان المخاطب واحد وأجيب أيضا بان الواو لتكرير الطلب كانه قال ارجعنى ارجعنى ارجعنى او الجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه كانه استغاث بالله أولا ثم رجع الى طلب الرجوع الى الدنيا من الملائكة (قوله يكون فيما تركت) اى بدلا عنه (قوله اى لا رجوع) أشار بذلك الى ان كلا هنا معناها النفى ومع ذلك فيها معنى الردع والزجر (قوله اى رب ارجعون) اى وما بعدها (قوله ومن ورائهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التى من حين الموت الى البعث والمعنى ان بينهم وبين الرجعة حجابا ومانعا من الرجوع وهو الموت اذا علمت ذلك فالاموات لا تعود أجسامهم فى الدنيا بارواحهم كما كانوا أبدا وانما يبعثون يوم القيامة لا فرق بين الانبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من انهم يجتمعون بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة فالمراد ان روحه الشريفة تشكلت بصورة جسده الشريف وكذا يقال فى الاولياء والشهداء لان أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فارواحهم محبوسة لا تسعى فى الملكوت (قوله ولا رجوع بعده) اى يوم البعث (قوله النفخة الاولى) هو قول ابن عباس وقوله او الثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفاخرون بها) جواب عما يقال ان الانساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها فاجاب بان معنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بانسابهم وأجيب أيضا بان معنى لا أنساب بينهم لا أنساب تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة (قوله خلاف حالهم فى الدنيا) اى لانهم كانوا يسئلون عن بعضهم فى الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولا يتساءلون ودفع بذلك ما يقال كيف الجمع بين هذه الآية وآية وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجمع المفسر بان القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على ان المراد النفخة الثانية واما على أن المراد النفخة الاولى فوجه الجمع ان نفى السؤال انما هو عند النفخة الاولى لموتهم حينئذ واثباته انما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع اما للتعظيم أو باعتبار الموزون (قوله بالحسنات) الباء سببية اى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيآت) اى بسبب ثقل السيآت والمعنى فمن رجحت حسناته فاولئك هم المفلحون ومن رجحت سيآته فاولئك الذين خسروا الخ (قوله فهم فى جهنم) أشار المفسر

تلفح وجوههم النار) تحرقها (وهم فيها كالحون) شمرت شفاههم العليا والسفلى عن اسنانهم ويقال لهم (الم تكن آياتى) من القرآن (تتلى عليكم) تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) وفى قراءة شقاوتنا بفتح اوله والف وهما مصدران بمعنى (وكنا قوما ضالين) عن الهداية (ربنا اخرجنا منها فان (١٠٤) عدنا) الى المخالفة (فانا ظالمون قال) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخسئوا فيها) ابعدوا فى النار اذلاء (ولا تكلمون) فى رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم (انه كان فريق من عبادى) هم المهاجرون (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حتى انسوكم ذكرى) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الانساء فنسب اليهم (وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم) النعيم المقيم (بما صبروا) على استهزائكم بهم واذاكم اياهم (انهم) بكسر الهمزة (هم الفائزون) بمطلوبهم استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم (قال) تعالى لهم بلسان مالك وفى قراءة قل (كم لبثتم فى الارض) فى الدنيا وفى قبوركم (عدد سنين) تمييز (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) شكوا فى ذلك واستقصروه لعظم ماهم فيه من العذاب (فاسئل العادين) اى الملائكة المحصين اعمال الخلق (قال) تعالى بلسان مالك وفى قراءة ايضا قل (ان) اى ما (لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة الى لبثكم فى النار قوله (افحسبتم انما خلقناكم عبثا) لا لحكمة (وانكم الينا لا ترجعون) بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لنتعبدكم بالامر والنهى وترجعوا الينا ونجازى على ذلك وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فتعالى الله) عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)

الى ان قوله فى جهنم خبر لمحذوف (قوله تلفح وجوههم) اللفح الاصابة بشدة (قوله شمرت شفاههم الخ) اى فالكالح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد انه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخى السفلى حتى تبلغ سرته (قوله تتلى عليكم) اى فى الدنيا (قوله وفى قراءة) وهى سبعية ايضا (قوله وهما مصدران بمعنى) اى وهو سوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) اى وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة وقيل اثنا عشر الف سنة بعدد البروج وقيل ثلثمائة الف سنة وستون سنة بعدد ايام السنة (قوله اخسئوا فيها) اى اسكتوا سكوت هوان وذل (قوله فينقطع رجاؤهم) اى وهذا آخر كلامهم فى النار فلا يسمع لهم بعد ذلك الا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله انه كان فريق) تعليل لما قبله (قوله بضم السين وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) المناسب ان يقول بدله وخباب لان سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب اليهم) اى وحقه ان ينسب الى الاستهزاء (قوله وكنتم منهم تضحكون) اى وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة وبفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما يقال ان قوله قال يقتضى ان الله يكلمهم مع انه قال فى آية اخرى ولا يكلمهم الله فاجاب بان المكلم لهم الملك عن الله (قوله وفى قراءة قل) اى وهى سبعية ايضا والحاصل ان هنا وفيما ياتى فى قوله قال ان لبثتم ثلاث قراآت سبعيات الامر فيهما والماضى فيهما والامر فى الاول والماضى فى الثانى (قوله كم لبثتم) كم فى محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين هو مميزها والمعنى لبثتم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لانهم كانوا يعتقدون بقاءهم فى الدنيا ويعولون على اللبث فيها وينكرون البعث فلما ادخلوا النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سالهم عن لبثهم فى الدنيا زيادة فى تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث ظهر خلافه (قوله فاسئل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لانه غشيهم من الهول والعذاب ما يشغلهم عن ضبط ذلك واحصائه (قوله قال تعالى) اى تقريعا وتوبيخا وتصديقا لهم (قوله لو انكم) لو هنا امتناعية ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف ايضا قدره المفسر بقوله كان قليلا اى فى علمكم والمعنى لو انكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لعلمتم قلة لبثكم فى الدنيا (قوله افحسبتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فحسبتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانكار (قوله عبثا) اما حال مؤول باسم الفاعل اى عابثين او مفعول لاجله والعبث اللعب وكل ما ليس فيه غرض صحيح فقوله لا لحكمة تفسير للعبث (قوله وانكم الينا لا ترجعون) عطف على انما خلقناكم فيكون حسب مسلطا عليه (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدره جوابا للاستفهام (قوله بل لنتعبدكم) اى لنكلفكم (قوله على ذلك) اى على امتثال التعبد المذكور (قوله الا ليعبدون) اى حكمة خلقى لهم كونهم يمتثلون اوامرى ويجتنبون نواهى (قوله فتعالى الله) اى تنزه (قوله الملك الحق) اى الذى يحق له التصرف فى ملكه بالايجاد والاعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ما سواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجر صفة للعرش لان كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرئ شذوذا بالرفع على انه نعت مقطوع للمدح

(قوله الكرسي) تقدم ان المناسب ابقاؤه على ظاهره (قوله هو السرير الحسن) هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها اسقاطها (قوله صفة كاشفة) أى بيان للواقع لان كل من ادعى مع الله الها آخر لا بد وان يكون لا برهان له به (قوله فانما حسابه عند ربه) هو جواب الشرط (قوله انه لا يفلح الكافرون) الجمهور على كسر ان استئنافا وفيه معنى العلة وقرئ شذوذا بالفتح على انه خبر حسابه والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم (قوله فى الرحمة زيادة على المغفرة) أى فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تخلية ففى الغفران محو السيئات وفى الرحمة رفع الدرجات (قوله افضل رحمة) بالنصب على التمييز

﴿سورة النور﴾

سميت بذلك لذكر النور فيها وفى هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الاحكام الدينية المفصلة ولذلك كتب عمر رضي الله عنه الى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضى الله عنها لا تنزلوا النساء فى الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل (قوله هذه سورة) اشار المفسر الى ان سورة خبر لمحذوف قدره بقوله هذه والاشارة لما فى علم الله لكونها فى حكم الحاضر المشاهد و يصح ان تكون سورة مبتدأ وجملة انزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزانى والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا أو الخبر محذوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهى لعامة القراء وقرئ سورة بالنصب بفعل مضمر يفسره انزلناها فهو من باب الاشتغال او على الاغراء اى دونك سورة (قوله وفرضناها) اى اوجبنا مافيها من الاحكام ايجابا قطعيا (قوله مخففا ومشددا) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وانزلنا فيها) كرر الانزال لكمال الاعتناء بشأنها (قوله آيات بينات) أى دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر فى اول هذه السورة أنواعا من الاحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد فقوله وفرضناها اشارة الى الاحكام وقوله وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى الادلة (قوله بادغام التاء الثانية) اى بعد قلبها دالا فذالا أى وبتسكينها اى فهما قراءتان سبعيتان وبقيت ثالثة سبعية ايضا وهى حذف احدى التاءين (قوله الزانية والزانى) مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم او جملة فاجلدوا ودخلت الفاء لشبه المبتدا بالشرط وعليه درج المفسر وقدمت المرأة فى حد الزنا وأخرت فى آية حد السرقة لان شهوة الزنا فى المرأة اقوى واكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهى فى الرجل اقوى واكثر (قوله لرجمهما بالسنة) اشار بذلك الى ان الزانية والزانى لفظ عام يشمل المحصن وغيره فالسنة اخرجت المحصن وبينت ان حده الرجم فصار الكلام فى غيره (قوله فاجلدوا كل واحد منهما الخ) اى بسوط لين له رأس واحدة ويجرد الرجل من ثيابه والمرأة مما يقيها ألم الضرب وتوضع فى قفة فيها تراب للستر (قوله والرقيق على النصف مما ذكر) اى الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعى وقال مالك لا يغرب الا الذكر الحر واما المرأة والرقيق فلا يغربان (قوله ولا تأخذكم) قرأ العامة بالتاء مراعاة للفظ وقرئ شذوذا بالياء التحتية (قوله رأفة) بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان وقرئ بالمد بوزن سحابة والرأفة اشد الرحمة ويقال رؤف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب (قوله بان تتركوا شيأ من حدهما) اى لان اقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد اقامة حد لله تعالى فى الارض خير من ان تمطروا اربعين صباحا (قوله فى هذا) اى قوله ان كنتم تؤمنون الخ (قوله تحريض) اى حث على ماقبل الشرط وهو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (قوله وهو جوابه) أى كما هو رأى الكوفيين وقوله اودال اى كما هو رأى البصريين

الكرسي هو السرير الحسن (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به) صفة كاشفة لا مفهوم لها (فانما حسابه) جزاؤه (عند ربه انه لا يفلح الكافرون) لا يسعدون (وقل رب اغفر وارحم) المؤمنين فى الرحمة زيادة على المغفرة (وانت خير الراحمين) افضل رحمة

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان او اربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه (سورة انزلناها وفرضناها) مخففا ومشددا لكثرة المفروض فيها (وانزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالات (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الذال تتعظون (الزانية والزانى) اى غير المحصنين لرجمهما بالسنة وال فيما ذكر موصولة وهو مبتدا ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) اى ضربة يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله) أى حكمه بان تتركوا شيأ من حدهما (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) اى يوم البعث فى هذا تحريض على ماقبل الشرط وهو جوابه اودال على جوابه

(وليشهدعذابهما) اى الجلد (طائفةمن المؤمنين) قيل ثلاثةوقيل اربعةعددشهودالزنا (الزانى لاينكح) يتزوج (الا زانية اومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك) اى المناسب لكل منهما ماذكر (وحرم ذلك) اى نكاح الزوانى (على المؤمنين) الاخيار نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين ان يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم (والذين يرمون المحصنات) العفيفات بالزنا (ثم لم يأتوا باربعة شهداء) على زناهن برؤيتهم (فاجلدوهم) اى كل واحد منهم (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة) فى شىء (أبدا وأولئك هم الفاسقون) لاتيانهم كبيرة (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) عملهم (فان الله غفور) لهم قذفهم (رحيم) بهم بالهامهم التوبة فيها ينتهى فسقهم وتقبل شهادتهم وقيل لا تقبل رجوعا بالاستثناء الى الجملة الاخيرة (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) عليه (الا أنفسهم) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فشهادة أحدهم) مبتدأ (أربع شهادات) نصب على المصدر (بالله انه لمن الصادقين) فيما رمى به زوجته من الزنا (والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين)

(قوله وليشهد عذابهما طائفة) الامر للندب والطائفة الفرقة التى يمكن ان تكون حلقة (قوله قيل ثلاثة الخ) القولان للشافعى وعند مالك اقل ذلك أربعة (قوله اى المناسب لكل منهما ماذكر) أى فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية والمعنى ان الزانى يرغب فى نكاح الزانية اوالمشركة والزانية ترغب فى نكاح الزانى اوالمشرك (قوله وحرم ذلك على المؤمنين) اى لما فيه من المفاسد كالطعن فى النسب والتعرض للتهم والتشبه بالفساق فالواجب التزوج بالعفيفات لما فى الحديث تخيروا لنطفكم فان العرق دساس (قوله نزل ذلك) اى الآية وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية وانما ذكر الاولى زيادة فى التنفير (قوله وهن موسرات) اى غنيات (قوله خاص بهم) اى ولم ينسخ الى الآن (قوله وانكحوا الايامى) جمع ايم وهى من ليس لها زوج بكرا او ثيبا ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزانى والزانية وغيرهما فغاية الامر ان نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم ان الزانى والزانية اما ان يرجما ان كانا محصنين او يجلدا ان لم يكونا كذلك فتبين ان الزانى أمره عظيم شديد لا بد وان يثبت اما باقرار او باربعة عدول فان انتفى واحد من ذلك حد المدعى فبين هذه الآية وماقبلها شدة مناسبة وقوله الذين مبتدأ و يرمون صلته والخبر ثلاث جمل الاولى فاجلدوهم الثانية قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا الثالثة قوله وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبه الاتهام بالرمى بجامع التادية للهلاك فى كل لانه ان ثبت ذلك الامر فقد هلك المرمى وان لم يثبت فقد هلك الرامى وقوله المحصنات لا مفهوم له بل وكذا المحصنون وانما خصهن بالذكر لان الشان قوة شهوة النساء (قوله العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة لان الاحصان كما يطلق على العفة يطلق على التزوج وعلى الحرية ومفهوم قوله العفيفات انه اذا رمى غير عفيف لا يحد ويشترط زيادة على العفة ان يكون المرمى يتاتى منه الزنا او اللواط بان يكون ذا آلة فان رمى مجبوبا عزر ولا يحد وان يكون حرا مسلما مكلفا فان انتفى شرط منها لم يحد القاذف الا رامى الصبى باللواط به او الصبية المطيقين فعند مالك يحد وعند الشافعى يعزر (قوله بالزنا) أى او اللواط فى آدمى مطيق او جنى تشكل بآدمى (قوله باربعة شهداء) اى عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهداء اى يشهدون بانهم رأوا الذكر فى الفرج ولا بد ان يتحدوا فى الرؤية والاداء فان اختلفوا ولو فى اى صفة حد الجميع (قوله ابدا) أى ماداموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعى وقال أبو حنيفة لا تقبل شهادتهم ولو تابوا (قوله الا الذين تابوا) استثناء متصل لان المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم (قوله من بعد ذلك) أى القذف (قوله فيها ينتهى فسقهم) هذا مبنى على رجوع الاستثناء للجملتين الاخيرتين وهو مذهب مالك والشافعى فعندهما ان التائب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لا تقبل) هذا مذهب ابى حنيفة واتفق الجميع على ان القاذف يجلد وان تاب فليس الاستثناء راجعا الى الجملة الاولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء افصح من اثباتها الا فى المواريث (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعى له ترك البينة ويلاعن وأجاب عن الآية بانها خرجت على سبب النزول فانه لم يكن لهم بينة (قوله الا أنفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك) اى قذف الزوجة بالزنا (قوله لجماعة من الصحابة) اى وهم هلال بن أمية وعويمر العجلانى وعاصم بن عدى (قوله نصب على المصدر) اى والعامل شهادة وفى قراءة سبعية أيضا بالرفع خبر المبتدا (قوله من الزنا) اى او نفى الحمل لان اللعان كما يكون فى رؤية الزنا يكون فى نفى الحمل (قوله والخامسة ان لعنة الله الخ) بالرفع لا غير باتفاق السبعة وقوله ان تشهد

فى ذلك وخبر المبتدا تدفع عنه حد القذف (ويدرأ) يدفع (عنها العذاب اى حد الزنا الذى ثبت بشهاداته (ان تشهد اربع) شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فى ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بالستر فى ذلك (وان الله تواب) بقبوله التوبة فى ذلك وغيره (حكيم) فيما حكم به فى ذلك وغيره لبين الحق فى ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها (ان الذين جاؤا بالافك) اسوإ الكذب على عائشة رضى الله عنها ام المؤمنين بقذفها (عصبة منكم) جماعة من المؤمنين قالت حسان بن ثابت وعبد الله بن ابى ومسطح وحمنة بنت جحش (لا تحسبوه) ايها المؤمنون غير العصبة (شرا لكم بل هو خير لكم) يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان فانها قالت كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بعد ما انزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شانى واقبلت الى الرحل فاذا عقدى انقطع هو بكسر المهملة القلادة فرجعت ألتمسه وحملوا هودجى هو ما يركب فيه على بعيرى يحسبونى فيه وكانت النساء خفافا انما يأكلن العلقة هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام اى القليل ووجدت عقدى وجئت بعد ما ساروا فجلست فى المنزل الذى كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدونى فيرجعون الى فغلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فادلج هما بتشديد الراء والدال اى نزل من آخر الليل للاستراحة فسار منه

أربع شهادات بالنصب لاغير باتفاق السبعة وقوله والخامسة ان غضب الله الخ يجوز فى السبعة رفعه ونصبه فتحصل أن الخامسة الاولى بالرفع لاغير وفى الثانية الوجهان ولفظ اربع الاول فيه الوجهان والثانى بالنصب لاغير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب ان اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله وفى لعانه ابعاد الزوجة والولد وفى لعانها اغضاب الرب والزوج والاهل ان كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدا) أى الذى هو قوله فشهادة أحدهم (قوله فى ذلك) أى فيما رماها به ﴿فائدة﴾ يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وايجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتأبيد تحريمها وفسخ نكاحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لبين الحق فى ذلك) جواب لولا (قوله ان الذين جاؤا بالافك الخ) شروع فى ذكر الآيات المتعلقة بالافك وهى ثمانية عشر تنتهى بقوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة هذه الآيات لما قبلها ان الله لما ذكر ما فى الزنا من الشناعة والقبح وذكر ما يترتب على من رمى غيره به وذكر انه لا يليق بآحاد الامة فضلا عن زوجة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتعلق بذلك (قوله أسوإ الكذب) أى أقبحه وأفحشه (قوله على عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهى بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة (قوله عصبة منكم) العصبة من العشرة الى الاربعين وان كان من عبنتهم وذكرتهم أربعة فقط لانهم هم الرؤساء فى هذا الامر (قوله من المؤمنين) أى ولو ظاهرا فان عبد الله بن أبى من كبار المنافقين (قوله قالت) أى عائشة فى تعيين أهل الافك (قوله وحمنة بنت جحش) هى زوجة طلحة بن عبيد الله (قوله لا تحسبوه شرا لكم) لخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم (قوله بل هو خير لكم) أى لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله يأجركم الله به) أى بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء معها) أى يقود بها الراحلة (قوله وهو صفوان) أى السلمى ابن المعطل (قوله فى غزوة) قيل هى غزوة بنى المصطلق وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى السادسة وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ضرار أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وردها عليهم (قوله بعد ما أنزل الحجاب) أى وهى قوله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب (قوله وآذن) بالمد والقصر أى اعلم (قوله وقضيت شانى) أى حاجتى كالبول مثلا (قوله فاذا عقدى انقطع) أى وكان من جزع اظفار وهو الخرز اليمانى غالى القيمة وكان أصله لامها أعطته لها حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لاختها أسماء (قوله التمسه) اى افتش عليه (قوله فجلست فى المنزل الذى كنت فيه) اى وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها فان من الآداب ان الانسان اذا ضل عن رفقته وعلم انهم يفتشون عليه ان يجلس فى المكان الذى فقدوه فيه ولا ينتقل منه فربما رجعوا فلم يجدوه (قوله فنمت) اى وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها (قوله وكان صفوان قد عرس) اى وكان صاحب ساقة رسول الله لشجاعته وكان اذا رحل الناس قام يصلى ثم اتبعهم فما سقط منهم شئ الا حمله حتى يأتى به اصحابه (قوله فسار منه) اى فادلج بالتشديد سار من آخر الليل واما ادلج سار من اوله

(قوله فى منزله) اى منزل الجيش الذى مكثت فيه عائشة (قوله ووطئ على يدها) اى الراحلة خوف ان تقوم (قوله موغرين) أى أتينا الجيش فى وقت القيلولة (قوله فهلك من هلك) اى تكلم بما كان سببا فى هلاكه (قوله فى) اى بسببى (قوله ابن ابى ابن سلول) نسب اولا لابيه ثم لامه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار ما اختصره والا فحديثها له بقية كما فى البخارى وهى فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا وهم يفيضون من قول اصحاب الافك ويريبنى فى وجعى انى لا ارى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين أمرض انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت بفتح فكسر اى برئت من مرضى فخرجت انا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لانخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول فى البرية او فى التنزه فاقبلت انا وأم مسطح بنت رهم نمشى فعثرت فى مرطها هو بكسر الميم كساء من صوف فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت ياهنتاه اى قليلة المعرفة الم تسمعى ما قالوا فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تيكم فقلت ائذن لى الى ابوى قالت وانا حينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوى فقلت لامى ما يتحدث به الناس قالت يا بنيتى هونى على نفسك الشان فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله فاما اسامة فاشار اليه بالذى يعلم من نفسه بالود لهم فقال اسامة هم اهلك يارسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما على بن ابى طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير واسال الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال يا بريرة هل رأيت فيها شيأ يريبك فقالت بريرة لا والذى بعثك بالحق نبيا ان رأيت منها امرا أغمصه عليها هو بهمزة مفتوحة فغين معجمة فصاد مهملة اى اعيبه وانكره اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن العجين فياتى الداجن هو بدال مهملة ثم جيم ما يالف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابى ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرنى من رجل بلغنى اذاه فى اهلى فوالله ما علمت فى اهلى الا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلى الا معى فقام سعد ابن معاذ وقال يارسول الله انا والله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير فقال كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت وبكيت يومى لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم فاصبح عندى ابواى وقد بكيت ليلتى ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدى قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى اذ استأذنت امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه فى شانى شيء قالت فتشهد ثم قال يا عائشة انه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى

فاصبح فى منزله فرأى سواد انسان نائم اى شخصه فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى اى قوله انا لله وانا اليه راجعون فخمرت وجهى بجلبابى اى غطيته بالملاءة والله ما كلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته ووطىء على يدها فركبتها فانطلق يقودبى الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة اى من اوغر واقفين فى مكان وغر من شدة الحر فهلك من هلك فى وكان الذى تولى كبره منهم عبدالله بن أبى ابن سلول اهـ قولها رواه الشيخان

قال تعالى (لكل امرئ منهم) اى عليه (ما اكتسب من الاثم) في ذلك (والذى تولى كبره منهم) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبدالله بن أبى (له عذاب عظيم) هو النار فى الآخرة (لولا) هلا (اذ) حين (سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم) اى ظن بعضهم ببعض (خيرا وقالوا هذا افك مبين) كذب بين فيه التفات عن الخطاب اى ظننتم ايها العصبة وقلتم (لولا) هلا (جاؤا) اى العصبة (عليه باربعة شهداء) شاهدوه (فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله) اى فى حكمه (هم الكاذبون) فيه

أى انقطع جريانه حتى ما احس منه بقطرة وقلت لابى أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما ادرى ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبي عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما ادرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيرا من القرآن فقلت انى والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس ووقر فى انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى لبريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى لبريئة لتصدقننى والله ما أجد لى ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وانا أرجو ان يبرئنى الله ولكن والله ما ظننت ان ينزل فى شانى وحى ولانا أحقر فى نفسى من ان يتكلم بالقرآن فى أمرى ولكن كنت أرجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام ان برح مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل عليه الوحى فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء أو الشدة والكرب حتى انه لينحدر منه مثل الجمان أى اللؤلؤ من العرق فى يوم شات فلما سرى أى كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال ياعائشة احمدى الله فقد برأك الله فقالت أمى قومى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الآيات فلما انزل الله هذا فى براءتى قال ابو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله لا انفق على مسطح بشيء أبدا بعد ما قال فى عائشة فانزل الله عز وجل ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية الى قوله غفور رحيم فقال ابو بكر بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن أمرى فقال يازينب ما علمت ما رأيت فقالت يارسول الله احمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها الا خيرا قالت وهى التى كانت تساميني فعصمها الله بالورع انتهى (قوله لكل امرىء منهم) أى من العصبة (قوله ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب من الاثم فى الدنيا وهو لغير عبدالله بن أبى فانهم قد حدوا حد القذف وعمى حسان وشلت يده فى آخر عمره وعمى مسطح أيضا أو فى الدنيا والآخرة وهو لابن أبى فعذبه الله بخزى الدنيا والخلود فى النار (قوله لولا اذ سمعتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين فى الافك وانهم اكتسبوا الاثم شرع فى توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر الاول هذا والثانى لولا جاؤا عليه الخ والثالث ولولا فضل الله الخ الرابع اذ تلقونه الخ الخامس ولولا اذ سمعتموه الخ السادس يعظكم الله الخ السابع ان الذين يحبون الخ الثامن ولولا فضل الله عليكم الخ التاسع ياايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الى سميع عليم ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضى لان لولا لها ثلاثة أحوال اذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ واذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض واذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية وقد كررت هنا فى ست مواضع الاول والثانى والرابع توبيخية لا جواب لها والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها فى الثالث والسادس وحذف فى الخامس فتدبر واذا ظرف لظن والمعنى كان ينبغى لكم بمجرد سماعه ان تحسنوا الظن فى أم المؤمنين ولا تصروا على الامر القبيح بعد سماعه (قوله بانفسهم) أى بابناء جنسهم فى الايمان والصحبة (قوله فيه التفات عن الخطاب) اى الى الغيبة اذ كان مقتضى الظاهر ظننتم وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة فى توبيخهم (قوله لولا جاؤا عليه) أى الافك (قوله شاهدوه) أى عاينوا الزنا (قوله فى حكمه) أى الشرعى لان مداره على الشهادة والامر الظاهر وهذا جواب عما يقال انهم كاذبون عند الله مطلقا ولو أتوا بشهداء فاجاب بانهم كاذبون باعتبار حكم

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم) ايها العصبة اى خضتم (فيه عذاب عظيم) فى الآخرة (اذ تلقو بالسنتكم) اى يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل احدى التاءين واذ منصوب بمسكم أو بافضتم (وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا) لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) فى الاثم (ولولا) هلا (اذ) حين (سمعتموه قلتم ما يكون) ما ينبغ (لنا أن نتكلم بهذا سبحانك) هو للتعجب هنا (هذا بهتان) كذب (عظيم يعظكم الله) ينهاكم (ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين) تتعظون بذلك (و يبين الله لكم الآيات) فى الامر والنهى (والله عليم) بما يامر به و ينهى عنه (حكيم) فيه (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) باللسان (فى الذين آمنوا) بنسبتها اليهم وهم العصبة (لهم عذاب اليم فى الدنيا) بحد القذف (والآخرة) بالنار لحق الله (والله يعلم) انتفاءها عنهم (وأنتم) ايها العصبة بما قلتم من الافك (لا تعلمون) وجودها فيهم (ولولا فضل الله عليكم) ايها العصبة (ورحمته وان الله رؤف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طرق تزيينه (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) اى المتبع (يامر بالفحشاء) اى القبيح (والمنكر) شرعا باتباعها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم) ايها العصبة بما قلتم من الافك (من أحد أبدا) أى ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه (ولكن الله يزكى) يطهر (من يشاء) من الذنب بقبول توبته منه (والله سميع) بما قلتم (عليم) بما قصدتم (ولا يأتل) يحلف (أولوا الفضل) اى اصحاب الغنى (منكم والسعة أن) لا (يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) نزلت فى ابى بكر حلف ان لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجرى بدرى

الشرع ولا شك انهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله انهم صادقون فى الظاهر فاراد الله ان يكذبهم ظاهرا او باطنا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم والمعنى امتنع مس العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما افضتم فيه) اى بسببه وما اسم موصول وأفضتم صلة أو مصدرية أى بسبب الذى افضتم فيه او بسبب افاضتكم (قوله عذاب عظيم) اى لغير ابن سلول فان عذابه محتم (قوله اذ تلقونه بالسنتكم) اى تتلفظون به باللسان فقط دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها وانما تلفظهم بالافك محض حسد وعناد (قوله ولولا اذ سمعتموه) لولا توبيخية واذ ظرف لقلتم والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الامر ان تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين لولا وقلتم لانه يغتفر فى الظروف ما لا يغتفر فى غيرها (قوله هو للتعجب هنا) اى مع التنزيه والمعنى تنزيها لك من انتهاك حرماتك فانه غير لائق بك ولا باحبابك الذين قلت فيهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا (قوله ينهاكم) اشار بذلك الى انه ضمن يعظكم معنى ينهاكم فعداه بعن (قوله ابدا) أى مدة حياتكم (قوله ان كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه اى فلا تعودوا لمثله (قوله باللسان) اى فالمراد باشاعتها اشاعة خبرها (قوله بنسبتها اليهم) اشار بذلك الى ان المراد بالذين آمنوا خصوص عائشة وصفوان (قوله وهم العصبة) تفسير للذين يحبون (قوله لحق الله) اى ذنب الاقدام وهو محمول على عبد الله بن أبى وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وان الله رؤف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لعاجلكم بالعقوبة) جواب لولا وخبر المبتدا محذوف والتقدير موجودان (قوله خطوات) ضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله ومن يتبع خطوات الشيطان) شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح ابدا وقوله فانه يامر الخ تعليل للجواب (قوله اى المتبع) هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان (قوله باتباعهما) متعلق بيامر (قوله ما زكى منكم من احد ابدا) هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا وهو كذلك الا عبد الله بن أبى فانه استمر على النفاق حتى هلك كافرا (قوله ولا يأتل) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الياء (قوله اى اصحاب الغنى) فى تفسير الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق (قوله الا ان لا يؤتوا) اشار المفسر الى ان الكلام على تقدير لا النافية (قوله أولى القربى) اى القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين معطوف على أولى فهذه الاوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف ان لا ينفق على مسطح) اى فبعد ذلك تاب وجاء الى ابى بكر واعتذر وقال انما كنت اغشو مجلس حسان واسمع منه ولا أقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل وكفر عن يمينه ❊ (لطيفة) ❊ وقع لابن المقرى انه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لابيه

لا تقطعن عادة برولا ❊ تجعل عقاب المرء فى رزقه ❊ فان أمر الافك من مسطح
يحط قدر النجم من افقه ❊ وقد جرى منه الذى قد جرى ❊ وعوتب الصديق فى حقه

❊ (فكتب اليه والده) ❊

قد يمنع المضطر من ميتة ❊ اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة ❊ توجب ايصالا الى رزقه

لما خاض فى الافك بعد ان كان ينفق عليه وناس من الصحابة اقسموا ان لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الافك (وليعفوا وليصفحوا) عنهم فى ذلك (الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) للمؤمنين قال ابو بكر بلى انا احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه (ان الذين يرمون) بالزنا (المحصنات) العفائف (الغافلات) عن الفواحش بان لا يقع فى قلوبهن فعلها (المؤمنات) بالله ورسوله (لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم) ناصبه الاستقرار الذى تعلق به لهم (تشهد) بالفوقانية والتحتانية (عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم (ويعلمون ان الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاءه الذى كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن ابى والمحصنات هنا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر فى قذفهن توبة ومن ذكر فى قذفهن اول السورة التوبة غيرهن (الخبيثات) من النساء ومن الكلمات (للخبيثين) من الناس (والخبيثون) من الناس (للخبيثات) مما ذكر (والطيبات) مما ذكر (للطيبين) من الناس (والطيبون) منهم (للطيبات) مما ذكر اى اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله (اولئك) الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مبرؤون مما يقولون) اى الخبيثون والخبيثات من النساء فيهم (لهم) للطيبين والطيبات من النساء (مغفرة ورزق كريم) فى الجنة وقد افتخرت عائشة باشياء منها انها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا

لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

انتهى (قوله لما خاض فى الافك) ظرف لقوله حلف (قوله وليعفوا) اى أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) اى ليعرضوا عن لومهم (قوله ورجع الى مسطح ما كان ينفقه عليه) اى وحلف ان لا ينزع نفقته منه ابدا ومسطح هو ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله الغافلات عن الفواحش) اى لسلامة صدورهن ونقاء قلوبهن واستغراقهن فى مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا فى الدنيا) اى بعدوا فيها عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين وقوله والآخرة اى بالعذاب ان لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الخ) اى والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية والتحتانية) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهم او ليعلمون (قوله جزاءهم الواجب عليهم) اشار بذلك الى ان المراد بالدين الجزاء لما فى الحديث كما تدين تدان (قوله هو الحق) اى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ومنهم عبد الله بن ابى) أتى بهذا ليصح قوله كانوا يشكون فيه فالشك من بعضهم واما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لا يترددون فى الجزاء (قوله أزواج النبى) اى لان من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراكهن فى العفة والصيانة والنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لم يذكر فى قذفهن توبة) اى مثل ما ذكر فيما تقدم فى قوله الا الذين تابوا (قوله ومن ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب التهويل والتعظيم لامر الافك والا فهو كغيره من سائر المعاصى التى تمحى بالتوبة واما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضى الله عنها بصفوان كفرا لمصادمة القرآن العظيم فاعتقاد براءتها شرط فى صحة الايمان (قوله الخبيثات للخبيثين) كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة وتقبيحا على من تكلم فيها والمعنى ان المجانسة من دواعى الانضمام فالخبيث لا يكاد يألف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم * وكل إناء بالذى فيه ينضح * (قوله والطيبات للطيبين) الاشارة بذلك لرسول الله وعائشة اى فحيث كان رسول الله اطيب الطيبين تبين بذلك ان عائشة من أطيب الطيبات (قوله من الناس ومن الكلمات) هذان قولان فى تفسير الخبيثات وقوله مما ذكر اى من الناس والكلمات (قوله اى اللائق بالخبيث مثله) اى من نساء او كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة باشياء) منها ان جبريل عليه السلام اتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك ويروى انه اتى بصورتها فى راحته ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل الوحى عليه وهى معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وفى القرطبى قال بعض اهل التحقيق ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمى بالفاحشة برأه الله على لسان صبى فى المهد وان مريم لما رميت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام وان عائشة لما رميت بالفحشاء برأها الله بالقول فما رضى لها براءة صبى ولا نبى حتى براها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الخ) لما ذكر الله احكام العفاف وكان من جملة العفاف عدم دخول منازل الغير الا باذن اهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك وسبب نزولها ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله انى اكون فى بيتى على حال لا احب ان يرانى عليها احد

غير بيوتكم حتى تستانسوا) (١١٢) اى تستاذنوا (وتسلموا على اهلها) فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل كما ورد فى حديث (ذلكم خيرلكم) من الدخول بغير استئذان (لعلكم تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الذال خيريته فتعلمون به (فان لم تجدوا فيها احدا) ياذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم) بعد الاستئذان (ارجعوا فارجعوا هو) اى الرجوع (ازكى) اى خير (لكم) من القعود على الباب (والله بما تعملون) من الدخول باذن وغير اذن (عليم) فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع) اى منفعة (لكم) باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (والله يعلم ما تبدون) تظهرون (وما تكتمون) تخفون فى دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسياتى انهم اذا دخلوا بيوتهم يسلمون على انفسهم (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة (ويحفظوا فروجهم) عما لا يحل لهم فعله بها (ذلك ازكى) اى خير (لهم ان الله خبير بما يصنعون) بالابصار والفروج فيجازيهم عليه (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن فعله بها (ولا يبدين) يظهرن

لا والدولا ولد فيا تى الاب فيدخل على وانه لا يزال يدخل على رجل من اهلى وانا على تلك الحالة فنزلت (قوله غير بيوتكم) اى غير محل سكنكم وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار اذا دخل على مكتريها فيجب عليه الاستئذان لانه قد صدق عليه انه غير بيته (قوله حتى تستانسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش سمى بذلك لان المستاذن مستوحش فاذا اذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل) اشار بذلك الى ان السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الاكثر والحق التفصيل فان وقع بصره على احد فى البيت قدم السلام والا قدم الاستئذان ثم يسلم ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير الاول اعلام والثانى للتهيؤ والثالث استئذان فى الدخول أو الرجوع واذا اتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه بل يجئ من جهة ركنه الايمن أو الايسر واذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه ولا يكتفى بقوله انا مثلا لما روى عن جابر بن عبد الله قال استاذنت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أنا كانه كره ذلك لعدم افادته فالواجب ان يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين اراد الدخول على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مشربة فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليكم أيدخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) اى ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فربما اصاب الرجل مع امراته فى لحاف (قوله بادغام التاء الثانية فى الذال) اى بعد قلبها دالا فذالا (قوله احد ياذن لكم) السالبة تصدق بنفى الموضوع فهو صادق بان لا يكون فيها احد اصلا أو فيها من لا يصلح للاذن أو فيها من يصلح لكن لم ياذن (قوله حتى يؤذن لكم) اى حتى ياتيكم الاذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو ازكى) اى اطهر لكم من الرذائل والدناآت (قوله ليس عليكم جناح) هذا كالاستثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم وسبب نزولها ان ابا بكر رضى الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يارسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت (قوله غير مسكونة) اى غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها (قوله باستكنان) اى طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والشراء (قوله المسبلة) اقتصر عليها لانه مورد سؤال ابى بكر فى الخانات المسبلة التى بين مكة والشام (قوله وسياتى) اى فى آخر السورة فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليكم اى وان كان بها اهل فسلموا عليهم (قوله قل للمؤمنين الخ) شروع فى ذكر احكام تعم المستاذنين وغيرهم (قوله يغضوا) اى يخفضوا (قوله ومن زائدة) اى يغضوا ابصارهم وحكمة دخول من فى غض البصر دون حفظ الفرج الاشارة الى ان امر النظر اوسع من امر الفرج (قوله ذلك ازكى لهم) اى لانه ابعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقى الجوارح كذلك وخص البصر والفرج بالذكر لانهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) اى فالغاض يجازى بالحسنات وغيره يجازى بالسيئات (قوله وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) هذا امر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الابصار وحفظ الفروج وبسط الكلام فى شانهن لان النساء شانهن التبرج والخيلاء والعجب لما روى اذا اقبلت المرأة جلس ابليس على راسها فزينها لمن ينظر واذا ادبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر وقد اشتملت هذه الآية على خمس وعشرين ضميرا للاناث ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير فى القرآن فى هذا الشان (قوله عما لا يحل لهن فعله بها) اى عن الامر الذى لا يحل فعله بالفروج كان تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظرا أو فعلا

زينتهن الا ماظهر منها) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لاجنبي ان لم يخف فتنة فى احد وجهين والثاني يحرم لانه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اى يسترن الرؤس والاعناق والصدور بالمقانع (ولا يبدين زينتهن)

الخفية وهى ماعدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) جمع بعل اى زوج (او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن) فيجوز لهم نظره الا مابين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الازواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ماملكت ايمانهن العبيد (او التابعين) فى فضول الطعام (غير) بالجر صفة والنصب استثناء (اولى الاربة) اصحاب الحاجة الى النساء (من الرجال) بان لم ينتشر ذكر كل (او الطفل) بمعنى الاطفال (الذين لم يظهروا) يطلعوا (على عورات النساء) للجماع فيجوز ان يبدين لهم ماعدا مابين السرة والركبة (ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) من خلخال يتقعقع (وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لعلكم تفلحون) تنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفى الآية تغليب الذكور على الاناث (وانكحوا الايامى منكم) جمع ايم وهى من ليس لها زوج بكرا كانت اوثيبا ومن ليس له زوج وهذا فى الاحرار والحرائر (والصالحين)

(قوله زينتهن) أى موضع زينتهن (قوله فيجوز نظره لاجنبي الخ) هذا مذهب مالك واحد قولين عند الشافعي (قوله حسما للباب) اى سدا للذريعة (قوله وليضربن بخمرهن) أى يلقين خمرهن على موضع جيوبهن وهو العنق والجيب فى الاصل طوق القميص وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها فامرن بارسال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها (قوله زينتهن) أى مواضع زينتهن (قوله الا لبعولتهن) حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعا آخرها والطفل (قوله او آبائهن) اى وان علوا (قوله او ابنائهن) اى ولو من الرضاع وان سفلوا (قوله او اخوانهن) جمع أخ كان من نسب او رضاع (قوله او نسائهن) اى نساء جنسهن اللاتى اشتركن معهن فى الايمان فيخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أى يجوز للرجال المحارم رؤية ماعدا مابين السرة والركبة من محارمهم النساء ويجوز لهن نظر ذلك منهم وهذا مذهب الشافعي وعند مالك لايحل للرجال المحارم الا نظر الوجه والاطراف من النساء المحارم واما النساء فيحل لهن نظر ماعدا مابين السرة والركبة من الرجال المحارم (قوله فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن) أى باتفاق مالك والشافعي لئلا تصفها الكافرة لاهل دينها فتحصل المفاسد (قوله العبيد) أى فيجوز ان يكشفن لهم ماعدا مابين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين وهذا مذهب الشافعي وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيدته الوجه والاطراف وغيره كالحر الاجنبي يرى منها الوجه والكفين (قوله او التابعين) الحق ان المراد بالتابع الشيخ الهرم الذى لا يشتهي النساء أو الابله الذى لا يعرف الارض من السماء ولا الرجل من المرأة (قوله غير أولى الاربة) بالكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين اى فيجوز لمن ذكر نظر ماعدا مابين السرة والركبة عند الشافعي وعند مالك يحل نظر الوجه والاطراف فقط (قوله الذين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم ان الصبي اما ان لا يبلغ أن يحكي مارأى وهذا غيبته كحضوره أو ان يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم او يعرف امر الجماع والشهوة وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي (قوله ليعلم مايخفين من زينتهن) أى فان ذلك يورث الرجال ميلا اليهن وهذا من باب سد الباب وتعليم الاحوط والا فصوت الخلخال مثلا ليس بعورة (قوله وتوبوا الى الله جميعا) هذا حسن اختتام لهذه الآية كان الله يقول لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شئ مما نهيته عنه فليتب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أى فى قوله وتوبوا الخ (قوله وانكحوا الايامى منكم الخ) الخطاب للاولياء والسادات والانكاح تزويج الغير (قوله جمع أيم) أى بوزن فيعل قيل غير مقلوب وقيل ان الاصل أيائم فقلب (قوله وهى من ليس لها زوج الخ) اى فلفظ الايم يطلق على كل من الرجل والمرأة الغير المتزوجين سواء سبق لهما تزوج اولا والامر للوجوب ان خيف الزنا على المرأة او الرجل او اضطرت المرأة للنفقة لكن [illegible] لها الرجل التزوج بنفسه ان كان رشيدا او اذن له ولده [illegible] فى حنيفة تزوج [illegible] لم يخف الزنا اولم تضطر المرأة [illegible] واعلم ان النكاح تعتريه الاحكام الاربعة فتارة [illegible] ان خاف الزنا [illegible] وتارة [illegible] كان راغبا فيه ولم يخش الزنا [illegible] وتارة يحرم [illegible] ينفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا وتارة يكره [illegible] (قوله وهذا فى الاحرار الخ) اى بقرينة

أى المؤمنين (من عبادكم وامائكم) وعباد من جموع عبد (ان يكونوا) اى الاحرار (فقراء يغنهم الله) بالتزوج (من فضله والله واسع)
لخلقه (عليم) بهم (وليستعفف

الذين لا يجدون نكاحا) اى ماينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حتى يغنيهم الله)
يوسع عليهم (من فضله) فينكحون (والذين يبتغون الكتاب) بمعنى المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا) أى أمانة وقدرة على الكسب لاداء مال الكتابة وصيغتها مثلا كاتبتك على ألفين فى شهرين كل شهر ألف فاذا أديتهما فانت حر فيقول قبلت (وآتوهم) أمر للسادة (من مال الله الذى آتاكم) ما يستعينون به فى أداء ماالتزموه لكم وفى معنى الايتاء حط شئ مما التزموه (ولا تكرهوا فتياتكم) اى اماءكم (على البغاء) اى الزنا (ان أردن تحصنا) تعففا عنه وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط (لتبتغوا) بالاكراه (عرض الحياة الدنيا) نزلت فى عبدالله بن أبى كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور) لهن (رحيم) بهن (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) بفتح الياء وكسرها فى هذه السورة بين فيها ماذكر او
بينة (ومثلا) خبرا عجيبا وهو خبر عائشة (من الذين خلوا من قبلكم) اى من جنس أمثالهم اى أخبارهم العجيبة كخبر
يوسف ومريم (وموعظة للمتقين) فى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا اذ سمعتموه
قلتم الخ يعظكم الله ان تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لانهم المنتفعون بها (الله نور السموات والارض) اى منورهما بالشمس والقمر

قوله وامائكم (قوله اى المؤمنين) اى فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوبا ان خيف بتركه الزنا وهذا عند الشافعى وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحينئذ فالامر عنده للندب (قوله من عبادكم) اى فيزوجه سيده ولو بحرة وقوله وامائكم اى فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا الحر بشرط ان لا يجد للحرائر طولا وان يخشى الزنا ومحل الشرطين ان لم يكن عقيما (قوله من جموع عبد) اى وله جموع أخر كعبيد وأعابد وأعبد ونحو ذلك (قوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) اى فان فى فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى بالتزوج فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا وان كانوا فقراء لما فى الحديث تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك (قوله والله واسع) اى ذو العطايا العظيمة التى لا تنفد (قوله عليم بهم) اى بحالهم فيغنيهم (قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) اى ليجتهدوا فى طلب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء او يكون بملازمة الصوم والرياضة لما فى الحديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ويكون بترك استعمال العقاقير التى تقوى الشهوة واستعمال ضدها (قوله اى ماينكحون به) اى فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله عن الزنا) قدره اشارة الى أن متعلق يستعفف محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدأ ويبتغون صلته والكتاب معمول ليبتغون وقوله مما ملكت أيمانكم حال من فاعل يبتغون وقوله فكاتبوهم الجملة خبر وقرن بالفاء لما فى المبتدا من معنى الشرط (قوله بمعنى المكاتبة) اى وهى مفاعلة لان السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على نفسه النجوم (قوله فكاتبوهم) الامر للندب (قوله اى أمانة) اى فى دينه (قوله وقدرة على الكسب) أى بحرفة وغيرها (قوله وآتوهم) الامر قيل للندب وقيل للوجوب (قوله حط شئ) اى وهو أفضل من الاعطاء لانه قد يصرفه فى غير جهة الكتابة والافضل ان يكون ذلك الحط فى آخر نجم (قوله ولا تكرهوا فتياتكم) جمع فتاة ولا مفهوم للاكراه بل الرضا بالزنا من الكبائر وانما عبر به لانه سبب النزول (قوله على البغاء) هو مصدر بغت المرأة تبغى بغاء اى زنت وهو مختص بزنا النساء (قوله ان أردن تحصنا) لا مفهوم له بل يحرم الاكراه على الزنا وان لم يردن التحصن وانما نص على ذلك لانه الواقع من عبدالله بن أبى الذى نزلت فى حقه الآية (قوله محل الاكراه) اى فلا يتحقق الاكراه الا عند تلك الارادة وأما عند ميلهن له فذلك باختيارهن فلا يتصور الاكراه حينئذ فالتقييد لاجل صحة قوله تكرهوا (قوله كان يكره جواريه) اى وكن ستا فشكا ثنتان منهن للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية (قوله غفور لهن) اى ماوقع منهن لان المكره وان لم يكن آثما فلربما يحصل منه بعض ميل والاكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو ضرب المؤدى له أو لتلف عضو واما القتل فلا يباح بخوف القتل بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره واما ترك الصلاة مثلا فالاكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه (قوله بفتح الياء وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بين فيها ماذكر) راجع للفتح وقوله او بينة راجع للكسر (قوله ومثلا) عطف على آيات (قوله اى من جنس أمثالهم) أشار بذلك الى ان فى الآية حذف مضافين والاصل ومثلا من جنس أمثال الذين خلوا (قوله الله نور السموات والارض) اعلم ان حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولا وتدرك بواسطتها سائر

المبصرات

المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لها وهو بهذا المعنى مستحيل اطلاقه على الله تعالى وحينئذ فيجاب عن الآية بان معنى كونه نور السموات والارض خالق النور فى السموات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة وفى الارض بالمصابيح والسرج والشموع والانبياء والعلماء والصالحين وافاد هذا المفسر بقوله اى منورهما وقيل معنى نور السموات والارض مظهرهما لان النور كما يطلق على الكيفية يطلق على الظاهر فى نفسه المظهر لغيره وهو بهذا المعنى يصح اطلاقه على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر الاشياء من العدم الى الوجود قال ابن عطاء الله فى الحكم الكون كله ظلمة أناره ظهور الحق فيه فوجود العالم بوجود الله اذ لولا وجود الله ما وجد شيء من العالم (قوله مثل نوره) مبتدأ وقوله كمشكاة خبر والمثل بمعنى الصفة والكلام على حذف مضاف اى كمثل مشكاة (قوله اى صفته فى قلب المؤمن) اشار بذلك الى ان فى الكلام شبه استخدام حيث ذكر النور أولا بمعنى ثم ذكره ثانيا بمعنى آخر فتحصل انه فسر النور اولا بالحسي وثانيا بالمعنوى (قوله كمشكاة) اختلف فى هذه اللفظة قيل عربية وقيل حبشية معربة (قوله فى زجاجة) واحدة الزجاج وفيه ثلاث لغات الضم وبه قرأ العامة والفتح والكسر وبهما قرئ شذوذا (قوله هى القنديل) بكسر القاف (قوله الموقودة) صوابه الموقدة (قوله غير النافذة) قيد به لانه فى تلك الحالة اجمع للنور (قوله اى الانبوبة) هى السنبلة التى فى القنديل وهو تفسير آخر للمشكاة وحينئذ فكان المناسب للمفسر ان يقول او الانبوبة فتحصل انه اختلف فى المشكاة فقيل هى الطاقة الغير النافذة التى وضع فيها القنديل وعليه فهى ظرف للقنديل وقيل هى السنبلة التى تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها (قوله بكسر الدال وضمها) اى مع الهمزة قراءتان سبعيتان وقوله وبضمها وتشديد الياء قراءة سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا (قوله بمعنى الدفع) اى وبابه قطع (قوله منسوب الى الدر) اى لشدة صفائه (قوله بالماضي الخ) حاصله ان القراآت ثلاث سبعيات بالماضي وبالمضارع بالتحتانية ويكون الضمير عائدا على المصباح وبالفوقانية ويكون الضمير عائدا على الزجاجة على حذف مضاف اى فتيلة الزجاجة (قوله من زيت شجرة) من ابتدائية وأشار المفسر الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله مباركة) اى لكثرة منافعها قال ابن عباس فى الزيتون منافع يسرج بزيته وهو ادام ودهان ودباغ ووقود وليس فيه شيء الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهى اول شجرة نبتت فى الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت فى منازل الانبياء والارض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله لا شرقية ولا غربية) بالجر صفة لشجرة وقرئ شذوذا بالرفع خبر لمحذوف أى لاهى شرقية ولاهى غربية والجملة فى محل جر نعت لشجرة (قوله بل بينهما الخ) اشار بذلك الى ان المراد بقوله لا شرقية ولا غربية انها متوسطة لا شرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما وهى الشام فان زيتونه اجود الزيتون وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى والمقنأة بقاف ونون مفتوحة او مضمومة فهمزة المكان الذى لا تطلع عليه الشمس والمضحى هو الذى تشرق عليه دائما فتحرقه وهو احد قولين وقيل معنى لا شرقية ولا غربية ان الشمس تبقى عليها دائما من اول النهار لآخره لا يوارىها عن الشمس شيء كالتى تكون فى الصحارى الواسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها (قوله مضرين) هذا هو محل النفى وهو حال (قوله ولو لم تمسسه نار) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير لاضاء (قوله نور به) اى الزيت وقوله على نور رأى مع نوره وهو نور المصباح والزجاجة فالانوار المشبه بها متعددة كانوار المشبه فليس المقصود فى الآية التثنية بل

(مثل نوره) أى صفته فى قلب المؤمن (كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) هى القنديل والمصباح السراج اى الفتيلة الموقودة والمشكاة الطاقة غير النافذة اى الانبوبة فى القنديل (الزجاجة كانها) والنور فيها (كوكب درى) اى مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام وبضمها وتشديد الياء منسوب الى الدر اللؤلؤ (توقد) المصباح بالماضي وفى قراءة بمضارع اوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفى اخرى توقد بالفوقانية اى الزجاجة (من) زيت (شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) لصفائه (نور) به (على نور) بالنار

الكثرة وتراكم الانوار (قوله ونور الله اى هداه الخ) اى فبراهين الله تزداد فى قلب المؤمنين برهانا بعد برهان ان قلت لم ضرب المثل بنور الزيت ولم يضرب به بنور الشمس والقمر والشمع مثلا اجيب بان الزيت فيه منافع ويسهل لكل احد كما ان المؤمن الكامل الايمان منافعه كثيرة واختلف فى هذا التشبيه هل هو تشبيه مركب بان قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر الى مقابلة جزء بجزء وذلك بان يراد مثل نور الله الذى هو هداه وبراهينه الساطعة كجملة النور الذى يتخذ من هذه الهيئة او تشبيه جزء بجزء بان يشبه صدر المؤمن بالمشكاة وقلبه بالزجاجة ومعارفه بالزيت وايمانه بالمصباح (قوله يهدى الله لنوره من يشاء) اى من يريد هدايته فان الاسباب دون مشيئته لاغية ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور (قوله اى دين الاسلام) المراد به ما يشمل الايمان وهو الذى ضرب له المثل المتقدم واظهر فى مقام الاضمار اعتناء بشانه (قوله ويضرب الله الامثال للناس) اى تقريبا المعقول من المحسوس فحيث كان نور الايمان والمعارف مثله هكذا فلا تدخل شبهة على المؤمن الا شاهدها بعين البصيرة كما تشاهد بعين البصر ويشهد الحق بعين البصيرة كما يشهده بعين البصر وفى هذا المقام تنافس المتنافسون فادناهم اهل المراقبة واعلاهم اهل المشاهدة ومن هذا المعنى قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقوله فى الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقوله فى الحديث ايضا الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وللعارفين تفننات وضرب امثال فى هذه المقامات لا يدركها الا من كان من اهل هذا النور (قوله فى بيوت) المراد بها جميع المساجد وقيل خصوص مساجد اربع الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء لانه لم يبنها الا نبي فالكعبة بناها ابراهيم واسماعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقرب الاول لان العبرة بعموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتى) اى سواء قرئ بنائه للفاعل أو المفعول وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشان المساجد لما ورد بيوت الله فى الارض تضئ لاهل السماء كما تضئ النجوم لاهل الارض ويصح ان يكون متعلقا بمحذوف دل عليه قوله يسبح والتقدير سبحوا ربكم فى بيوت وعلى هذين فالوقف على عليم ويصح ان يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة او لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد وعلى هذه الاربعة لا توقف على عليم (قوله أذن الله) اى امر والجملة صفة لبيوت وان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مجرور بالباء المقدرة والتقدير امر الله برفعها (قوله تعظم) اى حسا ومعنى فالتعظيم الحسي رفعها بالبنيان المتين الحسن مساويا لبنيان البلد او أعلى ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام اذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم لان المنهى عنه الزخرفة والتزويق لا حسن البنيان واتقانه ومن التعظيم الحسى تطهيرها من الاقذار والنجاسات قال القرطبي كره بعض اصحابنا تعليم الصبيان فى المساجد لانهم لا يتحرزون عن الاقذار والاوساخ فيؤدى ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم واقامة حدودكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم وجمروها فى الجمع واجعلوا لها على ابوابها المطاهر والتعظيم المعنوى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لا يعنى (قوله ويذكر فيها اسمه) اى باى ذكر كان (قوله بفتح الموحدة وكسرها) اى فيها قراءتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل احد المجرورات الثلاث والاول أولى ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل فعل محذوف أو خبر لمحذوف تقديره يسبحه أو المسبح وعليه فالوقف على الآصال وعلى الكسر فرجال فاعله ولا يوقف على الآصال (قوله اى يصلى) فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه واختلف فى المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح فى الغدو وباقى

ونور الله اى هداه للمؤمن نور على نور الايمان (يهدى الله لنوره) اى دين الاسلام (من يشاء ويضرب) يبين (الله الامثال للناس) تقريبا لافهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (والله بكل شئ عليم) ومنه ضرب الامثال (فى بيوت) متعلق بيسبح الآتى (أذن الله ان ترفع) تعظم (ويذكر فيها اسمه) بتوحيده (يسبح) بفتح الموحدة وكسرها اى يصلى (له فيها بالغدو)

الخمس.

الخمس فى الآصال وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل انهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الاصل وأما هنا فالمراد منه الازمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار وقوله العشايا هى أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالذكر لان شانهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء وان كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا لذكره البيع بعده وقيل المراد بالتجارة حقيقتها ويكون خص البيع بالذكر لان الاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشانهما فان المواظب عليهما كامل الايمان (قوله واقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء الرجال وان أكثروا الذكر والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى لعلمهم بانهم ما عبدوه حق عبادته (قوله بين النجاة والهلاك) راجع لتقليب القلوب وقيل معنى تقلب القلوب ارتفاعها الى الحناجر فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول (قوله بين ناحية اليمين والشمال) وقيل تقلب الابصار شخوصها من هول الامر وشدته (قوله ليجزيهم الله) اللام للعاقبة والصيرورة أى ان مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لان هذه مرتبة عامة المؤمنين وتلك الاوصاف انما هى لكامل الايمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أى فالمحترز عنه المجازاة على القبيح فالمعنى يجازون على كل عمل حسن قال تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا يجازون على ماسبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أى فلا يقتصر فى اعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات مالا يفى به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أى فهو كناية عن كون الله يعطيهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ما وعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين باشرف الامثال واعلاها ضرب المثل للكفار باشر الاشياء وأخسها والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين مثل لاعمالهم الحسنة بقوله كسراب الخ ومثل لاعمالهم السيئة بقوله أو كظلمات الخ والاسم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتمال وكسراب خبر الذين (قوله أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية (قوله بقيعة) الباء بمعنى فى كما يشير له المفسر بقوله اى فى فلاة (قوله جمع قاع) اى كجيرة جمع جار وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجارى) اى ويسمى آلا أيضا قال الشاعر

اذا ما كالذى لا يجرى لورد * الى آل فلم يدرك بلالا

ويسمى سرابا لانه يتسرب اى يجرى كالماء (قوله يحسبه) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب تعب فى لغة جميع العرب الا بنى كنانة فانهم يكسرون المضارع مع كسر الماضى ايضا (قوله الظمآن) اى وكذا كل من رآه وانما خص الظمآن لانه احوج اليه من غيره (قوله حتى اذا جاءه) اى جاء ما قصده وظنه ماء وهو غاية فى محذوف اى يستمر سائرا اليه حتى اذا جاءه الخ (قوله كذلك الكافر الخ) اشار بذلك الى وجه الشبه فتحصل انه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده ان عمله الصالح ينفعه فى الآخرة فاذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الاليم فعظمت حسرته بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد

مصدر بمعنى الغدوات اى البكر (والآصال) العشايا من بعد الزوال (رجال) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كانه قيل من يسبحه (لا تلهيهم تجارة) اى شراء (ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) حذف هاء اقامة تخفيف (وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب) تضطرب (فيه القلوب والابصار) من الخوف القلوب بين النجاة والهلاك والابصار بين ناحيتى اليمين والشمال هو يوم القيامة (ليجزيهم الله احسن ما عملوا) اى ثوابه واحسن بمعنى حسن (ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) يقال فلان ينفق بغير حساب اى يوسع كانه لا يحسب ما ينفقه (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) جمع قاع اى فى فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار فى شدة الحر يشبه الماء الجارى (يحسبه) يظنه (الظمآن) اى العطشان (ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب ان عمله كصدقة ينفعه حتى اذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله اى لم ينفعه

الجازاة (أو) الذين كفروا
اعمالهم السيئة (كظلمات
فى بحر لجى) عميق (يغشاه
موج من فوقه) اى الموج
(موج من فوقه) اى الموج
الثانى (سحاب) اى غيم
هذه (ظلمات بعضها فوق
بعض) ظلمة البحر وظلمة
الموج الاول وظلمة الثانى
وظلمة السحاب (اذا
أخرج) الناظر (يده) فى
هذه الظلمات (لم يكد
يراها) اى لم يقرب من
رؤيتها (ومن لم يجعل الله له
نورا فماله من نور) اى من لم
يهده الله لم يهتد (ألم تر أن الله
يسبح له من فى السموات
والارض) ومن التسبيح
صلاة (والطير) جمع طائر بين
السماء والارض (صافات)
حال باسطات اجنحتهن
(كل قد علم) الله (صلاته
وتسبيحه (والله عليم بما
يفعلون) فيه تغليب العاقل
(ولله ملك السموات
والارض) خزائن المطر
والرزق والنبات (والى
الله المصير) المرجع
(الم تر ان الله يزجى سحابا)
يسوقه برفق (ثم يؤلف
بينه) يضم بعضه الى
بعض فيجعل القطع
المتفرقة قطعة واحدة (ثم
يجعله ركاما) بعضه فوق
بعض (فترى الودق)

السراب تعلق به فاذا جاءه لم يجده شيا (قوله ووجد الله) اى وجد وعد الله بالجزاء على عمله أو المعنى وجد عذاب الله له (قوله اى جازاه عليه فى الدنيا) المعنى ان الكافر يوم القيامة يعلم و يتحقق ان الله جازاه على اعماله الحسنة التى لم تتوقف على نية فى الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا قال المفسر وهو وان كان صحيحا فى نفسه الا أن المفسرين على خلافه فانهم قالوا معنى وفاه حسابه جازاه عليه فى الآخرة بالعذاب والحاصل انه ان أريد مثل اعماله الصالحة التى تتوقف على نية فمسلم انه لا يجد لها جزاء فى الآخرة ولا تنفعه أصلا وان أريد خصوص مالا يتوقف على نية فقيل لا يجد لها نفعا اصلا وقيل يجد نفعها اما فى الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك اوفى الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر (قوله او كظلمات) او للتقسيم أى ان اعمال الكافر تنقسم قسمين قسم كالسراب وهو العمل الصالح وقسم كالظلمات وهو العمل السيء وقوله أو كظلمات معطوف على قوله كسراب على حذف مضاف تقديره أو كذى ظلمات يدل عليه قوله اذا أخرج يده لم يكد يراها (قوله لجى) منسوب للجح اوللجة وهو الماء الغزير (قوله يغشاه موج الخ) اى يعلوه وهو اشارة الى كثرة الامواج وتراكمها والمعنى ان البحر اللجى يكون باطنه مظلما بسبب غزارة الماء فاذا ترادفت الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان مع ذلك سحاب ازدادت الظلمة جدا ووجه الشبه ان الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات ظلمة البحر والامواج والسحاب كذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحاب) اى قد غطى انوار النجوم (قوله هذه ظلمات) اشار بذلك الى ان قوله ظلمات خبر لمحذوف (قوله اذا اخرج يده) خصها لانها اقرب الاشياء اليه (قوله ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) استفيد من هذا ان النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء والمعنى من لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له (قوله الم تر) الخطاب لكل عاقل وهو توبيخ للكفار كان الله يقول لهم ان تسبيحى ليس قاصرا عليكم بل جميع من فى السموات والارض يسبحونى (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه فالصلاة مندرجة فى عموم التسبيح (قوله والطير) بالرفع عطف على من والنصب على المعية وصافات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف اى اجنحتها (قوله بين السماء والارض) اشار بهذا الى ان العطف مغاير لانه فى حالة الطير ان يكون بين السماء والارض (قوله قد علم الله صلاته الخ) اشار بذلك الى ان الضمير فى علم عائد على الله ويصح عوده على كل اى علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) اى حيث عبر بالفعل (قوله خزائن المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للارض وفى كلام المفسر اشارة الى ان الكلام على حذف مضاف والاصل ولله ملك خزائن السموات والارض والاصح ابقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره وعلى كل فهو من ادلة تنزيه المخلوقات له (قوله والى الله المصير) اى مرجع الخلائق كلها الى الله فيجازى كل احد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل لاخصوص النبي صلى الله عليه وسلم لان من تامل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) اى بين اجزائه لان كل جزء سحاب وبهذا اندفع ماقيل ان بين لا تدخل الا على متعدد والى هذا يشير المفسر بقوله يضم بعضه الى بعض الخ (قوله ركاما) الركام الشيء المتراكم بعضه على بعض (قوله فترى الودق) اى تبصره (قوله مخارجه) اى ثقبه فالسحاب غربال المطر قال كعب لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لافسد مايقع عليه من الارض (قوله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد) اشار بذلك

من) زائدة (جبال فيها) فى السماء بدل باعادة الجار (من برد) اى بعضه (فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد) يقرب (سنا برقه) لمعانه (يذهب بالابصار) الناظرة له أى يخطفها (يقلب الله الليل والنهار) أى ياتى بكل منهما بدل الآخر (ان فى ذلك) التقليب (لعبرة) دلالة (لاولى الابصار) لاصحاب البصائر على قدرة الله تعالى (والله خلق دابة) اى حيوان (من ماء) أى نطفة (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيات والهوام (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانسان والطير (ومنهم من يمشي على اربع) كالبهائم والنعام (يخلق الله مايشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات) اى بينات هى القرآن (والله يهدى من يشاء الى صراط) طريق (مستقيم) اى دين الاسلام (ويقولون) أى المنافقون (آمنا) صدقنا (بالله) بتوحيده (وبالرسول) محمد (وأطعنا) هما فيما حكما به (ثم يتولى) يعرض (فريق منهم من بعد ذلك) عنه (وما أولئك) المعرضون (بالمؤمنين) المعهودين الموافق قلوبهم لالسنتهم (واذا دعوا الى الله ورسوله) المبلغ عنه (ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) عن المجيء اليه (وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين) مسرعين طائعين (أفى قلوبهم مرض) كفر

الى ان السماء كما ينزل منها المطر الذى هو نفع للعباد ينزل منها بعض الجبال التى هى البرد وهو ضر للعباد فسبحان من جعل السماء منشا للخير والشر (قوله زائدة) الحاصل ان من الاولى ابتدائية لاغير والثانية فيها ثلاثة اوجه قيل زائدة وقيل ابتدائية وقيل تبعيضية وهو الاحسن والثالثة فيها اربعة اوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الاحسن وحينئذ فيكون المعنى على ذلك وننزل بعض جبال كائنة فى السماء التى هى البرد انزالا ناشئا ومبتدأ من السماء (قوله فيها) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لجبال (قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال والمناسب للمفسر ان يقول او بدل فيكون قولا ثانيا لان هذا لا يتاتى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) اى بالبرد (قوله سنا برقه) هو بالقصر فى قراءة العامة معناه الضياء واما بالمد فمعناه الرفعة وليس مرادا (قوله اى يخطفها) اشار بذلك الى ان الباء فى الابصار للتعدية والمعنى يذهبها بسرعة لان الضوء القوى يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء اذا فعل رجل بآخر فعلا اذهب بصره واريد ان يقتص منه باذهاب بصره فانه يؤتى له بمرآة وتوضع فى الشمس ويجلس الشخص قبالتها او تقلب المرآة يمينا وشمالا فان ذلك يخطف بصره (قوله اى ياتى بكل منهما بدل الآخر) اى ويقصر هذا ويطول هذا وفى هذا رد على من ينسب الامور للدهر (قوله لاولى الابصار) جمع بصيرة وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك حيث يتاملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد فسبحان القادر على كل شيء (قوله على قدرة الله) متعلق بدلالة (قوله اى حيوان) اشار بذلك الى ان المراد بالدابة مادب على وجه الارض لاخصوص ذوات الاربع (قوله اى نطفة) هذا بحسب الغالب فى الحيوانات الارضية والا فالملائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذى نفخه جبريل فى جيب امه والدود تخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد ان الله خلق ماء وجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث اتى بضمير جماعة الذكور العقلاء فى الجميع (قوله من يمشى على بطنه) قدمه لغرابته وسماه مشيا مشاكلة لما بعده والا فهو زحف (قوله كالحيات والهوام) بالتشديد أى خشاش الارض وأدخلت الكاف الدود والسمك (قوله كالانسان والطير) اى والنعام (قوله ومنهم من يمشي على اربع) أى ومنهم من يمشي على اكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بام اربع واربعين وانما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله فى قوله يخلق الله مايشاء (قوله ان الله على كل شيء قدير) اى مما ذكر ومما لم يذكر (قوله لقد انزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف اى والله لقد أنزلنا الخ (قوله مبينات) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله والله يهدى من يشاء) اشار بذلك الى ان الهدى بيد الله وعنايته فلا يهتدى الا من حفه الله بالعناية فليس ظهور الآيات سببا فى الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع فى ذكر احوال المنافقين (قوله واطعنا) قدر المفسر الضمير اشارة الى ان مفعول اطعنا محذوف (قوله واذا دعوا الى الله ورسوله) تفصيل لما اجمل اولا (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم افرد الضمير فى ليحكم مع انه تقدمه اثنان فاجاب بان الرسول هو المباشر للحكم وانما ذكر الله معه تفخيما لشانه وتعظيما لقدره (قوله اذا فريق) اذا فجائية قائمة مقام الفاء فى ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) اى ان كان الحكم عليهم بدليل ما بعده (قوله اليه) يصح ان يكون متعلقا بياتوا او بمذعنين (قوله أفى قلوبهم مرض) اشار بذلك الى ان منشأ الاعراض وسببه احد أمور ثلاثة

(أم ارتابوا) أى شكوا فى نبوته (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكم أى فيظلموا فيه لا (بل أولئك هم الظالمون) بالاعراض

عنه (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) بالقول اللائق بهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا بالاجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله) يخافه (ويتقه) بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه (فأولئك هم الفائزون) بالجنة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غايتها (لئن أمرتهم) بالجهاد (ليخرجن قل) لهم (لا تقسموا طاعة معروفة) للنبي خير من قسمكم الذى لا تصدقون فيه (إن الله خبير بما تعملون) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا) عن طاعته بحذف احدى التاءين خطاب لهم (فإنما عليه ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من طاعته (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ البين (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) بدلا عن الكفار (كما استخلف) بالبناء للفاعل والمفعول (الذين من قبلهم) من بنى اسرائيل بدلا عن الجبابرة (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم فى البلاد فيملكوها (وليبدلنهم) بالتخفيف والتشديد (من بعد خوفهم) دينهم من الكفار (أمنا) وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر وأثنى عليهم بقوله (يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) هو مستأنف فى حكم التعليل

(قوله أم ارتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيما بعده والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام فى هذا الأخير بمعنى النفى والمعنى لا محل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله (قوله بالاعراض عنه) اى الحكم (قوله انما كان قول المؤمنين) العامة على نصب القول خبرا لكان والاسم ان ومادخلت عليه وقرئ شذوذا برفعه على انه اسمها وان ومادخلت عليه خبرها (قوله بالاجابة) اى قولا وفعلا (قوله حينئذ) اى حين اذ قالوا هذا القول (قوله ومن يطع الله الخ) قال بعض الأحبار هذه الآية جمعت ما فى توراة موسى وانجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى والا فكان حقه ان يقول يخفه (قوله وكسرها) اى باشباع ودونه فهذه ثلاث قراآت وبسكون القاف مع كسر الهاء بدون اشباع فتكون أربعة وكلها سبعية (قوله هم الفائزون) اى الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله واقسموا بالله) الضمير عائد على المنافقين وهو معطوف على قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على المفعولية المطلقة والمعنى جهدوا اليمين جهدا حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وأضيف الى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قوله ليخرجن) اللام موطئة للقسم ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون وأصله ليخرجوننّ حذفت نون الرفع لتوالى الامثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) مبتدأ ومعروفة صفته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله خير من قسمكم ويصح ان يكون طاعة خبرا لمحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة اى الامر المطلوب منكم طاعة معروفة بالصدق وموافقة الواقع لا بمجرد القول باللسان (قوله ان الله خبير بما تعملون) تعليل لما قبله والمعنى لا تحلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فان الله مطلع على بواطنكم وظواهركم لا تخفى عليه خافية (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فانما عليه ما حمل علة لذلك المحذوف (قوله ما حمل) اى كلف (قوله تهتدوا) اى تصلوا للرشاد والفوز برضا الله وهذا راجع لقوله وعليكم ما حملتم وقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين راجع لقوله فانما عليه ما حمل على سبيل اللف والنشر المشوش (قوله أى التبليغ البين) اى الظاهر وقد اداه فعليكم أن تؤدوا ما حملتم من الطاعة لله ورسوله (قوله وعد الله الخ) وعد فعل ماض ولفظ الجلالة فاعله والاسم الموصول مفعوله الاول والمفعول الثانى محذوف تقديره الاستخلاف فى الارض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا يدل على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فان اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم (قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الامة (قوله فى الارض) اى جميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) ما مصدرية والمعنى استخلافا كاستخلاف الذين من قبلهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الذى ارتضى لهم) العائد محذوف اى ارتضاه لهم والمعنى وليجعلن دينهم الذى رضيه لهم ظاهرا وقائما على جميع الأديان (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بما ذكر) اى وهو ما تقدم من الامور الثلاثة (قوله يعبدوننى) اى يوحدوننى وقوله لا يشركون بى شيئا حال من فاعل يعبدوننى أو بدل مما قبله (قوله هو مستأنف) أى واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما بالهم يستخلفون ويجعل

(ومن كفر بعد ذلك) الانعام [illegible] به (فأولئك هم الفاسقون) واول من كفر به قتلة عثمان رضى الله عنه فصاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) اى رجاء

الرحمة (لا تحسبن) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الذين كفروا معجزين) لنا (فى الارض) بان يفوتونا (ومأواهم) مرجعهم (النار ولبئس المصير) المرجع هى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) من العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الاحرار وعرفوا أمر النساء (ثلاث مرات) فى ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) اى وقت الظهر (ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه اى هى اوقات وبالنصب بتقدير اوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف اليه مقامه وهى لالقاء الثياب تبدو فيها العورات (ليس عليكم ولا عليهم) اى المماليك والصبيان (جناح) فى الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) اى بعد الاوقات الثلاثة هم (طوافون عليكم) للخدمة (بعضكم) طائف (على بعض) والجملة مؤكدة لما قبلها (كذلك) كما بين ما ذكر (يبين الله لكم الآيات) اى الاحكام (والله عليم) بامور خلقه (حكيم) بما دبره لهم وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان

دينهم ظاهرا على جميع الاديان ويؤمنون فقيل يعبدوننى الخ (قوله بعد ذلك الانعام) اى بما ذكر من الامور الثلاثة فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله فاولئك هم الفاسقون وليس المراد به ما قابل الايمان والا لقال الكافرون (قوله وأول من كفر به) اى بالانعام (قوله قتلة عثمان) اى وهم جماعة من الرعية أخذوه بغتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (قوله لعلكم ترحمون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان (قوله والفاعل الرسول) اى على كل من القراءتين والاسم الموصول مفعول اول ومعجزين مفعول ثان (قوله بان يفوتونا) ان يفروا من عذابنا (قوله ومأواهم النار) معطوف على جملة لا تحسبن او على مقدر تقديره بل هم مقهورون ومأواهم (قوله هى) قدره اشارة الى ان المخصوص بالذم محذوف (قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) اختلف فى الامر فقيل للوجوب وقيل للندب والامر متعلق بالمخدومين لا بالخدم وسبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعاه فوجده نائما وقد اغلق عليه الباب فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شئ فقال عمر وددت ان الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا فى هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا امر النساء) اى ميزوا بين العورة وغيرها (قوله فى ثلاثة اوقات) اشار بذلك الى ان قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) اى لانه وقت القيام من النوم ولبس ثياب اليقظة (قوله وحين تضعون ثيابكم) اى التى تلبس فى اليقظة تضعونها لاجل القيلولة (قوله من الظهيرة) اى من اجل الظهيرة وهى شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) اى لانه وقت التجرد عن الثياب والنوم فى الفراش (قوله بالرفع) اى وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله اى هى أوقات الخ) اى فالاصل اوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله وبالنصب) اى وعليه فالوقف على لكم والقراءتان سبعيتان (قوله وهى لالقاء الثياب) مبتدأ وقوله تبدو فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) اى فى تمكينكم اياهم من الدخول عليكم (قوله ولا عليهم) اى فى الدخول لعدم تكليفهم (قوله هم طوافون) اشار بذلك الى ان طوافون خبر لمحذوف (قوله على بعض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله بعضكم قدره المفسر بقوله طائف (قوله والجملة مؤكدة لما قبلها) وقيل ليست مؤكدة لان المعنى الاطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان فى هذه الاوقات وغيرها لضاق الامر عليكم فقوله بعضكم على بعض فيه زيادة على ما قبله (قوله وآية الاستئذان) اى قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين الخ (قوله قيل منسوخة) اى لما روى ان نفرا من العراق قالوا لابن عباس كيف ترى فى هذه الآية التى أمرنا بها ولا يعمل بها أحد فقال ابن عباس ان الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيم الرجل والرجل على اهله فامر الله بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم الله بالستور والحجب فلم ار أحدا يعمل بذلك بعد (قوله وقيل لا) اى كما روى عن سعيد بن جبير حيث قال يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس (قوله ولكن تهاون الناس فى ترك الاستئذان) اى لكثرة الغطاء والوطاء ومع ذلك فالمناسب تعليم الاستئذان فى هذه الاوقات للصبيان

(واذا بلغ الاطفال منكم) أيها الاحرار (الحلم فليستاذنوا) في جميع الاوقات (كما استاذن الذين من قبلهم) اى الاحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء) قعدن عن الحيض والولد لكبر هن (اللاتى لا يرجون نكاحا) لذلك (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن)من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غير متبرجات) مظهرات (بزينة) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وان يستعففن) بان لا يضعنها (خير لهن والله سميع) لقولكم (عليم) بما فى قلوبكم (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) فى مؤاكلة مقابليهم (ولا) حرج (على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم) اى بيوت اولادكم (أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت اخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه)

والمماليك ليكونوا متخلقين بالاخلاق الجميلة (قوله واذا بلغ الاطفال) مقابل لقوله والذين لم يبلغوا الحلم (قوله الذين من قبلهم) اى الذين ذكروا فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية (قوله آياته) اى احكامه (قوله والله عليم حكيم) اى باموراالخلائق فالذى ينبغى التخلق باخلاق الشرع ولا يعول الانسان على ما يعلمه من صيانة حريمه و يترك آداب الشرع (قوله والقواعد) جمع قاعد بغير تاء كحائض وطامث فان هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ واللاتى صفته وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالفاء لعموم المبتدأ فان أل فيه اسم موصول أو لكونه وصف بالاسم الموصول (قوله قعدن عن الحيض) اى انقطع حيضهن (قوله اللاتى لا يرجون نكاحا) اى لا يطمعن فيه لموت شهوتهن عن الرجال (قوله ان يضعن) اى ينزعن (قوله من الجلباب) اى وهى الملحفة التى يغطى بها جميع البدن كالملاءة والحبرة (قوله والقناع) اى الذى يلبس فوق الخمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرجات بزينة) اى متزينات فحيث وجد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الاجانب لعدم الفتنة وهو المفتى به عند مالك واحد قولين عند الشافعى (قوله بان لا يضعنها) اى بان يدمن الستر للوجه والكفين بين الاجانب (قوله خير لهن) اى لما فيه من سد الذرائع فالافضل لهن الستر للوجه واليدين لان كل ساقطة لها لاقطة (قوله ليس على الاعمى حرج الخ) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس لما نزل يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول ولا يستوفى حقه من الطعام فنزلت هذه الآية وعلى هذا فتكون على بمعنى فى اى ليس عليكم فى مؤاكلة الاعمى والاعرج والمريض حرج وقيل سبب نزولها ان هؤلاء الجماعة كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الاصحاء خوف ان يستقذروهم وعلى هذا فعلى على بابها وقيل ان الآية نزلت فى الجهاد والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى التخلف عن الجهاد وقيل كانت الصحابة اذا خرجوا للغزو دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة و يقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك و يقولون لا ندخلها واصحابها غائبون مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس فنزلت الآية رخصة لهم وكل صحيح اذا علمت ذلك فنفى الحرج عن هؤلاء فى امور مخصوصة وليس ذلك على العموم فان ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابليهم) اى السالمين من هذه الثلاثة (قوله ولا على انفسكم) معطوف على الاعمى والمعنى ليس عليكم حرج فى الاكل من بيوتكم (قوله من بيوتكم) بضم الباء وكسرها قراءتان سبعيتان هنا وفى جميع ما ياتى (قوله اى بيوت اولادكم) اى ذكورا أوانا ثا لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام انت ومالك لابيك وقوله عليه الصلاة والسلام ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه والحامل للمفسر على هذا التقدير عدم توهم حرمة الاكل من بيت نفسه وعدم ذكر الاولاد صراحة فدل ذلك على ان المراد ببيوتكم بيوت اولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) اى وان علوا (قوله اخوانكم) جمع اخ و يجمع على اخوة وهو المراد هنا لان المراد بهم اخوة النسب وهم من شاركوك فى رحم أو صلب (قوله أو بيوت اخواتكم) جمع اخت اى مما تملكه أو من ملك زوجها ان كان صديقا له أومأذونة فيه وكذا يقال فيما ياتى (قوله أو ما ملكتم) بالتخفيف وقرئ شذوذا بضم الميم وتشديد اللام مكسورة اى ملككم غيركم (قوله مفاتحه) جمع مفتح بكسر الميم فى قراءة العامة وقرئ مفاتيحه

بالياء

باليا، ومفتاحه بالافراد (قوله اى خزنتموه لغيركم) اى حفظتموه بان تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته فلاباس عليه ان ياكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخراه (قوله وهو من صدقكم فى مودته) اى من كان خالصا لكم فى المحبة (قوله من بيوت من ذكر) اى الاصناف الاحد عشر وخصوا بالذكر لان الشان التبسط بينهم (قوله اى اذا علم رضاهم به) اى ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء وقيل يجوز الاكل من بيوت من ذكر ولو لم يعلم رضاهم به لان القرابة التى بينهم تقتضى العطف والسماح فان قلت على الاول حيث كان مشروطا بعلم رضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الاجانب وأجيب بان هؤلاء يكفى فيهم ادنى قرينة بل الشرط فيهم ان لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الاجانب فلابد من علم الرضا بصريح الاذن أو قرينة (قوله مجتمعين) اشار بذلك الى ان قوله جميعا حال من فاعل تاكلوا وكذا قوله اشتاتا (قوله جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فيمن تحرج الخ) اى فهو كلام مستانف بيان لحكم آخر وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بنى كنانة كان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يؤاكله لم ياكل شيا وقيل نزلت فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الاكل وقلته (قوله فاذا دخلتم بيوتا لكم) اى مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعودا وقمت وقوفا (قوله من عند الله) اى ثابتة بامره (قوله مباركة) اى لانه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لكى تفهموا ذلك) اى معالم دينكم فهذا أمر ارشاد وأدب للعباد (قوله انما المؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية مدح المؤمنين الخالصين والتعريض بذم المنافقين وانما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الذين آمنوا خبره (قوله على امر جامع) اسناد الجمع للامر مجاز عقلى وحقه ان يسند للمؤمنين (قوله كخطبة الجمعة) اى والاعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم تجاه النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستاذنوه) اى يطلبوا منه الاذن فياذن لهم (قوله ان الذين يستاذنوك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكر تفخيما وتعظيما للاستئذان (قوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم) اى كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك حيث استاذن الرسول فى الرجوع الى اهله فاذن له النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ارجع فلست بمنافق وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ماتت والنبى صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فاذن لمن شئت منهم) فى ذلك تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فاذا أذن لاحد علم من ذلك ان رضا الله فى اذنه قال العارف

وخصك بالهدى فى كل أمر * فلست تشاء الا ما يشاء

(قوله واستغفر لهم الله) اى ليعوضهم بدل ما فاتهم من مجالستك من اجل العذر الذى نزل بهم (قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) اى نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا ابا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بان تقولوا يا رسول الله يا نبى الله يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبى بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد

أى خزنتموه لغيركم (أو صديقكم) وهو من صدقكم فى مودته المعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا اى اذا علم رضاهم به (ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا) مجتمعين (أو أشتاتا) متفرقين جمع شت نزل فيمن تحرج ان ياكل وحده واذا لم يجد من يؤاكله يترك الاكل (فاذا دخلتم بيوتا) لكم لا أهل بها (فسلموا على أنفسكم) اى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليكم وان كان بها اهل فسلموا عليهم (تحية) مصدر حيا (من عند الله مباركة طيبة) يثاب عليها (كذلك يبين الله لكم الآيات) اى يفصل لكم معالم دينكم (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا ذلك (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه) اى الرسول (على أمر جامع) كخطبة الجمعة (لم يذهبوا) لعروض عذر لهم (حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم) أمرهم (فاذن لمن شئت منهم) بالانصراف (واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بان تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع

وخفض صوت (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء وقد للتحقيق (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) اى امر الله اورسوله (ان تصيبهم فتنة) بلاء (او تصيبهم عذاب اليم) في الآخرة (الا ان لله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (قد يعلم ما انتم) ايها المكلفون (عليه) من الايمان والنفاق (و) يعلم (يوم يرجعون اليه) فيه التفات عن الخطاب اى متى يكون (فينبئهم) فيه (بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شيء) من اعمالهم وغيرها (عليم)

﴿سورة الفرقان مكية الا والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله رحيما فمدني وهي سبع وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعالى (الذى نزل الفرقان) القرآن لانه فرق بين الحق والباطل (على عبده) محمد (ليكون للعالمين) اى الانس والجن دون الملائكة (نذيرا) مخوفا من عذاب الله (الذى له ملك السموات والارض

وفاته فبهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون في حق النبي تكون في حق حملة شريعته فينبغي لتلامذة الاشياخ ان يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لان المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة اذا رقى النبي المنبر فاذا كثر الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد الى ان يذهبوا جميعا (قوله لواذا) حال من الواو في يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بان يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ماقبله وضمن يخالفون معنى يعرضون فعداه بعن (قوله ان تصيبهم فتنة) ان وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله او يصيبهم) اومانعة خلو تجوز الجمع (قوله الا ان لله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أنتم عليه) قد للتحقيق والمعنى ان الله يعلم الامر الذى في قلوب المنافقين من المخالفة والاعراض عن اوامر الله تعالى (قوله ويوم يرجعون اليه) معطوف على ما أى يردون اليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) اى يخبرهم باعمالهم فيثيبهم على الحسنات ويعاقبهم على السيآت

﴿سورة الفرقان﴾

سميت بذلك لان بها الفرق بين الحق والباطل لاشتمالها على احكام التوحيد وأدلته ومكارم الاخلاق واحوال المعاد (قوله الى قوله رحيما) أى وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) اى تنزه في ذاته وصفاته وافعاله عن النقائص ومماثلة ماسواه لانه قديم وماسواه حادث اومعنى تبارك تعاظم أى اتصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبي ولا تبارك السلطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا ياتى منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفعله فرق من باب قتل وبها قرئ قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقرئ شذوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف في المعاني وبالتشديد في الاجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدين والصحيح انهما بمعنى واحد في المعانى والاجسام (قوله القرآن) اى ويسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لانه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا اوبعضا ويصح ان يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملا في حقيقته بالنسبة لما نزل اذذاك وبمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل (قوله لانه فرق بين الحق والباطل) اى ميز بينهما وقيل لانه نزل مفرقا في اوقات كثيرة (قوله على عبده) انما وصفه بهذا الوصف لانه أشرف الاوصاف واعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم لانه أقرب مذكور ويصح ان يكون عائدا على الفرقان اوالمنزل وهو الله تعالى والاول اوضح (قوله دون الملائكة) اشار بذلك الى ان الانذار خاص بالانس والجن لان الملائكة لا تجوز عليهم المعاصي والمخالفة لعصمتهم من ذلك وان كان النبي عليه الصلاة والسلام ارسل لهم ارسال تكليف بما يليق بهم على المعتمد والحاصل ان ارسال النبي للثقلين ارسال تكليف وكذا الملائكة واما للحيوانات التى لا تعقل والجمادات فارسال تشريف (قوله نذيرا) اى وبشيرا وانما اقتصر على الانذار لان السورة مكية وفي ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذى له ملك السموات والارض) نعت للموصول الاول او بيان او بدل او خبر لمحذوف اى هو الذى اومنصوب على المدح وما

ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء) من شانه ان يخلق (فقدره تقديرا) سواه تسوية (واتخذوا) أى الكفار

(من دونه) اى الله اى غيره (آلهة) هى الاصنام (لا يخلقون شيا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا) اى دفعه (ولا نفعا) اى جره (ولا يملكون موتا ولا حياة) اى اماتة لاحد واحياء لاحد (ولا نشورا) اى بعثا للاموات (وقال الذين كفروا ان هذا) اى ما القرآن (الا افك) كذب (افتراه) محمد (واعانه عليه قوم آخرون) وهم من اهل الكتاب قال تعالى (فقد جاؤا ظلما وزورا) كفرا وكذبا أى بهما (وقالوا) ايضا هو (اساطير الاولين) أكاذيبهم جمع اسطورة بالضم (اكتتبها) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فهى تملى) تقرأ (عليه) ليحفظها (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا قال تعالى ردا عليهم (قل انزله الذى يعلم السر) الغيب (فى السموات والارض انه كان غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا) هلا (أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) يصدقه (او يلقى اليه كنز) من السماء ينفقه ولا يحتاج الى المشي فى الاسواق لطلب المعاش (او تكون له جنة) بستان (يأكل منها) أى من ثمارها فيكتفى بها وفى قراءة نأكل بالنون اى نحن فيكون له مزية علينا بها (وقال الظالمون) اى الكافرون للمؤمنين (ان) ما (تتبعون الا رجلا مسحورا)

بعده من تمام الصلة فلا يلزم عليه الفصل باجنبي بين الموصول الاول والثانى على جعله تابعا له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك فى الملك) رد على عباد الاصنام (قوله وخلق كل شئ) كالدليل لما قبله لان الخالق لكل شئ لا شريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شانه ان يخلق) دفع بذلك ما يقال انه دخل فى الشئ ذاته تعالى وصفاته فاجاب بان المراد بالشئ ما شانه ان يتعلق به الخلق وهو المعدوم (قوله سواه تسوية) اى عدله تعديلا بان جعله على شكل حسن ودفع بذلك ما قيل ان الآية فيها قلب لان الخلق متاخر عن التقدير لان التقدير أزلى لانه تعلق العلم والارادة الازلى والخلق حادث لانه تعلق القدرة التنجيزى الحادث فاجاب بان التقدير معناه التصوير على شكل حسن ولا شك ان ذلك حاصل بعد ايجاده على طبق العلم والارادة وهذا سر قول الغزالى ليس فى الامكان ابدع مما كان لان ما اوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم والارادة ازلا فوجد على طبق ذلك فاذا كان كذلك كان التغيير لذلك مستحيلا لانه حينئذ ينقلب علم الله جهلا وهو لا تتعلق به القدرة ان قلت يشكل على هذا قوله تعالى ان يشا يذهبكم ويأت بخلق جديد وقوله تعالى انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فانه يقتضي ان فى قدرة الله اذهاب هذا العالم والاتيان بغيره أجيب بان ما فى الآية باعتبار التعلق الصلاحى للقدرة والتجويز العقلى وما قاله الغزالى باعتبار التعلق التنجيزى الذى حصل متعلقه (قوله أى الكفار) اى المعلومون من قوله للعالمين (قوله آلهة) وصفهم بسبعة اوصاف اولها قوله لا يخلقون شيا وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) اى يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لانفسهم) أى فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لان دفعه اهم وقدم الموت لمناسبة الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع فى ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن اثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراه) أى اختلقه (قوله وهم من اهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا انهم يأتون له بالاخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى اعانتهم له (قوله قال تعالى) اى ردا لمقالتهم (قوله كفرا وكذبا) لف ونشر مرتب (قوله أى بهما) أشار بذلك الى ان ظلما وزورا منصوبان بنزع الخافض ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل (قوله وقالوا ايضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله اساطير الاولين) خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله اكتتبها) اى امر بكتبها لانهم يعلمون انه امى لا يقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب ان يقول من اولئك القوم (قوله تقرأ عليه) اى فليس المراد بالاملاء الالقاء على الكاتب ليكتبه (قوله بكرة واصيلا) المراد دائما ابدا (قوله ردا عليهم) أى مقالتهم الشنيعة (قوله الغيب) أى ما غاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح ان يكون المراد الكفار فيكون تعليلا لمحذوف تقديره واخر عنا بكم ولم يعاجلكم به لانه الخ وقوله كان اى ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع فى بعض قبائحهم التى قالوها فى حق الرسول عليه السلام والمعنى اى شئ حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الاسواق لطلب الرزق كما نفعل فتسميتهم اياه رسولا بطريق الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب فى قراءة العامة على جواب التحضيض وقرئ شذوذا بالرفع عطفا على انزل (قوله يصدقه) اى يشهد له بالرسالة والصدق (قوله او تكون له جنة) بالتاء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالياء لان تانيث الجنة مجازى (قوله وقال الظالمون) اظهار فى موضع الاضمار للاشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا

(قوله مخدوعا مغلوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من اطلاق الملزوم وارادة اللازم (قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفهام التعجبي أى تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الاوصاف التى كانت سببا فى ضلالهم (قوله فضلوا بذلك) أى ضرب الامثال (قوله عن الهدى) أى الحق (قوله فلا يستطيعون سبيلا) أى لا يقدرون على الوصول الى الهدى لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفى كل نقص وحينئذ فيحسن تفسيره فى كل مقام بما يناسبه فلما كان ما تقدم مقام تنزيه فسره بتعالى ولما كان ما هنا مقام اعطاء فسره بتكاثر خيره ولما كان ما يأتى فى آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسره بتعاظم وهكذا يقال فى كل مقام (قوله خيرا من ذلك) اى مما اقترحوا بان يعجل لك أعظم من ذلك فى الدنيا (قوله جنات) بدل من خيرا (قوله لانه شاء أن يعطيه اياها فى الآخرة) علة لقوله أى فى الدنيا والمعنى تكاثر خير الله الذى ان شاء جعل لك خيرا مما تمنوه لك فى الدنيا وانما لم تتعلق ارادة الله به لكونه فانيا والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفانى جزاء لاحبابه لان الدنيا دار ممر لا مقر حلالها حساب وحرامها عقاب وحاشاه سبحانه وتعالى أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه فى الحساب او العقاب (قوله بالجزم) اى عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والمعطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استئنافا) اى او معطوف على جواب الشرط بناء على انه غير مجزوم لقول ابن مالك

*و بعد ماض رفعك الجزا حسن * وانما لم يجزم لضعف تاثير ان فى الشرط لكونه ماضيا فارتفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) اضراب انتقالى عن ذكر قبائحهم الى بيان مالهم فى الآخرة من انواع العذاب (قوله واعتدنا) اى هيأنا واحضرنا وفى هذا دليل على ان النار مخلوقة الآن كما ان الجنة كذلك لقوله تعالى اعدت للمتقين (قوله نارا مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله اذا رأتهم) اى حقيقة بعينها لما فى الحديث من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال اما سمعتم الله عز وجل يقول اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بمن جعل مع الله الها آخر فلهو ابصر به من الطير بحب السمسم فيلتقطه وفى رواية يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران واذنان يسمعان ولسان ينطق يقول انى وكلت بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين انتهى وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة الكلام على حذف مضاف اى رأت زبانيتها بناء منهم على ان الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة وقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة (قوله او سماع التغيظ رؤيته وعلمه) اشار بذلك الى ان السماع ليس على حقيقته بل المراد منه الرؤية والعلم واجيب ايضا بان المراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان وقد افاده اولا فتحصل ان المفسر اجاب بجوابين (قوله واذا القوا) اى طرحوا (قوله مكانا) منصوب على الظرفية اى فى مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بان يضيق عليهم) اى كضيق الحائط على الوتد الذى يدق فيه بعنف (قوله لانه فى الاصل صفة له) اى وهو نكرة ومن المعلوم ان نعت النكرة اذا تقدم عليها يعرب حالا كقول الشاعر *لمية موحشا طلل والاصل لمية طلل موحش (قوله مقرنين) حال من الواو فى القوا والتقرين تقييد الارجل وجمع الايدى والاعناق فى السلاسل (قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والايثاق بالقيود (قوله دعوا هنالك) اى فى ذلك المكان (قوله ثبورا) اى فيقولون يا ثبوراه هذا أوانك فاحضر لانه أخف مما هم فيه

مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال) بالمسحور والمحتاج الى ما ينفقه والى ملك يقوم معه بالامر (فضلوا) بذلك عن الهدى (فلا يستطيعون سبيلا) طريقا اليه (تبارك) تكاثر خير (الذى ان شاء الله جعل لك خيرا من ذلك) الذى قالوه من الكنز والبستان (جنات تجرى من تحتها الانهار) اى فى الدنيا لانه شاء ان يعطيه اياها فى الآخرة (ويجعل) بالجزم (لك قصورا) ايضا وفى قراءة بالرفع استئنافا (بل كذبوا بالساعة) القيامة (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا مسعرة اى مشتدة (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا) غليانا كالغضبان اذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) صوتا شديدا او سماع التغيظ رؤيته وعلمه (واذا القوا منها مكانا ضيقا) بالتشديد والتخفيف بان يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لانه فى الاصل صفة له (مقرنين) مصفدين قد قرنت اى جمعت ايديهم الى اعناقهم فى الاغلال والتشديد للتكثير (دعوا هنالك ثبورا) هلاكا

(قوله

فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) كهذا بكم (قل أذلك) المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد التي وعد) ها (المتقون كانت لهم) في علمه تعالى (جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا

(لهم فيها ما يشاؤن خالدين) حال لازمة (كان) وعدهم ما ذكر (على ربك وعدا مسؤلا) يسأله من وعد به ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) بالنون والتحتانية (وما يعبدون من دون الله) اي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن (فيقول) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين اثباتا للحجة على العابدين (أأنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه (أضللتم عبادي هؤلاء) أوقعتموهم في الضلال بامركم اياهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) طريق الحق بانفسهم (قالوا سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك (ما كان ينبغي) يستقيم (لنا ان نتخذ من دونك) اي غيرك (من أولياء) مفعول أول ومن زائدة لتاكيد النفي وما قبله الثاني فكيف نامر بعبادتنا (ولكن متعتهم وآباءهم) من قبلهم باطالة العمر وسعة الرزق (حتى نسوا الذكر) تركوا الموعظة والايمان بالقرآن (وكانوا قوما بورا) هلكى قال تعالى (فقد كذبوكم) اي كذب المعبودون العابدين (بما تقولون) بالفوقانية أنهم آلهة (فما يستطيعون) بالتحتانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم (صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) منعا لكم منه (ومن يظلم) يشرك (منكم

(قوله فيقال لهم) اى على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) اى مرة واحدة (قوله كهذا بكم) تشبيه في الكثرة وفي نسخة باللام اى لاجل دوام عذابكم وكثرته فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك (قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والا فليس في النار خير (قوله في علمه تعالى) جواب عما يقال انها لم تكن جزاء ومصيرا الآن فاجاب بان المعنى قد سبق علم الله بانها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) اى مستقرا (قوله لهم فيها ما يشاؤن) اى من النعم اللائقة بهم وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم فكل انسان يرضيه الله بما أعطاه ولا يلتفت الى عطاء من هو أشرف منه ولا يخطر بباله سؤاله وبهذا اندفع ما قيل ان مقتضى الآية ان الانسان يتمنى مراتب الانبياء في الجنة ويعطاها (قوله حال) اى من الهاء في لهم أو من الواو في يشاؤن (قوله كان وعدهم ما ذكر) أشار بذلك الى ان اسم كان يعود على الوعد المفهوم من قوله وعد المتقون (قوله ربنا وآتنا) اى كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لانفسهم وقوله ربنا وأدخلهم اى كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر والضمير في نحشرهم للعابدين لغير الله (قوله بالنون) اى مع النون في نقول أو الياء وقوله والتحتانية اى مع التحتانية في يقول فالقراآت ثلاث سبعيات خلافا لما يوهمه المفسر من انها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مفعول نحشرهم وأوقع ما على العقلاء وهو قليل وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل ويصح ان يراد من ما العاقل وغيره كالاصنام وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته (قوله اثباتا للحجة على العابدين) اى وتبكيتا لهم وهو جواب عما يقال ان الله عالم في الازل بما ذكر فما فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق الهمزتين) اى مع ادخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع وكلها سبعية ان قلت على قراءة الابدال يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع أجيب بان محل منعه ما لم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هؤلاء) نعت لعبادي أو عطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) اى المعبودون وهو كلام مستانف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا في الجواب (قوله من أولياء) اى اتباعا يعبدوننا ويصح ان يراد بالاولياء المتبوعون اى معبودون لنا لان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني اذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الاولياء بمعنى المعبودين أو العابدين لغير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أو من تولاهم الله فلم يكلهم لغيره فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق باذيالهم (قوله مفعول أول) اى لنتخذ (قوله وما قبله) اى وهو قوله من دونك (قوله فكيف نامر بعبادتنا) اى بعبادتهم ايانا فنحن لم نضلهم (قوله ولكن متعتهم الخ) استدراك لرفع ما يتوهم ثبوته والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل في ذلك وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أي غفلوا عن التذكر في آياتك فالنسيان معناه الترك (قوله بورا) يحتمل انه جمع بائر أو مصدر من البوار وهو الهلاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب للعابدين فالواو واقعة على المعبودين والكاف على العابدين وقوله بما تقولون أي فيما تقولون وقوله بالفوقانية اى باتفاق العشرة وقوله انهم آلهة مقول القول (قوله اى لا هم) راجع للتحتانية وقوله ولا أنتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) اى أيها المكلفون من العابدين والمعبودين فظلم العابد

نذقه عذابا كبيرا) شديدا في الآخرة (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون في الاسواق) فانت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) بلية ابتلى الغنى بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثاني في كل مالي لا اكون كالاول في كل (أتصبرون) على ماتسمعون ممن ابتليتم بهم استفهام بمعنى الامر اى اصبروا (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر وبمن يجزع (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (لولا) هلا (انزل علينا الملائكة) فكانوا رسلا الينا (او نرى ربنا) فنخبر بان محمدا رسوله قال تعالى (لقد استكبروا) تكبروا (في) شان (انفسهم وعتوا) طغوا (عتوا كبيرا) بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا وعتوا بالواو على اصله بخلاف عتيا بالابدال في مريم (يوم يرون الملائكة) في جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدرا (لا بشرى يومئذ للمجرمين) اى الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (ويقولون حجرا محجورا) على عادتهم في الدنيا اذا نزلت بهم شدة اى عوذا معاذا

بعبادته غير الله وظلم المعبود برضاه بذلك (قوله نذقه) بنون العظمة في قراءة العامة (قوله وما ارسلنا قبلك الخ) المقصود من هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين حيث قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام الخ (قوله الا انهم) الجملة حالية وان مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلقت للخبر والمعنى ما ارسلنا قبلك من المرسلين في حال من الاحوال الا في حالة اكلهم الطعام ومشيهم في الاسواق اى فهذه عادتهم ودأبهم فان هجوك بذلك فقد هجوا جميع الانبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) اى ان الدنيا دار بلاء وامتحان فجعل بعض العبيد فتنة لبعض ليظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى الغنى بالفقير الخ) اى فالغنى ممتحن بالفقير يحسده والفقير ممتحن بالغنى يسخر به و يحتقره والصحيح ممتحن بالمريض يقول لم نعاف ونصير مثل هذا والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه و يغتر بصحته والشريف كالانبياء والعلماء والصلحاء ممتحن بالوضيع يحسده على ما اعطاه الله وهكذا والخلاص من ذلك الصبر على احكام الله والرضا بها لان الواجب على الانسان ان ينظر في امور الدنيا الى من هو دونه ولا ينظر الى من هو فوقه لئلا يزدري نعمة الله عليه وفي امور الآخرة الى من هو فوقه ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبغي صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدي بهم (قوله يقول الثاني) اى الفقير والمريض والوضيع وقوله في كل اى من الاقسام الثلاثة وبالجملة فالفتنة ان يحسد المعافى المبتلى والصبر ان يحبس كل منهما نفسه عن هذا البطر وهذا عن الضجر عن ابي الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل المملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون (قوله استفهام بمعنى الامر) هذا أحد وجهين والوجه الآخر ان الاستفهام على حقيقته أي لينظر أيحصل منكم صبر ام لا فيجازي كم على ذلك (قوله وكان ربك بصيرا) في ذلك تأنيس للعبد أي ان الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا ينبغي الشكوى للخلق ولا اظهار ما في القلوب بل ان وجد الشخص في نفسه صبرا فليشكر الله وان وجد غير ذلك فعليه ان يرجع الى ربه بالندم والتوبة (قوله لا يخافون البعث) أي لانهم منكرون له فهم يزعمون انهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله فكانوا رسلا الينا) اى بالشرائع ونحوها بدل محمد (قوله او نرى ربنا) اى يكشف الحجاب لنا فنراه عيانا (قوله فنخبر) بالبناء للمفعول اى يخبرنا هو بان محمدا رسوله (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم مقالتهم (قوله تكبروا) أي حيث لم يرضوا بان يكون رسولهم من البشر بل طمعوا ان يكون من الملائكة (قوله في شان انفسهم) أي انهم عدوا أنفسهم كبيرة لا مرقام بها (قوله بطلبهم رؤية الله) متعلق بعتوا والباء للسببية ولم يذكر متعلق استكبروا وقد علمته وفي الآية لف ونشر مرتب فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة والعتو راجع لطلبهم رؤية الله (قوله على اصله) اى من غير ابدال (قوله بالابدال في مريم) اى لمناسبة رؤس الآي واصله عتوو كسرت التاء فوقعت الواو ساكنة اثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت في الياء (قوله يوم يرون الملائكة) اى المتولين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) اى لقوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار (قوله و يقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على

كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعيذون من الملائكة) اى يطلبون من الله انقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله عمدنا) اى تعلقت ارادتنا ودفع بذلك ماقيل ان القدوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى فقسره بلازمه وهو القصد والمراد من القصد فى حقه تعالى تعلق ارادته بالشئ (قوله وقرى ضيف) بكسر القاف مع القصر أو فتحها مع المد ومعناه الاحسان اليه (قوله فى الدنيا) متعلق بعملوا (قوله فى الكوى) جمع كوة وهى الطاقة فى الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) اى وهو الايمان (قوله ويجازون عليه فى الدنيا) اى باعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا فاعمال الكافر الحسنة التى لا تتوقف على نية يعطى جزاءها فى الدنيا واما ماتتوقف على نية فلا يجد لها جزاء اصلا لعدم صحتها (قوله خير مستقرا من الكافرين) اى ان مستقر المؤمنين فى الجنة خير من مستقر الكافرين فى الدنيا فافعل التفضيل على بابه والى هذا اشار المفسر بقوله فى الدنيا فهو جواب عما يقال ان مستقر اهل النار لا خير فيه ويصح ان يراد استقرار كل فى الآخرة والتفضيل ليس مرادا بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار (قوله من ذلك) اى من قوله وأحسن مقيلا (قوله كما ورد فى الحديث) قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (قوله ويوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر (قوله اى كل سماء) اشار بذلك الى ان أل فى السماء استغراقية (قوله اى معه) اشار بذلك الى أن الباء بمعنى مع ويصح ان تكون للسببية أو للملابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) اى سحاب فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثقله كثقلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل الى الارض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة سماء الدنيا وهم مثل أهل الارض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلهم عشر مرة وهكذا واذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع فى الحشر صفا واذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار ويطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك فى سورة ابراهيم عند قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الخ (قوله ونصبه باذكر مقدرا) اى وهو معطوف على يوم يرون الملائكة وكذا قوله ويوم يعض الظالم (قوله فى الاصل) اى قبل قلبها شينا وتسكينها وادغامها فى الشين (قوله وفى أخرى وننزل بنونين الخ) هذه القراءة انما تأتى عند تشديد الشين فتحصل ان القراءآت ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز فى ننزل القراءتان وعند التخفيف يجوز فى ننزل قراءة واحدة وهى كونه ماضيا مبنيا للمفعول خلافا لما يوهمه المفسر من انها أربع قراآت (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره والمعنى ان الملك يوم القيامة لله وحده وحكمة التقييد بهذا اليوم وان كان الملك لله فى كل زمن ان ثبوت الملك له خاصة فى ذلك اليوم فليس لاحد ملك ظاهرا أبدا واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون للخلق تصرف صورى والى هذا اشار المفسر بقوله لا يشركه فيه احد (قوله بخلاف المؤمنين) اى فليس عليهم عسيرا لما ورد انه يهون عليهم حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة (قوله ويوم) منصوب باذكر او معطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله يعض الظالم) هو من باب تعب ونفع والمعنى ان الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه قال عطاء يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبتت يداه

يستعيذون من الملائكة قال تعالى (وقدمنا) عمدنا (الى ماعملوا من عمل) من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف واغاثة ملهوف فى الدنيا (فجعلناه هباء منثورا) هو مايرى فى الكوى التى عليها الشمس كالغبار المفرق اى مثله فى عدم النفع به اذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه فى الدنيا (أصحاب الجنة يومئذ) يوم القيامة (خير مستقرا) من الكافرين فى الدنيا (وأحسن مقيلا) منهم أى موضع قائلة فيها وهى الاستراحة نصف النهار فى الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب فى نصف نهار كما ورد فى حديث (ويوم تشقق السماء) اى كل سماء (بالغمام) اى معه وهو غيم ابيض (ونزل الملائكة) من كل سماء (تنزيلا) هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدرا وفى قراءة بتشديد شين تشقق بادغام التاء الثانية فى الاصل وفى اخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الملك يومئذ الحق للرحمن) لا يشركه فيه احد (وكان) اليوم (يوما على الكافرين عسيرا) بخلاف المؤمنين (ويوم يعض الظالم) المشرك

عقبة بن ابى معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع ارضاء لابى بن خلف (على يديه) ندما وتحسرا فى يوم القيامة (يقول يا) للتنبيه (ليتنى اتخذت مع الرسول) محمد (سبيلا) طريقا الى الهدى (ياويلتا) الفه عوض عن ياء الاضافة اى ويلتى ومعناه هلكتى (ليتنى لم اتخذ فلانا) اى ابيا (خليلا لقد اضلنى عن الذكر) اى القرآن (بعد اذ جاءنى) بان ردنى عن الايمان به قال تعالى (وكان الشيطان للانسان) الكافر (خذولا) بان يتركه ويتبرأ منه عند البلاء (وقال الرسول) محمد (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) متروكا قال تعالى (وكذلك) كما جعلنا لك عدوا من مشركى قومك (جعلنا لكل نبى) قبلك (عدوا من المجرمين) المشركين فاصبر كما صبروا (وكفى بربك هاديا) لك (ونصيرا) ناصرا لك على اعدائك (وقال الذين كفروا لولا) هلا (نزل عليه القرآن جملة واحدة) كالتوراة والانجيل والزبور قال تعالى نزلناه (كذلك) اى متفرقا

يا كلهما (قوله عقبة بن ابى معيط) اشار المفسر بذلك الى ان الآية نزلت فى ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو احد قولين وقيل نزلت فى الظالمين عموما (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) وذلك انه صنع طعاما ودعا الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله وانى محمد رسول الله ففعل فاكل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقا لابى بن خلف فلما اخبر بذلك قال له ياعقبة صبات قال لا ولكن دخل على رجل فابى ان يا كل طعامى الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تاتيه فتبزق فى وجهه ففعل ذلك عقبة فعاد بزاقه على وجهه فحرقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أراك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن النبى أبيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات وحكم الآية عام فى كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روى يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخال (قوله يقول ياليتنى) الجملة حالية من فاعل يعض (قوله للتنبيه) اى وليست للنداء لان المنادى شرطه ان يكون اسما وليت حرف تمن او للنداء والمنادى محذوف اى ياقوم (قوله عوض عن ياء الاضافة) أى وأصله ويلتى بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت وانفتح ماقبلها قلبت الفا فيقال فى اعرابه ويلتا مضاف والالف مضاف اليه فى محل جر وليس لنا الف فى محل جر الا ما كانت عوضا عن ياء المتكلم (قوله لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الاناث (قوله لقد أضلنى) علة لتمنيه واكده باللام القسمية اظهار الندمه وتحسره (قوله اى القرآن) أى وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان قوله وكان الشيطان الخ جملة مستانفة من كلامه تعالى وكلام الظالم تم عند قوله جاءنى (قوله وكان الشيطان) اى وهو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والانس (قوله بان يتركه) اى يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ماقالوه وبيان مايحيق بهم فى الآخرة من الاهوال وهذا القول قيل صدر منه فى الدنيا وعليه يحمل قول المفسر فاصبر كما صبروا وقيل سيقع منه فى الآخرة حال اقامة الحجة عليهم واذا وردانه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقا سحقا (قوله مهجورا) أي فاعرضوا عنه ولم يؤمنوا به فهذه الآية وردت فى الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه وان كان يعاتب عليه فى الآخرة لما ورد من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه (قوله وكذلك جعلنا الخ) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبى عدوا (قوله بربك) الباء زائدة فى الفاعل (قوله هاديا) اى موصلا لك الى الطريق القويم (قوله وقال الذين كفروا الخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التى تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن ابداها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى انزل لان نزل بالتشديد معناه الانزال مفرقا وانزل معناه الانزال جملة فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر حيث عبر بانزلنا دون نزلنا لان المراد نزوله جملة فى سماء الدنيا (قوله قال تعالى) اى ردا لتلك الشبهة بامور ثلاثة مقتضية لنزوله مفرقا الاول تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم الثانى ترتيله ليسهل حفظه الثالث قوله ولا يأتونك بمثل الاجئناك بالحق واحسن تفسيرا (قوله نزلناه كذلك) اشار بذلك الى ان قوله

كذلك

كذلك نعت لمصدر محذوف والمعنى نزلناه تنزيلا مثل ذلك التنزيل (قوله لنثبت به فؤادك) علة للمحذوف الذي قدره المفسر والمعنى انزلناه مفرقا ليتقوى قلبك على تلقيه فلا يحصل لك منه ثقل لان القرآن في نفسه ثقيل سيما على من لم يقرأ ولم يكتب قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ولذلك لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ فتر الوحي ثلاث سنين ليشتاق للتلقي فان الشيء اذا جاء على شوق كان اثبت (قوله ورتلناه ترتيلا) اى فرقناه آية بعد آية وشيا بعد شيء في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة (قوله لتيسر فهمه وحفظه) اى لك ولامتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الامة المحمدية لم يعطها غيرهم ولذا ورد وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للاطفال ليثبت في قلوبهم واغتفر التنكيس في تعليمه ليسهل حفظه فان الطفل اذا رأى السورة قصيرة قوى على حفظها ونشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) اى سؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك (قوله الا جئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الاحوال كانه قيل لا يأتونك بمثل في حال من الاحوال الا في حال اتياننا اليك بالحق وبما هو احسن بيانا له والمعنى كلما أوردوا شبهة أو أتوا بسؤال عجيب اجبنا عنه بجواب حسن يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن رد تلك الشبهة كالعالم الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسئل عنها فيكون الامر موكولا له فتكون الكلفة عليه وما كان موكولا الى الله كان اتم مما هو موكول الى العبد وفيه قمع للمعاندين (قوله واحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله اى يساقون) اى يسحبون مقلوبين يطؤن الارض برؤسهم ووجوههم وترتفع اقدامهم بقدرة الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأضل والمراد بغيرهم باقي الكفار والمعنى ان من عانده صلى الله عليه وسلم فهو في أسوإ الاحوال واشرها في الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائد قومه بذكر بعض قصص الانبياء على سبيل الاجمال والمعنى لا تحزن يا محمد فان من خالفك وعاندك يحل به الدمار كما حل بالمخالف من الامم المتقدمة (قوله وجعلنا معه) معطوف على آتينا والواو لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا فان اتيان موسى التوراة كان بعد رسالة هرون وهلاك فرعون وقومه ويمكن ان يجاب عن الآية بان المراد بقوله آتينا موسى الكتاب قدرنا له ان يأتيه في علمنا فهو اخبار عما سيحصل فالماضي بالنسبة لما سبق في علم الله (قوله اخاه) مفعول أول لجعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان لجعلنا والمعنى جعلنا هرون معينا لموسى بوحي منا له في دعوى القوم الى التوحيد واعلاء الكلمة فهو نبي ورسول بما جاء به موسى بخلاف وزارة علي للنبي صلى الله عليه وسلم المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى فالمراد بها مطلق الاعانة لا المشاركة في الاتصاف بالرسالة فان من اثبتها لعلي فقد كفر (قوله بآياتنا) اى ادلة توحيدنا لا خصوص التسع (قوله فدمرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهبا الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله اغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال لم جمع الرسل مع انه رسول واحد وهو نوح فاجاب بجوابين الاول انه جمعه لطول مدته في قومه فكانه رسل متعددة الثاني ان من كذب رسولا فقد كذب باقي الرسل (قوله وجعلناهم) اى جعلنا هلاكهم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى ما يحل) اى ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها بخلاف

(لنثبت به فؤادك) نقوى قلبك (ورتلناه ترتيلا) أى اتينا به شيا بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه (ولا يأتونك بمثل) في ابطال أمرك (الا جئناك بالحق) الدافع له (واحسن تفسيرا) بيانا هم (الذين يحشرون على وجوههم) اى يساقون (الى جهنم أولئك شر مكانا) هو جهنم (واضل سبيلا) اخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) معينا (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى القبط فرعون وقومه فذهبا اليهم بالرسالة فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا) اهلكناهم اهلاكا (و) اذكر (قوم نوح لما كذبوا الرسل) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكانه رسل أو لان تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد (اغرقناهم) جواب لما (وجعلناهم للناس) بعدهم (آية) عبرة (واعتدنا) في الآخرة (للظالمين) الكافرين (عذابا أليما) مؤلما سوى ما يحل بهم في الدنيا (و) اذكر (عادا) قوم هود

(وثمودا) قوم صالح (واصحاب الرس) اسم بئر ونبيهم قيل شعيب وقيل غيره كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم (وقرونا) اقواما (بين
ذلك كثيرا) اى بين عاد واصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) فى اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار (وكلا

تبرنا تتبيرا) اهلكنا اهلاكا بتكذيبهم انبياءهم (ولقد اتوا) اى مر كفار مكة (على القرية التى امطرت مطر السوء) مصدر ساء اى بالحجارة وهى عظمى قرى قوم لوط فاهلك الله اهلها لفعلهم الفاحشة (افلم يكونوا يرونها) فى سفرهم الى الشام فيعتبرون والاستفهام للتقرير (بل كانوا لا يرجون) يخافون (نشورا) بعثا فلا يؤمنون (واذا راوك ان) ما (يتخذونك الاهزؤا) مهزوا به يقولون (اهذا الذى بعث الله رسولا) فى دعواه محتقرين له عن الرسالة (ان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (كاد ليضلنا) يصرفنا (عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) لصرفنا عنها قال تعالى (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) عيانا فى الآخرة (من اضل سبيلا) اخطا طريقا اهم ام المؤمنون (ارايت) اخبرنى (من اتخذ الهه هواه) اى مهويه قدم المفعول الثانى لانه اهم وجملة من اتخذ مفعول اول لرايت والثانى (افانت تكون عليه وكيلا) حافظا تحفظه عن اتباع

سائر معانيه فهو بالكسر لا غير (قوله وثمودا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءتان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلف هل هى اسم للبئر التى لم تطو أو للبئر مطلقا وما قاله المفسر أحد أقوال فى الرس وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتختطف صبيانهم فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا (قوله وقيل غيره) أى وهو حنظلة (قوله فانهارت) أى انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلاقى ضربنا فى معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الامثال والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تتبيرا أى فتتناهم تفتيتا فجعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك الى أنه ضمن أتوا معنى مروا فعدى بعلى والا فاتى يتعدى بنفسه أو بالى والمعنى مروا عليهم فى أسفارهم الى الشام (قوله مصدر ساء) أى بحسب الاصل والمراد فى الآية بالمطر السوء الرمى بالحجارة (قوله وهى عظمى قرى قوم لوط) أى واسمها سدوم وتقدم أن القرى خمسة وقيل ان أل فى القرية للجنس فيشمل جميعها لان الخسف ونزول الاحجار عم جميعها وقيل نجت منها واحدة كانت لا تعمل الخبائث (قوله يرونها) أى يرون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله بل كانوا لا يرجون نشورا) أى كانوا كفارا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فهو اضراب انتقالى من توبيخهم الى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم ايمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله ان يتخذونك) جواب اذا (قوله الاهزؤا) مفعول ثان ليتخذون وقوله مهزوا به أشار بها الى أن المصدر مؤول باسم المفعول لان المفعول الثانى فى الاصل خبر والمصدر لا يصح الاخبار به الا بتاويل (قوله أهذا الذى الخ) الجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر (قوله فى دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقال هم لا يعترفون برسالته فكيف يقولون ماذكر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أى بكثرة الادلة والمعجزات (قوله لولا أن صبرنا عليها) أى ثبتنا واستمسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أى ردا لقولهم ان كاد ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدا وأضل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر الى ذلك بقوله أهم أم المؤمنون (قوله قدم المفعول الثانى) أى وقيل لا تقديم ولا تاخير لاستوائهما فى التعريف (قوله وجملة من الخ) أى بحسب الصورة والا فهى وصلتها فى قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام فيها انكارى (قوله أن اكثرهم) استفيد منه ان الاقل سمع وعقل فآمن (قوله ان هم الا كالانعام) أى فى عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم اضل سبيلا) اى لان الانعام تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضربها وهؤلاء ليسوا كذلك (قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل) اقام الله سبحانه وتعالى ادلة محسوسة على انفراده تعالى بالالوهية وذكر منها هنا خمسة الاول هذا الثانى قوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا الثالث قوله وهو الذى ارسل الرياح الرابع قوله وهو الذى مرج البحرين الخامس قوله وهو الذى خلق من الماء بشرا وهذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فان من تامل فى تلك الادلة حق التامل عرف ان موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) اشار بذلك الى ان الرؤية بصرية فقوله كيف منصوب بمد على الحال والمعنى الم تنظر الى صنع ربك مد الظل كيف اى على اى حالة وقدر المفسر فعل اشارة الى ان المراد رؤية المصنوعات لا رؤية الذات

هواه لا (ام تحسب ان اكثرهم يسمعون) سماع تفهم (او يعقلون) ما تقول لهم (ان) ما (هم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا) اخطا طريقا منها لانها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم (الم تر) تنظر (الى) فعل (ربك كيف مد الظل)

الذات لان المقصود نصب الادلة ليستدل بها على مؤثرها فان كل صنعة لا بد لها من صانع وان كان يلزم من التفكر فى تلك الاشياء رؤية الله بعين القلب لانه لا يغيب عن مخلوقه طرفة عين ومن هنا قيل العارف يرى الله فى كل شئ فالآثار كالمرآة للناظر فمن تامل فيها رأى مؤثرها ولا تحجب الا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب ان يقول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس اذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين ثانيها من غروب الشمس الى طلوعها ثالثها من طلوع الشمس الى ان تزول ومن زوالها الى غروبها وأما ماقاله المفسر فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعنى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس أطيب الاوقات وأفضلها ولذا وصفت به الجنة قال تعالى وظل ممدود وفيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذى علة وفيه ترد أرواح الاموات منهم الى الاجساد وطيب نفوس الاحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار الى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجعله ساكنا) اى ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الارض (قوله لا يزول بطلوع الشمس) اى بان لا تطلع فلا يزول بان يستمر الليل مقيما أو تطلع من غير ضوء (قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) اى جعلنا الشمس دليلا على الظل ليلا ونهارا فالمراد بالظل ماقابل نور الشمس وكل من الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغيره وأما ذات الشمس فجوهر (قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) اى قليلا شيا فشيا وذلك ان الشمس اذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل الى جهة المغرب فكلما ارتفعت فى الافق نقص الظل شيأ فشيأ الى ان تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهى نقص الظل فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبدا فى بعض أيام السنة كمكة وزبيد وماعداها تبقى له بقية وهذا على حسب الاشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله طزه جبا ابدوحى فالطاء بتسعة لطوبة فظل الزوال فيه تسعة أقدام والزاى بسبعة لامشير والهاء بخمسة لبرمهات والجيم بثلاثة لبرمودة والباء باثنين لبشنس والالف بواحدة لبؤنة والالف الثانية بواحد لابيب والباء باثنين لمسرى والدال باربعة لتوت والواو بستة لبابه والحاء بثمانية لهاتور والياء بعشرة لكيهك فاذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيأ فشيأ حتى تغرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك الى انه من التشبيه البليغ بحذف الاداة والجامع بين المشبه والمشبه به الستر فى كل (قوله والنوم سباتا) من السبت وهو القطع لقطع الاشغال فيه كما قال المفسر (قوله بقطع الاعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لابتغاء الرزق) اى طلبه (قوله وهو الذى أرسل الرياح) اى المبشرات وهى ثلاث الشمال وتاتى من جهة القطب والجنوب تقابلها والصبا وتاتى من مطلع الشمس والدبور تاتى من المغرب وبها أهلكت عاد (قوله وفى قراءة الريح) اى وهى سبعية أيضا وأل فيها للجنس (قوله وفى قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ماذكره المفسر من القراآت أربع وكلها سبعية الاولى والثانية جمع نشور كرسول والثالثة مصدر نشر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الاولى) اى والثانية (قوله وأنزلنا من السماء) فيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله طهورا) اى طاهرا فى نفسه مطهر الغير (قوله بلدة) أى أرضا (قوله بالتخفيف) اى لا غير لان المخفف لما ليس ذا روح غالبا واما بالتشديد لما كانت فيه الروح قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال بعضهم

أياسائلى تفسير ميت وميّت ❊ فدونك قد فسرت ماعنه تسئل

فما كان ذا روح فذلك ميّت ❊ وما الميت الا من الى القبر يحمل

(قوله يستوى فيه المذكر الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتا مع انه نعت لبلدة وهى مؤنثة وقوله ذكره الخ جواب ثان فكان المناسب ان ياتى باو (قوله انعاما) خصها بالذكر لانها عزيزة عند أهلها لكونها سببا لحياتهم ومعاشهم (قوله جمع انسان) هو الراجح وقيل جمع انسى وهو معترض بان الياء فى

من وقت الاسفار الى وقت طلوع الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) مقيما لا يزول بطلوع الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه) اى الظل (دليلا) فلولا الشمس ماعرف الظل (ثم قبضناه) اى الظل الممدود (الينا قبضا يسيرا) خفيا بطلوع الشمس (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) ساترا كاللباس (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع الاعمال (وجعل النهار نشورا) منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره (وهو الذى أرسل الرياح) وفى قراءة الريح (نشرا بين يدى رحمته) اى متفرقة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين تخفيفا وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون اى مبشرات ومفرد الاولى نشور كرسول والاخيرة بشير (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا (لنحيى به بلدة ميتا) بالتخفيف يستوى فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (ونسقيه) اى الماء (مما خلقنا أنعاما) ابلا وبقرا وغنما (وأناسى كثيرا) جمع انسان

انسي للنسب وهو لا يجمع على فعالى كما قال ابن مالك

* واجعل فعالى لغير ذى نسب * (قوله واصله اناسين) اى كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) اى فرقناه فى البلاد المختلفة والاوقات المتغايرة على حسب ماقدر فى سابق علمه روى عن ابن مسعود انه قال ليس من سنة بامطر من اخرى ولكن الله عزوجل قسم هذه الارزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم واذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافى والبحار (قوله ادغمت التاء فى الذال) اى بعد قلبها دالا فذالا (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله اى نعمة الله به) اى فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جحودا للنعمة) أى حيث أضافوها لغير خالقها (قوله مطرنا بنوء كذا) النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب وطلوع رقيبه من المشرق فى ساعته فى عدة أيام معلومة لهم وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط وقيل الى الطالع واعتقاد تاثير تلك الاشياء فى المصنوعات كفر لانه لا اثر لشيء فى شيء بل المؤثر هو الله وحده وانما تلك الاشياء من جملة الاسباب العادية التى توجد الاشياء عندها لا بها ويمكن تخلفها كالاحراق للنار والرى للماء والشبع للاكل (قوله لبعثنا فى كل قرية) اى فى زمنك (قوله ليعظم أجرك) اى فالنبي صلى الله عليه وسلم له مثل اجر من آمن به من بعثته الى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) اى بل اصبر على احكام ربك (قوله جهادا كبيرا) اى لان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) اى اجراهما متلاصقين لا يتمازجان ولا يبغى احدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل ان تكون مستانفة جواب سؤال مقدر كانه قيل كيف مرجهما ويحتمل ان تكون حالية بتقدير القول أى مقولا فيهما هذا عذب الخ وسمى الماء العذب فراتا لانه يفرت العطش أى يشقه ويقطعه (قوله شديد الملوحة) اى وقيل شديد الحرارة وقيل شديد المرارة وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح اجاج (قوله حاجزا لا يختلط احدهما بالآخر) اى فالماء العذب داخل فى الملح وجار فى خلاله ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان بل يبقى كل على ماهو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوى لا يحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من اكبر الادلة على انفراد الله تعالى بالالوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم ان معناه تعوذا تعوذا والمراد هنا الستر المانع فشبه البحران بطائفتين متعاديتين كل منهما تتحصن من الاخرى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستعارة المكنية (قوله بشرا) اى خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم (قوله ذا نسب الخ) اى فقسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن واخر الصهر لانه لا يحصل الا بعد الكبر والتزوج (قوله ذا صهر) صهر الرجل اقارب زوجته وصهر المرأة اقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) اى حيث خلق من مادة واحدة انسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة واخلاق متعددة وجعله قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وامثاله فهو حقيق بان لا يعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع فى ذكر قبائح المشركين مع ظهور تلك الادلة (قوله مالا ينفعهم ولا يضرهم) قدم النفع فى بعض الآيات وأخره فى بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) اى يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك وال فى الكافر للجنس فالمراد كل كافر وقيل معنى ظهيرا مهينا لا يعبا به فعلى بمعنى عند والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لا حرمة له ماخوذ من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك (قوله بطاعته) أى الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر معينا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته اياه والخروج

واصله أناسين فابدلت النون ياء وادغمت فيها الياء او جمع انسي (ولقد صرفناه) أى الماء (بينهم ليذكروا) اصله يتذكروا ادغمت التاء فى الذال وفى قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أى نعمة الله به (فأبى اكثر الناس الا كفورا) جحودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) يخوف اهلها ولكن بعثناك الى اهل القرى كلها نذيرا ليعظم اجرك (فلا تطع الكافرين) فى هواهم (وجاهدهم به) اى القرآن (جهادا كبيرا وهو الذى مرج البحرين) ارسلهما متجاورين (هذا عذب فرات) شديد العذوبة (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة (وجعل بينهما برزخا) حاجزا لا يختلط احدهما بالآخر (وحجرا محجورا) اى سترا ممنوعا به اختلاطهما (وهو الذى خلق من الماء بشرا) من المنى انسانا (فجعله نسبا) ذا نسب (وصهرا) ذا صهر بان يتزوج ذكرا كان او انثى طلبا للتناسل (وكان ربك قديرا) قادرا على ما يشاء (ويعبدون) اى الكفار (من دون الله مالا ينفعهم) بعبادته (ولا يضرهم) بتركها وهو الاصنام (وكان الكافر على ربه ظهيرا) معينا للشيطان بطاعته

عن طاعة الله (قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) اى لم نرسلك فى حال من الاحوال الا فى حال كونك مبشرا ونذيرا فمن آمن فقد تحقق بالبشارة ومن استمر على الكفر فله النذارة (قوله على تبليغ ما ارسلت به) اى المفهوم من قوله ارسلناك (قوله لكن من شاء الخ) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع والمعنى لا أطلب من اموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء ان ينفق امواله لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته فليفعل (قوله فى مرضاته تعالى) اى كالصدقة والنفقة فى سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الحى الذى لا يموت) لما قدم ان الكافر خارج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وامر الرسول ان لا يسالهم اجرا على تبليغه أمره بالاعتماد عليه تعالى ليكفيه شرورهم ويغنيه عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى فى جميع الامور من غير اعتماد على الاسباب وان تعاطاها (قوله الذى لا يموت) صفة كاشفة لان معنى الحى فى حقه تعالى ذو الحياة الابدية التى يستحيل عليها الموت والفناء ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) اى نزهه عن كل نقص (قوله بحمده) الباء للملابسة كما قال المفسر اى صفه بالكمالات (قوله اى قل سبحان الله والحمد لله) اى فذلك مجمع التسبيح والتحميد لان معنى تسبيح الله تنزيه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التى اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التى بقيتها لا اله الا الله والله اكبر وحكمة تاخير لا اله الا الله عنهما تين الجملتين ليكون النطق بها عن معرفة ويقين فهى نتيجة ما قبلها والله اكبر نتيجة الثلاث قبلها لانه اذا تنزه عن النقائص واتصف بالكمالات وثبت انه لا اله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد لانهما مستلزمتان للجملتين بعدهما (قوله وكفى به) الباء زائدة فى الفاعل (قوله عالما) اى بالمذنب والطائع (قوله تعلق به) اى بخبيرا (قوله بذنوب) اى لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة والمعنى ان الله قادر على مجازاة الخلق فى كل وقت فلا ينظر الانسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم بل عليه بنفسه ويفوض امرهم اليه (قوله هو الذى) اشار بذلك الى ان الموصول خبر لمحذوف وهذه الجملة سيقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فان من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله فى ستة ايام) اى فالارض فى يومين الاحد والاثنين وما عليها فى يومين الثلاثاء والاربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله اى فى قدرها) دفع بذلك ما يقال ان الايام لم تكن موجودة اذ ذاك (قوله والعدول عنه) اى عن الخلق فى لحظة (قوله التثبت) اى التأنى والتؤدة فى الامور وعدم العجلة فيها لما ورد ان العجلة من الشيطان واستثنى العلماء من ذلك مسائل اقراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة فى اول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الاوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو فى اللغة سرير الملك) ى ومنه قوله تعالى ايكم يأتينى بعرشها والمراد هنا جسم عظيم محيط بالعالم فوق السموات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح ان يكون خبر المحذوف أو خبر الذى خلق (قوله اى استواء يليق به) هذا اشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه وهو احد معنيى الاستواء واستدلوا لذلك بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وفى قوله الرحمن اشارة الى ان الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين وكان سقف

(وما ارسلناك الا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) مخوفا من النار (قل ما اسألكم عليه) اى على تبليغ ما ارسلت به (من اجر الا) لكن (من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) طريقا بانفاق ماله فى مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك (وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح) متلبسا (بحمده) اى قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عالما تعلق به بذنوب هو (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) من ايام الدنيا اى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) هو فى اللغة سرير الملك (الرحمن) بدل من ضمير استوى اى استواء يليق به

(فاسئل) ايها الانسان (به) بالرحمن (خبيرا) يخبرك بصفاته (واذا قيل لهم) لكفار مكة (اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا) بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه لا (وزادهم) هذا القول لهم (نفورا) عن الايمان قال تعالى (تبارك تعاظم (الذي جعل في السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو (وجعل فيها) ايضا (سراجا) هو الشمس (وقمرا منيرا) وفى قراءة سرجا بالجمع اى نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) اى يخلف كل منهما الآخر (لمن اراد ان يذكر) بالتشديد والتخفيف كما تقدم مافاته فى احدهما من خير فيفعله فى الآخر (اواراد شكورا) اى شكر النعمة ربه عليه فيهما (وعباد الرحمن) مبتدأ

الجنة لا بوصف الجلال والالذاب ولم يبق له اثر (قوله فاسال به خبيرا) به متعلق بخبير قدم لرعاية الفاصلة والمعنى اسال يا محمد خبيرا بصفاته تعالى وليس خبيرا بصفاته الا هو سبحانه وتعالى و يصح ان يكون الجار المجرور متعلقا باسال والباء بمعنى عن والمعنى اسال عنه خبيرا أى عالما بصفاته يطلعك على ماخفي عليك والخبير يختلف باختلاف السائل فان كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام فالخبير هو الله وان كان السائل اصحابه فالخبير النبي وان كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن النبي عن الله وهكذا فآل الامر الى ان المشايخ العارفين يفيدون الطالب عن الله وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله واذا قيل لهم) اى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) اى ظنا منهم ان المراد به غيره تعالى لانهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله والآمر محمد) اى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تامرنا فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله تعاظم) اى انفرد بالعظمة لان من كانت هذه اوصافه فهو منفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم ان لفظة تبارك من الصفات الجامعة تفسر فى كل مقام بما يناسبه (قوله بروجا) جمع برج وهو فى الاصل القصر العالى سميت هذه المنازل بروجا لانها للكواكب السبعة السيارة كالمنازل الرفيعة التى هى كالقصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة (قوله الحمل) اى ويسمى بالكبش (قوله والاسد) اى ويسمى بالليث ايضا وقوله والدلو يسمى الدالى ايضا (قوله المريخ) بكسر الميم (قوله وله) اى من البروج المذكورة والحاصل ان خمسة من الكواكب السبعة اخذت عشرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما اخذ واحدا من البروج وتقدم فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم ان زحل نجم فى السماء السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الاولى وتخصيص الشمس بالاسد لكونه بيتها المنسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بواقى الكواكب السبعة وذلك لان البروج اصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعدل كعمر وقد جعل الله تعالى هذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالاكل والشرب يوجد النفع عندها لا بها فهى من جملة الاسباب العادية فمن اعتقد تاثيرها بطبعها فقد كفر أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق (قوله وجعل فيها) اى السماء (قوله اى نيرات) صفة لموصوف محذوف اى كواكب نيرات ودخل فيها القمر فلذلك قال وخص القمر الخ (قوله لنوع فضيلة) اى لان مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج (قوله اى يخلف كل منهما الآخر) اى بان يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) اى فاصله يتذكر قلبت التاء دالا ثم ذالا وادغمت فى الذال (قوله والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) اى فى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا (قوله مافاته فى احدهما من خير الخ) اى فمن فاته شئ من الخير بالليل ادركه بالنهار ومن فاته بالنهار ادركه بالليل من فرائض وسنن وغيرهما (قوله او اراد شكورا) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر احوال المنافقين والكفار وما آل اليه أمرهم ذكر هنا اوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم باوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية واضافتهم

وما بعده صفات له الى اولئك يجزون غير المعترض فيه (الذين يمشون على الارض هونا) اى بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه (قالوا سلاما) اى قولا يسلمون فيه من الاثم (والذين يبيتون لربهم سجدا)

جمع ساجد (وقياما) بمعنى قائمين اى يصلون بالليل (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) اى لازما (انها ساءت) بئست (مستقرا ومقاما) هى اى موضع استقرار واقامة (والذين اذا انفقوا) على عيالهم (لم يسرفوا ولم يقتروا) بفتح اوله وضمه اى يضيقوا (وكان) انفاقهم (بين ذلك) الاسراف والاقتار (قواما) وسطا (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله) قتلها (الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك) اى واحدا من الثلاثة (يلق اثاما) اى عقوبة (يضاعف) وفى قراءة يضعف بالتشديد (له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه) بجزم الفعلين بدلا وبرفعهما استئنافا (مهانا) حال (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) منهم (فاولئك يبدل الله سيئاتهم) المذكورة (حسنات) فى الآخرة (وكان الله غفورا رحيما) اى لم يزل متصفا بذلك (ومن تاب) من ذنوبه غير من ذكر (وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) اى يرجع اليه رجوعا فيجازيه خيرا (والذين لا يشهدون الزور) اى الكذب والباطل (واذا مروا باللغو) من الكلام القبيح وغيره

اليه تعالى للتشريف والا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال اضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة وستختص بهم فى الآخرة (قوله وما بعده) أى من الموصولات الثمانية التى أولها قوله الذين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا (قوله الى أولئك) أى وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أى وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما الى قوله متابا وهو ثلاث آيات وحاصل ما ذكره من الاوصاف أن بعضها متعلق بالخلق وبعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو مصدر هان كقال (قوله أى بسكينة) أى تؤدة وتأن (قوله الجاهلون) أى السفهاء (قوله قالوا سلاما) أى مع القدرة على الانتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام وهذا الخلق من أعظم الاخلاق لما فى الحديث كاد الحليم أن يكون نبيا وفى الحديث يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم والآثار فى ذلك كثيرة (قوله والذين يبيتون) شروع فى ذكر معاملتهم للخالق اثر معاملتهم للخلق وخص البيتوتة بالذكر لان العبادة بالليل أبعد عن الرياء وفى الحديث لا زال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لا ينامون وأخر القيام مراعاة للفواصل (قوله أى يصلون بالليل) هذا صادق بصلاة العشاء والصبح فى جماعة ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيرا (قوله والذين يقولون الخ) أى فهم مع حسن المعاملة للخالق وللخلق ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجلون من هيبته (قوله ان عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراما) أى فى علمه تعالى (قوله أى لازما) أى لزوما كليا فى حق الكفار ولزوما بعده خروج فى حق عصاة المؤمنين (قوله انها ساءت) الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله هى (قوله مستقرا ومقاما) هما بمعنى واحد وهو الذى يشير اليه المفسر وقيل مستقر العصاة المؤمنين ومقام الكافرين (قوله بفتح أوله) أى مع كسر التاء وضمها من بابى ضرب ونصر وقوله وضمه أى مع كسر التاء لا غير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أى يضيقوا) أى على عيالهم مع يسارهم (قوله وكان بين ذلك قواما) هو بمعنى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لا يدعون مع الله الخ) شروع فى بيان اجتنابهم المعاصى اثر بيان اتيانهم الطاعات (قوله الا بالحق) اى لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الاسباب الا بسبب الحق بان تكون مستحقة للقتل كالمرتد والزانى المحصن والقاتل (قوله أى واحدا من الثلاثة) فى بعض النسخ أى ما ذكر وهو المناسب لقوله يضاعف لان المشرك اذا ارتكب المعاصى مع الشرك تضاعفت له العقوبة (قوله وفى قراءة يضعف) أى فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه فالقراآت أربع سبعيات (قوله بدلا) أى من يلق بدل اشتمال (قوله مهانا) أى ذليلا حقيرا (قوله الا من تاب) استثناء متصل من الضمير فى يلق (قوله فاولئك) اسم الاشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبدل الله سيئاتهم) أى يمحو ما سبق منهم من المعاصى بسبب التوبة ويثبت مكانها الطاعات أو نيتها وفى القرطبى ولا يبعد فى كلام الله تعالى اذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة (قوله ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها والندم عليها (قوله وعمل صالحا) أى فعل الطاعات ولو بالنية كمن فجأه الموت عقب التوبة (قوله فيجازيه خيرا) دفع بذلك ما يتوهم اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال من تاب وعمل صالحا فانه يرجع الى جزاء الله فى الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لا يشهدون الزور) اى لا يحضرونه اولا يشهدون به (قوله واذا مروا) باللغو اى من غير قصد منهم له (قوله وغيره) اى وهو الفعل

(مروا كراما) معرضين عنه (والذين اذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم) اى القرآن (لم يخروا) يسقطوا (عليها صما وعميانا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا) بالجمع والافراد (قرة أعين) لنا بان نراهم مطيعين لك (واجعلنا للمتقين اماما) فى الخير (أولئك يجزون الغرفة) الدرجة العليا فى الجنة (بما صبروا) على طاعة الله (و يلقون) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فيها) فى الغرفة (تحية وسلاما) من الملائكة (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) موضع اقامة لهم وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدا (قل) يا محمد لاهل مكة (ما) نافية (يعبأ) يكترث (بكم ربى لولا دعاؤكم) اياه فى الشدائد فيكشفها (فقد) اى فكيف يعبأ بكم وقد (كذبتم) الرسول والقرآن (فسوف يكون) العذاب (لزاما) ملازما لكم فى الآخرة بعد ما يحل بكم فى الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون وجواب لولا دل عليه ما قبلها

(سورة الشعراء مكية

القبيح (قوله مروا كراما) اى مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش (قوله بل خروا سامعين الخ) أشار بذلك الى ان النفى مسلط على القيد فقط وهو قوله صما وعميانا والمعنى اذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من للبيان (قوله بالجمع والافراد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قرة أعين) اى ما يحصل به سرورها (قوله واجعلنا للمتقين اماما) اى اجعلنا هداة يقتدى بنا فى مواسم الخيرات والطاعات بان تصفى بواطننا من من غيرك حتى يكون حالنا سببا فى هداية الخلق ولذا قيل حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل ولفظ امام يستوى فيه الجمع وغيره فالمطابقة حاصلة (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على المتصفين بالاوصاف الثمانية (قوله الغرفة) اسم جنس أريد به الجمع والغرفة اعلى منازل الجنة وأفضلها كما ان الغرفة أعلا مساكن الدنيا (قوله بالتشديد) اى ومعناه يعطون والفاعل الله وقوله والتخفيف أى فمعناه يجدون والقراءتان سبعيتان (قوله تحية وسلاما) جمع بينهما لان المراد بالتحية الاكرام بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه تعالى عليهم بالقول او سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله الملائكة) أى أو من الله او من بعضهم لبعض والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل ان قوله تحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما وقيل متخالفان فالتحية الاكرام بالهدايا والتحف والسلام الدعاء اما من الملائكة او من الله أو من بعضهم لبعض (قوله خالدين فيها) اى لا يموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) اى الواقع مبتدا وقوله وما بعده اى قوله يجزون الواقع خبره (قوله قل ما يعبأ بكم ربى الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد ان المدار على تلك الاوصاف التى بها العبادة لله فلولا العبادة الواقعة من الخلق لم يكترث بهم ولم يعتد بهم عنده فان الانسان خلق ليعرف ربه و يعبده والا فهو شبيه بالبهائم قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى العبادة يتنافس المتنافسون و بها يفوز الفائزون (قوله لولا دعاؤكم اياه) أشار بذلك الى ان المصدر مضاف لفاعله (قوله فسوف يكون العذاب) اى الذى دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والمراد هنا اسم الفاعل وفى الآية تهديد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر وقوله خمس اى خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل فالدخان هو قوله تعالى يوم تأتى السماء بدخان مبين والمراد به شئ يشبه الدخان وقد نزل بقريش من شدة الجوع صار الواحد يرى كأن بينه و بين السماء دخانا والقمر فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والروم فى قوله تعالى غلبت الروم فى أدنى الارض والبطشة فى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى وهى القتل يوم بدر واللزام هو الاسر يومها (قوله دل عليه ما قبلها) اى وهو قوله قل ما يعبأ بكم ربى والتقدير لولا دعاؤكم اى طلبكم من الله رفع الشدائد وأنتم تتعلقون باستار الكعبة ما يعبأ بكم اى ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم وقوله فقد كذبتم أى دمتم على تكذيبه بعد اخراجه من بينكم فسوف يكون العذاب لازما لكم لا يرد عنكم ولا يقبل منكم دعاء فتدبر

سورة الشعراء

اى السورة التى ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى وقد ورد فى فضل الطواسين احاديث منها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المص مكان الانجيل وأعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلى

(قوله الا والشعراء الى آخرها) اى وجملته أربع آيات (قوله طسم) هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض وفى مصحف ابن مسعود ط س م مفصولة من بعضها وبها قرئ فيقف على كل حرف وقفة يميزبها كل حرف وقرئ هنا وفى القصص بكسر الميم على البناء وأمال الطاء بعض القراء (قوله الله اعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره واسم الاشارة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) اى والمعنى آيات من الكتاب (قوله المظهر الحق من الباطل) اشار بذلك الى ان المبين من أبان بمعنى اظهر ويصح ان يكون من بان اللازم بمعنى ظهر اى الظاهر اعجازه (قوله لعلك باخع نفسك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من بخع من باب نفع قتل نفسه من وجد اوغيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أى فالترجى بمعنى الامر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله اى اشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعى وبوصلها من الثلاثى والاول ان تعدى بمن كان بمعنى الخوف وان تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله ان نشا ننزل عليهم الخ) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم فاننا لو شئنا ايمانهم لانزلنا عليهم معجزة تاخذ بقلوبهم فيؤمنون قهرا عليهم ولكن سبق فى علمنا شقاؤهم فعدم ايمانهم منا لامنهم فارح نفسك من التعب القائم بها وان حرف شرط ونشا فعل الشرط وننزل جوابه (قوله آية) أى معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رؤسهم كما وقع لبنى اسرائيل (قوله بمعنى المضارع) اشار بذلك الى ان قوله فظلت مستانف ويصح ان يكون معطوفا على ننزل فهو فى محل جزم (قوله ولما وصفت الاعناق بالخضوع الخ) دفع بذلك ما يقال كيف جمع الاعناق بجمع العقلاء فاجاب بانه لما ناسب الخضوع لها وهو وصف العقلاء جمعها بالياء والنون كقوله تعالى رأيتهم لى ساجدين قالتا أتينا طائعين والافكان مقتضى الظاهر ان يقول خاضعة وهناك اجوبة أخر منها ان المراد بالاعناق الرؤساء ومنها ان لفظ الاعناق مقحم والاصل فظلوا لها خاضعين ومنها غير ذلك (قوله من ذكر) من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) اى لانه فهم من قوله يأتيهم لان التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث (قوله الا كانوا عنه معرضين) أى غير متاملين له (قوله عواقب) اى وعبر عنها بالانباء لان القرآن أخبر عنها والمراد ننزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم (قوله اولم يروا الى الارض) أى الى عجائبها والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اغفلوا ولم ينظروا الى الارض الخ وهذا بيان للادلة التى تحدث فى الارض وقتا بعد وقت تدل على انه متفرد بالالوهية ومع ذلك استمر اكثرهم على الكفر (قوله كم انبتنا فيها) كم فى محل نصب مفعول لانبتنا ومن كل زوج تمييز لها (قوله نوع حسن) أى كثير النفع (قوله ان فى ذلك لآية الخ) قد ذكرت هذه الآية فى هذه السورة ثمان مرات (قوله فى علم الله) هذا مبنى على اصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب ان يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذو العزة) اى الهيبة والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) اى بمظهر عزته الذى هو القهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أى بمظهر رحمته (قوله واذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة سبع قصص اولها قصة موسى وهرون ثانيها قصة ابراهيم ثالثها قصة نوح رابعها قصة هود خامسها قصة صالح سادسها قصة لوط سابعها قصة شعيب وتقدم حكمة ذكر تلك القصص ان بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة فى علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الامة اسعد السعداء وكافرها اشقى الاشقياء وحكمة التكرار الزيادة فى ايمان المؤمن وقطع حجة الكافر والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وليس المراد به ذكر وقت المناداة بل المراد ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ليلة رأى النار والشجرة) اى رأى

الا والشعراء الى آخرها فمدنى وهى مائتان وسبع وعشرون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) اى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (المبين) المظهر الحق من الباطل (لعلك) يا محمد (باخع نفسك) قاتلها غما من اجل (ان لا يكونوا) اى اهل مكة (مؤمنين) ولعل هنا للاشفاق اى اشفق عليها بتخفيف هذا الغم (ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت) بمعنى المضارع اى تظل اى تدوم (اعناقهم لها خاضعين) فيؤمنون ولما وصفت الاعناق بالخضوع الذى هو لاربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وما يأتيهم من ذكر) قرآن (من الرحمن محدث) صفة كاشفة (الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا) به (فسيأتيهم انباء) عواقب (ما كانوا به يستهزؤن اولم يروا) ينظروا (الى الارض كم انبتنا فيها) اى كثيرا (من كل زوج كريم) نوع حسن (ان فى ذلك لآية) دلالة على كمال قدرته تعالى (وما كان اكثرهم مؤمنين) فى علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وان ربك لهو العزيز) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرحيم) يرحم المؤمنين (و) اذكر يا محمد لقومك (اذ نادى ربك موسى) ليلة رأى النار والشجرة

(أن) اى بان (ائت القوم الظالمين) رسولا (قوم فرعون) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله و بنى اسرائيل باستعبادهم (ألا) الهمزة للاستفهام الانكارى (يتقون) الله بطاعته فيوحدونه (قال) موسى (رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى) من تكذيبهم لى (ولا ينطلق لسانى) باداء الرسالة للعقدة التى فيه (فارسل الى) أخى (هرون) معى (ولهم على ذنب) بقتل القبطى منهم (فاخاف ان يقتلون) به (قال) تعالى (كلا) اى لا يقتلونك (فاذهبا) أى انت وأخوك ففيه تغليب الحاضر على الغائب (بآياتنا انا معكم مستمعون) ماتقولون ومايقال لكم أجريا مجرى الجماعة (فأتيا فرعون فقولا انا) اى كلامنا (رسول رب العالمين) اليك (ان) اى بان (ارسل معنا) الى الشام (بنى اسرائيل) فاتياه فقالا له ماذكر (قال) فرعون لموسى (الم نربك فينا) فى منازلنا (وليدا) صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (ولبثت فينا

النار موقدة فى الشجرة الخضراء وليس هذا مبدأ ماوقع فى المناداة وانما هو ما فصل فى سورة طه من قوله تعالى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى (قوله ان ائت القوم الظالمين) يصح ان تكون ان مصدرية كما مشى عليه المفسر او مفسرة لتقدم ما جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسى سمعه من جميع جهاته بجميع اجزائه من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل ائت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه اى فرعون وهذا قد فهم بالاولى لانه راس الضلال (قوله و بنى اسرائيل) معطوف على انفسهم والتقدير وظلموا بنى اسرائيل (قوله باستعبادهم) اى معاملتهم اياهم معاملة العبيد فى استخدامهم فى الاعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو اربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثين (قوله للاستفهام الانكارى) المناسب ان يقول للاستفهام التعجبي لان المعنى على الانكار فاسد لانه للنفى ومدخولها نفى ونفى النفى اثبات فيصير المعنى انهم اتقوا الله وليس كذلك و يصح ان تكون الا للعرض (قوله قال رب انى اخاف الخ) اعتذار من موسى لاظهار العجز عن الامر الذى كلفه وقد اتى بثلاثة اعذار كل واحد منها مرتب على ماقبله (قوله و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) هما بالرفع على الاستئناف اوعطف على خبر ان عند السبع وقرئ شذوذا بنصبهما عطفا على مدخول ان والمقصود من هذا الاعتذار الاعانة على هذا الامر المهم بشرح الصدر وطلق اللسان وارسال اخيه والامن من القتل وقد دل على ذلك قوله فى سورة طه رب اشرح لى صدرى و يسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى الآيات (قوله للعقدة التى فيه) أى الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير حين نتف لحية فرعون فاغتم لذلك وهم بقتله فاشارت عليه زوجته ان يمتحنه فقدم له تمرة وجمرة فاخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه فحصل فيه ثقل فى النطق (قوله فارسل الى هرون) اى وكان فى مصر فاتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل وان كان حاضرا وهرون جاءته الرسالة فى ذلك الوقت ايضا بواسطة جبريل (قوله معى) اى ليكون معينا لى وهو بمعنى قوله فى سورة القصص فارسله معى ردأ يصدقنى (قوله ولهم على ذنب) اى فى زعمهم (قوله فاخاف ان يقتلون) اى فيفوت المقصود من الارسال (قوله فيه تغليب الحاضر على الغائب) اى بالنسبة لموسى والا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع انهما اثنان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات (قوله انا معكم) اى معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجريا مجرى الجماعة) اى تعظيما لهما (قوله اى كلامنا) قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم ان وخبرها الذى هو الرسول حيث افرده (قوله ان ارسل معنا بنى اسرائيل) اى خلصهم واطلقهم (قوله فاتياه الخ) اشار بذلك الى ان قوله قال الم نربك الخ مرتب على محذوف روى انهما لما انطلقا الى فرعون لم يؤذن لهما سنة فى الدخول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال له فرعون ائذن له لعلنا نضحك معه فدخلا عليه فوجداه قد اخرج سباعا من اسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها ان تبطش بموسى وهرون فاسرعوا اليهما واسرعت السباع الى موسى وهرون فاقبلت تلحس اقدامهما وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما أنتما قالا انا رسول رب العالمين فعرف موسى لانه نشأ فى بيته فقال ألم نربك فينا وليدا الخ فامتن عليه أولا بنعمة التربية وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطى (قوله قريبا من الولادة) قصد بذلك دفع ماورد على الآية بان الوليد يطلق على المولود حال ولادته وليس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عند أمه ثم اخذه فرعون بعد

من عمرك سنين) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون و يركب من مراكبه وكان يسمى ابنه (وفعلت فعلتك التى فعلت) هى قتلة القبطى (وانت من الكافرين) الجاحدين لنعمتى عليك بالتربية وعدم الاستعباد (قال) موسى (فعلتها اذا) اى حينئذ (وانا من الضالين) عما آتانى الله بعدها من العلم والرسالة (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) علما (وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على) اصله تمن بها على (ان عبدت بنى اسرائيل) بيان لتلك اى اتخذتهم عبيدا ولم تستعبدنى لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم وقدر بعضهم اول الكلام همزة استفهام للانكار (قال فرعون) لموسى (وما رب العالمين) الذى قلت انك رسوله أى أى شئ هو ولما لم يكن سبيل للخلق الى معرفة حقيقته تعالى وانما يعرفونه بصفاته اجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها (قال رب السموات والارض وما بينهما) اى خالق ذلك (ان كنتم موقنين) بانه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قال) فرعون (لمن حوله) من اشراف قومه (الا تستمعون) جوابه الذى لم يطابق السؤال (قال) موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) وهذا وان كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك (قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون قال) موسى (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) انه كذلك فامنوا به وحده (قال) فرعون لموسى (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) كان سجنا شديدا يحبس الشخص فى مكان تحت الارض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه احدا (قال) له موسى (أولو) اى أتفعل ذلك ولو (جئتك بشئ مبين) اى برهان بين على رسالتى (قال) فرعون له (فائت به ان كنت من الصادقين) فيه (فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) اخرجها من جيبه (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمة (قال) فرعون (للملاحوله ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره

الفطام والاولى ابقاء الاية على ظاهرها لان موسى وان كان عندامه الا انه تحت نظر فرعون فهو فى تربيته من حين ولادته (قوله من عمرك) حال من سنين لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعباد) اى اتخاذك لى عبدا مثل بنى اسرائيل (قوله حينئذ) هذا حل معنى لا حل اعراب وهى حرف جواب فقط وقيل حرف جواب وجزاء (قوله عما آتانى الله بعدها الخ) اى فليس على فيما فعلته فى تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ أو المعنى من المخطئين لا من المتعمدين (قوله وجعلنى من المرسلين) فى ذلك رد لما وبخه به فرعون وهو القتل بغير حق فكانه قال فكيف تدعى الرسالة وقد حصل منك ما يقدح فى تلك الدعوى فاجابه موسى بانه قتله قبل ان تاتيه الرسالة ثم اتته بعد ذلك (قوله وتلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وان عبدت الخ عطف بيان موضح للمبتدأ كما قاله المفسر (قوله أصله تمن بها على) اى فحذف الجار فاتصل الضمير فهو من باب الحذف والايصال (قوله ولم تستعبدنى) اى فلا منة لك على فى عدم استعبادك اياى لان استعبادك غيرى ظلم وقد نجانى الله منه (قوله وقدر بعضهم) اى وهو الاخفش (قوله أول الكلام) اى والاصل أو تلك نعمة الخ (قوله للانكار) اى وهو بمعنى النفى (قوله أى أى شئ هو) اى وذلك لان ما يسئل بها عن الحقيقة والمعنى اى جنس هو من اجناس الموجودات (قوله وما بينهما) اى جنس السموات والارض فاندفع ما قيل لم ثنى الضمير مع ان مرجعه جمع (قوله ان كنتم موقنين) اى محققين ان الله تعالى هو الخالق لها (قوله من اشراف قومه) اى وكانوا خمسمائة لابسين الاساور ولم يكن يلبسها الا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذى لم يطابق السؤال) اى لان ما يسئل بها عن الحقيقة وقد اجابه بالصفات التى يسئل عنها باى والعدول عن المطابقة لان السؤال عن الحقيقة عبث وسفه لاستحالته (قوله قال ربكم ورب آبائكم الاولين) انما ذكر ذلك لان نفوسهم اقرب الاشياء اليهم (قوله وهذا) اى الجواب (قوله ولذلك) اى لشدة غيظه (قوله قال ان رسولكم) سماه رسولا استهزاء واضافه الى المخاطبين استنكافا من نسبته له (قوله قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) اى فتشاهدون فى كل يوم انه ياتى بالشمس من المشرق و يذهب بها من المغرب (قوله ان كنتم تعقلون) اى ان كان لكم عقل وفيه رد لقوله ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون (قوله قال لئن اتخذت الها غيرى الخ) عدول عن المحاجة الى التهديد لقصر حجته وجهله وعدم استقامته روى انه فزع من موسى فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك بوله (قوله اى أتفعل ذلك) اشار الى ان الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله قال فائت به) انما امر فرعون بالاتيان به لظنه انه يقدر على معارضته (قوله و نزع يده) اى من جيبه قيل لما راى فرعون الآية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار و يسد الافق (قوله من الادمة) اى السمرة (قوله حوله) ظرف فى محل الحال (قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم) لما راى تلك الآيات الباهرة خاف على قومه ان يتبعوه فتنزل الى

فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه) اخرامرهما (وابعث فى المدائن حاشرين) جامعين (ياتوك بكل سحار عليم) يفضل موسى فى علم السحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي (١٤٢) على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا) اى حينئذ (لمن المقربين قال لهم موسى) بعدما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين (القوا ما انتم ملقون) فالامر فيه للاذن بتقديم القائهم توسلا به الى اظهار الحق (فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) بحذف احدى التاءين من الاصل تبتلع (مايافكون) يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى (فالقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لعلمهم بان ماشاهدوه من العصا لايتاتى بالسحر (قال) فرعون (أآمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا (له) لموسى (قبل ان آذن) انا (لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيا منه وغلبكم بآخر (فلسوف تعلمون) ماينالكم منى (لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ولاصلبنكم اجمعين قالوا لاضير) لاضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا) بعد موتنا باى وجه كان (منقلبون) راجعون فى الآخرة (انا نطمع) نرجوا (ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان) اى بان (كنا اول المؤمنين) فى زماننا (واوحينا الى موسى) بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله الى الحق فلم يزيدوا الا عتوا (ان اسر بعبادى) بنى اسرائيل وفى قراءة بكسر النون ووصل همزة أسر من سرى لغة فى اسرى اى سر بهم ليلا الى البحر

مشاورتهم بعد ان كان مستقلا بالرأى والتدبير وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فماذا تامرون) اى اى شىء تامروننى به (قوله ياتوك) مجزوم فى جواب الامر (قوله يفضل موسى) اى يفوقه ويزيد عليه (قوله من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم وقيل كان يوم سوق (قوله والترجى على تقدير غلبتهم) اى الترجى على فرض الغلبة المقتضية للاتباع (قوله على الوجهين) اى تحقيقها وتسهيل الثانية وكان عليه ان يقول وتركه اى ترك الادخال على الوجهين فتكون القراآت أربعا (قوله لاجرا) اى اجرة وجعلا (قوله قال نعم) اى لكم الاجرة على عملكم السحر وزادهم بقوله وانكم اذا الخ (قوله فالامر فيه) جواب عما يقال كيف يامرهم بفعل السحر مع انه لايجوز الامر به لان الامر به رضا والرضا بالكفر كفر وحاصل الجواب ان الممتنع الامر به فى حال كونه مستحسنا له وأما الامر به للتوسل لابطاله فليس فيه استحسان ولا رضا بل هو الممدوح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أى نقسم ونحلف بعزة فرعون واقسموا لفرط اعتقادهم فى انفسهم انهم غالبون (قوله من الاصل) اى اصل الصيغة (قوله يقلبونه) اى يغيرونه عن حاله الاول من الجمادية الى كونه حية تسعى وقوله بتمويههم) الباء سببية (قوله فالقى السحرة) اى خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة فلم يتمالكوا أنفسهم (قوله رب موسى وهرون) بدل مما قبله للتوضيح وللاشعار بان سبب ايمانهم ما اجراه الله على يد موسى وهرون (قوله وابدال الثانية ألفا) صوابه الثالثة لانها هى المنقلبة الفا وترك قراءة أخرى وهى حذف الاولى من الهمزتين وقلب الثالثة ألفا (قوله فعلمكم شيا منه وغلبكم بآخر) اى اخفاه عنكم واراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا ان السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) حاصله انهم لما آمنوا باجمعهم اشتد خوف فرعون على باقى قومه من دخولهم فى الايمان فنفر الباقى بقوله لاقطعن الخ (قوله انا الى ربنا منقلبون) تعليل لنفى الضير وهل فعل بهم ماتوعدهم به خلاف ولم يرد فى القرآن مايدل على انه فعل (قوله فى زماننا) اى من اتباع فرعون فلاينافى ان بنى اسرائيل سبقوهم بالايمان (قوله واوحينا الى موسى) يحتمل ان يكون الوحى بتكليم الله اوعلى لسان جبريل (قوله بعد سنين) اى ثلاثين وذلك أن موسى مكث فى مصر اولا ثلاثين وفى مدين عشر سنين ثم لما رجع الى مصر ثانيا مكث يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم اغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجملة عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله) اى باقى التسع لان موسى افتتحهم اولا بالعصا واليد فلم يؤمنوا فجاءهم بالسنين الجدبة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على اموالهم فلم يفد فيهم ذلك وقد سبق ذلك مفصلا فى الاعراف (قوله بعبادى) الاضافة للتشريف والمعنى سر بعبادى المختصين برحمتى والا فالكل من حيث الخلق عباده (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله اى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله الى البحر) اى بحر القلزم فخرج موسى عليه السلام ببنى اسرائيل فى آخر الليل فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر فكان الرجل من بنى اسرائيل يراجعه فى ذلك فيقول هكذا

(انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم (فارسل فرعون) حين اخبر بسيرهم (فى المدائن) قيل كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية (حاشرين) جامعين الجيش قائلا (ان هؤلاء لشرذمة) طائفة (قليلون) قيل كانوا ستمائة الف وسبعين الفا ومقدمة جيشه سبعمائة الف فقللهم بالنظر الى كثرة جيشه (وانهم لنا لغائظون) فاعلون ما يغيظنا (وانا لجميع حذرون) متيقظون وفى قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فاخرجناهم) اى فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى (١٤٣) وقومه (من جنات) بساتين كانت على جانبى النيل (وعيون) انهار جارية فى الدور من النيل (وكنوز) اموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله منها (ومقام كريم) مجلس حسن للامراء والوزراء يحفه اتباعهم (كذلك) اى اخراجنا كما وصفنا (وأورثناها بنى اسرائيل) بعد اغراق فرعون وقومه (فاتبعوهم) لحقوهم (مشرقين) وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) اى راى كل منهما الآخر (قال اصحاب موسى انا لمدركون) يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به (قال) موسى (كلا) اى لن يدركونا (ان معى ربى) بنصره (سيهدين) طريق النجاة قال تعالى (فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) فضربه (فانفلق) فانشق اثنى عشر فرقا (فكان كل فرق كالطود العظيم) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده (وازلفنا) قربنا (ثم) هناك (الآخرين) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وانجينا موسى ومن معه اجمعين) باخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثم اغرقنا الآخرين) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخروج بنى اسرائيل منه (ان فى ذلك) اى اغراق فرعون وقومه (لآية) عبرة لمن بعدهم (وما كان اكثرهم مؤمنين) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وان ربك لهو العزيز) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرحيم) بالمؤمنين فانجاهم من الغرق

أمرنى ربى فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى ببنى اسرائيل خرج فى أثرهم وبعث الى مداين مصر لتلحقه الجيوش (قوله انكم متبعون) علة للامر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روى ان قوم موسى قالوا لجماعة فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) اى وجملة جيشه الف الف وستمائة (قوله فاعلون ما يغيظنا) اى حيث خالفوا ديننا وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبكارنا لما روى ان الله امر الملائكة ان يقتلوا ابكار القبط وأوحى الى موسى ان يجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم يذبحوا اولاد الضان ويلطخوا ابوابهم بدمائها لتميز الملائكة بيوت بنى اسرائيل من بيوت القبط فدخلت الملائكة فقتلت ابكارهم فاصبحوا مشغولين بموتاهم وهذا هو سبب تاخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وانا لجميع حذرون) اى من عادتنا الحذر والحزم فى الامور (قوله وفى قراءة الخ) اى وهى سبعية ايضا بمعنى الاولى وقيل الحذر المتيقظ والحاذر الخائف (قوله كانت على جانبى النيل) اى من اسوان الى رشيد قال كعب الاحبار أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى فى الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات فسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة والنيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين وقيل المراد بالكنوز الاموال التى تحت الارض وخصها بالذكر لان ما فوق الارض انطمس وحينئذ فتسميتها كنوزا ظاهر (قوله مجلس حسن للامراء والوزراء) قيل كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب وقيل المقام الكريم المنابر وكانت الف منبر لالف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله اخراجنا كما وصفنا) اشار بذلك الى ان قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وأورثناها) اى الجنات والعيون والكنوز وقيل المراد أورثنا بنى اسرائيل ما استعاروه من حلى آل فرعون والاحسن ان يراد ما هو أعم فان بنى اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وملكوا مشارق الارض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) اى يوم الملاقاة وليس المراد انهم ادركوا بنى اسرائيل يوم خروجهم لانهم تاخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم (قوله اى لن يدركونا) اشار بذلك الى ان كلا للنفى والمعنى لا سبيل لهم علينا لان الله وعدنا بالخلاص منهم (قوله فاوحينا الى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاج البحر فصار يرمى بموج كالجبال فصار بنو اسرائيل يقولون اين أمرت فرعون من خلفنا والبحر امامنا وموسى يقول ههنا فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فاد الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه ولا لبده (قوله اثنى عشر فرقا) اى قطعة بعدد اسباط بنى اسرائيل (قوله بينها مسالك) اى بين الاثنى عشر فرقا (قوله على هيئته) اى وهى انفلاقه اثنتى عشرة فرقة (قوله وحزقيل) هو المذكور فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسى اى كانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة (قوله التى دلت على عظام يوسف عليه السلام)

أي وسبب ذلك أن الله أمر موسى بأخذ يوسف معه الى الشام حين خروجه من مصر فسال على قبره فلم يعرف اذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن فى قعر بحر النيل فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به الى الشام ﴿فائدة﴾ قال قيس بن حجاج لما فتحت مصر أتى اهلها الى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من أشهر القبط فقالوا ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجرى الا بها فقال لهم وماذاك فقالوا اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام ليهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاعلمه بالقصة فكتب اليه عمر بن الخطاب انك قد اصبت بالذى فعلت وانى بعثت اليك ببطاقة فى داخل كتابى فالقها فى النيل اذا أتاك كتابى فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد زاد فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبأ ابراهيم) عطف على اذكر العامل فى قوله واذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله اى كفار مكة) خصهم بالذكر لانهم الحاضرون وقت نزول الآية والا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم الى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) اى بدل مفصل من مجمل (قوله ما تعبدون) ما اسم استفهام معمول لتعبدون والمعنى ما هذا الذى تعبدونه اى ما حقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال كان القياس ان يقولوا أصناما كقوله ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو فاجاب بانهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار (قوله اى نقيم نهارا على عبادتها) هذا معنى نظل الاصلى ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلا ونهارا (قوله زادوه) اى قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) اتى بالمضارع اشارة الى ان هذا الوصف مستمر وثابت فى الاصنام فى الماضى والحال والاستقبال ولا بد من محذوف هنا دل عليه قوله اذ تدعون تقديره هل يسمعون دعاءكم (قوله اذ تدعون) اذ هنا بمعنى اذا لاستحضار الحال الماضية وحكاية لها تبكيتا عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله ابراهيم وانما اعتذروا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا مخلصا غيره احتجوا به (قوله قال أفرأيتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أتاملتم فعلمتم او أبصرتم ما كنتم تعبدونه (قوله وآباؤكم) عطف على الضمير فى تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلذا فصل بالضمير المنفصل قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله فانهم عدو لى) أسند العداوة لنفسه تعريضا بهم وهو أبلغ فى النصيحة من التصريح بان يقول فانهم عدو لكم ان قلت كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى لا تعقل أجيب باجوبة منها أن المعنى عدو لى يوم القيامة ان عبدتهم فى الدنيا ومنها أن الكلام على حذف مضاف اى فان أصحابهم عدو لى ومنها أن الكلام على القلب اى فانى عدو لهم (قوله الا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن الى الاستثناء منقطع والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوى بل هو وليى فى الدنيا والآخرة (قوله الذى خلقنى) نعت لرب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهدين) أتى بالفاء هنا وفى

(واتل عليهم) اى كفار مكة (نبأ) خبر (ابراهيم) ويبدل منه (اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فنظل لها عاكفين) اى نقيم نهارا على عبادتها زادوه فى الجواب افتخارا به (قال هل يسمعونكم اذ) حين (تدعون او ينفعونكم) ان عبدتموهم (أو يضرونكم) ان لم تعبدوهم (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اى مثل فعلنا (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى) لا أعبدهم (الا) لكن (رب العالمين) فانى أعبده (الذى خلقنى فهو يهدين)

قوله يشفين لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض بخلاف الاطعام والاسقاء فليس بينهما ترتب وأتى بثم فى جانب الاحياء لبعد زمنه عن زمن الموت لان المراد به الاحياء فى الآخرة (قوله الى الدين) اى وغيره من مصالح دنياى وآخرتى وانما خص الدين لان المقام للرد ولانه اهم (قوله والذى هو يطعمنى و يسقين) اى فى الدنيا والآخرة (قوله واذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وان كان الكل من الله تادبا كما قال تعالى بيدك الخير ولم يقل والشر وقال الخضر فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما (قوله والذى اطمع) عبر بالطمع المفيد عدم الاخذ فى الاسباب مع انها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها (قوله ان يغفر لى) ذكر ذلك تواضعا وتعليما للامة والا فهو معصوم من الخطايا (قوله رب هب لى حكما) لما ذكر تلك الاوصاف قوى رجاؤه فى ربه فطلب منه معالى الامور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) اى زيادة فيه (قوله وألحقنى بالصالحين) أى فى العمل او فى درجات الجنة (قوله واجعل لى لسان صدق) من اضافة الموصوف للصفة اى ذكرا حسنا من باب تسمية الشيء باسم آلته (قوله الذين يأتون بعدى) وقد أجاب الله تعالى فما من امة من الامم الا وهى تحبه وتثنى عليه بخير سيما فى هذه الامة المحمدية خصوصا فى المؤمنين منهم فانهم يذكرونه بخير فى كل تشهد وانما طلب ذلك لينتفع به هو وينتفع به المثنى لكن بشرط الايمان واما حديث من احب قوما حشر معهم وان لم يعمل بعملهم فمعناه اذا اشتركوا معهم فى الايمان وان لم يصلوا المقامهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أى مندرجا فيهم ومن جملتهم واضافة جنة للنعيم من اضافة المحل الى الحال فيه فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك وقد اجاب الله فى جميع دعواته سوى الدعاء بالغفران لابيه (قوله بان تتوب عليه الخ) ظاهره ان هذا الدعاء صدر من ابراهيم وابوه حى ولكن ينافيه قوله وهذا قبل ان يتبين له فان التبين المذكور انما حصل بموته كافرا وحينئذ فلا يصح جعله قيدا للدعاء له فى حياته بالتوفيق للايمان وانما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التى هو عليها وأجيب بانه لا مانع ان الله اعلم ابراهيم بموت ابيه كافرا وهو حى وحينئذ فقد صح ماقاله المفسر (قوله وهذا) اى الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر فى سورة براءة) اى فى قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الآية (قوله تفضحنى) اى تكشف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلى فان تعذيب المطيع جائز عقلا لا شرعا (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الخ من كلام الله تعالى ويصح ان يكون من كلام ابراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من أتى الله الخ) أشار المفسر بذلك الى ان الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره احدا فتحصل ان الاستثناء اما منقطع ان جعل من قوله مال ولا بنون ويكون المعنى لكن من أتى الله بقلب سليم فانه ينتفع أو متصل ان جعل من المفعول الذى قدره المفسر والتقدير لا ينفع المال والبنون احدا الا الذى أتى الله بقلب سليم فانه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قلب المؤمن) أى فينتفع بالمال الذى انفقه فى الخير والولد الصالح بدعائه له لما فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له (قوله وازلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها فى الموقف ويعرفون ما فيها فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وبرزت الجحيم للغاوين) أى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب فتحصل لهم المساءة والاحزان ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا (قوله وقيل لهم) اى على سبيل التوبيخ (قوله اين ما كنتم تعبدون) اين خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألقوا) أى مرة بعد اخرى لان الكبكبة تكرير الكب وهو الالقاء على الوجه كان من ألقى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى

الى الدين (والذى هو يطعمنى و يسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع) أرجو (ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) اى الجزاء (رب هب لى حكما) علما (وألحقنى بالصالحين) النبيين (واجعل لى لسان صدق) ثناء حسنا (فى الآخرين) الذين يأتون بعدى الى يوم القيامة (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى ممن يعطاها (واغفر لابى انه كان من الضالين) بان تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله كما ذكر فى سورة براءة (ولا تخزنى) تفضحنى (يوم يبعثون) اى الناس قال تعالى فيه (يوم لا ينفع مال ولا بنون) احدا (الا) لكن (من اتى الله بقلب سليم) من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فانه ينفعه ذلك (وأزلفت الجنة) قربت (للمتقين) فيرونها (وبرزت الجحيم) أظهرت (للغاوين) الكافرين (وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله) اى غيره من الاصنام (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (او ينتصرون) بدفعه عن انفسهم (فكبكبوا) ألقوا (فيها هم

والغاوون وجنود ابليس) اتباعه ومن اطاعه من الجن والانس (اجمعون قالوا) اى الغاوون (وهم فيها يختصمون) مع معبوديهم (تالله ان) مخففه من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (كنا لفى ضلال مبين) بين (اذ) حيث (نسويكم برب العالمين) فى العبادة (وما اضلنا) عن الهدى (الا المجرمون) اى الشياطين اواولونا الذين اقتدينا بهم (فما لنا من شافعين) كالمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين (ولا صديق حميم) اى يهمه امرنا (فلوان لنا كرة) رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) لو هنا للتمنى ونكون جوابه (ان فى ذلك) المذكور من قصة ابراهيم وقومه (لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين) بتكذيبهم له لاشتراكهم فى المجئ بالتوحيد اولانه لطول لبثه فيهم كانه رسل وتانيث قوم باعتبار معناه وتذكيره باعتبار لفظه (اذ قال لهم اخوهم) نسبا (نوح الا تتقون) الله (انى لكم رسول امين) على تبليغ ما ارسلت به (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (وما اسالكم عليه) على تبليغه (من اجر ان) ما (اجرى) اى ثوابى (الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرره تاكيدا (قالوا انؤمن) نصدق (لك) لقولك (واتبعك) وفى قراءة واتباعك جمع تابع مبتدا (الارذلون) السفلة كالحاكة والاساكفة (قال وما علمى) اى علم لى (بما كانوا يعملون ان) ما (حسابهم الا على ربى) فيجازيهم (لو تشعرون) تعلمون ذلك ما عبتموهم (وما انا بطارد المؤمنين ان) ما (انا الا نذير مبين) بين الانذار (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول لنا (لتكونن من المرجومين) بالحجارة او بالشتم (قال) نوح (رب ان قومى كذبون

قمرها (قوله والغاوون) عطف على ضمير كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال انها فى الآية مهملة فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام قال ابن مالك

* وخففت ان فقل العمل * الخ (قوله اذ نسويكم) ظرف لكونهم فى ضلال مبين (قوله اواولونا) اى السابقون علينا وهو جمع اول (قوله من الملائكة والنبيين الخ) أى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة (قوله ولا صديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان اى خاصته او الخاص ويؤيده قول المفسر اى يهمه أمرنا وقوله يهمه بضم اوله وكسر ثانيه وبفتح اوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) اى فهو منصوب فى جواب التمنى (قوله لآية) أى عظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها على احسن ترتيب (قوله وما كان اكثرهم مؤمنين) اى بل لم يؤمن منهم الا لوط ابن اخيه وسارة زوجته كما تقدم فى سورة الانبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع انهم انما كذبوا رسولا واحدا وهو نوح فاجاب بان تكذيبهم له تكذيب للباقى فالجمع على حقيقته وقوله اولانه الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتانيث قوم) اى تانيث الفعل المسند اليه وقوله باعتبار معناه اى وهو الامة والجماعة (قوله وتذكيره) اى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله اذ قال لهم ولا مفهوم لقوم بل كل اسم جمع او جمع تكسير لمذكر اولمؤنث كذلك (قوله نسبا) اى لا فى الدين (قوله نوح) تقدم ان اسمه عبد الغفار او يشكر ونوح لقبه (قوله الا تتقون) الا للعرض (قوله انى لكم رسول امين) انما اخبر بذلك ليتبع وليس قصده الافتخار (قوله فاتقوا الله) اى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول اى أجرة وجعلا (قوله كرره تاكيدا) اى وحسن ذلك كون الاول مرتبا على الرسالة والامانة والثانى على عدم سؤاله أجرا منهم (قوله قالوا أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعا من ايمانهم واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس خالصا لوجه الله بل هو طمع فى ان ينالهم شىء من الدنيا (قوله وفى قراءة) ظاهره انها سبعية وليس كذلك بل هى عشرية والمعتمد جواز القراءة بها (قوله واتباعك) مبتدأ وخبره الارذلون واما القراءة الاولى فهى جملة فعلية وهى حالية على كل حال (قوله الارذلون) جمع ارذل كالاكبرون جمع اكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للايمان قلة عوائقهم كالرياسة والغنى فان ذلك موجب للانفة عن الاتباع (قوله قال وما علمى) يحتمل ان تكون ما استفهامية واليه يشير المفسر بقوله اى علم لى ويحتمل ان تكون نافية (قوله بما كانوا يعملون) اى لم اكلف العلم بعقائدهم الباطنية وانما كلفت ان ادعوهم الى الايمان (قوله ان حسابهم) اى حساب بواطنهم (قوله ما عبتموهم) قدره اشارة الى ان لو شرطية حذف جوابها (قوله وما انا بطارد المؤمنين) جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء وهذا كما سالت قريش النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد الموالى والفقراء كما تقدم فى سبب نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى (قوله ان انا الا نذير مبين) أى للمكلفين اعزاء اوغيرهم فكيف يليق منى طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) اى تترك ما انت عليه من معارضتنا (قوله قال رب ان قومى كذبون) انما

قال ذلك تمهيد اللدعاء عليهم كانه قال انهم اعرضوا عن دينك وتوحيدك فانا ادعو عليهم لاجل ذلك والمعنى انهم استمروا على تكذيبي وأصروا عليه بعد ما كررت عليهم الدعوة وسياتى تفصيل ذلك فى سورة نوح فى قوله قال رب انى دعوت قومى ليلاونهارا الخ (قوله فافتح بيني و بينهم فتحا) من الفتاحة بالضم والكسر وهى الحكومة اى احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معى من المؤمنين) آثر الايمان اشارة الى انهم خالصون فى الاتباع وكان من معه من المؤمنين ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء على احد اقوال تقدمت (قوله ثم اغرقنا بعد) اى بالطوفان حيث التقى ماء السماء على ماء الارض (قوله الباقين من قومه) اى صغارا وكبارا فالهلاك الدنيوى عم الكبار والصغار والبهائم وأما فى الآخرة فالخلود فى النار مخصوص بمن مات كافرا بعد البلوغ واما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا الى آخرها فيدخلون الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت عاد) اسم ابى قبيلة هود الاعلى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد وقوله المرسلين المراد هود وانما جمع لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب الجميع لاشتراك الكل فى المجيء بالتوحيد (قوله اخوهم) اى من النسب لما تقدم انه من ذرية عاد وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر اربعمائة وأربعا وستين سنة (قوله الا تتقون) ألا أداة عرض وهو الطلب بلين ورفق تاليفا لقلوب المجرمين لعلهم يهتدون (قوله انى لكم رسول أمين) تعليل لعرضه التقوى عليهم والمعنى انى لكم رسول ابلغكم ما أرسلت به اليكم أمين لا أزيد ولا أنقص (قوله فاتقوا الله) تفريع على قوله انى لكم رسول امين اى فحيث كنت رسولا امينا فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتى فطاعته من حيث كونه رسولا من عند الله لا من حيث ذاته ولذا لم يقل الا تتقون وتطيعونى (قوله من أجر) اى جعل وأجرة على رسالتى (قوله الا على رب العالمين) اى لانه المرسل لى الغنى المغنى (قوله أتبنون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وهو شروع فى توبيخهم على أمور ثلاثة كل واحد منها مناف للتقوى البناء للعبث واتخاذ المصانع والتجبر (قوله بكل ريع) بكسر الراء ويقال بفتحها هو المكان المرتفع (قوله علما للمارة) اى كالعلم فى الارتفاع (قوله بمن يمر بكم الخ) هذا احد أوجه فى تفسير متعلق العبث وقيل تعبثون بالبناء لظنهم ان المارة يحتاجون الى البناء ليهتدوا به فى الاسفار مع انهم يستغنون عنه بالنجوم وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها وقيل المعنى تبنون بنيانا تجتمعون فيه للعبث وكل صحيح واقع منهم (قوله مصانع) جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أوضمها وهو الحوض والبركة تجعل تحت الارض كالصهاريج (قوله كانكم) فسر لعل بكان بدليل القراءة الشاذة كانكم تخلدون والاولى ابقاء لعل على بابها من الترجي ويكون المعنى راجين ان تخلدوا فى الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك لان مجىء لعل بمعنى كان لم يرد (قوله واذا بطشتم) اى فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف (قوله فاتقوا الله فى ذلك) اى فيما تقدم من الامور الثلاثة (قوله الذى امدكم) اى اعطاكم المدد وهو النعم (قوله امدكم بانعام) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (قوله وبنين) اى ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله انى اخاف عليكم) اى ان دمتم على مخالفتى ولم تشكروا على هذه النعم بعد بعثتى (قوله فى الدنيا) اى بالريح العقيم وقوله وفى الآخرة اى بالخلود فى النار (قوله أم لم تكن من الواعظين) هذا أبلغ من ان يقولوا أم لم تعظ لان المعنى سواء علينا اوعظت بان كنت من اهل الوعظ أم لم تكن اصلا من اهله بان كنت اميا مثلنا ولست نبيا (قوله اى لا نرعوى لوعظك) اى لا نرتدع ولا ننكف له (قوله الا خلق الاولين) اى من تقدموا قبلك كشيث ونوح فانهم كانوا يختلقون أمورا فاقتدينا بهم فاسم الاشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم به

(فافتح بيني و بينهم فتحا) اى احكم (ونجنى ومن معى من المؤمنين) قال تعالى (فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) المملوء من الناس والحيوان والطير (ثم اغرقنا بعد) اى بعد انجائهم (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسالكم عليه من أجر ان) ما (أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع) مكان مرتفع (آية) بناء علما للمارة (تعبثون) بمن يمر بكم وتسخرون منهم والجملة حال من ضمير تبنون (وتتخذون مصانع) للماء تحت الارض (لعلكم) كانكم (تخلدون) فيها لا تموتون (واذا بطشتم) بضرب اوقتل (بطشتم جبارين) من غير رأفة (فاتقوا الله) فى ذلك (واطيعون) فيما امرتكم به (واتقوا الذى امدكم) انعم عليكم (بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات) بساتين (وعيون) انهار (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فى الدنيا وفى الآخرة ان عصيتمونى (قالوا سواء علينا) مستو عندنا (اوعظت ام لم تكن من الواعظين) اصلا اى لا نرعوى لوعظك (ان) ما (هذا) الذى خوفتنا به (الا خلق الاولين) اى اختلاقهم وكذبهم

(قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فاسم الاشارة عائد على معتقدهم وهو عدم البعث (قوله أى طبيعتهم وعادتهم) أى عادة الاولين من قبلنا انهم يعيشون ماعاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (قوله وما نحن بمعذبين) أى على ما فعلناه من الاعمال (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أى الصرصر وكانت باردة شديدة الصوت لاماء فيها وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت فى أواخر الشتاء وسيأتى بسطها فى سورة الحاقة (قوله وما كان اكثرهم مؤمنين) أى بل اقلهم كانوا مع هود فى حظيرة تنسم عليهم ريح لينة حتى مضت تلك المدة فاخذهم وهاجر من تلك الارض الى مكة (قوله العزيز) أى الغالب على امره (قوله الرحيم) اى المنعم على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت ثمود) اسم ابى قبيلة صالح الاعلى سميت القبيلة باسمه وتسمى ايضا عادا الثانية وهم ذرية من آمن من قوم هود (قوله المرسلين) المراد بهم صالح وتقدم وجه التعبير بالجمع (قوله اخوهم) اى فى النسب لاجتماعه معهم فى الاب الاعلى وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (قوله الا تتقون) تقدم ان الاداة عرض كما فى قول الشاعر

يا ابن الكرام الا تدنو فتبصر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وحكمة التعبير اولا بالعرض تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين لقصر عقلهم وجهلهم (قوله اتتركون) الاستفهام انكارى توبيخى وما اسم موصول بينها المفسر بقوله من الخيرات وهنا اسم اشارة للمكان القريب والمراد دار الدنيا والمعنى اتظنون انكم تتركون فى الدنيا متمتعين بانواع النعم والشهوات آمنين من كل مكروه لا تمتحنون باوامر ونواه ولا تحاسبون على شئ فيها لا تظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفانى والاشتغال بالباقى (قوله فى جنات) بدل من قوله ههنا باعادة الجار (قوله ونخل) هو اسم جنس جمعى واحده نخلة يذكر ويؤنث واما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقا (قوله طلعها) هو ثمرها فى اول ما يطلع كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو وبعده الاغريض ويسمى خلالا ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر يجمعها قولك طاب زبرت فاطوار النخل سبعة كاطوار الانسان ولذا ورد فى الحديث اكرموا عماتكم النخل وافرد النخل بالذكر لفضله على سائر الاشجار (قوله وتنحتون من الجبال بيوتا) اى لطول اعماركم فان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم لان الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة (قوله بطرين) اى لنعم ربكم (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله حاذقين) اى ماهرين فى العمل (قوله ولا تطيعوا امر المسرفين) الاسناد مجازى فى النسبة والاصل ولا تطيعوا المسرفين فى امرهم (قوله الذين يفسدون فى الارض) صفة للمسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك ما يتوهم انه يقع منهم الاصلاح فى بعض الاوقات (قوله ما انت الا بشر مثلنا) اى فكيف تدعى انك رسول الينا (قوله قال هذه ناقة) الاشارة اليها بعد ان خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن ابى موسى الاشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) امرهم صالح بامرين الاول قوله لها شرب الثانى قوله ولا تمسوها بسوء (قوله نصيب من الماء) اى فهى تشرب منه يوما وانتم تشربون منه يوما لا تزاحمكم ولا تزاحموها وفى يومها تشربون من لبنها (قوله فعقروها) اى يوم الثلاثاء واخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم وهو انهم فى اليوم الاول تصفر وجوههم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث (قوله اى عقرها بعضهم) اى وهو قدار وكان قصيرا ازرق وكان ابن زنا ضربها فى ساقيها بالسيف قال السدى وغيره اوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد فى شهركم

وفى قراءة بضم الخاء واللام اى ما هذا الذى نحن عليه من ان لا بعث الا خلق الاولين اى طبيعتهم وعادتهم (وما نحن بمعذبين فكذبوه) بالعذاب (فاهلكناهم) فى الدنيا بالريح (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان) ما (اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا) من الخيرات (آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين (وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين) بطرين وفى قراءة فارهين حاذقين (فاتقوا الله واطيعون) فيما امرتكم به (ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون فى الارض) بالمعاصى (ولا يصلحون) بطاعة الله (قالوا انما انت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم (ما انت) ايضا (الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى رسالتك (قال هذه ناقة لها شرب) نصيب من الماء (ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) بعظم العذاب (فعقروها) اى عقرها بعضهم برضاهم

هذا

هذا غلام يسقرها و يكون هلاككم على يديه فقالوا الا يولد فى هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فابى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سببا لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله فقالوا نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا فنكن فى غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم قلنا ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقون و يعلمون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام فى القرية بل كان ينام فى المسجد فاذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا فى القرية يا عباد الله أما رضي صالح انه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (قوله نادمين على عقرها) ان قلت لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم أجيب بان ندمهم لخوف نزول العذاب فقط لا توبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة فى هذه السورة بهذين الاسمين الاشارة الى ان العذاب النازل بالكفار لا يغادر منهم أحدا والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحدا فكل من مظهر الاسمين ظهر فى مستحقه (قوله أخوهم لوط) اى فى البلد بسبب السكنى والمجاورة لا فى النسب لانه ابن أخى ابراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فنزل ابراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط بسذوم وقراها (قوله الذكران) جمع ذكر أى أدبارهم (قوله اى الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة فهذه الخصلة القبيحة لم تكن فى أحد قبل قوم لوط ثم لما خسف بهم تنوسيت حتى ظهرت فى هذه الامة المحمدية فانا لله وانا اليه راجعون (قوله ماخلق لكم) اى أحل وأباح (قوله أى أقبالهن) اى لانه محل نبات البذر قال تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم (قوله عادون) اى متعدون (قوله من القالين) متعلق بمحذوف خبر ان اى لقال من القالين ومن القالين صفته ولعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولا يصح ان يجعل قوله من القالين خبر ان فيكون عاملا فى لعملكم لئلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع انه لا يجوز (قوله اى من عذابه) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف لان بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل (قوله وأهله) اى بنتيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) اى فى العذاب قيل تبعت لوطا ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها (قوله أهلكناهم) اى بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها (قوله وأمطرنا عليهم) اى على من منهم خارج القرى لسفر اوغيره (قوله مطرهم) هذا هو مخصوص بالذم (قوله كذب أصحاب الايكة) هذه آخر القصص التى ذكرت فى هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الايكة فى أربع مواضع فى القرآن فى الحجر وق وهنا وص فالاوليان بال مع الجر لا غير والاخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله بحذف الهمزة) اى الثانية وقوله على اللام اى لام التعريف واما الهمزة الاولى فقد حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام لانها همزة وصل أتى بها للتوصل للنطق بالساكن وفى كلام المفسر نظر لانه يقتضي ان اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله وفتح الهاء لان المقرون بال يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا قال ابن مالك

وجر بالفتحة مالا ينصرف * مالم يضف أو يك بعد أل ردف

فالمناسب ان يقول وفى قراءة بوزن ليلة ليفيد ان اللام من بقية الكلمة وحركتها أصلية وحينئذ فجره بالفتحة ظاهر للعلمية والتانيث باعتبار البقعة ان كان هذا اللفظ عربيا وللعلمية والعجمة ان كان أعجميا

(فاصبحوا نادمين) على عقرها (فاخذهم العذاب) الموعود به فهلكوا (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم * كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسالكم عليه من أجران) ما (أجرى الا على رب العالمين أتاتون الذكران من العالمين) اى من الناس (وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم) اى أقبالهن (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون الحلال الى الحرام (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن انكارك علينا (لتكونن من المخرجين) من بلدتنا (قال) لوط (انى لعملكم من القالين) المبغضين (رب نجنى وأهلى مما يعملون) اى من عذابه (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) امرأته (فى الغابرين) الباقين أهلكناها (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) حجارة من جملة الاهلاك (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم * كذب أصحاب الايكة) وفى قراءة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

وفتح الهاء هي غيضة شجر قرب مدين (المرسلين اذ قال لهم شعيب) لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم (ألا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان) ما (اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل) اتموه (ولا تكونوا من المخسرين) الناقصين (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوى (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) لا تنقصوهم من حقهم شيئا (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة افسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها (واتقوا الذى خلقكم والجبلة) الخليقة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه (نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا) بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء ان كنت من الصادقين) فى رسالتك (قال ربى اعلم بما تعملون) فيجازيكم به (فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة) هى سحابة اظلتهم بعد حر شديد اصابهم فامطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه) اى القرآن (لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين) جبريل (على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) بين وفى قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله (وانه) اى ذكر القرآن المنزل على محمد (لفى زبر) كتب (الاولين) كالتوراة والانجيل (أولم يكن لهم) لكفار مكة (آية) على ذلك (ان يعلمه علماء بنى اسرائيل) كعبد الله بن سلام واصحابه ممن آمنوا فانهم يخبرون بذلك وكانوا

(قوله وفتح الهاء) فى بعض النسخ وفتح التاء وهى اوضح (قوله هى غيضة شجر) بفتح الغين وبالضاد المعجمة اى مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض وكان شجرهم الدوم (قوله قرب مدين) هى قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام (قوله المرسلين) المراد به شعيب وفى جمعه ما علمت وقد ارسل شعيب ايضا لاهل مدين لكن اهل مدين اهلكوا بالصيحة واصحاب الايكة اهلكوا بعذاب يوم الظلة (قوله لانه لم يكن منهم) اى بل كان من مدين قال تعالى والى مدين اخاهم شعيبا (قوله الناقصين) اى لحقوق الناس (قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم) اى فكانوا اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون ومن جملة بخسهم انهم يقصون الدراهم والدنانير (قوله وغيره) اى كقطع الطريق (قوله لمعنى عاملها) اى ولفظهما مختلف (قوله والجبلة) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام اى الجماعة والامم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كانها الجبال قوة وصلابة وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وبفتح الجيم أوكسرها مع سكون الباء (قوله وما انت الا بشر مثلنا) اتى بالواو وهنا دون قصة صالح مبالغة فى تكذيبه لانه عند دخول الواو يكون كل من الامرين التسحير والبشرية مقصودا بخلاف تركها فلم يقصد الا التسحير والثانى دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب ان يقول مهملة لاعمل لها لان المكسورة اذا خففت قل عملها والاولى حمل القرآن على الكثير (قوله بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) اى استمروا على تكذيبه (قوله عذاب يوم الظلة) روى ان الله تعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا فارسل الله تعالى سحابة فاظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا وهذا العذاب الذى حل بهم هو الذى طلبوه تهكما بشعيب بقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء (قوله اصابهم) اى سبعة ايام ثم لجؤا الى السحابة بعد السبعة الايام (قوله وانه لتنزيل رب العالمين) شروع فى مدح القرآن ومن انزله والمنزل عليه والمعنى ان هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما يزعمون (قوله نزل به) الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كانه قال نزل فى حال ملابسته له على حد خرج زيد بثيابه (قوله على قلبك) خصه بالذكر لانه سلطان الاعضاء فكل شئ وصل للقلب وصل لسائر الاعضاء ففى الحديث الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فحيث نزل على قلبه فقد تمكن من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولذا ورد انه كان اذا نزل عليه جبريل بالآية يريد ان يقرأها بلسانه قبل ان يتلوها جبريل عليه ظاهرا حتى امر بعدم الاستعجال بالقراءة قال تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) اى ومن المبشرين (قوله بلسان) يصح ان يكون بدلا من قوله به باعادة الجار ويصح ان يكون متعلقا بالمنذرين والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربى وهم هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية (قوله اى ذكر القرآن) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية ان القرآن نفسه ثابت فى سائر الكتب مع انه ليس كذلك والمراد بذكره نعته والاخبار عنه بانه ينزل على محمد وانه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله واصحابه) اى

ويكن بالتحتانية ونصب آية وبالفوقانية ورفع آية (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) جمع أعجم (فقرأه عليهم) اى كفار مكة (ماكانوا به مؤمنين) أنفة من اتباعه (كذلك) اى مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الاعجمى (سلكناه) أدخلنا التكذيب به (فى قلوب المجرمين) اى كفار مكة بقراءة النبي (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون) لنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب قال تعالى (أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت) اخبرنى (ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما) استفهامية بمعنى اى شئ (اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فى رفع العذاب اوتخفيفه اى لم يغن (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل تنذر اهلها (ذكرى) عظة لهم (وما كنا ظالمين) فى اهلاكهم بعد انذارهم * ونزل ردا لقول المشركين (وما تنزلت به) بالقرآن (الشياطين وما ينبغى) يصلح (لهم) ان ينزلوا به (وما يستطيعون) ذلك (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) بالشهب (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) ان فعلت ذلك الذى دعوك اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد انذرهم جهارا رواه البخارى ومسلم

وكانوا اربعة غيره أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين فالخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم (قوله ويكن بالتحتانية ونصب آية) اى على انه خبر يكن مقدم واسمها قوله ان يعلمه الخ (قوله ورفع آية) اى على انه فاعل بتكن وقوله ان يعلمه بدل من آية (قوله جمع أعجم) اصله أعجمى بياء النسب خفف بحذفها وبه اندفع ما يقال ان افعل فعلاء لا يجمع جمع المذكر السالم (قوله أنفة من اتباعه) اى تكبرا (قوله كذلك) معمول لسلكناه والضمير فى سلكناه للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر (قوله لا يؤمنون به الخ) الجملة مستانفة او حال من الهاء فى سلكناه وقوله حتى يروا العذاب الاليم مقدم من تاخير وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا هل نحن منظرون اى مؤخرون عن الاهلاك ولو طرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا أى لا تاخير ولا امهال (قوله أفبعذابنا يستعجلون) استفهام توبيخ وتهكم حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره أيعقلون ما ينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض وقوله ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا اول وجاءهم يطلبه فاعلا فاعملنا الاول وأضمرنا فى الثانى ضميرا يعود عليه اى ثم جاءهم هو أى الذى كانوا يوعدونه وجملة ما أغنى عنهم الخ فى محل نصب سدت مسد المفعول الثانى لرأيت (قوله ما كانوا يوعدون) اى به وما اسم موصول (قوله استفهامية) اى استفهام انكار كما أشار له بقوله أى لم يغن فهذا مساو فى المعنى لقول بعضهم انها نافية وهى على صنيع المفسر مفعول مقدم لاغنى وقوله ما كانوا يمتعون فاعل باغنى ولا مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية الخ) اى انه جرت عادته سبحانه وتعالى انه لا يهلك أهل قرية الا بعد ارسال الرسول اليهم وعصيانهم وذلك تفضل منه سبحانه والا فلو اهلكهم من اول الامر لا يعد ظالما لانه متصرف فى ملكه يحكم لا معقب لحكمه ففعله دائر بين الفضل والعدل (قوله الا لها منذرون) الجملة صفة لقرية فان قلت لم تركت الواو هنا وذكرت فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجيب بان الاصل ترك الواو واذا زيدت كانت لتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله ذكرى) مفعول لاجله أى لاجل تذكيرهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) اى لا نفعل فعل الظالمين بان نهلكهم قبل الانذار بل لا نهلكهم الا بعد اتيان الرسل وامهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل (قوله ردا لقول المشركين) مقول القول محذوف تقديره ان الشياطين يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله وما ينبغى لهم) اى لا يمكنهم (قوله انهم عن السمع الخ) علة لقوله وما ينبغى لهم وما يستطيعون (قوله لكلام الملائكة) ان كان المراد كلامهم بالوحى الذى يبلغونه للانبياء فالشياطين معزولون عنه لا يصلون اليه اصلا وان كان المراد به المغيبات التى ستقع فى العالم فكانوا اولا يسترقونها فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما بعث سلط عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزولهم على الكهنة فبطل قول المشركين ان القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله الها آخر) نزل ردا لقول المشركين اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد الهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله رواه البخارى ومسلم) اى فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال فى انذاره يا معشر قريش اشتروا انفسكم لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت رسول الله سلينى ما شئت من مالى لا اغنى عنك من الله شيأ وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش قد

(واخفض جناحك) ألن جانبك (لمن اتبعك من المؤمنين) الموحدين (فان عصوك) اى عشيرتك (فقل) لهم (انى برىء مما تعملون) من عبادة غير الله (وتوكل) بالواو والفاء (على العزيز الرحيم) الله اى فوض اليه جميع امورك (الذى يراك حين تقوم) الى الصلاة (وتقلبك) فى اركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فى الساجدين) اى المصلين (انه هو السميع العليم هل أنبئكم) اى كفار مكة (على من تنزل الشياطين) بحذف احدى التاءين من الاصل (تنزل على كل افاك) كذاب (أثيم) فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة (يلقون) اى الشياطين (السمع) اى ماسمعوه من الملائكة الى الكهنة (واكثرهم كاذبون) يضمون الى المسموع كذبا كثيرا وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء (والشعراء يتبعهم الغاوون) فى شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون (ألم تر) تعلم (انهم فى كل واد) من اودية الكلام وفنونه (يهيمون)

اجتمعوا لجعل الذى لا يستطيع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ماهو فجاءا بو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب الى آخر السورة (قوله واخفض جناحك) أى فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ ممن بقى على كفره ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فان الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه (قوله بالواو والفاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله وانذر وعلى الفاء هو بدل من قوله فقل انى برىء (قوله على العزيز) أى الغالب على امره القاهر لكل معارض لامره (قوله الرحيم) أى بالمؤمن الممتثل لامره (قوله حين تقوم) اى منفردا وقوله وتقلبك فى الساجدين اى مع الجماعة (قوله الى الصلاة) لا مفهوم لها بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللامر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته وانما خص الصلاة لانها اعظم اركان الاسلام بعد الشهادتين ولان قرة عينه فيها لما فى الحديث وجعلت قرة عينى فى الصلاة والمراد برؤيته اياه زيادة تجلى الرحمة عليه والا فرؤية الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك فى الساجدين) فى على كلام المفسر بمعنى مع وقيل ان فى على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون والمعنى يراك متقلبا فى اصلاب وارحام المؤمنين من آدم الى عبد الله فاصوله جميعا مؤمنون واورد على هذا آزر أبو ابراهيم فانه كان كافرا وأجيب بجوابين الاول انه كان عمه واسم أبيه تارخ الثانى انه كان أباه حقيقة وقولهم ان اصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله مادام النور المحمدى فى الواحد منهم فاذا انتقل لمن بعده فلا مانع من ان يعبد غير الله وحينئذ فآزر ما كفر الا بعد انتقال النور منه الى ابراهيم ولده (قوله هل أنبئكم الخ) هذا رد لقولهم انه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجار والمجرور متعلق تنزل والجملة فى محل نصب سادة مسد المفعول الثانى والثالث ان جعل انبئكم متعديا لثلاثة ومسد الثانى فقط ان جعل متعديا لاثنين (قوله وغيره) اى كاسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن وهو الذى يخبر عن الامور المستقبلة والعراف هو الذى يخبر عن الامور الماضية (قوله يلقون السمع) يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين والمعنى يلقون ماسمعوه الى الكهنة ويحتمل انه عائد على كل افاك أثيم والمعنى يلقون ماسمعوه من الشياطين الى عوام الخلق أو المعنى يصغون الى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم (قوله واكثرهم كاذبون) الضمير اما عائد على الشياطين أو الكهنة والاكثرية باعتبار الاقوال اى اكثر اقوالهم كاذبون فيها والاقل فيها صدق وليس المراد ان الاقل فيهم صادق بل الكل طبعوا على الكذب واكثر الكلمات كذب واقلها صدق (قوله وكان هذا قبل ان حجبت الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ماهنا وماتقدم فى قوله انهم عن السمع لمعزولون وحاصل ذلك ان هذه الآية اخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم واما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولا غيره شىء من الشياطين (قوله والشعراء) اى الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون باوزان عربية المقفى قصدا والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وامية ابن ابى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون اشعارهم (قوله من اودية الكلام وفنونه) اشار بذلك

الى ان الشعراء يخوضون فى كل كلام فهم مشبهون بالهائم فى الاودية الذى لا يدرى اين يتوجه (قوله يهضون) أى يخوضون (قوله اى يكذبون) اى لانهم يمدحون الكرم والشجاعة و يحثون عليهما ولا يفعلون ماذكر و يذمون ضدهما و يصرون عليه و يهجون الناس بادنى شئ صدر منهم (قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) سبب نزولها ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم قد انزل فى الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكان ماترمونهم به نضح النبل وقوله قد أنزل فى الشعر اى انزل القرآن فى ذم الشعر واهله (قوله من الشعراء) اى ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم واعلم ان الشعر منه مذموم وهو مدح من لا يجوز مدحه وذم من لا يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الاولى وقوله عليه السلام لان يمتلئ جوف احدكم قيحا ودما خيرله من ان يمتلئ شعرا ومنه ممدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على اشعر الثلاثة وروى عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر فى المسجد و يستنشده فروى انه دعا عمرو بن أبى ربيعة المخزومى فاستنشده قصيدة فانشده اياها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى انه عليه السلام قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينافح و يقول رسول الله ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله وروى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض وارسل كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قدآن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسود الضارب بذنبه ثم ادلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك بالحق لافرينهم بلسانى فرى الاديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر أعلم قريش بانسابها وان لى فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذى بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء * هجوت محمدا برا تقيا
رسول الله شيمته الوفاء * فان ابى و والدتى وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء * ينازعن الاعنة مصعدات
على اكتافها الاسل الظماء * تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء
فان اعرضتمو عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء * والا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء * وقال الله قد ارسلت عبدا * يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء * تلاقى كل يوم من معد
سباب اوقتال اوهجاء * فمن يهجو رسول الله منكم * و يمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له خفاء

(قوله قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) استدلالا على جواز هجوهم للكفار فى مقابلة هجو الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدلال على شرط المماثلة فى المقابلة فلا يجوز للمظلوم ان يزيد

يعضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وانهم يقولون) فعلنا (مالا يفعلون) اى يكذبون (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الشعراء (وذكروا الله كثيرا) اى لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وانتصروا) بهجوهم الكفار (من بعد ما ظلموا) بهجو الكفار لهم فى جملة المؤمنين فليسوا مذمومين قال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (وسيعلم الذين ظلموا) من الشعراء وغيرهم

(اى منقلب) مرجع (ينقلبون) يرجعون بعد الموت

﴿ سورة النمل وهى ثلاث او اربع او خمس وتسعون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(طس) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) اى هذه الآيات (آيات القرآن) آيات منه (وكتاب مبين) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو (هدى) اى هاد من الضلالة (وبشرى للمؤمنين) المصدقين به بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) يأتون بها على وجهها (ويؤتون) يعطون (الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) يعلمونها بالاستدلال واعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فهم يعمهون) يتحيرون فيها لقبحها عندنا (اولئك الذين لهم سوء العذاب) اشده فى الدنيا القتل والاسر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وانك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لتلقى القرآن) اى يلقى عليك بشدة (من لدن) من عند (حكيم عليم) فى ذلك اذكر (اذ قال موسى لاهله)

في الذم على ما ظلم به من الهجو (قوله اى منقلب) معمول لينقلبون الذى بعده لا لما قبله لان الاستفهام له الصدر وهو مفعول مطلق اى ينقلبون أى انقلاب والجملة سادة مسد مفعولى يعلم والمعنى يرجعون مرجعا سيئا لان مصيرهم الى النار وهو اقبح مرجع وأشره

﴿ سورة النمل مكية ﴾

اى كلها وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص الاولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النمل الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقى منها حكم ومواعظ (قوله ثلاث او اربع الخ) اى انه اختلف فى النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله اعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا القول اسلم وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعراب لانه فرع معرفة المعنى والموضوع انه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ وآيات القرآن خبره واسم الاشارة عائد على ما فى هذه السورة (قوله آيات منه) أشار بذلك الى ان الاضافة على معنى من كما تقول جلست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) اى فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا والباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع انهما متحدان معنى فاجاب بانه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن فى القرآن (قوله هدى) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو فالجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره مافائدة الاتيان به وما الثمرة المترتبة عليه فاجاب بانه هدى وبشرى للمؤمنين (قوله اى هاد من الضلالة) هذا احد احتمالات فى تفسير الهدى ويحتمل ان المراد ذو هدى او بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد ما قيل فى زيد عدل (قوله للمؤمنين) حذف من الاول لدلالة الثانى عليه فالقرآن هدى للمؤمنين وبشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى وخص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون به المشرفون بخدمته تعالى (قوله يأتون بها على وجهها) اى بشروطها واركانها وآدابها على الوجه الاكمل (قوله ويؤتون الزكاة) اى الواجبة للاصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ ويوقنون خبره وبالآخرة متعلق بيوقنون (قوله يعلمونها بالاستدلال) اى من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فمن شك فى ذلك فقد كفر (قوله لما فصل بينه وبين الخبر) اى بمتعلق الخبر وهو قوله بالآخرة (قوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) مقابل قوله هدى وبشرى للمؤمنين الخ على عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم اعمالهم) اى حسناها لهم بان جعلناها محبوبة لا تسمهم وهى فى الواقع ليست حسنة وانما ذلك ليقضى الله امرا كان مفعولا قال الشاعر

يقضى على المرء فى ايام محنته * حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

(قوله يتحيرون فيها) اى لتعارض تزيين الشيطان واخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فاهل الكفر متحيرون فى كفرهم لكونهم فى ظلمات ومن المعلوم ان السائر فى الظلمات متحير بخلاف السائر فى النور فاهل الايمان مصدقون مصممون على اعتقادهم واهل الكفر متشككون متحيرون (قوله هم الاخسرون) اى ان خسرانهم فى الآخرة أشد من خسرانهم فى الدنيا لدوام العذاب فى الآخرة (قوله بشدة) اخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) اى من عند من يضع الشئ فى محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العام بعد الخاص (قوله اذكر) قدره اشارة الى أن قوله اذ قال ظرف لمحذوف والمعنى اذكر يا محمد لقومك

قصة

زوجته عندمسيره من مدين الى مصر (انى آنست) ابصرت من بعيد (نارا سآتيكم منها بخبر) عن حال الطريق وكان قد ضلها (او آتيكم بشهاب قبس) بالاضافة للبيان وتركها اى شعلة نار فى رأس فتيلة او عود (لعلكم تصطلون) (١٥٥) والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد (فلما جاءها نودى ان) اى بان (بورك) اى بارك الله (من فى النار) اى موسى (ومن حولها) اى الملائكة او العكس و بارك يتعدى بنفسه و بالحرف و يقدر بعد فى مكان (وسبحان الله رب العالمين) من جملة ما نودى ومعناه تنزيه الله من السوء (ياموسى انه) اى الشان (أنا الله العزيز الحكيم والق عصاك) فالقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كانها جان) حية خفيفة (ولى مدبرا ولم يعقب) يرجع قال تعالى (ياموسى لاتخف) منها (انى لايخاف لدىّ) عندى (المرسلون) من حية وغيرها (الا) لكن (من ظلم) نفسه (ثم بدل حسنا) اتاه (بعد سوء) اى تاب (فانى غفور رحيم) اقبل التوبة واغفرله (وادخل يدك فى جيبك) طوق القميص (تخرج) خلاف لونها من الادمة (بيضاء من غير سوء) برص لها شعاع يغشي البصر آية (فى تسع آيات) مرسلا بها (الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) اى مضيئة واضحة (قالوا هذا سحر مبين) بين ظاهر (وجحدوا بها) اى لم يقروا (و) قد (استيقنتها أنفسهم) اى تيقنوا انها من عند الله (ظلما وعلوا) تكبرا عن الايمان بما جاء به موسى راجع الى الجحد (فانظر) يامحمد (كيف كان عاقبة المفسدين) التى علمتها

قصة موسى وماوقع له (قوله زوجته) اى بنت شعيب أى وولده وخادمه (قوله عندمسيره من مدين) اى ليجتمع بامه وأخيه بمصر وكان فى ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) اى تاه عنها (قوله أو آتيكم) اومانعة خلو تجوز الجمع (قوله اى شعلة نار) اى شعلة مقتبسة من النار فالاضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لان الشهاب يكون من النار وغيرها كالكوكب (قوله بدل من تاء الافتعال) اى لانها وقعت بعد الصاد وهى من حروف الاطباق فقلبت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) اى من باب تعب وقوله وفتحها اى من باب رمى (قوله نودى) اى ناداه الله (قوله اى بان) أشار بذلك الى ان مصدرية ومابعدها فى تاويل مصدر وحرف الجر مقدر قبلها اى نودى ببركة من فى النار الخ اى بتقديسه و تطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة أى ناداه الله بانا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة كما تقدم فى طه حيث قال وانا اخترتك الخ (قوله من فى النار) هو نائب فاعل بورك وهذا تحية لموسى وتكرمة له (قوله أو العكس) اى فتفسر من الاولى بالملائكة والثانية بموسى وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يتعدى بنفسه) اى فيقال باركك الله (قوله وبالحرف) أى اللام وفى وعلى (قوله ويقدر بعد فى مكان) اى على التفسير الاول فيقال ان بورك من فى مكان النار وانما احتيج لهذا التقدير لان موسى اذذاك لم يكن فى النار حقيقة بل كان فى المكان القريب منها (قوله من جملة ما نودى) اى أتى به وانما أتى بالتنزيه هنا لدفع مايتوهم ان الكلام الذى سمعه فى ذلك المكان بحرف وصوت اوكون الله فى مكان اوجهة (قوله وألق عصاك) لم يقل هنا وان كما فى القصص لانه هنا ذكر بعد أن فعل فحسن عطف ألق عليه ومايأتى لم يذكر فقصد عطف وان ألق على قوله ان ياموسى انى أنا الله (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) اى فى سرعة الحركة فلاينافى عظم جثتها (قوله يرجع) اى لم يرجع على عقبه (قوله لاتخف منها) اى لانك فى حضرتى ومن كان فيها فهو آمن لايخطر بباله خوف من شئ (قوله لكن من ظلم الخ) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع ومن ظلم مبتدأ وقوله فانى غفور خبره (قوله اتاه) اى عمله (قوله طوق القميص) انما لم يامره بادخالها فى كمه لانه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لاكم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لها شعاع) اى لمعان واشراق (قوله آية) أشار بذلك الى ان فى تسع آيات فى محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج وقد صرح بهذا المحذوف فى سورة طه حيث قال هناك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة فى جملة الآيات التسع (قوله الى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله انهم كانوا الخ تعليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) اى جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول اطلق اسم الفاعل على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها (قوله اى مضيئة) اى اضاءة معنوية فى جميعها وحسية فى بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) اى مانشاهده من الخوارق التى اتى بها موسى (قوله واستيقنتها انفسهم) حال من الواو فى جحدوا ولذا قدر فيه قد (قوله اى تيقنوا الخ) اشار به الى ان السين زائدة (قوله راجع الى الجحد) اى على انه علة له (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة فى محل نصب على اسقاط الخافض

(قوله من اهلاكهم) اي بالاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمد بمعنى اعطينا وهو شروع فى ذكر القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولدا أجلهم سليمان وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم الف وسبعمائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) اى وهو علم الشرائع (قوله ومنطق الطير) اى تصويته (قوله وغير ذلك) اى كتسبيح الجبال (قوله وقالا الحمد لله) اى شكر كل منهما ربه على ما انعم عليه به (قوله الذى فضلنا) اى اعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والانس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك الا ان سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) اى الذين لم يؤتوا مثلنا وهذه مزية وهى لا تقتضي الافضلية فداود وسليمان وان اعطيا تلك المزايا فاولو العزم افضل منهما لان التفضيل من الله لا بالمزايا (قوله وورث سليمان داود) اى قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر مع كون النبوة والعطايا التى مع داود مستمرة معه وليس المراد ان نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء (قوله وقال يا أيها الناس) اى قال سليمان لبنى اسرائيل شكرا لله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) اى فهمنا الله اصوات الطير ولا مفهوم للطير بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه وردان سليمان كان جالسا اذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون ما يقول هذا الطائر انه قال لى السلام عليك ايها الملك المسلط والنبي لبنى اسرائيل اعطاك الله الكرامة واظهرك على عدوك انى منطلق الى افراخى ثم امر بك الثانية وانه سيرجع الينا الثانية ثم رجع فقال لهم يقول السلام عليك ايها الملك المسلط ان شئت ان تاذن لى كيما اكتسب على افراخى حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بى ما شئت فاخبرهم سليمان بما قال واذن له فانطلق ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا نبي الله قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فخاف فقال له سليمان احذر فقال الهدهد يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فانا اسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع فى حبالة الصبي وهو فى يده فقال له ما هذا قال ما رايتها حتى وقعت بها يا نبي الله قال ويحك فانت ترى الماء تحت الارض اما ترى الفخ فقال يا نبي الله اذا نزل القضاء عمى البصر وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول * لدوا للموت وابنوا للخراب * وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا ما خلقوا له وصاح عنده طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول ان من لا يرحم لا يرحم وصاح عنده صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذى دل آدم على مكان البيت ولذلك يقال له الصرد الصرام وصاحت عنده طيطرجى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاحت عنده خطافة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها وقيل ان آدم خرج من الجنة فاشتكى الى الله تعالى الوحشة فآنسه الله بالخطاف والزمها البيوت فهى لا تفارق بنى آدم انسا لهم قال ومعها اربع آيات من كتاب الله لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم وهدرت حمامة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى عدد ما فى السموات والارض وصاح قمرى عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه

يقول

من اهلاكهم (ولقد آتينا داود وسليمان) ابنه (علما) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وقالا) شكرا لله (الحمد لله الذى فضلنا) بالنبوة وتسخير الجن والانس والشياطين (على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود) النبوة والعلم دون باقى اولاده (وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير) اى فهم اصواته

يقول سبحان ربي العظيم المهيمن قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحدأ يقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع تقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال النبي صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال اذكروا الله ياغافلون وقال النبي صلى الله عليه وسلم النسر اذا صاح قال يا ابن آدم عش ماشئت فآخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس راحة واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض آل محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين الى آخرها فيقول ولا الضالين فيمد بها صوته كما يمد القارئ (قوله وأوتينا من كل شيء) قال ذلك تحدثا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس) اى من الاماكن البعيدة وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره لئلا يتقدموا في السير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساط من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وروى عن كعب الاحبار أنه قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والارض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوي فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل اليها قال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت اصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فاوحى الله اليه مايبكيك قال يارب ابكاني أن هذا نبي من انبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علي ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان احب انبيائي الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني افرض عليهم فريضة يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان والاصنام وعبدة الشيطان ثم مضي سليمان حتى مر بوادي النمل (قوله فهم يوزعون) اى يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالسير (قوله حتى اذا أتوا) غاية لمحذوف اى فساروا مشاة على الارض وركبانا حتى اذا أتوا الخ (قوله نمله صغار) اى وهو المعروف وقوله او كبار اى كالبخاتي او الذئاب (قوله قالت نملة) قيل اسمها طاخية وقيل جرمى حكى الزمخشري عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه وقف على قتادة وهو يقول سلوني فامر ابو حنيفة شخصا سال قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكرا او انثى فلم يجب فقيل لابي حنيفة في ذلك فقيل كانت انثى واستدل بلحاق العلامة قال بعضهم وفيه نظر لان لحاق التاء في قالت لا يدل على انها مؤنثة لان تاءه للوحدة لا للتانيث وحينئذ فيصح ان يقال قال نملة وقالت نملة وما استدل به ابو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق (قوله وقدرات جند سليمان) اى من ثلاثة اميال بدليل قوله الآتي وقد سمعه من ثلاثة اميال (قوله يا أيها النمل الخ) اشتمل هذا القول على احد عشر نوعا من البلاغة اولها النداء بيا ثانيها لفظ اى ثالثها

(وأوتينا من كل شيء) تؤتاه الانبياء والملوك (ان هذا) المؤتى (لهو الفضل المبين) البين الظاهر (وحشر) جمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير) في مسير له (فهم يوزعون) يجمعون ثم يساقون (حتى اذا أتوا على وادي النمل) هو بالطائف او بالشام نمله صغار او كبار (قالت نملة) ملكة النمل وقدرات جند سليمان (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم

التنبيه رابعها التسمية بقولها النمل خامسها الامر بقولها ادخلوا سادسها التنصيص بقولها مساكنكم سابعها التحذير بقولها لا يحطمنكم ثامنها التخصيص بقولها سليمان تاسعها التعميم بقولها وجنوده عاشرها الاشارة بقولها وهم حادي عشرها العذر بقولها لا يشعرون وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين وهي من جملة الحيوانات العشرة التي تدخل الجنة وهي براق رسول الله صلى الله عليه وهدهد بلقيس ونملة سليمان وعجل ابراهيم وكبش ولده وبقرة بني اسرائيل وكلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وحوت يونس روى أن سليمان قال لها لم حذرت النمل أخفت من ظلمي أما علمت أني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة أما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع أني لم أرد حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشية ان يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن في الدنيا ويشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة الى قومها فقالت هل عندكم من شيء نهديه الى نبي الله قالوا وما قدر ما نهدي له والله ما عندنا الا نبقة واحدة فقالت حسنة ائتوني بها فاتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والانس والعلماء والانبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها في فيه وانشات تقول

ألم ترنا نهدي الى الله ماله * وان كان عنه ذا غني فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره * لا قصر البحر عنه يوما وساحله
ولكننا نهدي الى من نحبه * فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الامن كريم فعاله * والا فما في ملكنا ما يشاكله

فقال لها بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اشكر خلق الله واكثر خلق الله والنمل حيوان معروف شديد الاحساس والشم حتى انه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته ومن شدة ادراكه انه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الانبات ويفلق حبة الكزبرة اربع فلق لانها اذا فلقت فلقتين نبتت ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي باقيه عدة (قوله لا يحطمنكم) فيه وجهان احدهما انه نهي والثاني انه جواب الامر (قوله وهم لا يشعرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا) مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم وكان سبب ضحكه شيئين احدهما ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لا يشعرون الثاني سروره بما آتاه الله ما لم يؤت احدا من ادراك سمعه ما قالته النملة (قوله ابتداء الخ) اى فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت والضحك انفتاحه مع صوت خفيف والقهقهة انفتاحه مع صوت قوي وهي لا تكون من الانبياء (قوله في هذا السير) اى في خصوص سيره على وادي النمل وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح (قوله وعلى والدي) انما ذكر نعمة والديه تكثيرا للنعمة ازديادا في الشكر عليها (قوله في عبادك الصالحين) على حذف مضاف اى في جملة عبادك او في زمرة مع والمراد الكاملون في الصلاح لان الصلاح مقول بالتشكيك فما من مقام الا وفوقه اعلى منه والكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع في القصة الثالثة والمعنى نظر في الطير فلم ير الهدهد وكان سبب سؤاله عن الهدهد انه كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر في الارض ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له ان الصبي يضع له فخا ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال ابن عباس اذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر قيل ولم يكن له في مسيره الا هدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) اى بان تسلخ وجه

لا يحطمنكم) بكسر نكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم (فتبسم) سليمان ابتداء (ضاحكا) انتهاء (من قولها) وقد سمعه من ثلاثة اميال حملته اليه الريح فحبس جنده حين اشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير (وقال رب اوزعني) الهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت) بها (علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) الانبياء والاولياء (وتفقد الطير) ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الارض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان اليه للصلاة فلم يره

الارض

الارض عن الماء كما نسلخ الشاة (قوله مالى لا أرى الهدهد) استفهام استخبار (قوله ام كان من الغائبين) ام منقطعة تفسر ببل والهمزة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر اوغيره فقال مالى لا ارى الهدهد ثم احتاط فظهر له انه غائب فاضرب عن ذلك وهو اضراب انتقالى (قوله لاعذبنه عذابا شديدا) الحلف على احد الاولين بتقدير عدم الثالث فاو بين الكلمتين الاوليين للتخيير وفى الثالث للترديد بينه وبينهما فهى فى الاخيرة بمعنى الا (قوله بنتف ريشه) هذا احد اقوال فى معنى التعذيب وقيل هو ان يحشره مع غير ابناء جنسه وقيل هو ان يطلى بالقطران ويوضع فى الشمس (قوله بنون مشددة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بسلطان مبين) اى حجة ظاهرة على غيبته والسبب فى غيبة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله ان يقيم أى من غير صلاة بالكعبة كراهة فى الاصنام ولم يكن مامورا بتكسيرها فاندفع التعارض بين ماهنا وما تقدم وكان ينحر فى كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين الف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيبته مسافة شهر القريب والبعيد عنده فى الحق سواء لا تاخذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يدين يا نبى الله قال بدين الله الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبى الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليصلى ويتغدى فلما نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من اين اقبلت قال اقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين انت قال عفير انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل فهل انت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الماء قال الهدهد اليمانى ان صاحبك يسره ان تاتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه نزل على غير ماء فسال عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادرى اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا الآية ثم دعا بالعقاب وهو اشد الطير طيرانا فقال له علىّ بالهدهد الساعة فارتفع العقاب فى الهواء حتى نظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده وعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال بحق الذى قواك واقدرك على الا ما رحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فتركه العقاب وقال ويلك ثكلتك امك ان نبى الله قد حلف ان يعذبك أو يذبحك فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام فلما انتهيا الى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له ويلك اين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله واخبره بما قال سليمان فقال الهدهد او ما استثنى

(فقال مالى لا ارى الهدهد) أى أعرض لى ما منعنى من رؤيته (أم كان من الغائبين) فلم اره لغيبته فلما تحققها قال (لاعذبنه عذابا) تعذيبا (شديدا) بنتف ريشه وذنبه ورميه فى الشمس فلا يمتنع من الهوام (اولاذبحنه) بقطع حلقومه (اوليأتينى) بنون مشددة مكسورة اومفتوحة يليها نون مكسورة (بسلطان مبين) ببرهان بين ظاهر على عذره

(فمكث) بضم الكاف وفتحها (غير بعيد) اى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وارخاء ذنبه وجناحيه

فعفا عنه وسأله عما لقى فى غيبته (فقال احطت بما لم تحط به) اى اطلعت على مالم تطلع عليه (وجئتك من سبأ) بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف (بنبأ) خبر (يقين انى وجدت امرأة تملكهم) اى هى ملكة لهم اسمها بلقيس (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة (ولها عرش) سرير (عظيم) طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد عليه سبعة ابواب على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل) طريق الحق (فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله) اى ان يسجدوا له فزيدت لا وادغم فيها نون ان كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والجملة فى محل مفعول يهتدون باسقاط الى (الذى يخرج الخبء) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (فى السموات والارض ويعلم ما يخفون) فى قلوبهم (وما يعلنون) بالسنتهم الارض

نبي الله فقالوا بلى انه قال او ليأتينى بسلطان مبين فقال نجوت اذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع الا بعد العصر فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ما الذى ابطأك عنى فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به الى آخره (قوله فمكث) اى الهدهد (قوله بضم الكاف وفتحها) اى فيهما قراءتان سبعيتان والاول من باب قرب والثانى من باب نصر (قوله اى يسيرا من الزمان) اى وهو من الزوال الى العصر (قوله فعفا عنه) اى من اول الامر قبل ان يذكر العذر (قوله وسأله عما لقى فى غيبته) قدره اشارة الى ان قوله فقال احطت الخ مفرع على محذوف (قوله فقال احطت بما لم تحط به) اى علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك وفى هذا تنبيه على ان الله تعالى ارى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهى ثلاث مراحل (قوله بالصرف وتركه) اى فيهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا الى انه اسم رجل وتركه نظرا الى انه اسم القبيلة للعلمية والتانيث (قوله اسمها بلقيس) بالكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ملكا هى آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لى وأبى ان يتزوج منهم فخطب الى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن قيل فى سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم انه كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه اياها (قوله وأوتيت من كل شئ) عطف على قوله تملكهم لانه بمعنى ملكتهم قال ابن عباس كان يخدمها ثلاثمائة امرأة (قوله يحتاج اليه الملوك) اشار بذلك الى ان قوله من كل شئ عام اريد به الخصوص (قوله ولها عرش عظيم) اى تجلس عليه ووصفه بالعظم بالنسبة الى ملوك الدنيا واما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات من السموات والارض وما بينهما فحصل الفرق (قوله طوله ثمانون ذراعا الخ) وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك وارتفاعه فى الهواء كذلك (قوله عليه سبعة ابواب) صوابه ابيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق (قوله يسجدون للشمس) اى فهم مجوس (قوله فهم لا يهتدون ان لا يسجدوا لله الخ) ذكر ذلك ردا على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فى السموات والارض عالم بجميع المعلومات (قوله أى ان يسجدوا له) اشار بذلك الى انه على هذه القراءة تكون ان ناصبة ولا زائدة ويسجدوا فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل وعليها فلا يجوز الوقف على يهتدون لانه من تتمته كانه قال فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا الخ وقرأ الكسائى بتخفيف ألا وتوجيهها ان يقال ان لا للافتتاح ويا حرف تنبيه واسجدوا فعل امر لكن سقطت الف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا ووصلت الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا وهناك وجه آخر فى هذه القراءة وهو ان يا حرف نداء والمنادى محذوف والتقدير الا يا هؤلاء وهو ضعيف لئلا يؤدى الى حذف كثير من غير ما يدل على المحذوف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالمطر هو المخبوء فى السموات والنبات هو المخبوء فى

(الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن فى مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم (قال) سليمان للهدهد (سننظر اصدقت) فيما أخبرتنا به (أم كنت من الكاذبين) اى من هذا النوع فهو ابلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على وائتونى مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) اى بلقيس وقومها (ثم تول) انصرف (عنهم) وقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب فاخذه وأتاها وحولها جندها والقاه فى حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على ما فيه ثم (قالت) لاشراف قومها (يا أيها الملأ انى) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (القى الى كتاب كريم) مختوم (انه من سليمان وانه) اى مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على وائتونى مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتونى) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا اى اشيروا على (فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا) قاضيته (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) اى أصحاب شدة فى الحرب (والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) نا نطعك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) بالتخريب (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) اى مرسلو الكتاب (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة

الارض (قوله لا اله الا هو رب العرش العظيم) اعلم ان ماذكره الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء الى هنا انما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التى اقتبسها من سليمان وليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به وانما ذكر الهدهد ذلك ليغرى سليمان على قتالهم وليبين انه لم يكن عنده ميل لهم بل انما غرضه وصف ملكها (قوله وبينهما بون) اى فضل ومزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) اى لانه يفيد انه ان كان كاذبا فى هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين ومحسوبا منهم والكذب له عادة وليست فلتة يعفى عنه فيها لان الكذب على الانبياء أمره عظيم (قوله من عبدالله) خص هذا الوصف لانه أشرف الاوصاف وقدم اسمه على البسملة لانها كانت فى ذلك الوقت كافرة فخاف ان تستخف باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) اى امان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال (قوله فلا تعلوا على) اى لا تتكبروا (قوله مسلمين) اى منقادين لدين الله وفى هذا الخطاب اشعار بانه رسول من عند الله يدعوهم الى دين الله وليس مطلق سلطان والا لقال وائتونى طائعين (قوله ثم طبعه بالمسك) اى جعل عليه قطعة مسك كالشمع (قوله فالقه اليهم) اما بسكون الهاء او كسرها من غير اشباع او باشباع ثلاث قراآت سبعيات (قوله ماذا يرجعون) ان جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذى ويرجعون صلته والعائد محذوف ويكون مامفعول يرجعون والمعنى انتظر الذى يرجعونه وان جعل بمعنى تامل وتفكر كانت ما استفهامية وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها والعائد محذوف والتقدير أى شئ الذى يرجعونه والموصول هو خبر ما الاستفهامية أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره اى شئ يرجعون (قوله من الجواب) بيان لما (قوله وأتاها وحولها جندها الخ) وقيل أتاها فوجدها نائمة وقد غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فالقى الكتاب على نحرها وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها (قوله فلما رأته ارتعدت) اى حين وجدت الكتاب مختوما ارتعدت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى ارسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت اشراف قومها (قوله بقلبها واوا مكسورة) المناسب ان يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء او قلبها واوا الخ فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله انى ألقى الى الخ) لم تذكر صورة الكتاب بل اقتصرت على ما فيه الفائدة لشدة معرفتها وبلاغة لفظها (قوله كريم) اى مكرم معظم (قوله مختوم) اى لان الكتاب المختوم يشعر بالاعتناء بالمرسل اليه لما ورد من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به (قوله انه من سليمان) جملة مستأنفة وقعت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا مضمونه (قوله قالت يا أيها الملأ) اى الاشراف سموا بذلك لانهم يملؤن العين بمهابتهم وكانوا ثلثمائة واثنى عشر لكل واحد منهم عشرة آلاف من الاتباع (قوله ما كنت قاطعة أمرا) اى ان عادتى معكم لا أفعل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولوا قوة الخ) استفيد من ذلك انهم أشاروا عليها بالقتال أولا ثم ردوا الامر اليها (قوله نطعك) مجزوم فى جواب الامر (قوله قالت ان الملوك الخ) اى فلم ترض بالحرب الذى أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبينت سببه (قوله اذا دخلوا قرية) اى عنوة

(قوله بم يرجع المرسلون) اى منتظرة رجوع الرسل وعودهم الى (قوله ان كان ملكا قبلها) اى وقاتلناه (قوله او نبيا لم يقبلها) اى واتبعناه لانها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الامور (قوله ألفا بالسوية) اى خمسمائة ذكر وخمسمائة انثى (قوله فامران تضرب لبنات الذهب والفضة) أى كما يضرب الطين (قوله وان تبسط من موضعه) اى توضع فى الارض كالبلاط (قوله الى تسعة فراسخ) اى وهو مسيرة يوم وثمن يوم (قوله وان يبنوا) أى الجن (قوله عن يمين الميدان وشماله) أى وقصد بذلك اظهار الباس والشدة *وحاصل تفصيل تلك القصة ان بلقيس عمدت الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى ايديهم اساور الذهب وفى اعناقهم اطواق الذهب وفى آذانهم اقرطة وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر واغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود وعمدت الى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل فى الخرز خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى ان يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظرا فيه غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فانا اعزمنه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر فامر سليمان الجن ان يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وامرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ وان يفرش فيه لبن الذهب والفضة وان يخلوا قدر تلك اللبنات التى معهم وان يعملوا حول الميدان حائطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان أى دواب البر والبحر احسن فقالوا يا نبي الله رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص قال على بها فاتوه بها قال شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن على باولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فاقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ووضعوا مامعهم من الهدايا وقيل ان سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعا على قدر مامعهم من اللبنات فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا ان يتهموا بذلك فوضعوا مامعهم من اللبن فى ذلك الموضع ولما نظروا الى الشياطين هالهم مارأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فاقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ملتقى حسنا وسالهم عن حالهم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا به واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فاتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فاخبره بما فيها فقال لهم ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسال الانس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سال الشياطين فقالوا ترسل الى

بم يرجع المرسلون) من قبول الهدية اوردها ان كان ملكا قبلها اونبيا لم يقبلها فارسلت خدما ذكورا واناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغيرذلك مع رسول بكتاب فاسرع الهدهد الى سليمان يخبره الخبر فامر ان تضرب لبنات الذهب والفضة وان تبسط من موضعه الى تسعة فراسخ ميدانا وان يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وان يؤتى باحسن دواب البر والبحر مع اولاد الجن عن يمين الميدان وشماله (فلما جاء) الرسول بالهدية ومعه اتباعه (سليمان

قال أتمدونني بمال فما آتانى الله) من النبوّة والملك (خير مما آتاكم) من الدنيا (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لفخركم بزخارف الدنيا (ارجع اليهم) بما أتيت به من الهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل) طاقة (لهم بها ولنخرجنهم منها) من بلدهم سبا سميت باسم قبيلتهم (أذلة وهم صاغرون) اى ان لم ياتونى مسلمين فلما رجع اليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة ابواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور واغلقت الابواب وجعلت عليها حرسا وتجهزت الى المسير الى سليمان لتنظر ما يامرها به فارتحلت فى اثنى عشر الف قيل مع كل قيل الوف كثيرة الى ان قربت منه على فرسخ شعر بها (قال يا ايها الملاء ايكم) فى الهمزتين ما تقدم (ياتينى بعرشها قبل ان ياتونى مسلمين) منقادين طائعين فلى اخذه قبل ذلك لا بعده (قال عفريت من الجن) هو القوى الشديد (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) الذى تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة الى نصف النهار (وانى عليه لقوى) اى على حمله (امين) اى على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان اريد اسرع من ذلك (قال الذى عنده علم من الكتاب) المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) اذا نظرت به الى شئ فقال له انظر الى السماء فنظر اليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ففى نظره الى السماء دعا آصف بالاسم الاعظم أن ياتى الله به فحصل بان جرى تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان (فلما رآه مستقرا) أى ساكنا (عنده قال هذا) أى الاتيان لى به

الارضة فلما جاءت الارضة أخذت شعرة فى فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقى فى الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبى الله فاخذت الدودة خيطا فى فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت يكون رزقى فى الفواكه فقال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجوارى بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء بيدها وتضرب بها الاخرى وتغسل وجهها والغلام ياخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره فميز بين الغلمان والجوارى ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله فلما جاء سليمان الخ (قوله قال أتمدونني الخ) استفهام انكارى وتوبيخ أى لا ينبغى لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة الاولى (قوله أى ان لم ياتونى مسلمين) أفاد بذلك أن يمين سليمان معلق على عدم اتيانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه أبيات وتقدم انه داخل سبعة أبيات فيكون حينئذ فى داخل أربعة عشر بيتا (قوله حرسا) بفتحتين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف أى ملك سمى بذلك لانه ينفذ ما يقول (قوله الى أن قربت منه) أى من سليمان (قوله شعر بها) أى علم وذلك أنه خرج يوما فجلس على سريره فسمع وهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملأ) الخطاب لكل من عنده من الجن والانس وغيرهما (قوله ما تقدم) أى من التحقيق أو قلب الثانية واوا (قوله أيكم ياتينى بعرشها) أى وكان سليمان اذذاك فى بيت المقدس وعرشها فى سبا وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله فلى أخذه قبل ذلك) أى قبل اتيانهم مسلمين لانهم حربيون حينئذ (قوله لا بعده) أى لان اسلامهم يعصم مالهم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الامر فقصده أن يبهر عقلها بالامور المستغربة لتزداد ايمانا (قوله عفريت) بكسر العين وقرئ شذوذا بفتحها (قوله وهو القوى) أى وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل صخر (قوله انا آتيك به) يحتمل أنه فعل مضارع أصله أأتى بهمزتين أبدلت الثانية الفا ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم (قوله من مقامك) أى مجلسك (قوله أسرع من ذلك) أى لان المقصود الاتيان به قبل أن تقدم هى والحال أن بين قدومها مسيرة ساعة ونصف ومجلسه من الغداة الى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أى وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) بالمد والقصر وكان وزير سليمان وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى وقيل الذى عنده علم من الكتاب هو جبريل وقيل الخضر وقيل ملك آخر وقيل سليمان نفسه وعلى هذا فالخطاب فى قوله أنا آتيك للعفريت وما مشى عليه المفسر هو المشهور (قوله كان صديقا) أى مبالغا فى الصدق مع الله ومع عباده (قوله طرفك) هو بالسكون البصر (قوله قال) أى آصف وقوله له أى لسليمان (قوله دعا بالاسم الاعظم) قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام وقيل ياحى ياقيوم وقيل يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها (قوله بان جرى تحت الارض) أى بحمل الملائكة له لامر الله لهم بذلك (قوله أى ساكنا) أى غير متحرك كانه وضع من قبل بزمن متسع وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول والا كان واجب الحذف لان الظرف يكون مستقرا وعلى

(من فضل ربى ليبلونى) ليختبرنى (أأشكر) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (أم أكفر) النعمة (ومن شكر فانما (١٦٤) يشكر لنفسه) اى لاجلها لان ثواب شكره له (ومن كفر) النعمة (فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالافضال على من يكفرها (قال نكروا لها عرشها) اى غيروه الى حال تنكره اذا راته (ننظر أتهتدى) الى معرفته (أم تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفة ما يغير عليهم قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له ان فيه شيئا فغيروه بزيادة أو نقص اوغير ذلك (فلما جاءت قيل) لها (أهكذا عرشك) اى امثل هذا عرشك (قالت كانه هو) اى فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها اذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت نعم قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما (واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها) عن عبادة الله (ما كانت تعبد من دون الله) اى غيره (انها كانت من قوم كافرين قيل لها) ايضا (ادخلى الصرح) هو سطح من زجاج ابيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له ان ساقيها وقدميها كقدمى الحمار (فلما راته حسبته لجة) من الماء (وكشفت عن ساقيها) لتخوضه وكان سليمان على سريره فى صدر الصرح فراى ساقيها وقدميها حسانا (قال) لها (انه صرح ممرد) مملس (من قوارير) اى زجاج ودعاها الى الاسلام (قالت رب انى ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (واسلمت) كائنة (مع سليمان لله رب العالمين) واراد تزوجها فكره شعر

ماذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر (قوله من فضل ربى) اى احسانه الى (قوله وادخال الف الخ) اى فالقرآت اربع سبعيات وبقيت خامسة وهى ادخال الف بين المحققين (قوله لان ثواب شكره له) اى لان الشكر سبب فى زيادة النعم قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قوله بالافضال على من يكفرها) اى فلا يقطع نعمه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف فى المعنى على قوله قال هذا من فضل ربى وكلاهما مرتب على قوله فلما رآه مستقرا عنده (قوله الى حالة تنكره اذا رأته) اى فالتنكير ابهام الشئ بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه النكرة والمعرفة فى اصطلاح النحويين (قوله ننظر) هو جواب الامر (قوله قصد بذلك الخ) اشار بذلك الى حكمة التغيير (قوله لما قيل له ان فيه شيئا) اى نقصا والقائل له ما ذكر الجن وقالوا له ايضا ان رجليها كرجلى حمار وقالوا له ايضا ان فى ساقيها شعرا لانهم ظنوا انه يتزوجها فكرهوا ذلك لئلا تفشى له اسرار الجن ولئلا ياتى له منها اولاد فيخلعوه فى استخدام الجن فيدوم عليهم الذل (قوله قيل لها) القائل لها سليمان أو ماموره (قوله أهكذا عرشك) الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم اشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر وفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه وكان مقتضاه ان يقال أكهذا عرشك (قوله اى أمثل هذا) اشار بذلك الى ان الكاف اسم بمعنى مثل وقولهم لا يفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بشئ من حروف الجر الا بالكاف معناه ولو صورة وان كانت فى المعنى اسما بمعنى مثل (قوله وشبهت عليهم الخ) اى فاتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان والمشاكلة الاتيان بمثل الكلام السابق وان لم يتحد الكلامان كقوله تعالى ومكروا ومكر الله (قوله قال سليمان) اى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) اى العلم بالله وصفاته من قبل ان تؤتى هى العلم بما ذكر وكنا مسلمين من قبل ان تسلم فنحن اسبق منها علما واسلاما (قوله وصدها) اى منعها وقوله ما كانت فاعل صد والمعنى منعها عن عبادة الله الذى كانت تعبده من دون الله وهو الشمس (قوله انها كانت من قوم كافرين) بكسر ان فى قراءة العامة استئناف وقرئ شذوذا بفتحها على اسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها ايضا) اى كما قيل نكروا لها عرشها (قوله هو سطح) وقيل الصرح القصر أو صحن الدار (قوله من زجاج ابيض) اى وهو المسمى بالبلور (قوله اصطنعه سليمان) اى امر الشياطين به فحفروا حفيرة كالصهريج واجروا فيها الماء ووضعوا فيها سمكا وضفدعا وغيرهما من حيوانات البحر وجعلوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن لم يكن عالما به يظن انه ماء مكشوف يخاض فيه مع انه ليس كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجن (قوله فلما رأته) اى ابصرته (قوله وكشفت عن ساقيها) اى على عادة من اراد خوض الماء قيل لما رأت اللجة فزعت وظنت انه قصد بها الغرق فلما لم يكن لها بد من امتثال الامر سلمت وكشفت عن ساقيها (قوله لتخوضه) اى لاجل ان تصل الى سليمان (قوله فرأى ساقيها الخ) اى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله ممرد) صفة اولى لصرح وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله مملس) ومنه الامرد للملاسة وجهه اى نعومته لعدم الشعر به (قوله بعبادة غيرك) اى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التاء فى اسلمت كما اشار لذلك بقوله كائنة والمعنى اسلمت حالة كونى مصاحبة له فى الدين ولا يصح ان يكون متعلقا باسلمت لانه يوهم انها متحدة معه فى الاسلام فى زمن واحد

(قوله

(قوله فعملت له الشياطين النورة) اى بعد ان سال الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسي فقالت لم يمس الحديد جسمي فكره سليمان الموسي وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندرى فسال الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) اى وولدت منه ولدا وسمته داود ومات فى حياة أبيه وبقيت معه الى ان مات وهذا احد قولين وقيل انها لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك ان تحرمى ما احل الله قالت ان كان ولا بد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا ايديهم وتفرقوا (قوله واقرها على ملكها) اى وامر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها فى الارتفاع والحسن (قوله ويقيم عندها ثلاثة ايام) اى وكان يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (قوله روى انه ملك) اى اعطى الملك (قوله فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) اى فما سواه يفنى وهو الباقى بلا زوال قال العارف

ما آدم فى الكون وما ابليس * ما ملك سليمان وما بلقيس

الكل اشارة وانت المعنى * يا من هو للقلوب مغناطيس

فالاكوان جميعها اشارات دالة على المقصود بالذات وهو الله الواحد القهار (قوله ولقد ارسلنا الى ثمود) شروع فى القصة الرابعة من هذه السورة وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبى القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث وتسمى عادا الثانية واما عاد الاولى فهم قوم هود (قوله اخاهم صالحا) اى فى النسب لانه من اولاد ثمود الذى هو ابو القبيلة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله اى بان اعبدوا الله) اشار بذلك الى ان ان مصدرية وحرف الجر محذوف ويصح ان تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحدوه) اى اعتقدوا انه واحد فى ذاته وصفاته وافعاله لا شريك له فى شيء منها (قوله فاذا هم) اذا الفجائية والمعنى ففاجأ ارساله تفرقهم واختصامهم فآمن فريق وكفر فريق وتقدم حكاية اختصام الفريقين فى سورة الاعراف فى قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه (قوله من حين ارساله) اى وبعد ظهور المعجزات (قوله لم تستعجلون بالسيئة) أى لاى شيء تستعجلون العذاب وتطلبونه لانفسكم ولا تطلبون الرحمة ويصح ان يراد بالسيئة والحسنة اسباب العذاب واسباب الرحمة والمعنى لم يؤخرون الايمان الذى هو سبب فى الرحمة وتقدمون الكفر الذى هو سبب العذاب (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله من الشرك) اى بان تتركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلكم ترحمون) الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقيق لانه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده (قوله ادغمت التاء فى الطاء) اى بعد قلبها طاء (قوله واجتلبت همزة الوصل) أى للتوصل للنطق بالساكن (قوله اى تشاءمنا) أى أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله حيث قحطوا المطر) اى حبس عنهم (قوله قال طائركم عند الله) اى جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم لا وصفى وسمى طائرا لانه ياتى الظالم فتة وسرعة

ساقيها فعملت له الشياطين النورة فازالته بها فتزوجها واحبها واقرها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان روى انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم) من القبيلة (صالحا ان) اى بان (اعبدوا الله) وحدوه (فاذا هم فريقان يختصمون) فى الدين فريق مؤمنون من حين ارساله اليهم وفريق كافرون (قال) للمكذبين (ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) اى بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم ان كان ما اتيتنا به حقا فائتنا بالعذاب (لولا) هلا (تستغفرون الله) من الشرك (لعلكم ترحمون) فلا تعذبون (قالوا اطيرنا) اصله تطيرنا ادغمت التاء فى الطاء واجتلبت همزة الوصل اى تشاءمنا (بك وبمن معك) اى المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا (قال طائركم) شؤمكم (عند الله) اتاكم به (بل انتم قوم

تفتنون) تختبرون بالخير والشر (وكان في المدينة) مدينة ثمود (تسعة رهط) اى رجال يفسدون فى الارض بالمعاصى

منها قرضهم الدنانير والدراهم (ولا يصلحون) بالطاعة (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (تقاسموا) اى احلفوا (بالله لنبيتنه) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (واهله) اى من آمن به اى نقتلهم ليلا (ثم لنقولن) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لوليه) اى ولى دمه (ماشهدنا) حضرنا (مهلك اهله) بضم الميم وفتحها اى اهلاكهم أو هلاكهم فلاندرى من قتلهم (وانا لصادقون ومكروا) فى ذلك (مكرا ومكرنا مكرا) اى جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) اهلكناهم (وقومهم اجمعين) بصيحة جبريل أو برمى الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم (فتلك بيوتهم خاوية) اى خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الاشارة (بما ظلموا) بظلمهم اى كفرهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا فيتعظون (وأنجينا الذين آمنوا) بصالح وهم اربعة آلاف (وكانوا يتقون) الشرك (ولوطا) منصوب باذكر مقدرا قبله و يبدل منه (اذقال لقومه أتاتون الفاحشة) اى اللواط (وانتم تبصرون) أى

كنزول الطائر (قوله تفتنون) اتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلا نحن قوم نقرأو يقرؤن (قوله تختبرون بالخير والشر) اى لتعلموا أن ماأصابكم من خير فمن الله وماأصابكم من شر فبما كسبت ايديكم (قوله مدينة ثمود) اى وهى الحجر وتقدم انه واد بين الشام والمدينة (قوله تسعة رهط) الرهط مادون العشرة من الرجال والنفر مادون السبعة الى الثلاثة (قوله أى رجال) دفع بذلك مايقال ان تمييز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفردا فاجاب بانه وان كان مفردا فى اللفظ فهو جمع فى المعنى وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح ان مولودا يولد فى شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر ان يقتل ابنه فعاش ذلك الولد ونبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة حزنوا على قتل اولادهم فسول لهم الشيطان ان يجتمعوا فى غار فاذا جاء الليل خرجوا الى صالح وقتلوه وتقدم انهم اجتمعوا فى الغار فارادوا ان يخرجوا منه فسقط عليهم الغار فقتلهم وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف وقيل انهم جاؤا ليلا لقتله شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالاحجار كما أفاده المفسر (قوله اى احلفوا) اشار بذلك الى ان قوله تقاسموا فعل أمر أى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) اى مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب ان يقول بالتاء لان ضم التاء لا يكون الا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى من آمن به) وسيأتى انهم اربعة آلاف (قوله بالنون) اى مع فتح اللام وقوله والتاء اى فقراءة النون هنا مع قراءة النون فى الذى قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله اى ولى دمه) اى دم من قتل من صالح ومن معه (قوله مهلك اهله) اى اهل ولى الدم الذى يقوم عند موت صالح واقاربه المؤمنين به (قوله بضم الميم) اى مع فتح اللام وقوله وفتحها اى مع فتح اللام وكسرها فالقرا آت ثلاث سبعيات (قوله اى اهلاكهم) راجع للضم لانه من الرباعى (قوله وهلاكهم) راجع للفتح بوجهيه لانه من الثلاثى (قوله وانا لصادقون) اى ونحلف انا لصادقون أو المعنى والحال انا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكرا) اى ارادوا اخفاء ما بيتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله ومكرنا مكرا) اى اهلكناهم من حيث لا يشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

والا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى لانه التحيل على الغدر وهو من صفات العاجز والعجز على الله محال (قوله فانظر) اى تامل وتفكر (قوله انا دمرناهم) بكسر ان على الاستئناف وفتحها على انه خبر لمحذوف اى وهى تدميرنا اياهم والقراءتان سبعيتان (قوله او برمى الملائكة) او للتنويع اى ان عذابهم نوعان موزعان عليهم رمى الحجارة على التسعة بسبب تبييتهم على قتل صالح واهله والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة ولو قال المفسر اهلكناهم برمى الملائكة الحجارة وقومهم اجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح (قوله فتلك بيوتهم) مبتدأ وخبر اى ديارهم (قوله بظلمهم) اشار بذلك الى ان ما مصدرية والباء سببية (قوله ان فى ذلك) اى المذكور من اهلاكهم (قوله وانجينا الذين آمنوا) اى من الهلاك فخرج صالح بهم الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسميت تلك البلد بذلك ثم بنى الاربعة آلاف مدينة يقال لها حاضوراء (قوله وكانوا يتقون) اى يدومون على اتقاء الشرك بان لم يرتدوا (قوله و يبدل منه) اى بدل اشتمال والمراد ذكر القول لا ذكر وقته (قوله لقومه) اى من حيث ارساله اليهم واقامته عندهم والا فهو فى الاصل من أرض

بابل فلما قدم مع عمه ابراهيم الى الشام نزل ابراهيم بفلسطين و نزل لوط بسدوم (قوله يبصر بعضكم بعضا) أشار بذلك الى ان المراد الا بصار بالعين وقيل المراد إبصار القلب و يكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة (قوله وادخال ألف بينهما) اى وتركه فالقرا آت أربع سبعيات (قوله لتاتون الرجال شهوة من دون النساء) أشار بذلك الى أنهم أساؤا من الطرفين فى الفعل والترك وقوله شهوة مفعول لاجله (قوله عاقبة فعلكم) أى وهى العذاب الذى نزل بهم (قوله فما كان جواب قومه) خبر كان مقدم وقوله الا أن قالوا اسمها مؤخر (قوله آل لوط) المراد هو وأهله وهم بنتاه وزجته المؤمنة (قوله من قريتكم) الاضافة للجنس لانه تقدم ان قراهم كانت خمسة وأعظمها سذوم (قوله يتطهرون) اى يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (قوله فانجيناه وأهله) اى فخرج لوط باهله من أرضهم وطوى الله له الارض حتى نجا ووصل الى ابراهيم (قوله الباقين فى العذاب) اى الذى حل بهم وهو ان جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قيل كان فيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) اى على من كان فى ذلك الوقت خارجا عن المدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجارة السجيل) اى الطين المحرق (قوله مطرهم) هو المخصوص بالذم (قوله قل الحمد لله) لما تمم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكرا له على نصرة أهل الحق والايمان وقطع دابر اهل الكفر والطغيان وتمهيدا لما يذكر من أدلة التوحيد التى أقامها ردا على المشركين والسر فى ذلك انصات العاقل وأصغاؤه ليدخل فى زمرة من سلم الله عليهم (قوله وسلام) اى أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الانبياء والرسل وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو هذه الامة وقيل كل مؤمن من مبدا الدنيا الى منتهاها ومعنى اصطفى اختارهم أزلا لخدمته وطاعته فى الدنيا ولجنته ونعيمه فى الآخرة فالاصل اصطفاء الله للعبد فلولا اصطفاؤه له ماوفق العبد لخدمة ربه ومن هذا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) ظاهر المفسر ان القرا آت أربع وهو سبق قلم والصواب ان هنا قراءتين فقط تسهيل الثانية مقصورة وابدالها ألفا ممدودة مدا لازما وتقدم ان هذين الوجهين يجريان فى خمسة مواضع فى القرآن غير هذا اثنان فى الانعام آالذاكرين فى الموضعين وثلاثة فى يونس آالله أذن لكم آلآن فى الموضعين (قوله خير) خبر لفظ الجلالة وهو اما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار اوصفة لاتفضيل فيها والكلام على حذف مضاف والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده أم الاصنام خير لمن عبدها فهو تهكم بالمشركين لانهم اختاروا عبادة الاصنام على عبادة الله والاختيار للشئ لايكون الا لخير ومنفعة ولا خير فى عبادتها وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (قوله أم مايشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود المعادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية فهى منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الانكارى (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى أهل مكة) تفسير للواو فى يشركون (قوله اى الآلهة) تفسير لما والمعنى أم الآلهة التى يشركونها به خير لعابديها (قوله أمن خلق السموات والارض) القراءة السبعية بادغام احدى الميمين فى الاخرى وأم منقطعة ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره خير أم مايشركون وقرئ شذوذا بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام (قوله فيه الالتفات) اى وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل اشارة الى ان الله تعالى هو المنبت للاشجار والزرع لاغيره وخلقها مختلفة الالوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد (قوله وهو البستان المحوط) اى المجعول عليه حائط لعزته (قوله ذات بهجة) صفة لحدائق وأفرد لكونه جمع كثرة لما لا يعقل (قوله ما كان لكم) اى لاينبغى لانكم

يبصر بعضكم بعضا انهماكا فى المعصية (أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) عاقبة فعلكم (فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط) أهله (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فانجيناه وأهله الا امرأته قدرناها) جعلناها بتقديرنا (من الغابرين) الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هو حجارة السجيل اهلكتهم (فساء) بئس (مطر المنذرين) بالعذاب مطرهم (قل) يامحمد (الحمد لله) على هلاك كفار الامم الخالية (وسلام على عباده الذين اصطفى) هم (آلله) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه (خير) لمن يعبده (امما يشركون) بالتاء والياء اى اهل مكة به اى الآلهة خير لعابديها (امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا) فيه التفات من الغيبة الى التكلم (به حدائق) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذات بهجة) حسن (ماكان لكم

ان تنبتوا اشجرها) لعدم قدرتكم عليه (أإله) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين فى مواضعه السبعة (مع الله) اعانة على ذلك اى ليس معه اله (بل هم قوم يعدلون) يشركون بالله غيره (أمن جعل الارض قرارا) لا تميد باهلها (وجعل خلالها) فيما بينها (أنهارا وجعل لها رواسي) جبالا اثبت بها الارض (وجعل بين البحرين حاجزا) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيده (أمن يجيب (١٦٨) المضطر) المكروب الذى مسه الضر (اذا دعاه ويكشف السوء) عنه

وعن غيره (ويجعلكم خلفاء الارض) الاضافة بمعنى فى اى يخلف كل قرن القرن الذى قبله (أإله مع الله قليلا ما يذكرون) يتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه ادغام التاء فى الذال وما زائدة لتقليل القليل (امن يهديكم) يرشدكم الى مقاصدكم (فى ظلمات البر والبحر) وبالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهارا (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) اى قدام المطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) به غيره (امن يبدأ الخلق) فى الارحام من نطفة (ثم يعيده) بعد الموت وان لم يعترفوا بالاعادة لقيام البراهين عليها (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أإله مع الله) اى لا يفعل شيأ مما ذكر الا الله ولا اله معه (قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) حجتكم ان كنتم صادقين) ان معى الها فعل شيأ مما ذكر

عاجزون عن اخراج النبات وان كنتم قادرين على السقى والغرس ظاهرا (قوله ان تنبتوا اشجرها) أى فضلا عن ثمارها وأشكالها (قوله وادخال الف بينهما) اى وتركه فالقراآت أربع سبعيات (قوله فى مواضعه السبعة) أى مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ أإله خمس مرات وائذا وائنا (قوله اى ليس معه اله) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى وكذا يقال فيما بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) اضراب انتقالى من تبكيتهم الى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الارض قرارا) اى مستقرا للانسان والدواب لا تتحرك بما على ظهرها (قوله فيما بينها) اشار بذلك الى ان قوله خلالها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق ويصح ان تكون بمعنى صير وخلالها مفعول ثان (قوله حاجزا) اى معنويا غير مشاهد (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) اى وكفرهم تقليد والاقل يعلم الادلة وكفرهم عناد (قوله المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء اصلها تاء الافتعال قلبت طاء لوقوعها اثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله اذا دعاه) اشار بذلك الى ان اجابة المضطر متوقفة على دعائه فلا ينبغى لمن كان مضطرا ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما اراده سبحانه وتعالى لان الله ارأف على العبد من نفسه فالعاقل اذا دعا الله يسلم فى الاجابة لمراد الله (قوله الاضافة بمعنى فى) اى فالمعنى يجعلكم خلفاء فى الارض (قوله وفيه ادغام التاء فى الذال) اى بعد قلبها دالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة لتقليل القليل) اى فالمراد تأكيد القلة (قوله وبعلامات الارض) اى كالجبال (قوله اى قدام المطر) اى امامه (قوله وان لم يعترفوا بالاعادة) اشار بذلك الى سؤال وارد حاصله كيف يقال لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده مع انهم منكرون للاعادة واشار الى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها وايضاحه ان يقال انهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كانهم لم يبق لهم عذر فى انكار الاعادة بل ذلك محض جحود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم اثر قيام الادلة على انه لا يستحق العبادة غيره (قوله ان معى الها) الاوضح ان يقول ان مع الله الها لان النبى مامور بهذا القول وهو لا يقول لهم ان كنتم صادقين ان معى الها (قوله وسالوه) أى المشركون (قوله من فى السموات والارض) من فاعل يعلم والجار والمجرور صلتها والغيب مفعول به والا اداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يعلمه والتقدير لا يعلم الذى ثبت فى السموات كالملائكة والارض كالانس الغيب لكن الله هو الذى يعلمه (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن فى السموات والارض على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله لكن الله الخ) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع ولا يصح جعله متصلا لايهامه أن الله من جملة من فى السموات والارض وهو محال (قوله وقت يبعثون) تفسير لايان والمناسب تفسيرها بمتى لان ايان ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت (قوله بمعنى هل) أى التى للاستفهام الانكارى (قوله اى بلغ ولحق) راجع للقراءة الاولى وقوله او تتابع راجع للثانية والمعنى هل بلغ علمهم بالآخرة او تتابع علمهم الآخرة حتى سالوا عن وقت مجئ الساعة ليس عندهم علم بذلك بل ولا اثبات حتى يسالوا عن وقت الساعة

* وسالوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قل لا يعلم من فى السموات فسؤالهم والارض) من الملائكة والناس (الغيب) اى ما غاب عنهم (الا) لكن (الله) يعلمه (وما يشعرون) اى كفار مكة كغيرهم (ايان) وقت (يبعثون بل) بمعنى هل (أدرك) بوزن أكرم فى قراءة وفى أخرى ادارك بتشديد الدال واصله تدارك ابدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال واجتلبت همزة الوصل اى بلغ ولحق او تتابع وتلاحق (علمهم فى الآخرة) اى بها حتى سالوا عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك (بل هم

فى شك منها بل هم منها عمون) من عمى القلب وهو ابلغ مما قبله والاصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الميم بعد حذف كسرتها (وقال الذين كفروا) ايضا فى انكار البعث (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من القبور (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان) ما (هذا الا اساطير الاولين) جمع اسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب (ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (١٦٩) أى لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصروك عليهم (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل عسى ان يكون ردف) قرب (لكم بعض الذى تستعجلون) فحصل لهم القتل ببدر و باقى العذاب يأتيهم بعد الموت (وان ربك لذو فضل على الناس) ومنه تاخير العذاب عن الكفار (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فالكفار لا يشكرون تاخير العذاب لانكارهم وقوعه (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) تخفيه (وما يعلنون) بالسنتهم (وما من غائبة فى السماء والارض) الهاء للمبالغة اى شيء فى غاية الخفاء على الناس (الا فى كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) الموجودين فى زمان نبينا (اكثر الذى هم فيه يختلفون) أى ببيان ماذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو اخذوا به واسلموا (وانه لهدى) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) من العذاب (ان ربك يقضى بينهم) كغيرهم يوم القيامة (بحكمه) أى عدله (وهو العزيز) الغالب (العليم) بما يحكم به فلا يمكن احدا مخالفته كما خالف الكفار فى الدنيا انبياءه (فتوكل على الله) ثق به (انك على الحق المبين) أى الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ثم ضرب امثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمى فقال (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان) ما (تسمع) سماع افهام وقبول (الا من يؤمن بآياتنا) القرآن (فهم مسلمون) مخلصون بتوحيد الله

قوالهم محض تعنت وعناد (قوله فى شك منها) اى الآخرة (قوله بل هم منها عمون) أى عندهم جزم بعدمها لعدم ادراكهم دلائلها (قوله بعد حذف كسرتها) اى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة اثر ضمة (قوله ايضا) اى كما قالوا ما تقدم (قوله أئذا كنا ترابا) كان فعل ماض ناقص ونا اسمها وترابا خبرها وآباؤنا معطوف على اسم كان وسوغه الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول اول وهذا مفعول ثان ونحن تاكيد لنا وآباؤنا عطف على المفعول الاول وسوغه الفصل بالمفعول الثانى والضمير المنفصل والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث كما وعد من قبله آباءنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا فى الارض) امر تهديد لهم اشارة الى انهم ان لم يرجعوا نزل بهم ما نزل بمن قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) اى لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم (قوله بانكارهم) اى المجرمين (قوله بالعذاب) اى الدنيوى لانه هو المشاهد آثاره (قوله ولا تحزن عليهم) اى لا تهتم على عدم ايمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرهم فى المستقبل فالحزن غم لما مضى والخوف غم لما يستقبل (قوله ولا تكن) بثبوت النون هنا وهو الاصل وقد حذفت من هذا المضارع فى القرآن فى عشرين موضعا تسعة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم قال ابن مالك

ومن مضارع لكان منجزم * تحذف نون وهو حذف ما التزم

(قوله فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى حرج (قوله ان كنتم صادقين) خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله القتل ببدر) اى وغيره وهذا هو العذاب المعجل (قوله وباقى العذاب الخ) اى وهو العذاب المؤجل (قوله ومنه) اى الفضل (قوله ليعلم ما تكن صدورهم) اى فالتاخير ليس لخفاء حالهم عليه (قوله الهاء للمبالغة) اى كراوية وعلامة وسماها هاء باعتبار الوقف ولو قال التاء لكان اسهل وقيل انها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية ونظيرها الذبيحة والنطيحة فى انها اسماء غير صفات (قوله ومكنون علمه) الواو بمعنى او لانه تفسير ثان فتسميته كتابا على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه بالكتاب كالسجل الذى يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شيء منها (قوله أكثر الذى هم فيه يختلفون) اى فقد نص بالتصريح على الاكثر فلا ينافى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شيء ومن جملته اختلافهم فى شان المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباغض حتى لعن بعضهم بعضا (قوله اى عدله) دفع بذلك ما يقال ان القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقضى بقضائه أو يحكم بحكمه فاجاب بان المراد بالحكم العدل (قوله فلا يمكن احدا مخالفته الخ) تفريع على العزيز فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله فتوكل على الله الخ) تفريع على كونه عزيزا عليما اى فاذا ثبتت له هذه الاوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الامور اليه والثقة به (قوله انك على الحق المبين) علة للتوكل وكذا قوله انك لا تسمع الموتى (قوله بينها وبين الياء) اى فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) اى معرضين (قوله بهادى العمى) ضمنه معنى الصرف فعداه بعن (قوله الا من يؤمن بآياتنا) اى من سبق فى علم الله أنه يكون مؤمنا ومن

(واذا وقع القول عليهم) حق العذاب ان ينزل بهم في جملة الكفار (أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) اى تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (ان الناس) اى كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة ان تقدر الباء بعد تكلمهم (كانوا بآياتنا لا يوقنون) اى لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب و بخروجها ينقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (و) اذكر (يوم نحشر من كل أمة فوجا) جماعة (ممن يكذب بآياتنا) وهم رؤساؤهم المتبوعون (فهم يوزعون) اى يجمعون برد آخرهم الى اولهم ثم يساقون (حتى اذا جاؤا) مكان الحساب (قال) تعالى لهم (أكذبتم) أنبيائي (بآياتي

هنا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله واذا وقع القول) اى قرب وقوعه وانما عبر بالماضي لحصوله فى علم الله لان الماضي والحال والاستقبال فى علم الله واحد لاحاطته بها والمراد بالقول مواعيد القرآن بالفضائح والخزى والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسير لوقع والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الارض) اى وهى الجساسة وورد فى الحديث ان طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وعن أبى هريرة رضى الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن على رضى الله عنه انها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينما الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد وقيل تخرج من الصفا المروى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم اى تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء بها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من اهل الجنة وأنت يا فلان من اهل النار وروى ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها واختلف ايضا فى تعيين هذه الدابة فقيل هى فصيل ناقة صالح وهو أصح الاقوال فانه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسير لتكلمهم (قوله عنا) متعلق بمحذوف اى حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بان تقول قال الله ان الناس الخ (قوله اى كفار مكة) المناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة ان تقدر الباء) اى للتعدية او للسببية واما على قراءة الكسر فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الامر بالمعروف الخ) اى لعدم افادة ذلك لانه فى ذلك الوقت تظهر المؤمن والكافر عيانا بوسم الدابة فمن وسمته بالكفر لا يمكن تغييره فحينئذ لا ينفع أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ووجد فى بعض النسخ ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر اى لا يوجد فى هذا الوقت من ينوب الى الله اى يرجع اليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا ايمان كافر (قوله و يوم نحشر) اى الحشر الخاص بهم للعذاب بعد انقضاض الحشر العام لجميع الخلق قوله من كل أمة) من تبعيضية وقوله ممن يكذب بيانية للفوج (قوله فوجا) الفوج فى الاصل الجماعة المارة المسرعة ثم اطلق على الجماعة مطلقا (قوله رؤساؤهم) اى كأبى جهل وابى بن خلف وفرعون وقارون والنمرود وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة (قوله يرد آخرهم الى اولهم) المناسب ان يقول يرد اولهم على آخرهم اى يحبس اولهم و يوقف حتى يأتى آخرهم و يجتمعون ثم يساقون (قوله أكذبتم بآياتى) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى

أنكرتموها وبجحدتموها (قوله ولم تحيطوا بها علما) الجملة حالية مؤكدة للانكار والتوبيخ والمعنى أنكرتموها من غير فهمها وتاملها فهم مؤاخذون بالجهل والكفر (قوله أم ماذا) أم منقطعة بمعنى بل وما اسم استفهام أدغمت ميم أم فى ما فقوله فيه ادغام ما الاستفهامية أى الادغام فيها (قوله حق العذاب) أى نزل بهم وهو كبهم فى النار (قوله فهم لا ينطقون) أى بحجة واعتذار (قوله ألم يروا) أى يعلموا (قوله انا جعلنا الليل) أى مظلما بدلالة قوله والنهار مبصرا عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله والنهار مبصرا بدلالة قوله ليسكنوا فيه عليه ففى الآية احتباك (قوله بمعنى يبصر فيه) أى فالاسناد مجازى من الاسناد الى الزمان (قوله ليتصرفوا فيه) اى بالسعى فى مصالحهم (قوله ان فى ذلك) اى الجعل المذكور (قوله دلالات على قدرته تعالى) اى من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة (قوله ويوم ينفخ فى الصور) معطوف على قوله ويوم نحشر من كل امة فوجا (قوله النفخة الاولى) اى وتسمى نفخة الصعق ونفخة الفزع نعبر عنها هنا بالفزع وفى سورة الزمر بالصعق قال تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الخ فعند حصولها يموت كل حى ماعدا ما استثنى واما النفخة الثانية فعندها يحيا كل من كان ميتا فالنفخة اثنان وبينهما اربعون سنة وقيل انها ثلاث نفخة الزلزلة وذلك حين تسير الجبال وترتج الارض باهلها ونفخة الموت ونفخة الاحياء والقول الاول هو المشهور والصحيح فى الصور انه قرن من نور خلقه الله واعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والارض ويسمى بالبوق فى لغة اليمن (قوله من اسرافيل) اى وهو احد الرؤساء الاربعة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (قوله من فى السموات ومن فى الارض) اى من كل من كان حيا فى ذلك الوقت (قوله اى خافوا الخوف المفضى الى الموت) اى استمر بهم الخوف الى ان ماتوا به (قوله والتعبير بالماضى الخ) جواب عما يقال ان الفزع مستقبل فلم عبر بالماضى فاجاب بانه لتحققه نزل منزلة الواقع لان الماضى والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد لتعلق العلم به (قوله اى جبريل الخ) اى فهؤلاء الاربعة لا يموتون عند النفخة الاولى بخلاف باقى الملائكة وانما يموتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل اهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار وقيل موسى وقيل جميع الانبياء (قوله اذهم احياء) اى حياة برزخية لا تزول ولا تحول ولكن ليست كحياة الدنيا (قوله اى كلهم) اى المخلوقات من صعق ومن لم يصعق (قوله بصيغة الفعل) اى الماضى فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) اى فيقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو واصله آتونه حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) اى اذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائع والعاصى وليس المراد ذل المعاصى والمعنى ان اسرافيل حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية التى بها يكون احياء الخلق يأتى كل انسان ذليلا لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ (قوله وقت النفخة) اى الثانية لان تبديل الارض وتسيير الجبال وتسوية الارض انما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا الآية وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الآية (قوله لعظمها) اى وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت مرة واحدة لا تكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب ابقاء اللفظ على ظاهره لان تفسير السحاب بالمطر لم يقله احد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف والاصل مر السحاب بالمطر (قوله حتى تقع) اى الجبال على

عما امرتم به (ووقع القول) حق العذاب (عليهم بما ظلموا) اى اشركوا (فهم لا ينطقون) اذ لا حجة لهم (ألم يروا أنا جعلنا) خلقنا (الليل ليسكنوا فيه) كغيرهم (والنهار مبصرا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الايمان بخلاف الكافرين (ويوم ينفخ فى الصور) القرن النفخة الاولى من اسرافيل (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) أى خافوا الخوف المفضى الى الموت كما فى آية أخرى فصعق والتعبير فيه بالماضى لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) أى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وعن ابن عباس هم الشهداء اذهم احياء عند ربهم يرزقون (وكل) تنوينه عوض عن المضاف اليه اى وكلهم بعد احيائهم يوم القيامة (أتوه) بصيغة الفعل واسم الفاعل (داخرين) صاغرين والتعبير فى الاتيان بالماضى لتحقق وقوعه (وترى الجبال) تبصرها وقت النفخة (تحسبها) تظنها (جامدة) واقفة مكانها لعظمها (وهى تمر مر السحاب) المطر اذا ضربته الريح اى تسير سيره حتى تقع على الارض فتستوى بها

مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله اضيف الى فاعله بعد حذف عامله اى صنع الله ذلك صنعا (الذى اتقن) احكم (كل شيء) صنعه (انه خبير بما يفعلون) بالياء والتاء اى اعداؤه من المعصية واولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) اى لا اله الا الله يوم القيامة (فله خير) ثواب (منها) اى بسببها وليس للتفضيل اذ لا فعل خير منها وفى آية اخرى عشر امثالها (وهم) اى الجاؤن بها (من فزع يومئذ) بالاضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منونا وفتح الميم (آمنون ومن جاء بالسيئة) اى الشرك (فكبت وجوههم فى النار) بان وليتها وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب اولى ويقال لهم تبكيتا (هل) اى ما (تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون) من الشرك والمعاصى قل لهم (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة) اى مكة (الذى حرمها) اى جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم انسان ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم على قريش اهلها فى رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة فى جميع بلاد العرب (وله) تعالى (كل شيء) فهو ربه وخالقه ومالكه (وامرت ان اكون من المسلمين) لله بتوحيده (وان اتلو القرآن) عليكم تلاوة الدعوة الى الايمان (فمن اهتدى) له (فانما يهتدى لنفسه) اى لاجلها فان ثواب اهتدائه له (ومن ضل) عن الايمان واخطأ طريق الهدى (فقل) له (انما انا من المنذرين) المخوفين فليس على الا التبليغ وهذا قبل الامر بالقتال (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) فاراهم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وادبارهم وعجلهم الله الى النار (وما ربك بغافل عما يعملون) بالياء والتاء وانما يمهلهم لوقتهم ﴿سورة القصص مكية الا ان الذى فرض الآية

الارض (قوله مبسوسة) اى مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) اى الصوف المنفوش (قوله مؤكد لمضمون الجملة قبله) اى لان ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك انما هو من صنع الله لا غيره (قوله الذى اتقن كل شيء) اى وضعه فى محله على أكمل حالاته (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى لا اله الا الله) انما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لان الكب فى النار ليس بمطلق سيئة بل انما يكون بالكفر وهو يقابل الايمان وحينئذ فأل فى الحسنة للعهد اى الحسنة المعهودة وهى كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر (قوله فله خير منها) اى وهو الخلود فى الجنة (قوله اى بسببها) أشار بذلك الى ان من للسببية وتصح ان تكون للتعليل اى من أجل مجيئه بها (قوله وليس للتفضيل) اى ليس خير أفعل تفضيل لانه ليس عبادة أفضل من لا اله الا الله ويؤيد ما قاله المفسر ما روى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والامن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من لا اله الا الله (قوله بالاضافة) اى اضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) اى للاعراب وقوله وفتحها اى فتحة بناء وهى قراءة ثانية فى الاضافة وقوله وفزع منونا معطوف على قوله بالاضافة فتكون القراآت ثلاثا سبعيات فكان الاوضح ان يعبر بأو بدل الواو وفى الاخير (قوله آمنون) اى لا يصيبهم منه شيء والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب وبالفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة فى ذلك اليوم فلا تنافى بين اثباته فيما تقدم ونفيه هنا (قوله فكبت وجوههم) اى القوا عليها فى النار (قوله ويقال لهم) اى وقت كبهم على وجوههم فى النار والقائل لهم خزنتها (قوله اى ما تجزون الخ) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله قل لهم انما أمرت الخ) أمر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يحصل فى المعاد اشارة الى ان عبادة الله هى المقصودة بالذات له آمنوا أو كفروا فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بامر أنفسهم ورجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذى حرمها) صفة للرب ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة لان اسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه واسناد التحريم لابراهيم باعتبار اخباره بذلك واظهاره (قوله ولا يختلى خلاها) اى لا يقطع حشيشها الرطب (قوله وأمرت ان اكون من المسلمين) أى أثبت على ما كنت عليه (قوله وان اتلو القرآن) أى اواظب عليه لتكشف لى حقائقه ورقائقه لان علوم القرآن كثيرة فبتكرار التلاوة ازداد علوما ومعارف وفى هذه الآية أشعار بان تلاوة القرآن أعظم العبادات قدرا عند الله (قوله فمن اهتدى له) اى للايمان (قوله فقل انما انا من المنذرين) هو جواب الشرط والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اى فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) اى على ما أعطانى من النعم العظيمة التى اجلها النبوة التى بها ارشاد الخلق لصلاحهم (قوله سيريكم آياته) اى فى الدنيا (قوله وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) اى وجوه الذين قتلوا وادبارهم (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الاولى هو وعيد محض وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين

﴿سورة القصص﴾

سميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والاخبار المروية عن الله لان القصص مصدر بمعنى الاخبار وتسمى

نزلت بالجحفة والا الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وهي سبع او ثمان وثمانون آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) الله اعلم بمراده بذلك (تلك) اى هذه الآيات (آيات الكتاب) الاضافة بمعنى من (١٧٣) (المبين) المظهر الحق من الباطل (نتلوا) نقص (عليك من نبا) خبر (موسى وفرعون بالحق) الصدق (لقوم يؤمنون) لاجلهم لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا) تعظم (فى الارض) ارض مصر (وجعل اهلها شيعا) فرقا فى خدمته (يستضعف طائفة منهم) هم بنو اسرائيل (يذبح ابناءهم) المولودين (ويستحيي نساءهم) يستبقيهن احياء لقول بعض الكهنة له ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب زوال ملكك (انه كان من المفسدين) بالقتل وغيره (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء يقتدى بهم فى الخير (ونجعلهم الوارثين) ملك فرعون (ونمكن لهم فى الارض) ارض مصر والشام (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) وفى قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الاسماء الثلاثة (منهم ما كانوا يحذرون) يخافون من المولود الذى يذهب ملكهم على يديه (واوحينا) وحي الهام او منام (الى ام موسى) وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير اخته (ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم) البحر اى النيل (ولا تخافى) غرقه (ولا تحزنى) لفراقه (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) فارضعته ثلاثة اشهر لا يبكى وخافت عليه فوضعته فى تابوت

ايضا سورة موسى (قوله نزلت بالجحفة) اى حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا فى غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيرا له بانه يرجع الى مكان عوده وهو مكة احسن مرجع ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر وقيل المعاد الموت وقيل الآخرة وكل صحيح وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لانها لم تنزل قبل الهجرة ولم تنزل بعد استقرارها بل نزلت بالطريق (قوله الى قوله لا نبتغى الجاهلين) اى وهو اربع آيات (قوله اى هذه الآيات) اى آيات هذه السورة والاشارة لمحقق حاضر فى علم الله تعالى (قوله نتلوا عليك) مفعوله محذوف اى شيئا وقوله من نبا صفة لذلك المحذوف ويصح ان تكون من اسم بمعنى بعض هى المفعول أو زائدة على مذهب الاخفش ونبا هو المفعول (قوله بالحق) حال اما من فاعل نتلوا او من مفعوله والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق أو كون الخبر ملتبسا بالصدق (قوله لاجلهم) اشار بذلك الى ان اللام للتعليل اى ان المقصود بالذكر المؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (قوله ان فرعون) كلام مستانف بيان للنبا (قوله تعظم) اى تكبر وافتخر (قوله وجعل اهلها شيعا) اى اصنافا فجعل الصنائع الشريفة والامارة للقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبنى اسرائيل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح ابناءهم) بدل اشتمال من قوله يستضعف الخ وذلك ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصى فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وذبحوا ابناءهم بامر فرعون قيل انه ذبح سبعين الفا الى ان انجاهم الله على يد موسى عليه السلام (قوله انه كان من المفسدين) اى الراسخين فى الفساد (قوله بالقتل وغيره) اى كدعوى الالوهية (قوله ونريد ان نمن) اى نتفضل عليهم بانجائهم من باسه (قوله يقتدى بهم) اى بعد ان كانوا اذلاء مسخرين (قوله ونمكن لهم فى الارض) اى نملكهم مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاؤن (قوله ونرى فرعون) اى نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول اول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفى قراءة) اى وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله ما كانوا يحذرون وعلى هذه فتجب امالة الراء امالة محضة (قوله ورفع الاسماء الثلاثة) اى على الفاعلية (قوله منهم) اى المستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) اى وقد حصل ما خافوه حين اتتهم معجزات موسى عليه السلام وحين ادركهم الغرق (قوله وحى الهام أو منام) هذان قولان للمفسرين وقيل كان بملك تمثل لها واعترض بانها ليست بنبية واجيب بان الممنوع نزول الملائكة على غير الانبياء بالشرائع واما بغيرها فجائز كنزول الملك على البار بامه التى قدمت قصته فى البقرة (قوله الى ام موسى) اى واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة وقيل لوخا بنت هاند ابن لاوى بن يعقوب وقد اشتملت هذه الآية على امرين وهما ارضعيه والقيه ونهيين وهما لا تخافى ولا تحزنى وخبرين وبشارتين وهما انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهما خبران تضمنا بشارتين (قوله ان ارضعيه) يصح ان تكون مفسرة او مصدرية (قوله فاذا خفت عليه) اى من الذبح (قوله ولا تخافى غرقه) دفع بذلك التناقض بين اثبات الخوف ونفيه فالمثبت هو خوف الذبح والمنفى هو خوف الغرق (قوله انا رادوه اليك) اى لتامنين عليه وهو علة للنهى عن الخوف والحزن (قوله فوضعته فى تابوت) اى وكان طوله خمسة اشبار

وعرضه كذلك وجعلت المفتاح في التابوت (قوله مطلي بالقار) اى الزفت (قوله ممهد) اى مفروش له فيه ففرشت فيه قطنا محلوجا (قوله وأغلقته) اى وقيرت رأسه وحاصله ان أم موسي لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسي ومصاحبة لها فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت قد نزل بي ما نزل فليسعفني حبك اياي اليوم فعالجتها فلما ان وقع موسي بالارض هالها نور بين عيني موسي فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسي قلبها ثم قالت القابلة لها ياهذه ماجئت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ماوجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجؤا على بابها ليدخلوا على أم موسي فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسي بخرقة والقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسي ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل عليك القابلة فقالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع لها عقلها فقالت لاخت موسي فاين الصبي فقالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته ثم ان ام موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله فى نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت لى ابن أخبؤه فى التابوت وكرهت الكذب ولم تقل اخشي عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بامر أم موسي فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ما يقول فاعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم ليخبرهم فاخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيا فضربوه واخرجوه فبقى حيران فجعل لله عليه ان رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وان يكون معه و يحفظه حيث ما كانوا وعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا وقال يارب دلني على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فآمن به وصدقه وقيل لما حملت أم موسى به كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها احد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل اليهن فغتشن النساء تغتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم وهو البحر ليلا وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع له الاطباء والسحرة فنظروا فى امرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء فى البحر قد تعلق بشجرة ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا

مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته والقته فى بحر النيل ليلا

(فالتقطه) بالتابوت صبيحة الليل (آل) اعوان (فرعون) فوضعوه بين يديه وفتح واخرج موسي منه وهو يمص من
ابهامه لبنا (ليكون لهم) فى عاقبة الامر (عدوا) يقتل رجالهم (وحزنا) يستعبد نساءهم وفى قراءة بضم الحاء وسكون الزاى لغتان فى المصدر وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كاحزنه (ان فرعون وهامان) وزيره (وجنودهما كانوا خاطئين) من الخطيئة اى عاصين فعوقبوا على يديه (وقالت امرأت فرعون) وقدهم مع اعوانه بقتله هو (قرت عين لى ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا او نتخذه ولدا) فاطاعوها (وهم لا يشعرون) بعاقبة امرهم معه (واصبح فؤاد ام موسي) لما علمت بالتقاطه (فارغا) مما سواه (ان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى انها (كادت لتبدى به) اى بانه ابنها (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر اى سكناه (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ما قبلها (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اى اتبعى اثره حتى تعلمى خبره (فبصرت به) ابصرته (عن جنب) من مكان بعيد اختلاسا (وهم لا يشعرون) انها اخته وانها ترقبه (وحرمنا عليه المراضع من قبل) اى قبل رده الى أمه اى منعناه من قبول ثدى مرضعة غير امه فلم يقبل ثدى واحدة

لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هى بصبي صغير فى التابوت واذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله محبته فى قلب آسية واحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت فى الحال باذن الله تعالى فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا اى فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت آسية لا تلد فاستوهبت موسي من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر لان مو هو الماء وشا هو الشجر فاصل موسى بالمهملة موشي بالمعجمة (قوله فالتقطه آل فرعون) عطف على ما قدره المفسر بقوله فارضعته الخ (قوله صبيحة الليل) أى وكان يوم الاثنين (قوله وفتح) أى فتحته آسية بعد ان عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا (قوله فى عاقبة الامر) اشار بذلك الى ان اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة لان علة التقاطهم ان يكون حبا وابنا ففى الآية استعارة تبعية فى متعلق معنى الحرف يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية فى المحبة والتبنى بجامع مطلق الترتب الاعم من الطرفين فالترتب الثانى متعلق معنى اللام فقدر واستعارة الترتب الكلى المشبه به بالترتب الكلى المشبه فسرى التشبيه لمعنى اللام الذى هو الترتب مع الجزئى فاستعير لفظ اللام واستعمل فى الترتب الجزئى والعداوة والحزن قرينة أفادها الملوى (قوله وفى قراءة الخ) أى وهى سبعية أيضا (قوله من حزنه) هو من باب ضرب ونصر (قوله فعوقبوا على يديه) اى انه تربى على ايديهم فهو ابلغ فى اذلالهم (قوله وقالت امرأت فرعون) اى وهى آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذى كان فى زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل من بنات الانبياء من بنى اسرائيل من سبط موسى عليه السلام وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهى قاعدة الى جنبه هذا الولد اكبر من ابن سنة وانت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندى وقيل انها قالت له انه أتى من ارض أخرى وليس هو من بنى اسرائيل (قوله هو قرت عين) اشار المفسر الى انه خبر لمحذوف (قوله عسى ان ينفعنا الخ) أى لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة (قوله فاطاعوها) أى على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه (قوله وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون (قوله واصبح فؤاد أم موسي) يصح ان يبقى أصبح على ظاهره ان ثبت انها القته ليلا او يجعل بمعنى صار ان كانت القته نهارا (قوله فارغا مما سواه) أى من التفكر فى غيره لما ورد انه أتاها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ابنك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله واغرقتيه فى البحر فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به اليها (قوله لتبدى به) ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء ويصح ان يبقى على ظاهره وتكون الباء زائدة أى تظهره (قوله لولا ان ربطنا على قلبها) جوابها محذوف اى لابدت به كما أشار له المفسر (قوله بوعد الله) أى المدلول عليه بقوله انا رادوه اليك الخ (قوله لاخته) اى شقيقته (قوله مريم) هو احد أقوال وقيل اسمها كلثمة وقيل كلثوم (قوله عن جنب) حال اما من الفاعل أو من الضمير المجرور بالباء أى بصرته مستخفية كائنة عن جنب وبصرته بعيدا منها (قوله اختلاسا) اى اختفاء (قوله وانها ترقبه) اى تنظره (قوله وحرمنا عليه) اى على موسي (قوله من قبل) هو ظرف مبنى على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه (قوله أى منعناه) اشار بذلك

من المراضع المحضرة له (فقالت) اخته (هل ادلكم على اهل بيت) لما رأت حنوّهم عليه (يكفلونه لكم) بالارضاع وغيره (وهم له ناصحون) وفسرت ضميره بالملك جوابا لهم فاجيبت فجاءت بامه فقبل ثديها واجابتهم عن قبوله بانها طيبة الريح طيبة اللبن فاذن لها في ارضاعه في بيتها فرجعت به كما قال تعالى (فرددناه الى امه كي تقر عينها) بلقائه (ولا تحزن) حينئذ (ولتعلم ان وعد الله) برده اليها (ولكن اكثرهم) اي الناس (لا يعلمون) بهذا الوعد ولا بان هذه اخته وهذه امه فمكث عندها الى ان فطمته واجرى عليها اجرتها لكل

يوم دينار واخذتها لانها مال حربي فاتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (ولما بلغ اشده) وهو ثلاثون سنة او وثلاث (واستوى) اي بلغ اربعين سنة (آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقها في الدين قبل ان يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزي المحسنين) لانفسهم (ودخل) موسى (المدينة) مدينة فرعون وهي منف بعد ان غاب عنه مدة (على حين غفلة من أهلها) وقت القيلولة (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) اي اسرائيلي (وهذا من عدوه) اي قبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل حطبا الى مطبخ فرعون (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) فقال له موسى خل سبيله فقيل انه قال

الى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع لان الصبي ليس من أهل التكليف (قوله من المراضع المحضرة) أي التي أحضرها فرعون (قوله وهم له ناصحون) أي يخلصون في العمل من شوائب الفساد (قوله حنوهم عليه) أي عطفهم وميلهم اليه (قوله وغيره) أي كالتربية واصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أي بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلا قيل ان هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال انها لتعرفه وأهله فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم له أي للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بام موسى وهو على يد فرعون يبكي طالبا للرضاع وهو يعلله شفقة عليه فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها وقال لها أقيمي عندنا لارضاعه فقالت لا أقدر على فراق بيتي فان رضيتم أرضعته في بيتي والا فلا حاجة لي فيه وأظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة عنها فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون الا أهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر (قوله كي تقر عينها) أي تبرد وتسكن من الم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر منصوب بان مضمرة بعد كي (قوله فمكث عندها الى أن فطمته) أي وهو سنتان (قوله وأخذتها لانها مال حربي) جواب عما يقال كيف جاز لها أن تاخذ أجرة منه على ارضاع ولدها (قوله أو وثلاث) أو لتنويع الخلاف (قوله أي بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أي كمل عقله وانتهى شبابه لان موسى أقام في مصر ثلاثين سنة ثم ذهب الى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقعة قتل القبطي كانت قبل ذهابه لمدين فهي السبب فيه (قوله كما جزيناه) اي مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على احسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث او العجمة وهي من اعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وقيل هي مصر (قوله وقت القيلولة) وقيل بين المغرب والعشاء وسبب دخوله المدينة في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكبه و يلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما قدم قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فادركه المقيل في أرض منف فدخلها وليس في طرقها احد (قوله وهذا من عدوه) اي وكان طباخا لفرعون واسمه فليثون أراد ان يسخر الاسرائيلي لحمل الحطب (قوله فاستغاثه) اي طلب غوثه ونصره (قوله ان احمله) اي الحطب (قوله فوكزه موسى) اي دفعه بجمع كفه وأما اللكز فهو الضرب باطراف الاصابع (قوله بجمع كفه) اي بكفه مجموعة فهو من اضافة الصفة للموصوف (قوله فقضى عليه) اي أوقع عليه القضاء وهو الموت (قوله ولم يكن قصد قتله) جواب عما يقال كيف تجرأ على قتل القبطي وحاصل ايضاح الجواب ان قتله كان خطأ وقد يقال قتله من باب دفع الصائل وهو واجب والاستغفار من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبته للشيطان من حيث انه لم يؤمر بقتل القبطي وظهر له ان قتله خلاف الاولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرحه الفتن (قوله اني ظلمت نفسي) الحق ان هذا تواضع منه وحسنات الابرار سيآت

لموسى لقد هممت ان احمله عليك (فوكزه موسى) اي ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فقضى عليه) اي قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه في الرمل (قال هذا) أي قتله (من عمل الشيطان) المهيج غضبي (انه عدو) لابن آدم (مضل) له (مبين) بين الاضلال (قال) نادما (رب اني ظلمت نفسي) بقتله (فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم) اي المتصف بهما أزلا وأبدا (قال رب بما انعمت)

بحق انعامك (علىّ) بالمغفرة اعصمنى (فلن اكون ظهيرا) عونا (للمجرمين) الكافرين بعد هذه ان عصمتنى (فاصبح فى المدينة خائفا يترقب) ينتظر ما يناله من جهة القتيل (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) يستغيث به على قبطى آخر (قال له موسى انك لغوى مبين) بين الغواية لما فعلته امس واليوم (فلما ان) زائدة (اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما) لموسى والمستغيث به (قال) المستغيث ظانا انه يبطش به لما قال له (ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان) ما (تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) فسمع القبطى ذلك فعلم ان القاتل موسى فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون الذباحين بقتل موسى فاخذوا فى الطريق اليه (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون (من اقصى المدينة) آخرها (يسعى) يسرع فى مشيه من طريق اقرب من طريقهم (قال ياموسى ان الملأ) من قوم فرعون (يأتمرون بك) يتشاورون فيك (ليقتلوك فاخرج) من المدينة (انى لك من الناصحين) فى الامر بالخروج (فخرج منها خائفا يترقب) لحوق طالب اوغوث الله اياه (قال رب نجنى من القوم الظالمين) قوم فرعون (ولما توجه) قصد بوجهه (تلقاء مدين) جهتها وهى قرية شعيب مسيرة ثمانية ايام من مصر سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل) اى قصد الطريق اى الطريق الوسط اليها فارسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به اليها (ولما ورد ماء مدين) بئر فيها اى وصل اليها (وجد عليه امة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) اى سواهم (امرأتين تذودان) تمنعان اغنامهما عن الماء (قال) موسى لهما (ما خطبكما) اى ما شأنكما لا تسقيان (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء)

سيئاتى المقربين (قوله بحق انعامك على) اشار بهذا الى ان ما مصدرية والكلام على حذف مضاف واشار بقوله اعصمنى الى ان الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن اكون جواب شرط قدره بقوله ان عصمتنى واراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جماعته وتكثير سواده (قوله فاذا الذى) اذا فجائية والذى مبتدأ نعت لمحذوف أى فاذا الاسرائيلى الذى واستنصره صلته ويستصرخه خبر المبتدأ (قوله على قبطى آخر) اى يريد ان يستخدمه والاستصراخ الاستغاثة وسميت بذلك لان المستغيث يصوت ويصرخ فى طلب الغوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس ان القبط قالوا لفرعون ان بنى اسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطى فقال للاسرائيلى انك لغوى مبين (قوله لما فعلته امس واليوم) اى حيث قاتلت بالامس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه (قوله فلما ان اراد ان يبطش الخ) وذلك ان موسى اخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلى فمد يده ليبطش بالقبطى فظن الاسرائيلى انه يريد ان يبطش به هو لما رأى من غضبه وسمع من قوله انك لغوى مبين فقال موسى أتريد الخ (قوله جبارا فى الارض) الجبار هو الذى يقتل ويضرب ويتعاظم ولا ينظر فى العواقب (قوله من المصلحين) اى بين الناس (قوله هو مؤمن آل فرعون) هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو الذى ذكر فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون (قوله يسعى) صفة لرجل او حال منه لوجود المخصص قبله (قوله يتشاورون فيك) اى يامر بعضهم بعضا بقتلك (قوله أوغوث الله اياه) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال رب نجنى الخ) اى خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (قوله ولما توجه تلقاء مدين) اى بالهام من الله لعلمه بان ارض مدين لا تسلط لفرعون عليها وان بينه وبين اهل مدين قرابة لكونهم من ذرية ابراهيم وهو كذلك (قوله ابن ابراهيم) اى الخليل عليه السلام وله ولد آخر اسمه مداين فاولاده اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومداين وانما لم يصرح فى القرآن بمدين ومداين لانهما لم يكونا نبيين (قوله ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رفيق ولم يكن له طعام الا ورق الشجر ونبات الارض حتى رئيت خضرته فى باطنه من خارج وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه وهو اول ابتلاء من الله لموسى (قوله سواء السبيل) من اضافة الصفة للموصوف اى السبيل السوى (قوله اى الطريق الوسط) اى وكان لها ثلاث طرق فاخذ موسى يمشى فى الوسطى وجاء الطلاب فى اثره فساروا فى الاخريين ولم يعرفوا محله (قوله ملكا) اى وكان راكبا على فرس قيل هو جبريل (قوله بيده عنزة) هى فوق العصا ودون الرمح فى طرفها حربة كحربة الرمح (قوله بئر فيها) اشار بذلك الى انه اطلق الحال واراد المحل فاطلق الماء واريد البئر (قوله اى وصل اليها) اشار بذلك الى ان المراد بالورود هنا الوصول لان الورود يطلق على الدخول فى الشئ وعلى الاطلاع على الشئ والوصول اليه ومنه قوله تعالى وان منكم الا واردها على مشهور التفاسير (قوله جماعة) اى كثيرة (قوله يسقون) الجملة حال من فاعل وجد لانها بمعنى لقى فتنصب مفعولا واحدا (قوله مواشيهم) هو معمول

جمع راع اى يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقى وفى قراءة يصدر من الرباعى اى يصرفوا مواشيهم عن الماء (وأبونا شيخ كبير) لا يقدران يسقى (فسقى لهما) من بئر أخرى بقر بهما رفع حجرا عنها لا يرفعه الا عشرة أنفس (ثم تولى) انصرف (الى الظل) لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع (فقال رب انى لما أنزلت الى من خير) طعام (فقير) محتاج فرجعتا الى أبيهما فى زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فاخبرتاه بمن سقى لهما فقال لاحداهما أدعيه لى قال تعالى (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) اى واضعة كم درعها على وجهها حياء منه (قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا) فاجابها منكرا فى نفسه اخذ الاجرة كانها قصدت المكافأة ان كان ممن يريدها فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق ففعلت الى ان جاء اباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف ان يكون عوضا مما سقيت لهما وانا اهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا قال لا عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فاكل وأخبره بحاله قال تعالى (فلما جاءه وقص عليه القصص) مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطى وقصدهم قتله وخوفه من فرعون (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) اذ لا سلطان لفرعون على مدين (قالت احداهما) وهى المرسلة الكبرى او الصغرى (يا ابت استأجره) اتخذه اجيرا يرعى غنمنا اى بدلنا (ان خير من استأجرت القوى الامين) اى استأجره لقوته وامانته فسألها عنهما فاخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشى خلفى وزيادة انها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فرغب فى انكاحه (قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين) وهى الكبرى او الصغرى (على ان تأجرنى) تكون أجيرا لى فى رعى غنمى (ثمانى حجج) اى سنين (فان أتممت عشرا) اى رعى عشر سنين (فمن عندك) التمام (وما أريد ان أشق عليك) باشتراط العشر (ستجدنى ان شاء الله) للتبرك (من الصالحين) الوافين بالعهد (قال) موسى (ذلك) الذى قلته (بينى وبينك أيما الاجلين)

يسوقون وقد حذف فى هذه الآية معمول يسقون وتذاودان ولا نسقى لان المقصود الفعل لا المفعول (قوله جمع راع) اى على غير قياس وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية أيضا (قوله وأبونا شيخ كبير) اى فهذا اوجه مباشرتنا للسقى بانفسنا قال الاجهورى فى شرح خطبة الشيخ خليل (تتمة) عاش شعيب نبى الله ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق وفى رواية وكان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب وفى رواية انه عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة اه ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للاجهورى (قوله لا يقدران يسقى) اى فيرسلنا اضطرارا (قوله فسقى لهما) اى سقى أغنامهما لاجلهما (قوله الا عشرة أنفس) وقيل سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعون وقيل مائة (قوله لسمرة) بضم الميم وهى شجرة عظيمة من شجر الطلح وهى التى أمر صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالنزول والصلاة عندها (قوله انى لما أنزلت الى) ان حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعلق بفقير وهو خبر ان وأنزلت بمعنى تنزل والمعنى انى فقير ومحتاج لما تنزله الى من أى شئ كان قليلا او كثيرا (قوله أدعيه لى) أى اطلبيه ليحضر عندى (قوله فجاءته الخ) عطف على ماقدره المفسر بقوله فرجعتا الخ (قوله تمشى) حال من فاعل جاء وقوله على استحياء حال من الضمير فى تمشى والاستحياء هو الحياء بالمد وهو حالة تعترى الشخص تحمله على تجنب الرذائل (قوله كم درعها) اى قميصها (قوله منكرا فى نفسه أخذ الاجرة) اى فلم يكن قصده بالاجابة أخذ الاجرة بل للتبرك بابيها (قوله وهو شعيب) هذا هو الصحيح وقيل هو يثرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب وشعيب هو ابن ميعون بن عنفاش بن مدين بن ابراهيم عليه السلام (قوله وهى المرسلة) اى وهى التى تزوجها موسى عليه السلام (قوله ان خير من استأجرت) تعليل للامر بالاستئجار (قوله فسألها عنهما) اى بان قال لها وما أعلمك قوته وأمانته (قوله وزيادة) اى على ماذكرته من القوة والامانة وقد يقال ان هذا من جملة الامانة فلا زيادة (قوله صوب رأسه) اى خفضه (قوله فرغب فى نكاحه) اى رغب شعيب فى انكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه انه كان له غيرهما قيل كان له سبع بنات (قوله على ان تأجرنى) حال من الفاعل او المفعول ومفعول تأجرنى محذوف والمعنى تأجرنى نفسك وقوله ثمانى حجج ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلا لا الزاما (قوله للتبرك) اى فالاستثناء للتبرك والتفويض الى توفيقه تعالى لا للتعليق لان صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ وبينى وبينك خبره والمعنى ذلك الذى وقع منك وعاهدتنى عليه ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا ويصح ان يكون ذلك مفعولا لمحذوف اى قبلت ذلك وقوله بينى وبينك الخ حال من اسم الاشارة والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائنا بينى وبينك لم يكن علينا شهيد الا الله (قوله أيما الاجلين) اى شرطية وجوابها فلا عدوان على وما زائدة كما قال المفسر

الثمان اوالعشر ومازائدة اى رعيه (قضيت) به اى فرغت منه (فلاعدوان على) بطلب الزيادة عليه (والله على مانقول) انا وانت (وكيل) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك وامر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الانبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم من آس الجنة فاخذها موسى بعلم شعيب (فلما قضى موسى الاجل) أى رعيه وهو ثمان اوعشر سنين وهو المظنون به (وسار باهله) زوجته باذن ابيها نحو مصر (آنس) ابصر من بعيد (من جانب الطور) اسم جبل (نارا قال لاهله امكثوا) هنا (انى آنست نار العلى آتيكم منها بخبر) عن الطريق وكان قد اخطاها (او جذوة) بتثليث الجيم قطعة وشعلة (من النار لعلكم تصطلون) تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها (فلما اتاها نودى من شاطئ) جانب (الوادى الايمن) لموسى (فى البقعة المباركة) لموسى لسماعه كلام الله فيها (من الشجرة) بدل من شاطئ باعادة الجار لنباتها فيه وهى شجرة عناب أو عليق أو عوسج (ان) مفسرة لا مخففة (ياموسى انى انا الله رب العالمين وان الق عصاك) فالقاها (فلما رآها تهتز) تتحرك (كانها جان) وهى الحية الصغيرة من سرعة حركتها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) اى يرجع فنودى (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك) ادخل (يدك) اليمنى بمعنى الكف (فى جيبك) هو طوق القميص وأخرجها (تخرج) خلاف ما كانت عليه

(قوله الثمان اوالعشر) بالنصب تفسير لاى (قوله فتم العقد) اى عقد النكاح والاجارة ان قلت ان الذى وقع من شعيب وعد والنكاح لا يكون الا بصيغة ابرام وايضا لم يبين المنكوحة وايضا الصداق ليست ثمرته عائدة عليها اجيب بجوابين الاول ان هذا كان فى شرعه جائزا الثانى انه يمكن تنزيله على شرعنا بانه قصد بالوعد انشاء الصيغة وقد وقع من موسى القبول بقوله ذلك وبانه يمكن انه بين المنكوحة باشارة مثلا وبان الغنم يمكن ان يكون بعضها مملوكا لها فثمرة الرعى عائدة عليها (قوله فوقع فى يدها عصا آدم) قيل انه اودعها ملك فى صورة رجل عند شعيب فامر ابنته ان تأتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة عنده فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما أول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آس الجنة) اى وتوارثها الانبياء بعد آدم فصارت منه الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت لشعيب وكان لا يأخذها غير نبى الا اكلته (قوله وهو المظنون به) اى وان لم يصرح القرآن به لكمال مروءته فالمعول عليه انه وفى العشر (قوله باهله) اى زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) اى لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه ورد انه لما عزم على السير قال لزوجته اطلبى من ابيك ان يعطينا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها من كل ابلق وبلقاء فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم ففعل ذلك فما اخطات واحدة الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله الى موسى وابنته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام (قوله من جانب الطور) اى الايمن بدليل ما يأتى (قوله عن الطريق) أى لنستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) اى وكلها سبعية فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) اى عود غليظ كان فى راسه نار اولا وقيل هو ما فى راسه نار فقوله من النار وصف مخصص على الاول وكاشف على الثانى (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) اى فاصله تصتلون وقعت التاء بعد احد حروف الاطباق فقلبت طاء (قوله بكسر اللام) اى من باب رضى وقوله وفتحها اى من باب رمى (قوله نودى من شاطئ الوادى الخ) قيل ان موسى لما رأى النار مشتعلة فى الشجرة الخضراء علم ان ذلك لا يقدر عليه الا الله فلما نودى علم ان الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الايمن) صفة للشاطئ او للوادى من اليمن وهو البركة او اليمين مقابل اليسار والمعنى الشاطئ الذى يلى يمين موسى (قوله فى البقعة) متعلق بنودى (قوله المباركة لموسى) اى لانه فى ذلك المحل حصلت له البركة التامة فتلك الليلة اسعد لياليه كليلة الاسراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير فى نودى والتقدير نودى موسى والحال انه كائن فى جهة الشجرة وليس المراد انه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على انه سمع الكلام بجميع اجزائه بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته كما يكون لنا فى الآخرة عند رؤية ذاته بلا كيف ولا انحصار (قوله بدل) اى بدل اشتمال (قوله أو عوسج) اى شوك (قوله مفسرة) اى لانه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله لا مخففة) اى لعدم اداء المعنى المقصود (قوله انى انا الله رب العالمين) هكذا قال هنا وفى سورة طه انى انا ربك وقال فى النمل نودى ان بورك من فى النار ومن حولها ولا تنافى بل الكل قاله الله له (قوله وان الق) عطف على قوله ان ياموسى (قوله من سرعة حركتها) اى فهو وجه شبهها بالجان وقوله فى الآية الاخرى فاذا هى ثعبان مبين اى فى عظم الجثة فتحصل انها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة (قوله ولى مدبرا) اى باعتبار الطبع البشرى حين رآها بهذه

من الادمة (بيضاء من غير سوء) أى برص فادخلها واخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر (واضمم اليك جناحك من الرهب) بفتح الحرفين وسكون الثانى مع فتح الاول (١٨٠) وضمه أى الخوف الحاصل من اضاءة اليد بان تدخلها فى جيبك فتعود الى حالتها

الاولى وعبر عنها بالجناح لانها للانسان كالجناح للطائر (فذانك) بالتشديد والتخفيف اى العصا واليد وهما مؤنثان وانما ذكر المشار به اليهما المبتدا لتذكير خبره (برهانان) مرسلان (من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا) هو القبطى السابق (فاخاف ان يقتلون) به (واخى هرون هو افصح منى لسانا) أبين (فارسله معى رداً) معينا وفى قراءة بفتح الدال بلا همزة (يصدقنى) بالجزم جواب الدعاء وفى قراءة بالرفع وجملته صفة ردأ (انى اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك) نقويك (باخيك ونجعل لكما سلطانا) غلبة (فلا يصلون اليكما) بسوء اذهبا (بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون) لهم (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات حال (قالوا ماهذا الاسحر مفترى) مختلق (وما سمعنا بهذا) كائنا (فى) ايام (آبائنا الاولين وقال) بواو وبدونها (موسى ربى اعلم) اى عالم (بمن جاء بالهدى من عنده) الضمير للرب

الصفة وردا نهالم تدع شجرة ولا صخرة الا ابتلعتها حتى ان موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا (قوله من الادمة) اى الحمرة (قوله تغشى البصر) أى تغطيه (قوله واضمم اليك جناحك) جعل الجناح هنا مضموما وفى آية طه مضموما اليه حيث قال واضمم يدك الى جناحك لان المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه اليد اليسرى وكل من اليدين جناح (قوله من الرهب) متعلق باضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) اى فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله بان تدخلها) اى تدخل اليد اليمنى التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود لحالتها الاولى فيزول عنك الخوف والفزع الذى حصل لك (قوله كالجناح للطائر) اى لان الطائر اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمان ضمهما اليه (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد والمخفف تثنية ذاك فالتشديد عوض عن اللام فى المفرد (قوله وانما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال ان العصا واليد مؤنثتان فكان اللائق الاشارة اليهما بتان فاجاب بانه روعى الخبر (قوله مرسلان) اشار بذلك الى ان قوله من ربك متعلق بمحذوف صفة لبرهانان (قوله وملائه) أى جماعته (قوله لسانا) اى كلاما (قوله ردا) حال من ضمير أرسله (قوله بفتح الدال) اى مع التنوين وهى سبعية ايضا (قوله يصدقنى) اى يقوينى فى الصدق عند الخصم بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) اى الذى هو قوله فارسله معى لان طلب الادنى من الاعلى دعاء (قوله ان يكذبون) اى بسبب العقدة التى كانت فيه بسبب الجمرة التى وضعها وهو صغير فى فيه (قوله نقويك) اى فشد العضد كناية عن التقوية من اطلاق السبب وارادة المسبب لان شد العضد يستلزم شد اليد وشد اليد مستلزم للقوة (قوله بسوء) متعلق بيصلون وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذهبا بدليل الآية الاخرى اذهبا الى فرعون وجمعهما فى ضمير واحد مع ان هرون لم يكن حاضرا بمجلس المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر لان الله ارسل جبريل الى هرون بالرسالة وهو بمصر فى ذلك الوقت فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لان كل واحدة اشتملت على آيات متعددة وتقدم ذلك فى سورة طه (قوله قالوا) اى فرعون وقومه (قوله مختلق) اى مخترع من قبل نفسه (قوله وما سمعنا بهذا الخ) هذا محض عناد وكذب اذهم يعرفون ان قبله الرسل كابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم (قوله بواو وبدونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو يكون تابعا لما قبله وعلى حذفها يكون الكلام مستانفا فى جواب سؤال (قوله اى عالم) أشار بذلك الى انه لا مفاضلة فى اوصاف الله تعالى لان التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها ولا مع صفات خلقه (قوله عطف على من قبلها) أى فهى فى محل جر والعلم مسلط عليها (قوله بالفوقانية والتحتانية) اى فهما قراءتان سبعيتان فله خبر تكون مقدم وعاقبة اسمها مؤخر على كلا الوجهين وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل ولانه مجازى التانيث (قوله اى العاقبة المحمودة الخ) اشار بذلك الى ان المراد بالدار الدار الآخرة وان الاضافة على معنى فى ويصح ان المراد بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة اذ العاقبة قسمان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله وهو انا فى الشقين) تفسير للموصول كانه قال ان لم تشهدوا لى بالصدق وبان العاقبة المحمودة لى فالله عالم بانى جئت بالهدى وبان العاقبة المحمودة لى (قوله انه لا يفلح الظالمون) تعليل لقوله ربى اعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) اى

(ومن) عطف على من قبلها (تكون) بالفوقانية والتحتانية (له عاقبة الدار) اى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة اى وهو انا فى الشقين فانا محق فيما جئت به (انه لا يفلح الظالمون) الكافرون (وقال فرعون ياايها الملأ

بعد

ماعلمت لكم من اله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين) فاطبخ لى الآجر (فاجعل لى صرحا) قصرا عاليا (لعلى اطلع الى اله موسى) انظر اليه واقف عليه (وانى لاظنه من الكاذبين) فى ادعائه الها آخر وانه رسوله (واستكبر هو وجنوده فى الارض) ارض مصر

بعد ان شاهدا يمان السحرة وماوقع منهم (قوله ماعلمت لكم من اله غيرى) أى ليس لى علم بوجود اله غيرى وليس مراده بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما فيهما اذلا يشك عاقل فى ان الله هو الخالق لكل شئ وكان اعتقاده ان العالم العلوى اثر فى العالم السفلى فلا حاجة للصانع (قوله على الطين) اى بعد اتخاذه لبنا قيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به وهو الذى علم صنعته لهامان ولما امر وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء فطبخ الآجر والجبس ونشر الخشب وسبك المسامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء احد من الخلق فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق احد عمل فى الصرح عملا الا هلك (قوله لعلى أطلع) كانه من قبحه توهم ان اله موسى فى السماء يمكن الرقى اليه (قوله وانه رسوله) اى أن موسى رسول الاله (قوله واستكبر) أى تكبر (قوله فى الارض) اى ارض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فاخذناه) اى عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به المشركين فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم (قوله وابدال الثانية ياء) اى فهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الابدال من طريق الطيبة لامن طريق الشاطبية (قوله بدعائهم الى الشرك) أى المؤدى للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) اى المطرودين او الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) اخبار من الله لقريش بامتنانه على بنى اسرائيل حين اهلك الامم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسلهم وصاروا فى زمن فترة بانزال التوراة ليتعبدوا بها والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الامة المحمدية والمعنى كما انزل على موسى التوراة وقومه فى فترة وجهل انزل على محمد القرآن وقومه فى فترة وجهل ليهتدوا به (قوله وعاد وثمود) عطف على قوم نوح ولم ينونه لانه علم على القبيلة وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث (قوله وغيرهم) اى كفرعون (قوله حال من الكتاب) اى اما على حذف مضاف اى ذا بصائر او مبالغة على حد ماقيل فى زيد عدل وكذا يقال فى قوله هدى ورحمة (قوله اى انوار القلوب) اى تبصر به القلوب كما ان انسان العين تبصر به العين (قوله لعلهم يتذكرون) اى فالعاقل اذا علم ان كتاب الله من اوصافه انه منور للقلوب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر الى امتثال اوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى لنفسه بالتوانى والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربى الخ) المقصود من ذلك اقامة الحجة على من كذب به صلى الله عليه وسلم يعنى كيف تكذبونه بعد اتيانه بتفاصيل ماحصل للامم السابقة وانبيائهم والحال انكم تعلمون انه لم يكن حاضرا ذلك ولا مشاهدا له (قوله وما كنت من الشاهدين) ان قلت ان هذا معلوم نفيه من قوله وما كنت بجانب الغربى فما ثمرة ذكره عقبه اجيب بانه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك ولذلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ماشاهدت ماوقع فيه (قوله بعد موسى) اى لان انبياء بنى اسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذا الكفل كائنون بعد موسى (قوله واندرست العلوم) اى فكيف ياتيك الخبر من غير

(بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون) بالبناء للفاعل والمفعول (فاخذناه وجنوده فنبذناهم) طرحناهم (فى اليم) البحر المالح فغرقوا (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم) فى الدنيا (أئمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء رؤساء فى الشرك (يدعون الى النار) بدعائهم الى الشرك (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) خزيا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المبعدين (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (بصائر للناس) حال من الكتاب جمع بصيرة وهى نور القلب اى انوارا للقلوب (وهدى) من الضلالة لمن عمل به (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) يتعظون بما فيه من المواعظ (وما كنت) يا محمد (بجانب) الجبل او الوادى او المكان (الغربى) من موسى حين المناجاة

(اذ قضينا) اوحينا (الى موسى الامر) بالرسالة الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) لذلك فتعلمه فتخبر به (ولكنا انشانا قرونا) امما بعد موسى (فتطاول عليهم العمر) اى طالت اعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحى فجئنا بك رسولا

واوحينا اليك خبر موسى وغيره (وما كنت ثاويا) مقيما (فى اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها (ولكنا كنا مرسلين) لك واليك باخبار المتقدمين (وما كنت بجانب الطور) الجبل (اذ) حين (نادينا) موسى ان خذ الكتاب بقوة (ولكن) ارسلناك (رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) وهم اهل مكة (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا ان تصيبهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت ايديهم) من الكفر وغيره (فيقولوا ربنا لولا) هلا (ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك) المرسل بها (ونكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ والمعنى لولا الاصابة المسبب منها قولهم اولولا قولهم المسبب عنها اى لعاجلناهم بالعقوبة ولما ارسلنا اليهم رسولا (فلما جاءهم الحق) محمد (من عندنا قالوا لولا) هلا (اوتى مثل ما اوتى موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما او الكتاب جملة واحدة قال تعالى (او لم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) حيث (قالوا) فيه وفى محمد (ساحران) وفى قراءة سحران اى القرآن والتوراة (تظاهرا) تعاونا (وقالوا انا بكل) من النبيين والكتابين (كافرون قل) لهم (فائتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) من الكتابين (اتبعه ان كنتم صادقين) فى قولكم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك بالاتيان بكتاب (فاعلم انما يتبعون اهواءهم) فى كفرهم (ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) اى لا اضل منه (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الكافرين (ولقد وصلنا) بينا (لهم القول) القرآن (لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون

وحى (**قوله** واوحينا اليك خبر موسى وغيره) اى ليكون معجزة لك وتذكيرا لقومك (**قوله** وما كنت ثاويا) ان قلت ان قصة مدين متقدمة على قصة الارسال فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها أجيب بان المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب اشارة الى ان اى واحدة تكفى فى اثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه (**قوله** مقيما) اى اقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم (**قوله** فى أهل مدين) متعلق بثاويا (**قوله** ولكنا كنا مرسلين) اى وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها (**قوله** وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) اى كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربى اذ ارسل الله موسى الى فرعون فكذلك لم تحضر جانب الطور اذ نادينا موسى لما اتى الميقات مع السبعين لاخذ التوراة وبين الارسال وايتاء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسمانى لاقامة الحجة على الخصم واما بالنظر للعالم الروحانى فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم الى ان ظهر بجسمه الشريف ولكن لا يخاطب به أهل العناد (**قوله** ما أتاهم من نذير من قبلك) اى لوجودهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى ستمائة سنة (**قوله** ولولا ان تصيبهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وان وما بعدها فى تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا تقديره موجود كما قال المفسر (**قوله** فيقولوا) عطف على تصيبهم والفاء للسببية (**قوله** وجواب لولا) اى الاولى وأما الثانية فهى تحضيضية (**قوله** اولولا قولهم الخ) اى فالمعنى الاول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الارسال بثبوت ضده وهو الارسال لوجود السبب والمسبب معا والمعنى الثانى لوجود المسبب الناشئ عن السبب فتدبر (**قوله** لما ارسلناك اليهم رسولا) اى فالحامل على ذلك تعللهم بهذا القول فالمعنى امتنع عدم ارسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ربنا لولا ارسلت الخ ان قلت ان الآية تقتضى وجود اصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع انهم حين نزول تلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا اجيب بان الآية على سبيل الفرض والتقدير فالمعنى لولا اصابة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما ارسلناك اليهم فهو بمعنى قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الآية (**قوله** قالوا) اى تعنتا (**قوله** او الكتاب جملة) اشار بذلك الى قول آخر فى تفسير المثل (**قوله** من قبل) اى قبل ظهورك (**قوله** ساحران) خبر لمحذوف اى هما (**قوله** وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (**قوله** تعاونا) اى بتصديق كل منهما الآخر وذلك ان كفار مكة بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود بالمدينة فى عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده فى التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر (**قوله** والكتابين) الواو بمعنى او (**قوله** قل فائتوا بكتاب الخ) اى اذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فائتوا بكتاب من عند الله واضح فى هداية الخلق فان اتيتم به اتبعته وهذا تنزل للخصم زيادة فى اقامة الحجة عليهم (**قوله** اتبعه) مجزوم فى جواب شرط مقدر تقديره ان اتيتم به اتبعه (**قوله** فان لم يستجيبوا لك) اى لم يفعلوا ما امرتهم به (**قوله** انما يتبعون اهواءهم) اى ليس لهم مستند الا اتباع هواهم الفاسد (**قوله** لا اضل منه) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (**قوله** ولقد وصلنا) العامة على تشديد الصاد وهو مأخوذ اما من وصل الشئ بالشئ بمعنى جعله تابعا له لان القرآن تابع بعضه بعضا قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق

وأحسن تفسيرا أو من وصل الحبل جعله أوصالا أى أنواعالان القرآن أنواع كالوعد والوعيد والقصص والعبر والمواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون ويؤمنون خبر الثانى وهو وخبره خبر الاول (قوله أيضا) اى كما آمنوا بكتابهم (قوله نزلت فى جماعة اسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت فى ثمانين من أهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقيل انها نزلت فى اربعين رجلا قدموا مع جعفر ابن أبى طالب من الحبشة آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما راوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يارسول الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين (قوله انا كنا من قبله مسلمين) اى فاسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عندنا لان فى كتبهم صفة النبي ونعته فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا فى صفاته واحواله فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الاسلام (قوله بصبرهم) اشار بذلك الى ان مامصدرية وقوله على العمل بهما اى اوعلى اذى المشركين ومن عاداهم من اهل دينهم (قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة) اى يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من اعدائهم بالحسنة اى الكلمة الطيبة الجميلة او المعنى اذا وقعت منهم معصية اتبعوها بطاعة كالتوبة (قوله واذا سمعوا اللغو الخ) وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمنى اهل الكتاب ويقولون تبا لكم اعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا اعمالنا ولكم اعمالكم (قوله سلام متاركة) اى اعراض وفراق لا سلام تحية (قوله لا نصحبهم) الاوضح ان يقول لا نطلب صحبتهم (قوله ونزل فى حرصه الخ) وذلك انه لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ثم انشد

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكنى سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وبنى عبد مناف ثم مات فاتى على ابنه للنبي صلى الله عليه وسلم وقال له عمك الضال قدمات فقال له اذهب فواره وما تقدم من انه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح وقيل انه احيي واسلم ثم مات ونقل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله انك لا تهدى من احببت) اى لا تقدر على هدايته ان قلت ان بين هذه الآية وآية وانك لتهدى الى صراط مستقيم تنافيا اجيب بان المنفى هنا خلق الاهتداء والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم (قوله ولكن الله يهدى من يشاء) اى فسلم امرك لله فانه اعلم باهل السعادة واهل الشقاوة ولا يبالى باحد (قوله اى قومه) اى وهم بعض اهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انا لنعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ان يتخطفونا من ارضنا (قوله الهدى) اى وهو دين الاسلام (قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا) اى نجعل مكانهم حرما ذا أمن وعدى بنفسه لانه بمعنى جعل يدل عليه الآية الاخرى وهى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا (قوله يامنون فيه) اشار بذلك الا ان فى الكلام مجازا عقليا (قوله تجبى) اى يحمل ويساق (قوله بالفوقانية والتحتانية) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثمرات كل شيء) مجاز عن الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى القرآن (هم به يؤمنون) ايضا نزلت فى جماعة اسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام (واذا يتلى عليهم) القرآن (قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) موحدين (أولئك يؤتون اجرهم مرتين) بايمانهم بالكتابين (بما صبروا) بصبرهم على العمل بهما (ويدرؤون) يدفعون (بالحسنة السيئة) منهم (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (واذا سمعوا اللغو) الشتم والاذى من الكفار (اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) سلام متاركة اى سلمتم منا من الشتم وغيره (لا نبتغى الجاهلين) لا نصحبهم * ونزل فى حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابى طالب (انك لا تهدى من أحببت) هدايته (ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم) اى عالم (بالمهتدين وقالوا) اى قومه (ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) اى ننتزع منها بسرعة قال تعالى (اولم نمكن لهم حرما آمنا)

يامنون فيه من الاغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض (تجبى) بالفوقانية والتحتانية (اليه ثمرات كل شيء)

الحرام ويسعى اليه فهو من خيار الخلق لقوله في الآية يجبي اليه ثمرات كل شيء (قوله من كل اوب) اى ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) اما بمعنى مرزوقا فيكون منصوبا على الحال من ثمرات اوباق على مصدريته فيكون مفعولا مطلقا مؤكدا المعنى يجبي اى نرزقهم رزقا (قوله ان ما تقوله حق) قدره اشارة الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله وكم اهلكنا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم ان العبارة بالعكس وان خوف التخطف يكون بالكفر لا بالايمان وانهم ماداموا مصرين على كفرهم يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معيشتها) اى كفرت نعمة ربها في زمن معيشتها اى حياتها (قوله فتلك مساكنهم) اى خربة بسبب ظلمهم والاشارة الى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فان السفار تمر على تلك المساكن وتنزل بها في بعض الاوقات (قوله للمارة يوما او بعضه) اى لان المار في الطريق اذا نزل للاستراحة انما يستمر في الغالب يوما او بعضه (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الالهية التي سبقت بها مشيئته تعالى والمعنى ما ثبت في حكمه ان يهلك قرية قبل الانذار (قوله اى اعظمها) اى وهي المدن بالنسبة لما حواليها فجرت عادة الله ان يبعث الرسول من اهل المدائن لانهم اعقل وافطن ويتبعهم غيرهم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثا لجميع الخلق كانت بلده افضل البلاد على الاطلاق وقبيلته اشرف القبائل على الاطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) اى اقطع الحجج والمعاذير (قوله الا واهلها ظالمون) استثناء من عموم الاحوال كانه قال ما كنا نهلكهم في حال من الاحوال الا في حال كونهم ظالمين (قوله وما اوتيتم من شيء الخ) ما اسم موصول مبتدأ واوتيتم صلته ومن شيء بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبره وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم ويصح ان تكون ما شرطية وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يفنى) اى يذهب بفنائكم فجميع ما في الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب اهله ولا يبقى الا جزاؤه فحلالها الدنيا حساب وحرامها عقاب (قوله وهو ثوابه) اى ثواب الاعمال التي قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خير وأبقى) اى دائم بدوام الله (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التدبر في أحوالكم فلا تعقلون فمن آثر الفاني على الباقي فلا عقل عنده لما في الحديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ولله در الامام الشافعي حيث قال

ان لله عبادا فطنا ✻ طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ✻ انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ✻ صالح الاعمال فيها سفنا

وليس المراد من ذلك ترك الدنيا رأسا والخروج عنها بالمرة بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه وانما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه لتكون مزرعة لآخرته لما في الحديث نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح فالمضر شغل القلب والنية السوء (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ان الباقي خير من الفاني) قدره اشارة الى ان مفعول يعقلون محذوف واستفيد منه ان أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقي على الفاني ومن هنا قال الامام الشافعي رضي الله عنه من أوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف الى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفمن وعدناه الخ) من مبتدأ وجملة وعدناه صلتها وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدأ والمعنى أيستوي من وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه بمن انهمك في طلب الفاني حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

من كل اوب (رزقا) لهم (من لدنا) اى عندنا (ولكن اكثرهم لا يعلمون) انما نقوله حق (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها) اى عيشتها واريد بالقرية اهلها (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا) للمارة يوما او بعضه (وكنا نحن الوارثين) منهم (وما كان ربك مهلك القرى) بظلم منها (حتى يبعث في امها) اى أعظمها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون) بتكذيب الرسل (وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) اى تتمتعون وتتزينون به ايام حياتكم ثم يفنى (وما عند الله) اى ثوابه (خير وابقى افلا تعقلون) بالتاء والياء ان الباقي خير من الفاني (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه)

مصيبه وهو الجنة (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) فيزول عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) النار الاول المؤمن

والثانى الكافر اى لاتساوى بينهما (و) اذكر (يوم يناديهم) الله (فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) هم شركائى (قال الذين حق عليهم القول) بدخول النار وهم رؤساء الضلالة (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) هم مبتدأ وصفة (اغويناهم) خبره فغووا (كما غوينا) لم نكرههم على الغى (تبرأنا اليك) منهم (ما كانوا ايانا يعبدون) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (وقيل ادعوا شركاءكم) اى الاصنام الذين كنتم تزعمون انهم شركاء الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) دعاءهم (ورأوا) هم (العذاب) ابصروه (لو انهم كانوا يهتدون) فى الدنيا لما رأوه فى الآخرة (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) اليكم (فعميت عليهم الانباء) الاخبار المنجية فى الجواب (يومئذ) اى لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فهم لا يتساءلون) عنه فيسكتون (فاما من تاب) من الشرك (وآمن) صدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) ادى الفرائض (فعسى ان يكون من المفلحين) الناجين بوعد الله

(قوله مصيبه) أى مدركه لا محالة لان وعده لا يتخلف (قوله متاع الحياة الدنيا) أى المشوب بالاكدار (قوله الاول) اى وهو من وعدناه والثانى وهو من متعناه (قوله اى لا تساوى بينهما) أشار بذلك ان الى الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ويوم يناديهم) أى المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب او النداء من الله لهم والمنفى فى آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلا ينافى انه يكلمهم كلام غضب وسخط (قوله فيقول أين شركائى) تفسير للنداء (قوله تزعمونهم شركائى) أشار بذلك الى ان مفعولى تزعمون محذوفان (قوله قال الذين حق عليهم القول) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا وجواب هذا السؤال انه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والاتباع فقال الاتباع انهم اضلونا وقال الرؤساء ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى قوله تعالى وبرزوا لله جميعا الخ وبمعنى واذ يتحاجون فى النار الخ (قوله حق عليهم القول) أى ثبت وتحقق وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) أى الذين اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوهم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين اغوينا الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول نعته وأغوينا صلته والعائد محذوف قدره المفسر واغويناهم خبره وصح الاخبار به لتقييده بقوله كما غوينا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسببنا لهم فى الغى فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما نزل عليهم من الكتب التى فيها المواعظ والاوامر والنواهى فلم نجبرهم عن انفسنا بل اخترنا لهم ما اخترناه لانفسنا فاتبعونا بهواهم (قوله تبرأنا اليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) اى وهو قوله ايانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) اى استغيثوا بآلهتكم التى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم وهذا القول للتهكم والتبكيت لهم (قوله ورأوا العذاب) اى نازلا بهم (قوله ما رأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ما قبله فتحصل انهم يسئلون عن اشراكهم وجوابهم للرسل (قوله فعميت عليهم الانباء) أى خفيت عليهم فلم يهتدوا للجواب فيه راحة لهم أو الكلام على القلب والاصل فعموا عن الانباء اى ضلوا وتحيروا فى ذلك فلم يهتدوا الى جواب به نجاتهم (قوله فهم لا يتساءلون عنه) اى عن الخبر المنجى لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فاما من تاب الخ) اى رجع عن كفره فى حال الحياة (قوله فعسى ان يكون من المفلحين) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقق لانه وعد كريم ومن شانه لا يخلف وعده (قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار) سبب نزولها ان الوليد بن المغيرة استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فنزلت هذه الآية ردا عليه واختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية على اقوال كثيرة فقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء منهم لطاعته وقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء لنبوته وقيل يخلق ما يشاء محمدا او يختار الانصار لدينه وقيل يخلق ما يشاء محمدا ويختار ما يشاء اصحابه وأمته لما روى ان الله اختار اصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من اصحابى اربعة يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابى وفى اصحابى كلهم خير واختار امتى على سائر الامم واختار لى من امتى اربعة قرون اهـ فقد اختار محمدا على سائر المخلوقات واختار أمته على سائر الامم فكما هو افضل الخلق على الاطلاق أمته افضل الامم على الاطلاق (قوله ما كان لهم الخيرة) بالتحريك والاسكان معناهما واحد وهو الاختيار وما نافية وكان فعل ناقص والجار والمجرور خبرها مقدم والخيرة اسمها مؤخر والجملة مستأنفة فالوقف على يختار والمعنى ليس للخلق جميعا الاختيار فى شيء لا ظاهرا ولا باطنا بل الخيرة لله تعالى فى افعاله لما فى الحديث القدسى ياعبدى انت تريد وانا اريد ولا يكون الا ما اريد فان سلمت لى ما أريد

(وربك يخلق ما يشاء ويختار) ما يشاء (ما كان لهم) للمشركين (الخيرة) الاختيار فى شيء

(سبحان الله وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم (وربك يعلم ما تكن صدورهم) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وما يعلنون) بالسنتهم من ذلك (وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى) الدنيا (والآخرة) الجنة (وله الحكم) القضاء النافذ في كل شيء (واليه ترجعون) بالنشور (قل) لاهل مكة (أرأيتم) اى اخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما (الى يوم القيامة من اله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بضياء) نهار تطلبون فيه المعيشة (افلا تسمعون) ذلك سماع تفهم فترجعون عن الاشراك (قل) لهم (أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله) بزعمكم (يأتيكم بليل تسكنون) تستريحون (فيه) من التعب (افلا تبصرون) ما أنتم عليه من الخطا في الاشراك فترجعون عنه (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) في الليل

اعطيتك ما تريدوان لم تسلم لى ما أريد اتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد وانما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول ويصح ان تكون ما مصدرية وما بعدها مؤول بمصدر والمعنى ويختار اختيارهم فيه ويصح ان تكون موصولة والعائد محذوف والتقدير ويختار الذى لهم فيه الاختيار وحينئذ فلا يصح الوقف على يختار والاول اظهر فالواجب على الانسان ان يعتقد انه لا تاثير لشيء من الكائنات في شيء ابدا وانما الذى يظهر على ايدى الخلق اسباب عادية يمكن تخلفها (قوله سبحان الله) اى تنزيها لله عما لا يليق به (قوله من الكفر وغيره) اى كالايمان فيجازى الكافر بالخلود في النار والمؤمن بالخلود في الجنة (قوله له الحمد في الاولى والآخرة) اى هو مستحق للثناء بالجميل في الدنيا والجنة لانه لا معطى للنعم فيهما الا هو سبحانه وتعالى فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن كما حمدوه في الدنيا لكن الحمد في الدنيا مكلفون به واما في الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت قال العلماء لا ينبغى لاحد ان يقدم على امر من امور الدنيا والآخرة حتى يسال الله تعالى الخيرة في ذلك وذلك بان يصلى ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الاولى بعد أم القرآن وربك يخلق ما يشاء ويختار الآية وفي الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم الآية ثم يدعو بالدعاء الوارد في صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم ان هذا الامر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة امرى أو قال في عاجل امرى وآجله فاقدره لى ويسره لى وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة امرى او قال في عاجل امرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به قال ويسمى حاجته وروى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر لى ما يسبق الى قلبك واعمله فان الخير فيه انتهى فان لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ قل يا أيها الكافرون والاخلاص فان لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ اللهم خر لى واختر لى كما روى عن عائشة عن ابى بكر رضي الله عنهما * واعلم ان هذه الكيفية هى الواردة في الحديث الصحيح واما الاستخارة بالمنام او بالمصحف او السبحة فليس واردا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولذا كرهه العلماء وقالوا انه نوع من الطيرة (قوله قل أرأيتم ان جعل الله الخ) أرأيتم وجعل تنازعا في الليل اعمل الثانى واضمر في الاول وحذف وهو مفعوله الاول ومفعوله الثانى جملة الاستفهام بعده وان حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول اول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون وتقدم الكلام على نظيرتها في الانعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دائما) اى بان يسكن الشمس تحت الارض (قوله الى يوم القيامة) متعلق بجعل (قوله من اله غير الله بزعمكم) دفع بذلك ما يقال ان المقام لهل لانها لطلب التصديق لا من التى لطلب التعيين لانه يوهم وجود آلهة غيره تعالى فاجاب بانه مجاراة للمشركين في زعمهم وجود آلهة معه (قوله سماع تفهم) اى تدبر واعتبار لان مجرد الابصار لا يفيد (قوله ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) اى بان يسكن الشمس في وسط السماء (قوله ومن رحمته) اى تفضله واحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) اى لان المرء في الدنيا لا بد وان يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج اليه في معاشه فجعل الله له محل تكسب وهو النهار

(ولتبتغوا من فضله) في النهار بالكسب (ولعلكم تشكرون النعمة فيهما (و) اذكر (يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) ذكر ثانيا ليبني عليه (ونزعنا) اخرجنا (من كل امة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فقلنا) لهم (هاتوا برهانكم) على
ماقلتم من الاشراك (فعلموا
ان الحق) في الالهية (لله)
لا يشاركه فيه احد (وضل)
غاب (عنهم ما كانوا يفترون)
في الدنيا من ان معه شريكا
تعالى عن ذلك (ان قارون
كان من قوم موسى) ابن عمه
وابن خالته وآمن به (فبغى
عليهم) بالكبر والعلو
وكثرة المال (وآتيناه من
الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء)
تثقل (بالعصبة) الجماعة
(اولى) اصحاب (القوة)
اى تثقلهم فالباء للتعدية
وعدتهم قيل سبعون
وقيل اربعون
وقيل عشرة وقيل غير
ذلك اذكر (اذ قال له قومه)
المؤمنون من بني اسرائيل
(لا تفرح) بكثرة المال
فرح بطر (ان الله لا يحب
الفرحين) بذلك (وابتغ)
اطلب (فيما آتاك الله)
من المال (الدار الآخرة)
بان تنفقه في طاعة الله (ولا
تنس) تترك (نصيبك من
الدنيا) اى ان تعمل فيها
للآخرة (واحسن) للناس
بالصدقة (كما احسن الله
اليك ولا تبغ) تطلب
(الفساد في الارض) بعمل
المعاصي (ان الله لا يحب
المفسدين) بمعنى انه
يعاقبهم (قال انما اوتيته) اى المال (على علم عندى) اى في مقابلته وكان اعلم بني اسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى
(أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون) الامم (من هو اشد منه قوة واكثر جمعا)

ومحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل (قوله ولتبتغوا من فضله) استفيد من الآية مدح السعي في طلب الرزق لما ورد الكاسب حبيب الله (قوله ذكر ثانيا ليبني عليه ونزعنا الخ) اى واشارة الى ان الشرك امره عظيم لا شئ أجلب منه لغضب الله كما ان التوحيد عظيم لا شئ اجلب منه لرضا الله (قوله يشهد عليهم بما قالو) أي وأمة محمد يشهدون للانبياء بالتبليغ وعلى الامم بالتكذيب (قوله ان الحق لله) اى التوحيد لله خاصة لا لغيره (قوله من ان معه شريكا) بيان لما (قوله ان قارون كان من قوم موسى) هو اسم اعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (قوله ابن عمه) اى واسم ذلك العم يصهر بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة ويصهر ابو قارون وعمران ابو موسي أخوان ولدا قاهث بن ولاى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقيل ان قارون عم موسى (قوله وآمن به) اى وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله ثم حسد موسي على رسالته وهرون على امامته (قوله بالكبر) اى احتقار ماسواه ومن جملة تكبره ان زاد في ثيابه شبرا ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسي عليه السلام على النبوة وكان يسمى المنور لحسن صورته (قوله من الكنوز) سميت كنوزا لما قيل انه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من أداء الزكاة (قوله ما ان مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وان حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز الشئ الذى مفاتحه تثقل العصبة اولى القوة وكانت مفاتحه اولا من حديد فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر وقيل من جلود الابل كل مفتاح على قدر الاصبع وكانت تحمل معه على اربعين وقيل على ستين بغلا (قوله لتنوء بالعصبة) الباء للتعدية والمعنى لتثقل المفاتح العصبة (قوله فرح بطر) اى لانه هو المذموم واما الفرح بالدنيا من حيث انها تعينه على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة واطعام الجائع وغير ذلك فلا باس به (قوله بان تنفقه في طاعة الله) اى كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا) اى بان تصرف عمرك في مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير فتصير يوم القيامة مفلسا لما في الحديث اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز قال الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداآن تدرج فيهما وحنوط

(قوله واحسن للناس بالصدقة) المناسب حمله على العموم ويكون تفسيرا لقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا وقوله كما احسن الله اليك الكاف للتشبيه وما مصدرية والمعنى واحسن احسانا كاحسان الله اليك أو للتعليل (قوله قال انما اوتيته على علم عندى) جواب لما قالوه من الجمل الخمس كانه ينكر محض الفضل والمعنى انما اوتيته حال كوني متصفا بالعلم الذى عندى فاعطاني الله تلك الاموال لكوني مستحقا لها لفضلي وعلمي (قوله وكان اعلم بني اسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذى فضل به هو علم الكيمياء فان موسى علمه ثلثه ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف ماعندهما الى ماعنده فكان ياخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهبا فكثر بذلك ماله وتكبر وعلى هذا فقوله على علم عندى المراد به علم الكيمياء ويكون المعنى اكتسبته بعلمي الذى عندى لا من فضل الله كما تقولون (قوله أولم يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أيدعى

* ٢ (قوله تدرج) يقرأ بتسكين الجيم للوزن

ولم يعلم أن الله اطلع والاستفهام للتوبيخ والمعنى أنه اذا أراد اهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) أى لا يسألهم الله عن ذنوبهم اذا أراد عقابهم ان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون أجيب بان السؤال قسمان سؤال استعتاب وسؤال توبيخ وتقريع فالمنفى سؤال الاستعتاب الذى يعقبه العفو والغفران كسؤال المسلم العاصي والمثبت سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه الا النار (قوله فخرج على قومه) عطف على قوله انما أوتيته على علم وما بينهما اعتراض وكان خروجه يوم السبت وقوله باتباعه قيل كانوا أربعة آلاف وقيل تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئى فيه المعصفرات وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الاحمر وكانت بغلته شهباء بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الارجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى وكانوا مؤمنين غير انهم محجوبون (قوله كلمة زجر) أى وهى منصوبة بمقدر أى الزمكم الله ويلكم والاصل فى الويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع (قوله مما أوتى قارون فى الدنيا) أى لان الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أى يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة وعن المعصية) أى وعلى الرضا باحكامه تعالى (قوله فخسفنا به وبداره الارض) قال أهل العلم بالاخبار والسير كان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى واعتزل باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون اليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار واحد وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وكذلك سائر الاشياء ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيأ كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم قالت بنو اسرائيل أنت كبيرنا فمرنا بما شئت قال آمركم أن تأتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون الف دينار وألف درهم وقيل جعل لها طشتا من ذهب وقيل قال لها قارون أمولك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنى اسرائيل ثم أتى الى موسى فقال له ان بنى اسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم فى براح من الارض فقام فيهم فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت قال قارون وان كنت انت قال وان كنت أنا قال قارون فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله بالتوفيق فقالت فى نفسها أحدث توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت لا والله ولكن جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى الله اليه انى أمرت الارض أن تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا

للمال أى وهو عالم بذلك ويهلكهم الله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب (فخرج) قارون (على قومه فى زينته) باتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا) للتنبيه (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) فى الدنيا (انه لذو حظ) نصيب (عظيم) واف فيها (وقال) لهم (الذين أوتوا العلم) بما وعد الله فى الآخرة (ويلكم) كلمة زجر (ثواب الله) فى الآخرة بالجنة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون فى الدنيا (ولا يلقاها) اى الجنة المثاب بها (الا الصابرون) على الطاعة وعن المعصية (فخسفنا به) بقارون (وبداره الارض فما كان له

فلم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فاخذتهم الارض باقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الارض الى اوساطهم ثم قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وأصحابه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم قال قتادة خسفت به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وفي الخبر اذا وصل قارون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور واصبحت بنو اسرائيل يتحدثون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وامواله الارض قال بعضهم مقتضى هذا الحديث ان الارض لا تاكل جسمه فيمكن ان يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون (قوله من فئة) من زائدة وفئة اسم كان ان كانت ناقصة والجار والمجرور خبرها أو فاعل بها ان كانت تامة (قوله من المنتصرين) اى الممتنعين بانفسهم (قوله اى من قريب) أشار بذلك الى ان المراد بالامس الوقت الماضي القريب لا اليوم الذي قبل يومك (قوله ويكان الله الخ) ويكان فيها خمسة مذاهب الاول ان وى كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب والكاف للتعليل وان وما دخلت عليه مجرور بها اى اعجب لان الله يبسط الرزق الخ فالوقف على وى وهو قراءة الكسائي الثاني ان كان للتشبيه غير انه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على وى كالذي قبله الثالث ان ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وان معمولة لمحذوف اى اعلم ان الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على ويك وهو قراءة أبي عمرو الرابع ان اصلها ويلك حذفت اللام وحينئذ فالوقف على الكاف أيضا الخامس ان ويكان كلها كلمة بسيطة ومعناها ألم تر ان الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على النون (قوله لولا ان من الله علينا) اى بالايمان والرحمة (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله ويكانه) تاكيد لما قبله ويجرى فيها ما يجرى في التي قبلها (قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة فان فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلو فآل أمرهما للخسران والوبال والدمار وموسى وهرون اختارا التواضع فآل أمرهما للعز الدائم الذي لا يزول ولا يحول (قوله اى الجنة) اى وما فيها من النعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم وسماع كلامه القديم (قوله لا يريدون علوا) التعبير بالارادة أبلغ في النفي لانه نفي للفعل وزيادة (قوله نجعلها) اى نصيرها (قوله بالبغى) اى الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما (قوله بعمل المعاصي) اى كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الامور التي تخالف أوامره تعالى (قوله للمتقين) اظهر في مقام الاضمار اظهارا لشانهم ومدحا لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلا على ضدهم (قوله من جاء بالحسنة) تقدم انه ان اريد بالحسنة لا اله الا الله فالمراد بالخير الجنة ومن للتعليل وليس في الصيغة تفضيل وان أريد بها مطلق طاعة فالمراد بالخير منها عشر امثالها كما جاء مفسرا به في الآية الاخرى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقول المفسر ثواب بسببها الخ اشارة للمعنى الثاني (قوله وهو عشر أمثالها) هذا أقل المضاعفة وتضاعف لسبعين ولسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء وهذا في الحسنة التي فعلها بنفسه او فعلت من أجله كالقراءة والذكر اذا فعل واهدى ثوابه للميت مثلا واما الحسنة التي تؤخذ في نظير الظلامة فلا تضاعف بل تؤخذ الحسنة للمظلوم واما المضاعفة فتكتب للظالم لانها محض فضل من الله تعالى ليس للعبد فيه فعل والمضاعفة مخصوصة بهذه الامة وأما غيرهم فلا مضاعفة له (قوله فلا يجزى الذين عملوا السيآت الخ)

من فئة ينصرونه من دون الله) اى غيره بان يمنعوا عنه الهلاك (وما كان من المنتصرين) منه (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس) أى من قريب (يقولون ويكان الله يبسط) يوسع (الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يضيق على من يشاء ووى اسم فعل بمعنى أعجب اى انا والكاف بمعنى اللام (لولا ان من الله علينا لخسف بنا) بالبناء للفاعل والمفعول (ويكانه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله كقارون (تلك الدار الآخرة) اى الجنة (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) بالبغى (ولا فسادا) بعمل المعاصي (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) عقاب الله بعمل الطاعات (من جاء بالحسنة فله خير منها) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا) جزاء (ما كانوا يعملون)

اظهر فى مقام الاضمار تسجيلا و تقبيحا على فاعل السيئات ليزجر عن فعلها (قوله اى مثله) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله انزله) اى أو فرضه بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به (قوله الى مكة وكان اشتاقها) تقدم ان سبب نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم لما اذن له فى الهجرة الى المدينة وخرج من الغار مع ابى بكر ليلا سار فى غير الطريق فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق اليها وذكر مولده ومولد ابيه فنزل عليه جبريل وقال له أتشتاق الى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل ان الله تعالى يقول ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد يعنى الى مكة ظاهرا عليهم وسميت البلد معادا لان شان الانسان ان ينصرف من بلده ويعود اليها وتقدم ان هذه الآية ينبغى قراءتها للمسافر تفاؤلا بعوده لوطنه ولا يقال ان الآية قيلت للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف تقال لغيره لانه يقال ان القرآن نزل للتعبد والاقتداء به فكانه قال كما صدقت وعد نبيك فاصدق وعدى (قوله جوابا لقول كفار مكة له الخ) اى كما قالت بنو اسرائيل لموسى مثل ذلك فرد الله عليهم بقوله وقال موسى ربى اعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار (قوله واعلم بمعنى عالم) انما احتيج الى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه والا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن (قوله وما كنت ترجوا) اى قبل مجئ الرسالة اليك (قوله ان يلقى اليك الكتاب) اى فانزاله عليك ليس عن ميعاد ولا تطلب منك ومن هنا قال العلماء ان النبوة ليست مكتسبة لاحد قال فى الجوهرة

ولم تكن نبوة مكتسبه * ولو رقى فى الخير اعلى عقبه

الخ (قوله لكن القى اليك الخ) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد غيره لاستحالة ذلك عليه (قوله حذفت نون الرفع للجازم) اى وهو لا الناهية (قوله لالتقائها مع النون الساكنة) اى ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة وما مشى عليه المفسر فى تصريف الفعل انما ياتى على الدور وهو تاكيد الفعل الخالى عن الطلب فالاولى ان يقول واصله يصدونك دخل الجازم فحذف النون ثم اكد فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ووجود الضمة دليلا عليها (قوله بعد اذ انزلت اليك) اى بعد وقت انزالها عليك (قوله اى لا ترجع اليهم) اى لا تركن الى اقوالهم (قوله ولا تكونن من المشركين) الخطاب له والمراد غيره (قوله ولم يؤثر الجازم فى الفعل) اى لفظا وان كان مؤثرا محلا (قوله لبنائه) اى بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدنك فتاثر بالجازم وان كان مؤكدا بالنون لعدم مباشرتها للفعل فانه فصل بينهما بواو الجماعة قال ابن مالك

* واعربوا مضارعا ان عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) اشار بذلك الى ان المراد بالدعاء العبادة وحينئذ فليس فى الآية دليل على مازعمه الخوارج من ان الطلب من الغير حيا أو ميتا شرك فانه جهل مركب لان سؤال الغير من حيث اجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجبا لانه من التمسك بالاسباب ولا ينكر الاسباب الا جحود أو جهول (قوله كل شئ هالك الا وجهه) اى كل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه لان وجوده ليس ذاتيا له قال بعض العارفين

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال

من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال

والعارفون فنوا به لم يشهدوا * شيئا سوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * فى الحال والماضى والاستقبال

اى مثله (ان الذى فرض عليك القرآن) انزله (لرادك الى معاد) الى مكة وكان قد اشتاقها (قل ربى اعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين) نزل جوابا لقول كفار مكة له انك فى ضلال اى فهو الجائى بالهدى وهم فى الضلال واعلم بمعنى عالم (وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب) القرآن (الا) لكن القى اليك (رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا) معينا (للكافرين) على دينهم الذى دعوك اليه (ولا يصدنك) اصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقائها مع النون الساكنة (عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك) اى لا ترجع اليهم فى ذلك (وادع) الناس (الى ربك) بتوحيده وعبادته (ولا تكونن من المشركين) باعانتهم ولم يؤثر الجازم فى الفعل لبنائه (ولا تدع) تعبد (مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه)

وقيل المراد بالهلاك الانعدام بالفعل و يستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله

ثمانيـة حكم البقاء يعمها * من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرش والكرسي ونار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة وكل شئ هالك قد خصصوا * عمومه فاطلب لما قد لخصوا

ولا مفهوم لما عده السيوطي بل منها أجساد الانبياء والشهداء ومن في حكمهم والحور والولدان (قوله الا اياه) أشار بذلك الى ان المراد بالوجه الذات و يصح ان المراد به ما عمل لاجله سبحانه وتعالى فان ثوابه باق (قوله واليه ترجعون) اى في جميع أحوالكم

﴿سورة العنكبوت مكية﴾

مبتدأ أو خبر وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدا والخبر بالجملة الحالية وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم ان أسماء السور توقيفي وقوله مكية أى كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكيـة الا العشر آيات من أولها الى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فانها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لانه من المتشابه الذي يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستفهام يصح ان يكون للتقرير وحينئذ فيكون المعنى يجب على الناس ان يعترفوا بانهم لا يتركون سدى بل يمتحنون و يبتلون لان الدنيا دار بلاء وامتحان أو للتوبيخ وعليه فالمعنى لا يليق منهم هذا الحسبان اى الظن والتخمين بل الواجب عليهم علمهم بانهم لا يتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه في تاويل مصدر سدت مسد مفعولي حسب وان يقولوا علة للحسبان وقوله وهم لا يفتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس ويكون المعنى أحسب الناس ان يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين او من أجل نطقهم بالشهادتين بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين ليتميز الراسخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة ايمانهم) اى من المشاق كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب في الانفس والاموال (قوله نزل في جماعة) اى كعمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة والمقصود من الآية تسلية هؤلاء وتعليم من يأتي بعدهم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) اما حال من الناس وحينئذ فالمعنى أحسبوا ذلك والحال انهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا أو من فاعل يفتنون والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الامم السابقة روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون (قوله الذين صدقوا الخ) عبر في جانب الصدق بالفعل الماضي وفي جانب الكذب باسم الفاعل اشارة الى ان الكاذبين وصفهم مستمر لم يظهر منهم الا ما كان مخبأ وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال ان علم الله لا تجدد فيه والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس ببيان الصادق من الكاذب (قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ الى توبيخ فالاول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الايمان من غير مشقة ولا تعب والثاني أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله و يفرون منه مع دوامهم على

الا اياه (له الحكم) القضاء النافذ (واليه ترجعون) بالنشور من قبوركم

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) الله اعلم بمراده به (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا) اى بقولهم (آمنا وهم لا يفتنون) يختبرون بما يتبين به حقيقة ايمانهم نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا) في ايمانهم علم مشاهدة (وليعلمن الكاذبين) فيه (ام حسب الذين يعملون السيئات) الشرك والمعاصي (ان يسبقونا) يفوتونا فلا ننتقم منهم (ساء) بئس (ما)

الكفر (قوله الذي يحكمونه الخ) أشار بذلك الى أن ما اسم موصول فاعل ساء ويحكمون صلته والعائد محذوف والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا و يصح أن تكون ما مميزا والفاعل ضمير مفسر بما قال ابن مالك

وما مميز وقيل فاعل * في نحو نعم ما يقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أي يعتقد و يجزم بانه يلاقي الله فيرجو رحمته ويخاف عقابه وهذا التفسير أتم مما قاله المفسر لان المؤمن المصدق بلقاء الله لا بدله من الرجاء والخوف معا و يؤيد ما قلناه جواب الشرط الذي قدره بقوله فليستعد له أي يتهيأ و يستحضر للرحمة والنجاة من العذاب (قوله فان أجل الله لآت) ليس هذا هو جواب الشرط والالزم أن من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتيا له بل الجواب ما قدره المفسر (قوله بافعالهم) أي وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أي وهو الجهاد الاصغر وقوله او نفس اى وهو الجهاد الاكبر وذلك لان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس اخته ولا تغيب عن الانسان ابدا وهي خفية تظهر المحبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وايضا اذا قتله الكافر مات شهيدا واما اذا قتلته نفسه فاما عاص او كافر فلا شك ان جهاد النفس اكبر من جهاد الكفار ولذا ورد في الحديث انه قال بعد رجوعه من الجهاد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله واى جهاد اكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان (قوله فانما يجاهد لنفسه) اى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له في توفيقكم لعبادته فالحصر اضافي فلا ينافي انه ينتفع غيره بجهاده كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد فالمقصود نفي النفع عن الله لاستحالته عليه (قوله ان الله لغني عن العالمين) اى فلا يصل له منهم نفع ولا ضر لما في الحديث القدسي ياعبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيا ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيا (قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية وهذا وعد حسن للمتصفين بالايمان (قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم) اى لا نؤاخذهم بها وهذا ظاهر في غير المعصومين واما المعصومون فلا سيئات لهم فما معنى تكفيرها أجيب بان الكلام على الفرض والتقدير بمعنى انه لو وجدت منهم سيئات تكفر او المراد بالسيئات خلاف الاولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله بمعنى حسن) اى فاسم التفضيل ليس على بابه لانه يوهم انهم يجازون على الاحسن لا على الحسن وقد يقال المراد بالاحسن الثواب الواقع في مقابلة الاعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب في نظير اعمالهم الصالحة فتامل (قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا) سبب نزولها هي وآية لقمان والاحقاف ان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين الى الاسلام لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبي سفيان أن لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد فابى سعد ان يطيعها فصبرت ثلاثة ايام لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشي عليها فاتاها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما رأت ذلك أكلت فنزلت الآية بالوصية عليها وانما أمر الله الاولاد ببر والديهم دون العكس لان الاولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين فكلفهم الله بما يخالف طبعهم والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالاولاد فوكلهم الله لما جبلوا عليه (قوله اى ايصاء ذا حسن) اشار بذلك الى ان حسنا صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف و يصح ان يبقى على مصدريته مبالغة على حد زيد عدل (قوله بان يبرهما) اى يحسن اليهما اوجه البر كثيرة جدا منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما في غير معاصي الله وغير ذلك (قوله وان جاهداك لتشرك بي)

الذي (يحكمون) ـه حكمهم هذا (من كان يرجوا) يخاف (لقاء الله فان اجل الله) به (لآت) فليستعد له (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) بافعالهم (ومن جاهد) جهاد حرب او نفس (فانما يجاهد لنفسه) فان منفعة جهاده له لا لله (ان الله لغني عن العالمين) الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) بعمل الصالحات (ولنجزينهم احسن) بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض الباء (الذي كانوا يعملون) وهو الصالحات (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) اى ايصاء ذا حسن بان يبرهما (وان جاهداك لتشرك بي

ماليس لك به) باشراكه (علم) موافقة للواقع فلا مفهوم له (فلا تطعهما) فى الاشراك (الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) فاجازيكم به (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) الانبياء والاولياء بان نحشرهم معهم (ومن الناس من

يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس) أى اذاهم له (كعذاب الله) فى الخوف منه فيطيعهم فينافق (ولئن) لام قسم (جاء نصر) للمؤمنين (من ربك) فغنموا (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (انا كنا معكم) فى الايمان فاشركونا فى الغنيمة قال تعالى (اوليس الله باعلم) اى بعالم (بما فى صدور العالمين) قلوبهم من الايمان والنفاق بلى (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقلوبهم (وليعلمن المنافقين) فيجازى الفريقين واللام فى الفعلين لام قسم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) ديننا (ولنحمل خطاياكم) فى اتباعنا ان كانت والامر بمعنى الخبر قال تعالى (وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون) فى ذلك (وليحملن اثقالهم) اوزارهم (واثقالا مع اثقالهم) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا واضلالهم مقلديهم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون)

اتى هنا باللام وفى لقمان بعلى حيث قال وان جاهداك على ان تشرك بى لان ماهنا موافق لما قبله فى قوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومافى لقمان ضمن جاهداك معنى حملاك (قوله ماليس لك به علم) مامفعول تشرك أى الها لا علم لك به (قوله موافقة للواقع) علة لمحذوف تقديره ذكر هذا القيد موافقة للواقع اى ان الواقع ان الاله واحد فليس اله لك به علم واله لا علم لك به وأما الاصنام فاشراكها مع الله فى العبادة هزؤ وسخافة عقل اذلو تامل الكافر ادنى تامل ماعلم الها غير الله ولا ظنه ولا توهمه (قوله الى مرجعكم) فيه وعد حسن لمن بربوالديه واتبع الهدى ووعيد لمن عق والديه واتبع سبيل الردى (قوله بما كنتم تعملون) اى بالصالح والسيء فيترتب على كل جزاؤه (قوله والذين آمنوا الخ) الذين اسم موصول مبتدأ وآمنوا اصلته وقوله لندخلنهم الى الخ خبره (قوله بان نحشرهم معهم) أى يوم القيامة بل ويجتمعون بهم فى البرزخ فاذا مات المؤمن الصالح اجتمعت روحه بمن احب من الانبياء والاولياء حتى تقوم القيامة فحينئذ يكون مرافقا لهم فى الدرجات العالية قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما (قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ) لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم بين هنا حال المنافقين وهم من اظهروا الاسلام واخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن يقول مبتدأ مؤخر وقوله آمنا بالله الخ مقول القول (قوله فاذا أوذى فى الله) أى آذاه الكفار على اظهار الايمان (قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أى لم يصبر على الاذى بل ترك الدين الحق والتشبيه من حيث ان عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعا لهم من الايمان وكان يمكنهم الصبر على الاذى الى حد الاكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالايمان (قوله فيطيعهم) أى ظاهرا وباطنا وأما المكره فقد اطاع ظاهرا لا باطنا والمؤاخذة مرجعها للقلب (قوله والواو الخ) عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنين) أى ولوجود الضمة دليلا عليها (قوله انا كنا معكم فى الايمان) أى وان الذى وقع منا انما هو على سبيل الاكراه (قوله أى بعالم) أشار بذلك الى أن التفضيل فى صفات الله واسمائه ليس مرادا (قوله وليعلمن الله الذين آمنوا الخ) أى ليظهر متعلق علمه للناس فيفتضح المنافق ويظهر شرف المؤمن الخالص (قوله ان كانت) أى على فرض حصولها والا فهم ليسوا مسلمين ان فى اتباعهم خطايا (قوله والامر بمعنى الخبر) أى فالمعنى ليكن منكم الاتباع ومنا الحمل (قوله واثقالا مع اثقالهم) أى لان الدال على الشر كفاعله من غير أن ينقص من وزر الاتباع شئ (قوله عما كانوا يفترون) اى يختلقون من الاباطيل التى من جملتها قولهم اتبعوا سبيلنا الخ (قوله ولقد ارسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالى تكاليف هذه الامة وبين أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار بين هنا ان هذه التكاليف ليست مختصة بهذه الامة بل من قبلهم كانوا كذلك وتقدم ان نوحا اسمه عبد الغفار وقيل يشكر وكان يسمى السكن لان الناس بعد آدم سكنوا اليه فهو ابوهم ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه وقيل على خطيئته لما روى انه مر بكلب فقال فى نفسه ما اقبحه فاوحى الله اليه أعبتنى أم أعبت الكلب اخلق أنت أحسن منه ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن أدريس بن يرد بن اهلاييل بن قينان بن نوش ابن شيث بن آدم عليه السلام (قوله وعمره أربعون سنة او اكثر) تقدم انه اختلف فى الاكثر فقيل بعث على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين وقيل مائة سنة وقيل غير ذلك (قوله فلبث فيهم الف سنة الخ) الحكمة

 يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام فى الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) وعمره اربعون سنة او اكثر (فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) يدعوهم الى توحيد الله (فكذبوه فاخذهم الطوفان) أى الماء الكثير

طَاف بهم وعلاهم فغرقوا (وهم ظالمون) مشركون (فانجيناه) اى نوحا (واصحاب السفينة) اى الذين كانوا معه فيها (وجعلناها آية) عبرة (للعالمين) لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسلهم وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة او اكثر حتى كثر الناس (و) اذكر (ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) خافوا عقابه (١٩٤) (ذلكم خير لكم) مما انتم عليه من عبادة الاصنام (ان كنتم تعلمون) الخير من غيره (انما تعبدون من دون الله) اى غيره (اوثانا وتخلقون افكا) تقولون كذبا ان الاوثان شركاء الله (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يقدرون ان يرزقوكم (فابتغوا عند الله الرزق) اطلبوه منه (واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا) اى تكذبونى يا اهل مكة (فقد كذب امم من قبلكم) من قبلى (وما على الرسول الا البلاغ المبين) الا بلاغ البين فى هاتين القصتين تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وقال تعالى فى قومه (اولم يروا) بالياء والتاء ينظروا (كيف يبدئ الله الخلق) هو بضم اوله وقرئ بفتحه من بدأ وابدأ بمعنى اى يخلقهم ابتداء (ثم) هو (يعيده) الخلق كما بدأهم (ان ذلك) المذكور من الخلق الاول والثانى (على الله يسير) فكيف ينكرون الثانى (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) لمن كان قبلكم وأماتهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) مدا وقصرا مع سكون الشين (ان الله على كل شيء قدير) ومنه البدء والاعادة (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (واليه تقلبون) تردون (وما انتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (فى الارض ولا فى السماء) لو كنتم فيها اى لا تفوتونه (وما لكم من دون الله) اى غيره (من ولى) يمنعكم منه (ولا نصير) ينصركم من عذابه (والذين كفروا بآيات الله ولقائه) اى القرآن والبعث

فى ذكر لبثه هذه المدة تسلية صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار فى الاسلام فكان الله يقول لنبيه لا تحزن فان نوحا لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه الا القليل فصبر وما ضجر فانت اولى بالصبر لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك والحكمة فى المغايرة بين العام والسنة التفنن وخص لفظ العام بالخمسين اشارة الى ان نوحا لما غرقوا استراح وبقى فى زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة (قوله طاف بهم وعلاهم) اى احاط بهم وارتفع فوق اعلى جبل اربعين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة اولاده الثلاثة وستة من غيرهم وقيل غير ذلك (قوله ستين او اكثر) قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله وابراهيم) قرأ العامة بالنصب عطف على نوحا او معمول لمحذوف كما درج عليه المفسر حيث قدر اذكر وقرئ شذوذا بالرفع على انه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين ابراهيم (قوله اعبدوا الله) اى امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم (قوله واتقوه) اى اجتنبوا نواهيه (قوله ذلكم) اى ما ذكر من العبادة والتقوى (قوله خير لكم مما انتم عليه الخ) اى فى زعمكم ان فيه خيرا والاحسن ان يقال ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة (قوله الخير) اى وهو عبادة الله وقوله من غيره اى وهو عبادة غيره (قوله اوثانا) جمع وثن وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبودا (قوله وتخلقون افكا) اى تختلقونه وتخترعونه (قوله لا يملكون لكم رزقا) اى لا يستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطلبوه منه) اى ولا تطلبوه من غيره لانه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (قوله واعبدوه واشكروا له) اى لان بالشكر تزداد النعم قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (قوله اليه ترجعون) اى تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصى (قوله وان تكذبوا) شرط حذف جوابه تقديره فلا يضرنى تكذيبكم وانما تضرون انفسكم وقوله فقد كذب امم من قبلكم دليل الجواب ومن هنا قوله فما كان جواب قومه جمل معترضة بين كلام ابراهيم وجواب قومه له اشارة الى ان المقصود بالخطاب امة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من قبلى) من اسم موصول مفعول كذب والمعنى فلم يضر الرسل تكذيب قومهم لهم (قوله فى هاتين القصتين) اى قصة نوح وابراهيم (قوله وقد قال تعالى) اى ردا على منكرى البعث (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كيف يبدئ الله الخلق) لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر وهذه الاصول الثلاثة يجب الايمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتحه) اى شذوذا (قوله من بدأ وابدأ) لف ونشر مشوش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير اشارة الى ان الجملة ليست معطوفة على ما قبلها بل هى مستأنفة (قوله قل سيروا فى الارض) امر من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقول لمنكرى البعث ما ذكر ليشاهدوا كيف انشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على انشائها بدأ يقدر على اعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للقصر والقراءتان سبعيتان (قوله يعذب من يشاء) اى فى الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء اى فيهما فلا يسأل عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) اشار بذلك الى ان المراد بالارض والسماء حقيقتهما ويصح ان يراد بهما جهة السفل والعلو (قوله اى القرآن والبعث)

(اولئك يئسوا من رحمتى) اى جنتى (واولئك لهم عذاب اليم) ثم قال تعالى فى قصة ابراهيم (فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار) التى قذفوه فيها بان جعلها عليه بردا وسلاما (ان فى ذلك) اى انجائه منها (لآيات) هى عدم تاثيرها فيه مع عظمها واخمادها وانشاء روض مكانها فى زمن يسير (لقوم يؤمنون) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون

بها (وقال) ابراهيم (انما اتخذتم من دون الله اوثانا) تعبدونها وما مصدرية (مودة بينكم) خبر ان وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة المعنى تواددتم على عبادتها (فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ القادة من الاتباع (ويلعن بعضكم بعضا) يلعن الاتباع القادة (ومأواكم) مصيركم جميعا (النار وما لكم من ناصرين) مانعين منها (فآمن له) صدق بابراهيم (لوط) وهو ابن أخيه هاران (وقال) ابراهيم (انى مهاجر) من قومى (الى ربى) أى الى حيث أمرنى ربى وهجر قومه وهاجر من سواد العراق الى الشام (انه هو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ووهبنا له) بعد اسمعيل (اسحق ويعقوب) بعد اسحق (وجعلنا فى ذريته النبوة) فكل الانبياء بعد ابراهيم من ذريته (والكتاب) بمعنى الكتب اى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وآتيناه اجره فى الدنيا) وهو الثناء الحسن فى كل اهل الاديان

(وانه فى الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا (و) اذكر (لوطا اذ قال لقومه ائنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين فى الموضعين (لتأتون الفاحشة) اى ادبار الرجال (ما سبقكم بها من احد من العالمين) الانس والجن (ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس المر بكم (وتأتون فى ناديكم) اى متحدثكم (المنكر)

لف ونشر مرتب فالاول راجع للآيات والثانى راجع للقاء (قوله أولئك يئسوا من رحمتى) أى يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه الخ) أى لم يكن جواب قوم ابراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الاوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة الا ذلك فان النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لان الشان ان الآمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار والذى يتولى ذلك الصغار وانما أجابوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أو حرقوه) أتى هنا بالترديد واقتصر فى الانبياء على أحد الامرين وهو الذى فعلوه اشارة الى ان ما هنا حكاية عن أصل تشاورهم وما فى الانبياء عن عزمهم وتصميمهم على ما فعلوه (قوله فانجاه الله من النار) فى الكلام حذف والتقدير فقذفوه فى النار فانجاه الله الخ والى هذا أشار المفسر بقوله التى قذفوه فيها (قوله هى) أى الآيات (قوله واخمادها) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الاخماد فهو طفء النار بالمرة (قوله فى زمن يسير) أى مقدار طرفة عين (قوله لانهم المنتفعون) علة لمحذوف والتقدير خصوا بالذكر لانهم الخ (قوله وقال ابراهيم) عطف على قوله فانجاه الله من النار (قوله انما اتخذتم من دون الله أوثانا) ان حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذتم صلتها مسبوكة بمصدر اسم ان وأوثانا مفعول أول والمفعول الثانى محذوف قدره المفسر بقوله تعبدونها ومودة خبر ان ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة أى سواء قرئ بتنوين مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ اما متعد لواحد أو لاثنين والثانى هو قوله من دون الله ويصح أن تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلته والعائد محذوف والتقدير ان الذى اتخذتموه من دون الله أوثانا تعبدونها لاجل المودة بينكم ونقل عن عاصم انه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على اضافة مودة للظرف وبنى لاضافته لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح اذا جعل بينكم فاعلا فتحصل أن القراآت أربع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سبعى (قوله المعنى) أى الحاصل من تلك القراآت (قوله يتبرأ القادة) اى ينكرونهم ويقولون لهم لا نعرفكم (قوله صدق بابراهيم) اى بنبوته وان كان مؤمنا قبل ذلك ويجب الوقف على لوط لان قوله وقال انى مهاجر من كلام ابراهيم فلو وصل لتوهم انه من كلام لوط (قوله اى الى حيث امرنى ربى) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظ اثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) اى فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن اخيه ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسذوم وكان عمر ابراهيم اذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) اى بعد هجرته (قوله بعد اسمعيل) اى باربع عشرة سنة (قوله فى ذريته) اى ابراهيم (قوله فكل الانبياء بعد ابراهيم من ذريته) اى لانحصار الانبياء فى اسمعيل واسحق ومدين جد شعيب (قوله وهو الثناء الحسن فى كل اهل الاديان) اى لجميع اهل الاديان يحبونه ويذكرونه بخير وينتمون اليه (قوله لمن الصالحين) اى الكاملين فى الصلاح (قوله ولوطا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) اى اهل سذوم وتوابعها (قوله وادخال الف بينهما) اى وعدمه فالقراآت اربع سبعيات (قوله الانس والجن) اى من عهد آدم الى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم) قيل انهم كانوا يجلسون فى

فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) في استقباح ذلك وان العذاب نازل بفاعليه (قال رب انصرني) بتحقيق قولي في انزال العذاب (على القوم المفسدين) العاصين باتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) (١٩٦) باسحق و يعقوب بعده (قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية) اى قرية لوط (ان أهلها

كانوا ظالمين) كافرين (قال) ابراهيم (ان فيها لوطا قالوا) اى الرسل (نحن أعلم بمن فيها لننجينه) بالتخفيف والتشديد (واهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) صدرا لانهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه فاعلموه أنهم رسل ربه (وقالوا لاتخف ولا تحزن انا منجوك) بالتشديد والتخفيف (وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (انا منزلون) بالتخفيف والتشديد (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء بما) بالفعل الذي (كانوا يفسقون) به اى بسبب فسقهم (ولقد تركنا منها آية بينه) ظاهرة هي آثار خرابها (لقوم يعقلون) يتدبرون (و) أرسلنا (الى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أخشوه هو

يوم القيامة (ولا تعثوا في الارض مفسدين) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة افسد (فكذبوه فاخذتهم الرجفة) الزلزلة (قو
الشديدة (فاصبحوا في دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (و) أهلكنا (عادا وثمودا) بالصرف وتركه بمعنى الحي والقبيلة وقد (تبين لكم) اهلاكهم (من مساكنهم) بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) سبيل الحق

مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم أصابه كان أولى به فيأخذ ما معه وينكحه و يغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (قوله فعل الفاحشة) اى والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح (قوله الا ان قالوا ائتنا الخ) اى على سبيل الاستهزاء (قوله باتيان الرجال) اى وفعل بقية الفواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) اى فامر الملائكة باهلاكهم وارسلهم مبشرين ومنذرين فبشروا ابراهيم بالذرية الطيبة وانذروا قوم لوط بالعذاب (قوله باسحق و يعقوب) أي وبهلاك قوم لوط (قوله قال ان فيها لوطا) هذا بعض المجادلة التي تقدمت في قوله يجادلنا في قوم لوط حيث قال لهم اتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا الى ان قال أفرأيتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقين في العذاب) اى الذين لم يخلصوا منه لان الدال على الشر كفاعله وهي قد دلت القوم على أضياف لوط فصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما ان جاءت) ان زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار بذلك الى ان الباء في بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محول عن الفاعل اى ضاق ذرعه وقوله صدرا تفسير لحاصل المعنى والا فالذرع معناه الطاقة والقوة (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محل الكاف) اى وهو النصب على انها مفعول منجو (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هي آثار خرابها) وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها اوائل هذه الامة وقيل هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض (قوله لقوم يعقلون) متعلق بتركنا او ببينة وخصهم لانهم المنتفعون بالاتعاظ بها (قوله والى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح (قوله أخاهم شعيبا) اى لانه من ذرية مدين بن ابراهيم الذي هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) اى وحده (قوله وارجوا اليوم) يصح ان يبقى الرجاء على معناه و يكون المعنى ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر و يصح ان يكون بمعنى خافوا والمعنى خافوا عقاب الله في اليوم الآخر واليه يشير المفسر بقوله اخشوه (قوله من عثى بكسر المثلثة) اى من باب تعب و يصح ان يكون من باب قال (قوله فكذبوه) ان قلت مقتضى الظاهر ان يقال فلم يمتثلوا أوامره لان التكذيب انما يكون في الاخبار أجيب بان ماذكره من الامر والنهي متضمن للخبر كانه قيل الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فاجتنبوه فالتكذيب راجع الى الاخبار (قوله فاخذتهم الرجفة) اى الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم وتقدم في هود فاخذتهم الصيحة ولا منافاة بين الموضعين فان سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب في هلاكهم فتارة يضاف الاخذ للسبب وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط وقوله بمعنى الحي والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحي يكون اسم جنس لم توجد فيه العلمية التي هي احدى علتي منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبي القبيلة فقد وجدت فيه العلتان (قوله اهلاكهم) أشار بذلك الى ان فاعل تبين ضمير عائد على الاهلاك (قوله بالحجر) راجع لثمود وهو واد بين الشام والمدينة وقوله واليمن راجع لعاد

(قوله وكانوا مستبصرين) أي بواسطة الرسل فلم يكن لهم عذر في ذلك لان الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوي بصائر) أي عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا (قوله وقارون) قدمه على فرعون لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أي تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أي بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أي يعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالما لانه الخالق المتصرف في ملكه على ما يريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه اي فمثل الذين اتخذوا من دون الله اصناما يعبدونها في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتا لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل المفسر الاولياء على الاصنام مخرج للاولياء بمعنى المتولين في خدمة ربهم فان اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق باذيالهم مامور به وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم خلافا لمن جهل وعاند وزعم ان التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال انه اقنع الحيوانات جعل الله رزقه احرص الحيوان وهو الذباب والبق ونونه اصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم في الجمع عناكب وفي التصغير عنيكيب (قوله وان اوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الاصنام لا تنفع عابديها) اي فمن التجا لغير الله فلا ينفعه شيء ومن التجا لله وقاه بغير سبب و بسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل الغار بالعنكبوت و بيض الحمام مع كونهما أضعف الاشياء (قوله ماعبدوها) قدره اشارة الى ان جواب لو محذوف (قوله بمعنى الذى) اشار بذلك الى ان ما اسم موصول وجملة يدعون صلتها والموصول وصلته معمول ليعلم (قوله اى يفهمها) اى يفهم صحتها وفائدتها (قوله الا العالمون) خصهم لانهم المنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) اشار بذلك الى ان الباء في بالحق للملابسة والجار والمجرور حال (قوله خصوا بالذكر) جواب عما يقال ان في خلق السموات والارض آية لكل عاقل (قوله اتل ما أوحى اليك) أي ما اوحاه الله اليك بنزول جبريل به والمعنى تقرب الى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك لان فيه محاسن الآداب ومكارم الاخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله واقم الصلاة) اى دم على اقامتها باركانها وشروطها وآدابها فانها عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والخطاب للنبي والمراد هو وأمته بدليل مدحهم في آية ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية (قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) اى المواظبة عليها تكون سببا في تطهيره من الفحشاء والمنكر اذا استوفيت شروطها وآدابها لان الواجب حين الاقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسي والمعنوي وتجديد التوبة فاذا وقف بين يدي الله وخشع وتذكر انه واقف بين يدي مولاه وانه مطلع عليه يراه فحينئذ يظهر على جوارحه هيبتها وقوله مادام المرء فيها هذا احد قولين والقول الصحيح انها تنهى عنها في سائر الاوقات لما روى ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فوصف للنبي صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله وروى عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال اني واقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بان كانت لاخشوع فيها ولا تذكر فانها

(اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) فيعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) أي اصناما يرجون نفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تاوي اليه (وان اوهن) أضعف (البيوت لبيت العنكبوت) لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابديها (لو كانوا يعلمون) ذلك ما عبدوها (ان الله يعلم ما) بمعنى الذى (يدعون) يعبدون بالياء والتاء (من دونه) غيره (من شيء وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (وتلك الامثال) في القرآن (نضربها) نجعلها (للناس وما يعقلها) اى يفهمها (الا العالمون) المتدبرون (خلق الله السموات والارض بالحق)

اى محقا (ان في ذلك لآية) دلالة على قدرته تعالى (للمؤمنين) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين (اتل ما اوحى اليك من الكتاب) القرآن (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) شرعا اى من شانها ذلك مادام المرء فيها

المجادلة التي (هي احسن) كالدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه (الا الذين ظلموا منهم) بان حاربوا وابوا ان يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية (وقولوا) لمن قبل الاقرار بالجزية اذا اخبروكم بشيء مما في كتبهم (آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك (والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) مطيعون (وكذلك انزلنا اليك الكتاب) القرآن كما انزلنا اليهم التوراة وغيرها (فالذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يؤمنون به) بالقرآن (ومن هؤلاء) اى اهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا) بعد ظهورها (الا الكافرون) اى اليهود وظهر لهم ان القرآن حق والجائي به محق وجحدوا ذلك (وما كنت تتلوا من قبله) اى القرآن (من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا) اى لو كنت قارئا كاتبا (لارتاب) شك (المبطلون) اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة انه امي لا يقرأ ولا يكتب (بل هو) اى القرآن الذي جئت به (آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم) اى المؤمنين يحفظونه

لا تكون سببا في نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ما هو عليه من البعد لما ورد من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا (قوله ولذكر الله) اى بسائر انواعه اكبر اى أفضل الطاعات على الاطلاق لما روى عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير اعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى العباد افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة فالذكر افضل الاعمال وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد عن الجنيد انه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالاكثار منه فتتنور قلوبهم (قوله والله يعلم ما تصنعون) اى من خير وشر فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن) اى لا تدعوهم الى دين الله الا بالكلام اللين والمعروف والاحسان لعلهم يهتدون وقوله الا الذين ظلموا أى فادعوهم الى دين الله بالاغلاظ والشدة وقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بان حاربوا الخ) اشار بذلك الى ان المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعا فلا يقال ان الكل ظالمون لانهم كفار (قوله او يعطوا الجزية) اى يلتزموا اعطاءها (قوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم) اى لما روى انه كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم الآية وفي رواية وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ومحل ذلك مالم يتعرضوا لامور توجب نقض عهدهم كان يظهروا ان شرعهم غير منسوخ وان نبينا غير صادق فيما جاء به وغير ذلك فحينئذ نقاتلهم ومحله ايضا مالم يخبرونا بخبر موافق لما في كتابنا والا فيجب تصديقهم من حيث ان الله اخبرنا به (قوله فالذين آتيناهم الكتاب) اى نفعناهم به بان اعطيناهم نوره وظهرت ثمرته عليهم هم الذين يؤمنون به والا فجميع علمائهم اوتوا الكتاب ولم يسلم منهم الا القليل ويصح ان يكون المراد ففريق من اهل الكتاب الخ (قوله وما يجحد بآياتنا) اى ينكرها بعد معرفتها (قوله اى اليهود) لا مفهوم له بل النصارى والمشركون كذلك فالمناسب ان يقول الا الكافرون كاليهود (قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) شروع في اثبات الدليل على ان القرآن من عند الله وانه معجز للبشر كان الله يقول لاهل الكتاب انتم لا عذر لكم في انكار القرآن ولا في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لان من جملة صفاته في كتبهم انه امي لا يقرأ ولا يكتب ووجد بهذه الصفة فلو فرض انه كان يكتب أو يقرأ لحصل لهم الشك في نبوته وفي القرآن لوجوده على خلاف الصفة التي في كتبهم (قوله من كتاب) مفعول تتلوا ومن زائدة (قوله اى لو كنت قارئا كاتبا) لف ونشر مرتب (قوله اليهود) لا مفهوم له (قوله بل هو آيات بينات) اضراب عما تقدم من الارتياب (قوله اى المؤمنين يحفظونه) اى لفظا ومعنى لما ورد وجعلت من أمتك اقواما قلوبهم اناجيلهم أى كالاناجيل والمعنى ان القرآن محفوظ في صدورهم وثابت فيها كما كان كتاب النصارى ثابتا في أناجيلهم

(وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) ای اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم (وقالوا) ای كفار مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) ای محمد (آية من ربه) وفی قراءة آيات كناقة صالح وعصی موسی ومائدة عيسی (قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء (وانما انا نذير مبين) مظهر انذاری بالنار أهل المعصية (اولم يكفهم) فيما طلبوا (انا انزلنا عليك الكتاب) القرآن (يتلی عليهم) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات (ان فی ذلك) الكتاب (لرحمة وذكری) عظة (لقوم يؤمنون ﴿١٩٩﴾ قل كفی بالله بينی وبينكم شهيدا)

بصدقی (يعلم ما فی السموات والارض) ومنه حالی وحالكم (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله (وكفروا بالله) منكم (اولئك هم الخاسرون) فی صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان (ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمی) له (لجاءهم العذاب) عاجلا (وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) بوقت اتيانه (يستعجلونك بالعذاب) فی الدنيا (وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول) فيه بالنون ای نامر بالقول وبالياء ای يقول الموكل بالعذاب (ذوقوا ما كنتم تعملون) ای جزاءه فلا تفوتوننا (ياعبادی الذين آمنوا ان ارضی واسعة فاياى فاعبدون) فی ای ارض تيسرت فيها العبادة بان تهاجروا اليها من ارض لم تتيسر فيها * نزل فی

ضعفاء مسلمی مكة كانوا فی ضيق من اظهار الاسلام بها (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) بالتاء والياء بعد البعث (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) ننزلنهم وفی قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء الاقامة وتعديته الی غرف بحذف فی (من الجنة غرفا تجری من تحتها الانهار خالدين) مقدرين الخلود فيها (نعم اجر العاملين) هذا الاجر هم (الذين صبروا) ای علی اذی المشركين والهجرة لاظهار الدين (وعلی ربهم يتوكلون) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وكاين) كم (من دابة لا تحمل رزقها) لضعفها

(قوله وما يجحد بآياتنا) ای القرآن (قوله اليهود) تقدم ما فيه (قوله وفی قراءة آيات) ای وهما سبعيتان (قوله ينزلها كيف يشاء) ای علی ما يريد ولا دخل لاحد فی ذلك لان المعجزة امر خارق للعادة يأتی بفضل الله (قوله أولم يكفهم) الهمزة داخلة علی محذوف والواو عاطفة عليه التقدير اجهلوا ولم يكفهم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله انا انزلنا) ان وما دخلت عليه فی تاويل مصدر فاعل يكف والتقدير أولم يكفهم انزالنا (قوله مستمرة لا انقضاء لها) اخذ ذلك من قوله يتلی عليهم (قوله بخلاف ما ذكر من الآيات) ای فانقضت بموت الرسل (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانهم هم المنتفعون بذلك (قوله ومنه حالی وحالكم) ای من جملة ما فی السموات والارض (قوله والذين آمنوا بالباطل) ای خضعوا له وعبدوه (قوله حيث اشتروا الكفر بالايمان) ای اخذوا الكفر وتركوا الايمان (قوله ولولا اجل مسمی له) ای للعذاب (قوله وليأتينهم بغتة) ای كوقعة بدر فانها اتتهم علی حين غفلة (قوله وهم لا يشعرون) ای لا يظنون ان العذاب يأتيهم اصلا (قوله يستعجلونك بالعذاب) تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم والمعنی كيف يستعجلون العذاب والحال ان جهنم محيطة بهم يوم القيامة لا مفر لهم منها (قوله يوم يغشاهم العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنی علی الاستقبال ای ستحيط بهم فی ذلك اليوم (قوله من فوقهم ومن تحت ارجلهم) تفسير للاحاطة وهو بمعنی قوله تعالی لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش (قوله ای نامر بالقول) انما اوله جمعا بين ما هنا وبين قوله فی الاخری لا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله ای جزاءه) اشار بذلك الی ان الكلام علی حذف مضاف (قوله ياعبادی الذين آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من اظهار الاسلام فی مكة كما قال المفسر والاضافة لتشريف المضاف (قوله فاياى فاعبدون) اياى منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور (قوله كانوا فی ضيق الخ) ای فوسع الله لهم الامر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمن تعسرت عليه العبادة فی بلده فعليه ان يهاجر منها لبلد تتيسر له فيها لقوله تعالی وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فالمهم العبادة فی ای مكان تيسر ولا يعول علی مكان فی الدنيا لانها دار ممر لا مقر والمار فی طريق لا يعول علی مسكن ولا قرار فی طريقه (قوله كل نفس ذائقة الموت) ای لا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فان كل نفس ذائقة الموت فالحكمة فی تخويفهم من الموت كون مفارقة الاوطان تهون عليهم فان من ايقن بالموت هان عليه كل شیء فی الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكر احوال الكفار وما آل اليه امرهم أتبعه بذكر احوال المؤمنين وما آل اليه امرهم (قوله وفی قراءة بالمثلثة) ای الساكنة بعد النون وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرفا علی هذه القراءة اما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر أو مفعول به بتضمين نثوی معنی ننزل فيتعدی لاثنين (قوله تجری من تحتها) ای الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) اشار بذلك الی ان قوله خالدين فيها حال مقدرة لانهم حين الدخول يقدرون الخلود لانه اتم فی النعيم لسماعهم النداء من قبل الله يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله هذا الاجر) اشار بذلك الی ان المخصوص بالمدح محذوف (قوله الذين صبروا) نعت للعاملين أو خبر لمحذوف كما قال المفسر (قوله لاظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها)

(الله يرزقها وإياكم) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بضمائركم (ولئن) لام قسم (سألتهم) أي الكفار (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء من عباده) امتحانا (و يقدر) يضيق (له) بعد البسط اى لمن يشاء ابتلاء (ان الله بكل شيء عليم) ومنه محل البسط والتضييق (ولئن) لام قسم (سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) فكيف يشركون به (قل) لهم (الحمد لله) على ثبوت الحجة عليكم (بل اكثرهم لا يعقلون) تناقضهم فى ذلك (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) واما القرب فمن امور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) بمعنى الحياة (لو كانوا يعلمون) ذلك ما آثروا الدنيا عليها (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) اى الدعاء اى لا يدعون معه غيره لانهم فى شدة لا يكشفها الا هو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) به (ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وفى قراءة بسكون اللام امر تهديد (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك (أولم يروا) يعلموا (انا جعلنا) بلدهم مكة (حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم) قتلا وسبيا دونهم (أفبالباطل) الصنم (يؤمنون و بنعمت الله يكفرون) باشراكهم (ومن) اى لا احد (اظلم ممن افترى على الله كذبا) بان اشرك به (او كذب بالحق) النبي او الكتاب (لما جاءه أليس فى جهنم مثوى) ماوى (للكافرين) اى فيها ذلك وهو منهم (والذين جاهدوا فينا) فى حقنا

سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها و يسقينا وقوله لا تحمل رزقها أي لا تدخره لغد كالبهائم والطير قال سفيان بن عيينة ليس شيء من الخلق يخبأ الا الانسان والفارة والنملة (قوله الله يرزقها واياكم) اى فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوى فى امر الرزق بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين فينبغى للانسان ان يفوض امر الرزق له تعالى ولا ينافى هذا الاخذ فى الاسباب لان الله تعالى اوجد الاشياء عند أسبابها لا بها فالاسباب لا تنكر ومن انكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سألتهم) أي كفار مكة (قوله من خلق السموات والارض الخ) اتى فى جانب السموات والارض بالخلق وفى جانب الشمس والقمر بالتسخير اشارة الى ان الحكمة فى خلقهما التسخير الذى ينشأ عنه الليل والنهار اللذان بهما قوام العالم بخلاف السموات والارض فالنفع فى مجرد خلقهما (قوله فانى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له) أى فلا تركن لغيره فليس مالكا لضر ولا نفع (قوله فاحيى به) اى النبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) اى جدبها وقحط اهلها (قوله فكيف يشركون به) اى بعد اقرارهم (قوله بل أكثرهم لا يعقلون) أى والاقل يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وماهذه الحياة الدنيا) أشار بذلك الى ان الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة فينبغى للعاقل التجافى عنها و ياخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة قال بعض العارفين

تأمل فى الوجود بعين فكر * ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى * و يبقى وجه ربك ذو الجلال

(قوله الا لهو ولعب) اللهو الاشتغال بما فيه نفع عاجل واللعب الاشتغال بما لا نفع فيه اصلا (قوله وأما القرب) اى كالتوحيد والذكر والعبادة (قوله بمعنى الحياة) أى الدائمة الخالدة التى لا زوال فيها (قوله ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو أى ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة (قوله فاذا ركبوا فى الفلك الخ) اى وذلك أن الكفار كانوا اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله اذا هم يشركون) جواب لما والمعنى عادوا الى شركهم لاجل كفرهم بما أعطاهم الله وتلذذهم باعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصيرورة وقوله وليتمتعوا عطف عليه (قوله وفى قراءة بسكون اللام) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله امر تهديد) أى فى الفعلين بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله فسوف يعلمون فالحاصل انه اذا سكنت اللام فى الثانى تعين كونها للامر فى الفعلين وان لم تسكن كانت فى الفعلين للعاقبة والصيرورة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أعموا ولم يروا الخ (قوله و يتخطف الناس) الجملة حالية على تقدير المبتدإ اى وهم يتخطف الخ (قوله اى لا احد) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال المفسرون ان هذه الآية نزلت قبل الامر بالجهاد لكونها مكية وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد

النفس

النفس قال الحسن الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقيل الذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا لما في الحديث من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم (قوله لنهدينهم سبلنا) أي طرق الوصول الى مرضاتنا فالطريق هي العمل بالاحكام الشرعية وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار اليها بقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (قوله لمع المحسنين) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لاظهار شرفهم بوصف الاحسان والمعنى وان الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة فهي معية خاصة واليها الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث

﴿ سورة الروم ﴾

مبتدأ وستون خبر اول ومكية خبر ثان وظاهر المفسر ان كلها مكي وقيل الا قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون الآية (قوله الله اعلم بمراده بذلك) تقدم ان هذا اصح التفاسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وسمى عيصو لانه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تزاحما واراد كل ان يخرج قبل الآخر فقال عيصو ليعقوب ان لم اخرج قبلك والا خرجت من جنبها فتأخر يعقوب شفقة منه فلهذا كان ابا الانبياء وعيصو ابا الجبارين وسبب نزول هذه الآية انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهر يزان وبعث قيصر جيشا وامر عليهم رجلا يدعى يخنس فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابي بن خلف الجمحي وقال كذبت فقال له الصديق أنت أكذب يا عدو الله فقال اجعل أجلا أناحبك اي اقامرك واراهنك عليه فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر فقال ابي ان ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك وان ظهر فارس على الروم غرمت لي ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا قال فتعال أزايدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين فقال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن الخلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم اياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فاخذ ابو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به الى النبي صلى

لنهدينهم سبلنا) اى طرق السير الينا (وان الله لمع المحسنين) المؤمنين بالنصر والعون

﴿ سورة الروم مكية وهي ستون او تسع وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله اعلم بمراده بذلك (غلبت الروم)

وهم اهل كتاب غلبتها فارس وليسوا اهل كتاب بل يعبدون الاوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم (في ادنى الارض) اي اقرب ارض الروم الى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس (وهم) اي الروم (من بعد غلبهم) اضيف المصدر الى المفعول اي غلبت فارس اياهم (سيغلبون) فارس (في بضع سنين) هو ما بين الثلاث الى التسع او العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الاول

وغلبت الروم فارس (لله الامر من قبل ومن بعد) اي من قبل غلب الروم ومن بعده المعنى ان غلبة فارس اولا وغلبة الروم ثانيا بامر الله اي ارادته (ويومئذ) اي يوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) اياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (ينصر من يشاء وهو العزيز) الغالب (الرحيم) بالمؤمنين (وعد الله) مصدر بدل من اللفظ بفعله والاصل وعدهم الله النصر (لا يخلف الله وعده) به (ولكن اكثر الناس) اي كفار مكة (لا يعلمون) وعده تعالى بنصرهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) اي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك (وهم عن الآخرة هم غافلون) اعادة هم تاكيد (اولم يتفكروا في انفسهم) ليرجعوا عن غفلتهم (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى) لذلك تفنى عند انتهائه وبعده البعث (وان كثيرا من الناس) اي كفار مكة (بلقاء ربهم لكافرون) اي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم وهي اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كانوا اشد منهم قوة) كعاد وثمود (واثاروا الارض) حرثوها وقلبوها للزرع والغرس (وعمروها اكثر مما عمروها) اي كفار مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الظاهرات

كذبوا

الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به (قوله وهم أهل كتاب) أي نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه وقوله وليسوا أهل الكتاب أي بل هم مجوس فنصرهم علامة على نصر كفار مكة فكل حزب بما لديهم فرحون (قوله بل يعبدون الاوثان) أي التي من جملتها النار (قوله وقالوا للمسلمين الخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة (قوله أقرب أرض الروم) أي فادنى أفعل تفضيل وأل عوض عن المضاف اليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وجملة سيغلبون خبره (قوله في بضع سنين) متعلق بيغلبون وهو على حذف مضاف أي في انتهاء بضع سنين وأبهم البضع لادخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت (قوله فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الاول) أي يوم بدر ان كانت الواقعة الاولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم الحديبية ان كانت الاولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فاقبل في خمسمائة الف رومي الى الفرس وغلبوهم ومات كسرى ملك الفرس (قوله لله الامر) أي لا لغيره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة ببناء قبل وبعد على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه (قوله أي من قبل غلب الروم) أي من قبل كونهم غالبين وقوله ومن بعده أي من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى أن غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلبت الروم وحاصل الجواب أن فائدته اظهار ان ذلك بامر الله لان شان من غلب بعد كونه مغلوبا ان يكون ضعيفا فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولا (قوله أي يوم تغلب الروم) أشار بذلك الى ان تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) اى فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس وعلموا ان الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هذا احد قولين وهو مبني على ان الواقعة الاولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل يوم الحديبية بناء على ان الاولى قبل الهجرة بسنة (قوله مصدر) اى مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وعامله محذوف اى وعدهم الله وعدا (قوله به) اى النصر (قوله لا يعلمون) اى لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) اى الاكثر (قوله ظاهرا من الحياة الدنيا) اى واما باطنها منها وهو كونها مجازا الى الآخرة يتزود فيها بالاعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله اعاده) اى لفظ هم (قوله اولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اعموا ولم يتفكروا (قوله الا بالحق) اى بالحكمة لا عبثا (قوله تفنى عند انتهائه) اى تنعدم السموات والارض وما بينهما عند انقضاء ذلك الاجل (قوله بلقاء ربهم) متعلق بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها في غير محلها وهو خبر ان (قوله اولم يسيروا في الارض) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اقعدوا ولم يسيروا والاستفهام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة اولم يتفكروا عطف سبب على مسبب لان السير سبب للتفكر (قوله واثاروا الارض) بالقصر لعامة القراء وقرئ شذوذا وآثاروا بالف بعد الهمزة (قوله اكثر مما عمروها) نعت لمصدر محذوف اى عمارة اكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) اى فلم يؤمنوا لها بل

(فما كان الله ليظلمهم) باهلاكهم بغير جرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بتكذيبهم رسلهم (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى) تانيث الاسوا الاقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم واساءتهم (ان) اى بان (كذبوا بآيات الله) القرآن (وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤ الخلق) أي ينشئ خلق الناس (ثم يعيده) أي خلقهم بعد موتهم (ثم اليه ترجعون) بالتاء

والياء (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يسكت المشركون لانقطاع حجتهم (ولم يكن) اى لا يكون (لهم من شركائهم) ممن أشركوهم بالله وهم الاصنام ليشفعوا لهم (شفعاء وكانوا) اى يكونون (بشركائهم كافرين) اى متبرئين منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ) تاكيد (يتفرقون) أي المؤمنون والكافرون (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) جنة (يحبرون) يسرون (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) القرآن (ولقاء الآخرة) البعث وغيره (فاولئك في العذاب محضرون فسبحان الله) اى سبحوا الله بمعنى صلوا (حين تمسون) اى تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (وحين تصبحون) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح (وله الحمد في السموات والارض) اعتراض ومعناه يحمده اهلهما

كذبوا بها (قوله وما كان الله ليظلمهم) أي يعاملهم معاملة ملك ظالم جبار بل معاملة ملك عدل رحيم وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالما اذ لا مشارك له في خلقه ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يلزمه (قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى) بيان لعاقبة امرهم اثر بيان حالهم في الدنيا (قوله خبر كان على رفع عاقبة) اى وعاقبة اسمها وهي مضافة للموصول وأساؤا صلته والسوآى صفة لموصوف محذوف أي المجازاة السوآى وهي جهنم خبر كان وقوله واسم كان على نصب عاقبة أي فالسوآى اسم كان مؤخر وعاقبة خبر كان مقدم وعلى كل فقوله ان كذبوا خبر لمحذوف تقديره واساءتهم أن كذبوا فهي جملة مستانفة بيان لصلة الموصول فيصح الوقف على السوأى وهذا ما اختاره المفسر من اوجه شتى وهو انورها وذكر الفعل لان اسم كان على كل مجازي التانيث (قوله والمراد بها) أي السوآى (قوله اى بان كذبوا) أشار بذلك الى ان الكلام على تقدير الباء وهي للسببية (قوله الله يبدؤ الخلق) عبر بالمضارع اشارة الى ان البدء متجدد شيأ فشيأ ما دامت الدنيا (قوله اى ينشئ خلق الناس) أي يظهرهم من العدم (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويوم تقوم الساعة) أي وهو يوم الاعادة (قوله يسكت المشركون) أي عن جواب يدفع عنهم العذاب (قوله اى لا يكون) أشار بذلك الى ان الماضي بمعنى المضارع لان المنفي بلم ماضي المعنى (قوله بشركائهم) متعلق بكافرين (قوله تاكيد) أي لفظي (قوله اى المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله اولا الله يبدؤ الخلق ثم يعيده (قوله فهم في روضة) الروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة (قوله يحبرون) أي يكرمون وينعمون بما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين روى ان في الجنة اشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا (قوله واما الذين كفروا) مقابل قوله فاما الذين آمنوا (قوله وغيره) أي كالجنة والنار (قوله محضرون) اى حاضرون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما ذكر اولا انه يبدؤ الخلق ويعيده وان الخلق يكونون فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ذكر هنا انه منزه عن النقائص اشارة الى ان تسبيحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) انما فسر التسبيح بالصلاة لان التنزيه يكون باللسان والجنان والاركان ولا شئ أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله اى تدخلون في المساء) أشار بذلك الى ان تمسون وتصبحون فعلان تامان (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك الى ان هذه الآية جمعت الصلوات الخمس وخصها بالذكر دون سائر العبادات لانها عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين (قوله اعتراض) أي بين المعطوف والمعطوف عليه والحكمة في ذلك الاشارة الى ان التوفيق للعباد نعمة ينبغي ان يحمد عليها (قوله وكذلك تخرجون) أي فالقادر على اخراج الحي من الميت وعكسه واحياء الارض قادر على احياء الخلق بعد موتهم ففي ذلك رد على منكري البعث (قوله للفاعل والمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومن آياته ان خلقكم من تراب) شروع في ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وذكر لفظ من آياته ست مرات تنتهي عند قوله اذا أنتم تخرجون وابتدأها بذكر خلق الانسان ثم بخلق العالم علويا وسفليا اشارة الى ان الانسان هو المنتفع بها والحكمة في ذكر تلك الآيات

(وعشيا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وحين تظهرون) تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يخرج الحي من الميت) كالانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحي ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) أي يبسها (وكذلك) الاخراج (تخرجون) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (ومن آياته) تعالى الدالة على قدرته (ان خلقكم من تراب)

فخلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لتسكنوا اليها) وتألفوها (وجعل بينكم) جميعا (مودة ورحمة أن فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يتفكرون) فى صنع الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم) اى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما (والوانكم) من بياض وسواد وغيرهما وانتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (ان فى ذلك لآيات) دلالات على قدرته تعالى (للعالمين) بفتح اللام وكسرها أى ذوى العقول واولى العلم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) بارادته راحة لكم (وابتغاؤكم) بالنهار (من فضله) أى تصرفكم فى طلب المعيشة بارادته (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يريكم) أى اراءتكم (البرق خوفا) للمسافر من الصواعق (وطمعا) للمقيم فى المطر (وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها) اى يبسها بان تنبت (ان فى ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) بارادته من غير عمد (ثم اذا دعاكم دعوة من الارض) بان ينفخ اسرافيل فى الصور للبعث من القبور تخرج

ليهتدى بها من اراد الله هدايته وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله اى اصلكم آدم) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف ويصح ان يبقى الكلام على ظاهره لان النطفة ناشئة من الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم اذا أنتم بشر) عبر بثم اشارة الى تراخى أطواره لكونه أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر اطواره وأتى بعدها باذا الفجائية اشارة الى انه لم يفصل بين تلك الاطوار وبين البشرية فاصل وان كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) اى زوجات (قوله من ضلع آدم) اى الايسر القصير وهو نائم فلما استيقظ ورآها مال اليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها فقال وما مهرها فقيل له ان تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) اى باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فاذا تخالف هذا الامر بان لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (قوله ان فى ذلك) اى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) اى يتأملون فى تلك الاشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الايمان سيما اذا تأمل فى خلق الله اياه من نطفة ثم جعله بشرا سويا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة واسكن بينهما المحبة والشفقة فاذا أراد جماعها زينها له وجعل بينهما اللذة فاذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سويا وغير ذلك من انواع التفكرات فاذا تأمل الانسان فى ذلك كان سببا فى زيادة معارفه وادبه مع ربه ولذا قال بعض العارفين لذة الجماع ربما كانت من ابواب الوصول الى الله تعالى ومنه ماروى حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة (قوله ومن آياته خلق السموات والارض) اى انشاؤهما من العدم الى الوجود (قوله اى لغاتكم) اى بان خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها (قوله والوانكم) أى فجعل لكم الوانا مختلفة منكم الابيض والاسود والمتوسط وغاير بين اشكالكم حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما يختلفان فى شئ من ذلك وان كانا فى غاية التشابه وانما قرن هذا بخلق السموات والارض وان كان من جملة خلق الانسان اشارة الى انه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح اللام وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى ذوى العقول واولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لا تحجبهم المصنوعات عن صانعها بل يشهدون الصانع فى المصنوعات قال العارف

وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(قوله منامكم بالليل والنهار) قيل فى الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار وحذف حرف الجر لاتصاله بالليل والاحسن أن يبقى على حاله والنوم بالنهار من جملة النعم لاسيما فى اوقات القيلولة فى البلاد الحارة (قوله بارادته) أى فلا قدرة لاحد على اجتلابه (قوله راحة لكم) اى من آثار التعب الحاصل لكم (قوله لقوم يسمعون) غاير بين رؤس الآى تفننا فان اهل العقل هم اهل الفكر والسمع (قوله ومن آياته يريكم البرق) الجار والمجرور خبر مقدم ويريكم مؤول بمصدر مبتدأ مؤخر وحذفت أن من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم وما يأتى (قوله ان تقوم السماء والارض) أى تثبت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له أوضمتين جمع عمود كرسل ورسول (قوله من الارض) متعلق بدعاكم (قوله فى الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الارواح الى أجسادها لان فيه طاقات بعدد الارواح فتجتمع فيه ثم

تخرج بالنفخة دفعة واحدة فلا تخطئ روح جسدها (قوله اذا انتم تخرجون) عبر في ابتداء خلق الانسان بثم حيث قال ثم اذا انتم بشر تنتشرون وتركها في هنا لانه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخي لكونه على أطوار مختلفة بخلاف الاعادة فلا تدريج فيها بل تحصل دفعة واحدة (قوله مطيعون) اي لافعاله طاعة انقياد لا طاعة عبادة وقيل المعنى قائمون للحساب وقيل مقرون بالعبودية اما باللسان او الحال (قوله وهو أهون عليه) الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله يعيد وذكر الضمير مراعاة للخبر (قوله بالنظر الى ماعند المخاطبين) اي فهو مبني على ما يقتضيه عقولهم لان من اعاد منهم شيا كان أهون عليه وأسهل من انشائه وهو جواب عما يقال ان افعال الله كلها متساوية بالنسبة الى قدرته تعالى وأجيب أيضا بان اسم التفضيل ليس على بابه فاهون بمعنى هين (قوله اي الصفة العليا) أشار بذلك الى ان المثل بمعنى الصفة والاعلى بمعنى العليا اي المرتفعة المنزهة عن كل نقص (قوله وهي انه لا اله الا الله) اي فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كل كمال والتنزيه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلا) اي صفة وشكلا تقيسون عليه (قوله كائنا من انفسكم) اشار بذلك الى ان من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلا (قوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدا مؤخر ومن زائدة ومما ملكت ايمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبعيضية فتحصل ان من الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) اي ملكناكم وأشار بذلك الى ان الرزق حقيقة لله تعالى وايضاح هذا المثل ان يقال اذا لم يصح ان تكون مما يملككم شركاء فيما بايديكم من رزق الله فلا يصح بالاولى جعل بعض مما يملك الله شركاء فيما هو له حقيقة (قوله فانتم فيه سواء) اي مستوون معهم في التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم) من جملة المنفي فهو مرتب عليه فالمراد نفي الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف انفسكم والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الاوصاف الثلاثة من اجل كونهم مما يملك لكم فكيف تثبتون تلك الاوصاف لبعض مما يملك الله (قوله بمعنى النفي) اي فهو استفهام انكاري (قوله لقوم يعقلون) اي فهذا المثل انما ينتفع به العاقل الذي يتدبر الامور (قوله بل اتبع الذين ظلموا الخ) اضراب عما ذكر اولا اشارة الى انهم لا حجة لهم في الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لا هادي له) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله فاقم وجهك) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم والمراد باقامة الوجه بذل الهمة ظاهرا وباطنا في الدين (قوله انت ومن تبعك) اشار بذلك الى ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته (قوله فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله الزموها وهي ترسم بالتاء المجرورة وليس في القرآن غيرها وقوله وهي دينه اي دين الاسلام وعلى هذا فالخلق جميعا مجبولون على توحيد يوم الست بربكم ولذا قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه وهذا غيرما سبق في علم الله واما هو فعلم ان قوما يكفرون وقوما يؤمنون فمن سبق في علم الله ايمانه فقد استمر على فطرته الاصلية ومن سبق في علم الله كفره فقد رجع عن فطرته وان كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية الزم انت ومن تبعك الفطرة التي فطرك ربك عليها وهي التوحيد وهذا احد اقوال ثلاثة في معنى الفطرة وقيل المراد بها الخلقة الاصلية التي ابتداهم الله عليها من سعادة وشقاوة والى ما يصيرون اليه عند البلوغ فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره الى الضلالة وان عمل باعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره الى الهدى وان عمل باعمال اهل الضلالة وقيل انها الخلقة والطبيعة التي في نفس الطفل يكون مهيأ

ملكا وخلقا وعبيدا (كل له قانتون) مطيعون (وهو الذي يبدأ الخلق) للناس (ثم يعيده) بعد هلاكهم (وهو أهون عليه) من البدء بالنظر الى ماعند المخاطبين من ان اعادة الشيء اسهل من ابتدائه والا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة (وله المثل الاعلى في السموات والارض) اي الصفة العليا وهي انه لا اله الا الله (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في خلقه (ضرب) جعل (لكم) ايها المشركون (مثلا) كائنا (من انفسكم) وهو (هل لكم مما ملكت ايمانكم) اي من مماليككم (من شركاء) لكم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (فانتم) وهم (فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم) اي امثالكم من الاحرار والاستفهام بمعنى النفي المعنى ليس مماليككم شركاء لكم الى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له (كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعقلون) يتدبرون (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك

(اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله) اي لا هادي له (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (فاقم) يا محمد (وجهك للدين حنيفا) مائلا اليه اي اخلص دينك لله انت ومن تبعك (فطرت الله) خلقته (التي فطر الناس عليها) وهي دينه اي الزموها (لا تبديل لخلق الله) لدينه

اى لا تبدلوه بان تشركوا (ذلك الدين القيم) المستقيم توحيد الله (ولكن اكثر الناس) اى كفار مكة (لا يعلمون) توحيد الله (منيبين) راجعين (اليه) تعالى فيما امر به ونهى عنه حال من فاعل اقم وما اريد به اى اقيموا (واتقوه) خافوه (واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين) بدل باعادة (٢٠٦) الجار (فرقوا دينهم) باختلافهم فيما يعبدونه (وكانوا شيعا) فرقا فى ذلك (كل حزب) منهم

(بما لديهم) عندهم (فرحون) مسرورون وفى قراءة فارقوا اى تركوا دينهم الذى امروا به (واذا مس الناس) اى كفار مكة (ضر) شدة (دعوا ربهم منيبين) راجعين (اليه) دون غيره (ثم اذا اذاقهم منه رحمة) بالمطر (اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) اريد به التهديد (فتمتعوا فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم فيه التفات عن الغيبة (ام) بمعنى همزة الانكار (انزلنا عليهم سلطانا) حجة وكتابا (فهو يتكلم) تكلم دلالة (بما كانوا به يشركون) اى يامرهم بالاشراك لا (واذا اذقنا الناس) كفار مكة وغيرهم (رحمة) نعمة (فرحوا بها) فرح بطر (وان تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت ايديهم اذاهم يقنطون) ييأسون من الرحمة ومن شان المؤمن ان يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أولم يروا) يعلموا (ان الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بها (فآت ذا القربى) القرابة (حقه) من البر والصلة (والمسكين وابن السبيل) المسافر من الصدقة وامة النبى تبع له فى ذلك (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) اى ثوابه بما يعملون (واولئك هم المفلحون) الفائزون (وما آتيتم من ربا) بان يعطى شيئا هبة أو هدية ليطلب اكثر منه فسمى باسم المطلوب من الزيادة فى المعاملة

لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب كما خلق اسماعهم وابصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات فاذا دامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولا يحجبها عنه الا وساوس الشياطين بعد البلوغ ولذا كان كل من مات من بنى آدم قبل بلوغه فى الجنة وان كان من اولاد المشركين وهذا القول قريب من معنى القول الاول (قوله اى لا تبدلوه) اشار بذلك الى ان قوله لا تبديل لخلق الله خبر والمراد منه الامر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك (قوله يعلمون توحيد الله) اى بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) اى وما بينهما اعتراض (قوله وما اريد به) اى بالخطاب فانه اريد به محمد ومن تبعه (قوله اى اقيموا) اشار بذلك الى ان قوله واتقوه عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) اى فاهل السعادة فرحون بسعادتهم واهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم انهم على حق (قوله وفى قراءة فارقوا) اى وهى سبعية ايضا (قوله واذا مس الناس) اذا شرطية وجوابها قوله دعوا ربهم وقوله اى كفار مكة خص ذلك بهم لانه سبب النزول والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذا فريق) اذا فجائية قائمة مقام الفاء فهى رابطة للشرط (قوله اريد به التهديد) اى فاللام لام الامر للتوبيخ والتقريع على حد اعملوا ما شئتم (قوله عاقبة تمتعكم) قدره اشارة الى ان مفعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) اى الى الخطاب لاجل المبالغة فى زجرهم (قوله بمعنى همزة الانكار) اى فهى منقطعة تفسر تارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة وبل (قوله فهو يتكلم) داخل فى حيز النفى (قوله اى يامرهم بالاشراك) اشار بذلك الى ان ما مصدرية والاحسن ان يجعلها موصولة اى بالامر الذى كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) اى عجب وكبر فيصرفونها فيما يغضبه تعالى ولو فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه (قوله يقنطون) بفتح النون وكسرها سبعيتان (قوله ومن شان المؤمن) اى من خصلته وهيئته (قوله ويرجو ربه عند الشدة) اى لانه يشهد انه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه (قوله امتحانا) اى اختبارا لينظر أيشكر أم يطغى (قوله ابتلاء) اى فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويشكو (قوله فآت ذا القربى حقه) هذه الآية فى صدقة التطوع لا فى الزكاة الواجبة لان السورة مكية والزكاة فرضت فى السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) اخذ ابو حنيفة من الآية ان النفقة على الارحام عموما واجبة على القادر وعند مالك والشافعى النفقة على الاصول والفروع واجبة وما عدا ذلك مندوب (قوله وامة النبى الخ) اشار بذلك الى ان الامر وان كان للنبى فالمراد هو وامته (قوله واولئك هم المفلحون) اى الظافرون بمقصودهم (قوله وما أوتيتم) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله بان تعطى شيئا الخ) اشار بذلك الى ان هذه الآية نزلت فى هبة الثواب وهى ان يريد الرجل بهديته اكثر منها وهى مكروهة فى حقنا واما فى حقه صلى الله عليه وسلم فمحرمة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر والحكم فيها اذا وقعت انه اذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وان لم يشترط عليه فلا يلزمه الا دفع قيمتها ان كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له لا من نحو غنى لفقير (قوله فسمى) اى المعطى وهو الهدية (قوله باسم المطلوب)

(ليربوفى اموال الناس) المعطين اى يزيد (فلا يربو) يزكو (عند الله) اى لا ثواب فيه (٢٠٧) للمعطين (وما آتيتم من زكوة)

صدقة (تريدون) بها (وجه الله فاولئك هم المضعفون) ثوابهم بما أرادوه فيه التفات عن الخطاب (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم) ممن اشركتم بالله (من يفعل من ذلكم من شئ) لا (سبحانه وتعالى عما يشركون) به (ظهر الفساد فى البر) اى القفار بقحط المطر وقلة النبات (والبحر) اى البلاد التى على الانهار بقلة مائها (بما كسبت أيدى الناس) من المعاصي (ليذيقهم) بالياء والنون (بعض الذى عملوا) اى عقوبته (لعلهم يرجعون) يتوبون (قل) لكفار مكة (سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) فاهلكوا باشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فاقم وجهك للدين القيم) دين الاسلام (من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله) هو يوم القيامة (يومئذ يصدعون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد يتفرقون بعد الحساب الى الجنة والنار (من كفر فعليه كفره) وبال كفره وهو النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) يوطؤن منازلهم فى الجنه (ليجزى) متعلق بيصدعون (الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) يثيبهم (انه لا يحب الكافرين) اى يعاقبهم (ومن آياته) تعالى (ان يرسل الرياح مبشرات) بمعنى لتبشركم بالمطر

اى الذى ياخذ من المهدى اليه مقابلة ما أعطاه (قوله فى أموال الناس) اى فى تحصيلها (قوله المعطين) اى الآخذين للهبة والهدية (قوله اى لا ثواب فيه للمعطين) اى الدافعين لما ذكر فالاول اسم مفعول والثانى اسم فاعل (قوله صدقة) اى صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة اشارة الى أنها مطهرة للاموال والابدان والاخلاق (قوله هم المضعفون) اى الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفات عن الخطاب) اى تعظيما لحالهم او قصد العموم كانه قيل من فعل ذلك فاولئك هم المضعفون (قوله الله الذى خلقكم) جملة من مبتدا وخبر وهى تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل مبتدا مؤخر وقوله من ذلكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شئ لكونه نعت نكرة تقدم عليها ومن شئ مفعول يفعل ومن زائدة والتقدير من الذى يفعل شيا من ذلكم من شركائكم واسم الاشارة يعود على ماذكر من الامور الاربعة وهى الخلق والرزق والاماتة والاحياء (قوله لا) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى (قوله سبحانه وتعالى) هذا نتيجة ماقبله اى فاذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولا شريك له فى شئ منها فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص (قوله اى القفار) بكسر القاف جمع قفر وهى الارض التى لا ماء بها ولا نبات واما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذى لا أدم معه (قوله بقحط المطر) اى منعه من النزول (قوله اى البلاد التى على الانهار) وقيل ان قلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتخلو أجواف الاصداف وتعمودوا به فاذا أمطرت السماء تفتحت الاصداف فى البحر فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ وتكثر دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب كسبهم (قوله من المعاصي) اى ومبدؤها قتل قابيل هابيل لان الارض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة لا ياتى ابن آدم شجرة الا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الاسد لا يصول على الغنم ونحوها فلما قتله اقشعرت الارض ونبت الشوك فى الاشجار وصار ماء البحر ملحا وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذين عملوا) اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر والا فالمصائب للصالحين رفع درجات ولعصاة المؤمنين تكفير سيآت (قوله اى عقوبته) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبل) اى وهى الدمار والهلاك ان لم يتوبوا وكذلك يحل بكفار مكة ان لم يتوبوا قال تعالى كذلك نجزى القوم الظالمين (قوله أقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته والمعنى ابذل همتك فى دين الاسلام واشتغل به ولا تحزن عليهم (قوله من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) اى واما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله بل كل انسان يلقى جزاء ما عمله قبل ذلك قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله من الله) متعلق بيأتى (قوله يومئذ يصدعون) التنوين عوض عن جملة اى يوم اذ يأتى هذا اليوم (قوله فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد) اى فاصله يتصدعون أبدلت التاء صادا وأدغمت فى الصاد (قوله يتفرقون بعد الحساب) اى عند سماع قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله وبال كفره) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله يوطؤن منازلهم) اى بالاعمال الصالحة فى الدنيا بها تهيئ المنازل فى الجنة (قوله متعلق بيصدعون) اى والتقدير يتفرقون ليجزى الذين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله الرياح) اى الشمال والصبا والجنوب فهى رياح الرحمة واما الدبور فهى ريح العذاب يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا

(وليذيقكم) بها (من رحمته) المطر والخصب (ولتجرى الفلك) السفن بها (بامره) بارادته (ولتبتغوا) تطلبوا (من فضله) الرزق بالتجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) هذه النعم يا اهل مكة فتوحدونه (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم اليهم فكذبوهم (فانتقمنا من الذين اجرموا) اهلكنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) على الكافرين باهلاكهم وانجاء المؤمنين (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) تزعجه (فيبسطه في السماء كيف يشاء) من قلة وكثرة (ويجعله كسفا) بفتح السين وسكونها قطعا متفرقة (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) اى وسطه (فاذا اصاب به) بالودق (من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون) يفرحون بالمطر (وان) وقد (كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله) تاكيد (لمبلسين) آيسين من انزاله (فانظر الى أثر) وفي قراءة آثار (رحمت الله) اى نعمته بالمطر (كيف يحيي الارض بعد موتها) أى يبسها بان تنبت (ان ذلك) المحيي الارض (لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن) لام قسم (ارسلنا ريحا) مضرة على نبات (فرأوه مصفرا لظلوا) صاروا جواب القسم (من بعده) أى بعد اصفراره (يكفرون) يجحدون النعمة بالمطر (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها و بين الياء (ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان) ما (تسمع) سماع افهام وقبول (الا من يؤمن بآياتنا) القرآن (فهم مسلمون) مخلصون بتوحيد الله (الله الذى خلقكم من ضعف) ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف) آخر وهو ضعف الطفولة (قوة) اى قوة الشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) ضعف الكبر وشيب الهرم والضعف في الثلاثة بضم اوله وفتحه (يخلق مايشاء) من الضعف والقوة والشباب والشيبة (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على مايشاء (و يوم تقوم الساعة يقسم) يحلف (المجرمون) الكافرون (مالبثوا) مكثوا في القبور (غير ساعة) قال تعالى (كذلك كانوا يؤفكون)

نجماها ريحا (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات كانه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبعيضية أى بعض رحمته (قوله يا اهل مكة) خصهم لانهم سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا) هذه الآيات معترضة بين الآيات المفصلة والمفصلة لان قوله الله الذى يرسل الرياح تفصيل لقوله ومن آياته أن يرسل الرياح وحكمة ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتأنيسه حيث وعده بنصر المؤمنين عموما (قوله فانتقمنا من الذين أجرموا) عطف على محذوف قدره بقوله فكذبوهم (قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كان فعل ناقص ونصر اسمها مؤخر وحقا خبرها مقدم وعلينا متعلق بحقا او بمحذوف صفة وهذا وعد حسن من الله المؤمنين بنصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف (قوله الله الذى يرسل الرياح) مبتدأ وخبر وهو تفصيل لما اجمل أولا كما تقدم التنبيه عليه (قوله تزعجه) اى تهيجه وتحركه (قوله فيبسطه في السماء) اى ينشره في جهتها متصلا بعضه ببعض (قوله بفتح السين وسكونها) اى فهما قراءتان سبعيتان فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح فقوله قطعا تفسير للوجهين (قوله اذا هم يستبشرون) اذا الفجائية والمعنى فاجاهم الفرح (قوله وان كانوا) فسر ان بقد تبعا لغيره قالوا وللحال وقد للتحقيق و بعضهم جعلها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والجملة خبرها بدليل اللام في لمبلسين فانها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تاكيد) أى اشارة الى انه اتاهم الفرج بعد تمادي ياسهم (قوله فانظر الى اثر رحمة الله) اى ما ينشا عن المطر من خضرة الاشجار وأثمارها و بهجتها ونضارتها (قوله وفي قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله مضرة) أى وهى ريح الدبور (قوله فرأوه مصفرا) اى بعد خضرته (قوله جواب القسم) اى وقد سد مسد جواب الشرط للقاعدة المعلومة من انه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتاخر منهما (قوله يجحدون النعمة) اى فشانهم يفرحون عند الخصب فاذا جاءتهم مصيبة في زرعهم جحدوا سابق نعمة الله عليهم (قوله فانك لا تسمع الموتى) تعليل لمحذوف والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم فهم موتى صم عمي وانت لا تسمع من كان كذلك (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) اى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الا من يؤمن بآياتنا) اى يصدق بها (قوله من ضعف) اى اصل ضعيف (قوله ماء مهين) أى حقير ضعيف قليل (قوله وشيبة) اى وهو بياض الشعر الاسود و يحصل اوله غالبا في السنة الثالثة والاربعين وهو أول سن الكهولة والاخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيزيد وهو اول سن الشيخوخة فيزيد الضعف في الجسم والعقل الى آخر العمر وهذا في غير اهل التقوى والصلاح واما هم فيزيد عقلهم لآخر عمرهم (قوله بضم اوله وفتحه) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله تقوم الساعة) اى تحصل وتوجد والمراد بها القيامة سميت بذلك لحصولها في آخر ساعة من ساعات الدنيا (قوله الكافرون) اى المنكرون للبعث (قوله مكثوا في القبور) انما استقلوا تلك المدة لان عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار وقيل المراد مكثوا في الدنيا فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة

يصرفون عن الحق البعث كما صرفوا عن الحق الصدق فى مدة اللبث (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) من الملائكة وغيرهم (لقد لبثتم فى كتاب الله) فيما كتبه فى سابق علمه (الى يوم البعث فهذا يوم البعث) الذى انكرتموه (ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقوعه (فيومئذ لا ينفع) بالياء والتاء (الذين ظلموا معذرتهم) فى انكارهم له (ولا هم يستعتبون) (٢٠٩) لا يطلب منهم العتبى اى الرجوع الى ما يرضى الله (ولقد ضربنا) جعلنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) تنبيها لهم (ولئن) لام قسم (جئتهم) يا محمد (بآية) مثل العصا واليد لموسى (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (الذين كفروا) منهم (ان) ما (انتم) أى محمد واصحابه (الا مبطلون) اصحاب أباطيل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء (فاصبر ان وعد الله) بنصرك عليهم (حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) بالبعث أى لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر اى لا تتركنه

﴿سورة لقمان مكية الا ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام الآيتين فمدنيتان وهى اربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله أعلم بمراده به (تلك) اى هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن (الحكيم) ذى الحكمة والاضافة بمعنى من هو (هدى ورحمة) بالرفع (للمحسنين) وفى قراءة العامة بالنصب حالا من الآيات العامل فيها ما فى تلك من معنى الاشارة (الذين يقيمون الصلاة) بيان للمحسنين (ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) هم الثانى تأكيد (اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) اى ما يلهى منه عما يعنى (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيل الله) طريق الاسلام (بغير علم

(قوله يصرفون عن الصدق) اى الاقرار والاعتراف به فى الدنيا (قوله وقال الذين أوتوا العلم) اى ردا عليهم وتكذيبا لهم (قوله وغيرهم) أى كالانبياء والمؤمنين (قوله انكرتموه) أى فى الدنيا (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جمل محذوفة أى يوم اذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين ورد عليهم الملائكة وغيرهم وبينوا كذبهم لا تنفع الخ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله معذرتهم) اى اعتذارهم (قوله العتبى) كالرجعى وزنا ومعنى والمعنى لا يجابون لما طلبوه من الرجوع الى الدنيا (قوله من كل مثل) من للتبعيض اى بعض كل صفة لاجل ارشادهم (قوله ولئن جئتهم بآية) اى مما اقترحوا (قوله حذف منه نون الرفع الخ) هذا سبق قلم من المفسر فالصواب ان يقول هو فعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين فاعله لان اللام مفتوحة باتفاق القراء (قوله منهم) حال من الكافرين (قوله فاصبر) اى اذا علمت حالهم وانهم لا يؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر الخ (قوله ان وعد الله حق) تعليل للامر بالصبر (قوله والطيش) عطف مرادف على الخفة (قوله اى لا تتركنه) اى لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وايذائهم

﴿سورة لقمان مكية﴾

مبتدأ وخبر سميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها (قوله الا ولو ان ما فى الارض الخ) هذا أحد أقوال ثلاثة وقيل مكية كلها وقيل الا ثلاث آيات من قوله ولو أن ما فى الارض الى خبير وهذا القول الثالث للبيضاوى (قوله أى هذه الآيات) اى آيات السورة واشير اليها باشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعة قدرها عند الله وان كانت قريبة من الاذهان (قوله ذى الحكمة) أى المشتمل على الحكمة وهى العلم النافع ويصح ان يراد بالحكيم المحكم أى المتقن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويصح ان يراد الحكيم قائله حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو الضمير المجرور فبانقلابه مرفوعا استكن فى الصفة المشبهة (قوله بالرفع) أى لحمزة على انه خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله وفى قراءة العامة) أى وهم السبعة ماعدا حمزة (قوله حالا من الآيات) أى حال كون كل منهما حالا (قوله من معنى الاشارة) أى كانه قال اشير الى تلك الآيات حال كونها هدى ورحمة (قوله الذين يقيمون الصلاة) اى يؤدونها باركانها وآدابها (قوله ويؤتون الزكاة) اى يعطونها لمستحقيها (قوله وهم بالآخرة هم يوقنون) اى يؤمنون بلقاء الله والبعث (قوله الفائزون) أى بما اعد لهم من النعيم المقيم (قوله ومن الناس من يشترى الخ) شروع فى ذكر مقابل الفريق الاول على حكم عادته تعالى فى كتابه والجار والمجرور خبر مقدم والاسم الموصول مبتدأ مؤخر واعلم ان من لفظها مفرد ومعناها جمع فروعى لفظها فى جميع الضمائر الآتية وروعى معناها فى أولئك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) اما من اضافة الصفة للموصوف اى الحديث اللهو أى المشغل عما يعنى او الاضافة على معنى من واليه يشير المفسر بقوله أي ما يلهى منه (قوله بفتح الياء) اى ليستمر على الضلال وقوله وضمها اى ليوقع غيره فى الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الاسلام) اى الامور الموصلة للاسلام فاللهو كل ما يشغل عن عبادة الله وذكره من الاضاحيك والخرافات والمغانى والمزامير وغيرها من الامور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل يشترى اى حالة كونه

(ويتخذها) بالنصب عطفا على يضل و بالرفع عطفا على يشترى (هزوا) مهزوأ بها (أولئك لهم عذاب مهين) ذو اهانة (واذا تتلى عليه آياتنا) اى القرآن (ولى مستكبرا) متكبرا (كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا) صمما وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولى او الثانية بيان للاولى (فبشره) اعلمه (بعذاب اليم) مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحرث كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب اخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة و يقول ان محمدا يحدثكم احاديث عاد وثمود وانا احدثكم احاديث فارس والروم فيستملحون حديثه و يتركون استماع القرآن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها) حال مقدرة اى مقدرا خلودهم فيها اذا دخلوها (وعد الله حقا) اى وعدهم الله ذلك وحقه حقا (وهو العزيز) الذى لا يغلبه شئ فيمنعه من انجاز وعده ووعيده (الحكيم) الذى لا يضع شيا الا فى محله (خلق السموات بغير عمد ترونها) أى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بان لا عمد اصلا (والقى فى الارض رواسي) جبالا مرتفعة (ان) لا (تميد) تتحرك (بكم و بث فيها من كل دابة وانزلنا) فيه التفات عن الغيبة (من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم) صنف حسن (هذا خلق الله) اى مخلوقه (فارونى) اخبرونى يا اهل مكة (ماذا خلق الذين من دونه) غيره اى آلهتكم حتى اشركتموها به تعالى وما استفهام انكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره وارونى معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (بل) للانتقال (الظالمون فى ضلال مبين) بين باشراكهم وانتم منهم (ولقد آتينا لقمان الحكمة)

جاهل القلب وان كان عليم اللسان (قوله و يتخذها) أى الآيات (قوله بالنصب الخ) اى والقراءتان سبعيتان (قوله مهزوأ بها) أى لمحاكاته لها بالخرافات (قوله أعلمه) أشار بذلك الى ان المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخبر وان لم يكن فيه بشارة ودفع بذلك ما يقال ان الاخبار بالعذاب الاليم ليس بشارة بل هو نذارة وقوله وذكر البشارة الخ جواب آخر فكان المناسب ان يذكره باو (قوله النضر بن الحرث) اى ابن كلدة كان صديقا لقريش (قوله فيستملحون حديثه) اى يعدونه مليحا فيصغون له (قوله أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لا خصوص المسماة بهذا الاسم (قوله اى مقدرا خلودهم) اى فهم عند دخولهم يقدرون الخلود لسماعهم النداء من قبل الله يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله وعد الله حقا) مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الاولى والعامل مختلف والتقدير وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله الذى لا يغلبه شئ) أى لا يقهره احد (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على انه عزيز حكيم لا يمنعه أحد عن انجاز وعده ووعيده (قوله اى العمد) أشار بذلك الى ان جملة ترونها صفة لعمد (قوله جمع عماد) اى كاهب جمع اهاب (قوله الاسطوانة) بضم الهمزة وهى السارية (قوله وهو صادق الخ) اى لان السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو المراد هنا و يصح ان يراد الشق الثانى وهو ان يكون لها عمد لا ترى وهى قدرة الله تعالى (قوله رواسى) أى ثوابت (قوله جبالا مرتفعة) قال ابن عباس هى سبعة عشر جبلا منها ق وأبو قبيس والجودى و لبنان وطور سينين (قوله ان تميد بكم) قدر المفسر لام التعليل ولا النافية اشارة الى ان حكمة تثبيت الارض بالجبال عدم تحركها باهلها (قوله وبث فيها) أى نشر وقوله من كل دابة من زائدة (قوله فيه التفات) أى من الغيبة الى التكلم زيادة فى التبكيت والزام الحجة (قوله هذا خلق الله) أى ماذكر من السموات والارض ومافيهما (قوله استفهام انكار) وتوبيخ وتقريع (قوله معلق عن العمل) اى فى اللفظ واما فى المحل فهو عامل النصب (قوله سد مسد المفعولين) ظاهره ان ارونى تنصب ثلاثة مفاعيل الياء وجملة الاستفهام التى سدت مسد الثانى والثالث وهذا غير ماذكروه من ان ارى ان كانت بمعنى اخبر فانها تتعدى لمفعولين الاول مفرد صريح والثانى جملة الاستفهام فالمناسب للمفسر ان يقول سدت مسد الثانى (قوله للانتقال) أى من تبكيتهم الى الاخبار بتقبيح الظالمين عموما (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف فى لقمان فقيل اسم اعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل عربى ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون واختلف فيه أيضا فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر فعلى هذا هو ابن ابن أخى ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل كان ابن أخت ايوب وقيل كان ابن خالته يقال انه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما فى وسط النهار فنودى يا لقمان هل لك ان نجعلك خليفة فى الارض فتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان عزم على فسمعا وطاعة فانى اعلم ان الله تعالى ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال ان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان عدل نجا وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن

يختر

يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى بها داود بعده فقبلها وكان لقمان يوازر داود لحكمته وقيل كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست فلانا الراعى قال بلى قال فبم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الامانة وترك مالا يعنينى (قوله منها العلم والديانة) أى فالحكمة هى العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعها وقيل الحكمة المعرفة والامانة وقيل هى نور فى القلب يدرك به الاشياء كما تدرك بالبصر (قوله وحكمه كثيرة) قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم (قوله وقال فى ذلك) أى فى شان الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقلنا له أن اشكر الخ) أشار بذلك الى أن أن زائدة وجملة اشكر مقول القول والانسب أن أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمة) أى فهى نعمة يجب الشكر عليها بصرفها فى مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تعليل للامر بالشكر (قوله محمود فى صنعه) أى فهو حقيق بان يحمد من دون المخلوقات (قوله واذ قال لقمان لابنه) أى واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما قيل وضع لقمان جرابا من خردل الى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل فقال يا بنى وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يا بنى) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله اشفاق) أى محبة (قوله فرجع اليه) أى الى دين أبيه وهو الاسلام وقال له أيضا يا بنى اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة يا بنى أحضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا يا بنى لا تكن أعجز من هذا الديك الذى يصوت بالاسحار وأنت نائم على فراشك يا بنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة يا بنى لا ترغب فى ود الجاهل فيرى انك ترضى عمله يا بنى اتق الله ولا تر الناس انك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يا بنى ما ندمت على الصمت قط فان الكلام اذا كان من فضة كان السكوت من ذهب يا بنى اعتزل الشر كما يعتزلك فان الشر للشر خلق يا بنى عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من موضعها أيسر من افهام من لا يفهم يا بنى لا ترسل رسولك جاهلا فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك يا بنى لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا يا بنى يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم يا بنى اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك وان تك غبيا يعلموك وان يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبك معهم يا بنى لا تجلس فى المجلس الذى لا يذكر فيه الله عز وجل فانك ان تكن عالما لا ينفعك علمك وان تك غبيا يزيدوك غبا وان يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بنى لا يأكل طعامك الا الاتقياء وشاور فى أمرك العلماء يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بها وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو يا بنى انى حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيأ أثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر يا بنى ان الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك يا بنى لا تتعلم مالا تعلم حتى تعمل بما تعلم يا بنى اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه قبل ذلك فان انصفك عند غضبه والا فاحذره يا بنى انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل يا بنى عود لسانك أن يقول اللهم اغفر لى فان لله ساعات لا ترد يا بنى اياك والدين فانه ذل النهار وهم الليل يا بنى

منها العلم والديانة والاصابة فى القول وحكمه كثيرة ماثورة كان يفتى قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال فى ذلك الا اكتفى اذا كفيت وقيل له اى الناس شر قال الذى لا يبالى ان رآه الناس مسيئا (أن) اى وقلنا له أن (اشكر لله) على ما أعطاك من الحكمة (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان ثواب شكره له (ومن كفر) النعمة (فان الله غنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه (و) اذكر (اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى) تصغير اشفاق (لا تشرك بالله ان الشرك) بالله (لظلم عظيم) فرجع اليه وأسلم

(ووصينا الانسان بوالديه)امرناان يبرهما (حملته امه)فوهنت(وهنا على وهـن) اى ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة(وفصاله) اى فطامة (فى عامين) وقلنالہ (ان اشكرلى ولوالديك الى المصير)اى المرجع (وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم) موافقة للواقع (فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) اى بالمعروف البر والصلة(واتبع سبيل) طريق(من اناب) رجع(الى) بالطاعة(ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون)فاجازيكم عليه وجملة الوصية وما بعدها اعتراض(يابنى انها) اى الخصلة السيئة (ان تك مثقال حبةمن خردل فتكن فى صخرة اوفى السموات اوفى الارض) اى فى اخفى مكان من ذلك(يات بها الله) فيحاسب عليها (ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) بمكانها(يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) بسبب الامر والنهى(ان ذلك)المذكور (من عزم الامور) اى معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (ولا تصعر

ارج الله رجاء لايجرئك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته الى غيرذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام (قوله ووصينا الانسان الخ) هاتان الآيتان نزلتا فى شان سعد بن أبى وقاص كما تقدم فهما معترضتان بين كلامى لقمان والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فال فى الانسان للجنس (قوله ان يبرهما) اى يحسن اليهما (قوله فوهنت) قدر الفعل اشارة الى ان وهنا مفعول مطلق والاحسن جعله حالا من أمه أى ذات وهن (قوله على وهن) صفة لوهنا أى ضعفا كائنا على ضعف والمراد التوالى لاخصوص وهنين بدليل قول المفسر أى ضعفت للحمل الخ (قوله اى فطامه) اى ترك رضاعه (قوله فى عامين) اى فى انقضائهما (قوله ان اشكرلى) ان يحتمل أنها مفسرة لجملة وصينا أو مصدرية (قوله أى المرجع) اى فاجازى المحسن على احسانه والمسئ على اساءته (قوله موافقة للواقع) أى فلا مفهوم له وهو جواب عما يقال ان الشريك مستحيل على الله تعالى فربما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبهما فى الدنيا) أى أمورها التى لا تتعلق بالدين (قوله أى بالمعروف) أشار بذلك الى انه منصوب بنزع الخافض (قوله واتبع سبيل من اناب الى) قيل ان الخطاب للمكلفين عموما ويراد بمن أناب النبى وأصحابه ومن على قدمهم وقيل الخطاب لسعد بن ابى وقاص والمراد بمن اناب أبو بكر الصديق رضى الله عنه وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم جاء بهم الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا فهؤلاء سابقون للاسلام بارشاد ابى بكر رضى الله عنه (قوله فاجازيكم عليه) اى على العمل الحسن والسئ (قوله وجملة الوصية) اى وهى قوله ووصينا الانسان الخ وقوله وما بعدها اى وهو قوله وان جاهداك الخ وقوله اعتراض اى بين كلامى لقمان (قوله يابنى انها ان تك مثقال حبة الخ) رجوع لذكر وصايا لقمان لولده وسبب تلك المقالة انه قال له ولده يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله فقال له تلك المقالة وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه اذ هو مسلم لا يعتقد ان الله تخفى عليه خافية وانما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل الى المعرفة والمشاهدة ولذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه (قوله من خردل) هو حب الكبر وهو اصغر حب والمراد اصغر شئ بدليل ضرب المثل بالذرة فى الآية (قوله فى صخرة) قيل المراد بها التى تحت الارضين السبع وهى التى يكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الارض على حوت والحوت فى الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة وهى التى ذكرها لقمان فليست فى السماء ولا فى الارض (قوله اى فى اخفى مكان من ذلك) اى من الصخرة والسموات والارض فاخفى الصخرة باطنها واخفى السموات اعلاها واخفى الارض اسفلها (قوله يات بها الله) جواب الشرط (قوله ان الله لطيف) اى عالم بخفيات الامور (قوله خبير) اى عالم ببواطن الاشياء كظواهرها قيل ان هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها فمات مسلما شهيدا رضى الله عنه (قوله يابنى اقم الصلاة) اى بشروطها واركانها وآدابها لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى (قوله وامر بالمعروف) اى بكل ماعرف شرعا لان الدال على الخير كفاعله (قوله وانه عن المنكر) اى باليد او اللسان او القلب على حسب الطاقة فان لم يفد فالهجر اولى بالمعروف (قوله بسبب الامر والنهى) المناسب حمله على العموم فالصبر على المصائب سواء كانت من الخلق او الخالق امره عظيم لان الكل فى الحقيقة من الله والمراد بالصبر التسليم لاحكام الله والرجوع اليه قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله التى يعزم عليها لوجوبها) اى تحتمها على المكلفين فلا ترخيص فى تركها (قوله ولا تصعر خدك للناس)

الصعر بفتحتين في الاصل داء يصيب البعير يلوى عنقه ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه الى احد الشدقين لاجل الفخر على الناس والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك اذا كلموك (قوله وفي قراءة تصاعر) اى وهما سبعيتان ومعناهما واحد (قوله اى خيلاء) اى عجبا وتكبرا قال تعالى انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قوله فخور على الناس) اى لظنه ان نعمة الله اسبغت عليه لاستحقاقه اياها فتكبر بها على الناس (قوله واقصد في مشيك) لما أمره أولا بحسن الباطن امره ثانيا بحسن الظاهر ليجمع له في وصيته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بين الدبيب) اى هو ضعف المشي جدا قال الشاعر

زعمتني شيخا ولست بشيخ * انما الشيخ من يدب دبيبا

(قوله والاسراع) اى وهو قوة المشي وهي مذمومة لما ورد سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن ان قلت ورد في الحديث كنا نجهد انفسنا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتضي انه كان يسرع في مشيه أجيب بانه صلى الله عليه وسلم في نفسه مشية متوسطة وبالنسبة للصحابة هو اعلى مشيا منهم لما في الحديث المتقدم وهو غير مكترث كان الارض تطوى له (قوله من صوتك) يحتمل ان من تبعيضية أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف اى شيأ من صوتك (قوله لصوت الحمير) اى هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة فان كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك والحمار يصيح لغير سبب وصياح كل شيء تسبيح الله تعالى الا الحمار ان قلت ان دق النحاس بالحديد أشد صوتا من الحمير أجيب بان الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء بخلاف الصوت الخالي عن الثمرة والفائدة وهو صوت الحمار (قوله أوله زفير) اى صوت قوي وقوله وآخره شهيق اى صوت ضعيف وهما صفة صوت اهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الخ) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يا مخاطبين) القياس يا لواو لانه منادى مفرد وهو مبني على ما يرفع به الا أن يقال انه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) اما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان أو بالافراد بتاء التانيث نكرة فهما نعتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله هي حسن الصورة الخ) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة العقبى وقيل الظاهرة ما ترى بالابصار كالمال والجاه والجمال في الناس والباطنة ما يجده الانسان في نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى وكل صحيح (قوله وتسوية الاعضاء) اى تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت في النضر بن الحرث وابي بن خلف ومن حذا حذوهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) اى بل بالجهل وعدم المعرفة (قوله ولا هدى) اى من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) اى نير واضح الدلالة (قوله واذا قيل لهم) الجمع باعتبار المعنى (قوله أيتبعونه) اشار بذلك الى أن الشرط للحال والتقدير أيتبعونه والحال ان الشيطان يدعوهم الى العذاب وحينئذ فلا جواب للو (قوله يدعوهم الى عذاب السعير) اى يدعو آباءهم لان مدار انكار الاتباع كون الرؤساء تابعين للشيطان (قوله لا) اى لا يليق منهم ذلك (قوله اى يقبل على طاعته) اشار بذلك الى ان المراد بالوجه الذات والمعنى من يبذل ذاته في طاعته والحال انه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فلا اقبال على الله ظاهرا او باطنا موجب للامن من عذاب الله ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون (قوله موحد) انما فسره بذلك ليشمل الاسلام في حق العامة وهو التوحيد والا فالاحسان الكامل ان تعبد الله كأنك تراه (قوله بالطرف الاوثق) اى الموصل الى الله بلا انقطاع فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن اراد ان يرقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق حبل فهو تشبيه تمثيلي بذكر طرفي

وفي قراءة تصاعر (خدك للناس) لا تمل وجهك عنهم تكبرا (ولا تمش في الارض مرحا) اى خيلاء (ان الله لا يحب كل مختال) متبختر في مشيه (فخور) على الناس (واقصد في مشيك) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعليك السكينة والوقار (واغضض) اخفض (من صوتك ان انكر الاصوات) أقبحها (لصوت الحمير) اوله زفير وآخره شهيق (ألم تروا) تعلموا يا مخاطبين (ان الله سخر لكم ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وما في الارض) من الثمار والانهار والدواب (واسبغ) اوسع واتم (عليكم نعمه ظاهرة) هي حسن الصورة وتسوية الاعضاء وغير ذلك (وباطنة) هي المعرفة وغيرها (ومن الناس) اى اهل مكة (من يجادل في الله بغير علم ولا هدى) من رسول (ولا كتاب منير) انزله الله بل بالتقليد (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال تعالى (أ) يتبعونه (ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) اى موجباته لا (ومن يسلم وجهه الى الله) اى يقبل على طاعته (وهو محسن) موحد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) بالطرف الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه (والى الله عاقبة الامور)

مرجعها (ومن كفر فلا يحزنك) يا محمد (كفره) لا تهتم بكفره (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور) اى بما فيها كغيره فمجاز عليه (نمتعهم) فى الدنيا (قليلا) أيام حياتهم (ثم نضطرهم) فى الآخرة (الى عذاب غليظ) وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصا (ولئن) لام قسم (سالتهم من خلق (٢١٤) السموات والارض ليقولن الله) حذف منه نون الرفع لتوالى الامثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قل الحمد لله) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لا يعلمون) وجوبه عليهم (لله ما فى السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا فلا يستحق العبادة فيهما غيره (ان الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود فى صنعه (ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر) عطف على اسم ان (يمده من بعده سبعة أبحر) مداد (ما نفدت كلمات الله) المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد ولا باكثر من ذلك لان معلوماته تعالى غير متناهية (ان الله عزيز) لا يعجزه شىء (حكيم) لا يخرج شىء عن علمه وحكمته (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) خلقا وبعثا لانه بكلمة كن فيكون (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله شىء عن شىء (ألم تر) تعلم يا مخاطبا (ان الله يولج) يدخل (الليل فى النهار ويولج النهار) يدخله (فى الليل) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وسخر الشمس والقمر كل) منهما (يجرى) فى فلكه (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة (وان الله بما تعملون خبير ذلك) المذكور (بان الله هو الحق) الثابت (وانما يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه الباطل) الزائل (وان الله هو العلى) على خلقه بالقهر (الكبير) العظيم

التشبيه (قوله مرجعها) اى فيجازى عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا مقابل الفريق الاول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاى وبضم الياء وكسر الزاى قراءتان سبعيتان اى فتسل ولا تهتم على ذلك (قوله فننبئهم بما عملوا) اى نخبرهم باعمالهم التى عملوها فى الدنيا (قوله ثم نضطرهم) أتى بثم اشارة الى ان العذاب الغليظ انما يكون لهم فى الآخرة لا فى الدنيا كما ان المؤمن اذا نعم فى الدنيا بانواع النعم فليس ذلك جزاء لاعماله الصالحة (قوله لا يجدون عنها محيصا) اى ملجأ (قوله ليقولن الله) الجملة جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة ولفظ الجلالة مرفوع اما على انه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله بدليل آية خلقهن العزيز العليم أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن (قوله وواو الضمير) اى لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد وبقيت الضمة دليلا عليها (قوله بل أكثرهم لا يعلمون وجوبه عليهم) اى بل يعتقدون ان الاشراك يقرب الى الله مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده (قوله لله ما فى السموات والارض) هذا نتيجة ماقبله اى فحيث ثبت انه الخالق لها تحقق انه المالك لها (قوله المحمود فى صنعه) اى المتصف بالكمالات أزلا وأبدا لا يستحق الحمد غيره (قوله ولو ان ما فى الارض) ان حرف توكيد ونصب وما اسم موصول فى محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن شجرة بيان لما وتوحيد شجرة اشارة الى استغراق الافراد كانه قال لو ان كل شجرة تجعل أقلاما الخ وقوله أقلام خبر أن (قوله والبحر) اى المحيط لان الحقيقة اذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل (قوله عطف على اسم ان) أشار بذلك الى توجيه قراءة النصب وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال اما عطف على جملة ان واسمها وخبرها لان موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف والتقدير لو ثبت ان ما فى الارض الخ أو مبتدأ خبره يمده والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد وهو جملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الابحر فاجاب بقوله مداد يدل على ذلك قوله فى الآية الاخرى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الخ (قوله كلمات الله) اى مدلولات كلامه النفسى القديم القائم بذاته تعالى بدليل قوله المعبر بها فان مدلول الكلام القديم هو ما أحاط به العلم القديم واما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم فلذلك كان له مبدأ وغاية (قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) سبب نزولها ان أبى ابن خلف وجماعة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تقول انا نبعث خلقا جديدا جميعا فى ساعة واحدة فنزلت والمعنى ان الله لا يصعب عليه شىء بل خلق العالم وبعثه برمته كخلق نفس واحدة وبعثها (قوله خلقا وبعثا) لف ونشر مرتب (قوله يا مخاطبا) نصبه لكونه قصد انه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) اى بالجزء الذى نقص من الاجر وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثنى عشر فتارة يزيدها الليل وتارة يزيدها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج وعبر فى الاول بالمضارع لان الايلاج متجدد بخلاف التسخير (قوله الى أجل مسمى) عبر هنا بالى وفى فاطر والزمر باللام تفننا لان اللام والى للانتهاء (قوله ذلك المذكور) اى من الآيات الكريمة وهو مبتدأ خبره قوله بان الله هو الحق (قوله الثابت) اى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء)

أى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله الم تر ان الفلك الخ) هذا دليل آخر على اثبات الالوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) اى احسانه (قوله اى علا الكفار) اى احاط بهم فعلا فعل ماض لا حرف جر (قوله اى لا يدعون معه غيره) اى كالاصنام لانهم فى ذلك الوقت فى غاية الشدة والهول فلا يجدون ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والايمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفى بما عاهد الله عليه من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت فى عكرمة بن ابى جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن انجانا الله من هذا لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم ولاضعن يدى فى يده فسكن الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) اى وهو المشار اليه بقوله وما يجحد بآياتنا الخ (قوله غدار) اى لانه نقض العهد ورجع الى ما كان عليه (قوله اتقوا ربكم) اى امتثلوا اوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لا يجزى والد عن ولده الخ) كل من الجملتين نعت ليوما والمعنى ان يوم القيامة يقول كل انسان نفسى نفسى لا املك غيرها ولا يهتم بقريب ولا بعيد وهذه الآية مخصوصة بالكفار واما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالاولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الاولاد قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم واما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته انا لا اغنى عنك من الله شيئا فهو تحذير لها من الكفر الذى به تنقطع الانساب (قوله ولا مولود) مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبر الثانى وهو وخبره خبر الاول أو معطوف على والد (فى حلمه وامهاله) اشار بذلك ان الباء سببية والكلام على حذف مضاف والاصل ولا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله الغرور (قوله ان الله عنده علم الساعة الخ) نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد القيت الحب فى الارض فمتى السماء تمطر وامرأتى حامل فهل حملها ذكر أم انثى واى شئ اعمله غدا ولقد علمت باى ارض ولدت فباى ارض اموت (قوله متى تقوم) اى وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فيها قراءتان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) اى وفى اى مكان ينزله (قوله وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) اى من حيث ذاتها واما باعلام الله للعبد فلا مانع منه كالانبياء وبعض الاولياء قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال العلماء وكذا ولى فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات فتكون معجزة للنبي وكرامة للولى ولذلك قال العلماء الحق انه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى اطلعه على تلك الخمس ولكنه امر بكتمها والحكمة فى كونه تعالى اضاف العلم الى نفسه فى الثلاثة الاول ونفى العلم عن العباد فى الاخيرتين منها مع ان الخمسة سواء فى اختصاص الله تعالى بعلمها ونفى علم العباد بها ان الثلاثة الاول امرها عظيم لا يتوهم فى الخلق علمها بخلاف الاخيرتين فهما من صفات العباد فربما يتوهمون علمهما فاذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علمهم بغيرهما اولى (قوله باى ارض تموت) لم يقل باى وقت تموت فيه لان انتقال الانسان من مكان الى آخر فى وسعه واختياره فتوهمه علم مكان موته اقرب بخلاف الزمان ففيه تنبيه على انتفاء علم الاقرب ليفهم منه علم الابعد بالاولى (قوله ان الله عليم خبير) اشار بذلك الى ان علمه تعالى ليس مختصا بهذه الاشياء المتقدمة بل هو عليم ببواطن الاشياء كظواهرها

﴿سورة السجدة﴾

اى التى ذكر فيها السجدة (قوله مكية) ظاهره ان جميعها مكى وقال غيره الا ثلاث آيات وقيل

عن معاصى الله (شكور) لنعمته (واذا غشيهم) اى علا الكفار (موج كالظلل) كالجبال التى تظل من تحتها (دعوا الله مخلصين له الدين) اى الدعاء بان ينجيهم اى لا يدعون معه غيره (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) متوسط بين الكفر والايمان ومنهم باق على كفره (وما يجحد بآياتنا) ومنها الانجاء من الموج (الا كل ختار) غدار (كفور) لنعم الله تعالى (يا أيها الناس) اى اهل مكة (اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى) يغنى (والد عن ولده) فيه شيئا (ولا مولود هو جاز عن والده) فيه (شيئا ان وعد الله حق) بالبعث (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) عن الاسلام (ولا يغرنكم بالله) فى حلمه وامهاله (الغرور) الشيطان (ان الله عنده علم الساعة) متى تقوم (وينزل) بالتخفيف والتشديد (الغيث) بوقت يعلمه (ويعلم ما فى الارحام) أذكر ام انثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله تعالى (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) من خير او شر ويعلمه الله تعالى (وما تدرى نفس باى ارض تموت) ويعلمه الله تعالى (ان الله عليم) بكل شئ (خبير) بباطنه كظاهره روى البخارى عن ابن عمر حديث مفاتح الغيب خمسة ان الله عنده علم الساعة الى آخر السورة ﴿سورة السجدة مكية ثلاثون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله اعلم بمراده به

الا خمس آيات اولها قوله تتجافى جنوبهم وآخرها قوله الذى كنتم به تكذبون وورد فى فضلها احاديث
منها ما فى الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة
الم تنزيل الكتاب السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر وقد اخذ بهذا الحديث الامام الشافعى
رضي الله عنه ولم يأخذ به مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ
الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وتسمى ايضا المنجية لانها احد المنجيات السبع وهى هذه
السورة ويس والدخان والواقعة وهل اتى والملك والبروج ولما ورد عن خالد بن معدان انه قال اقرؤا
المنجية وهى الم تنزيل فانه بلغنى ان رجلا كان يقرؤها ما يقرأ شيأ غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت
جناحها عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة
حسنة وارفعوا له درجة (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله ومجيئه (قوله من رب العالمين) اى لفظا ومعنى
(قوله خبر ثان) هذا احسن الاعاريب فى هذا الموضع ويصح ان يكون حالا من ضمير الخبر (قوله ام
يقولون افتراه) ام منقطعة تفسر ببل والهمزة عند البصريين والمفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب
بدليل قوله لا فانه اشارة الى ان الاستفهام انكارى مع انه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم ناسخ
المبيضة (قوله بل هو الحق) اضراب انتقالى من نفى الافتراء عنه الى اثبات حقيته ويصح ان يكون
ابطاليا لقولهم كانه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق وقولهم كل ما فى القرآن من الاضراب انتقالى
يحمل على غير هذا والمعنى ان القرآن محصور فى الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد الحصر من الجملة
المعرفة الطرفين (قوله لتنذر قوما) هو فعل ينصب مفعولين الاول قوما والثانى محذوف قدره
المفسر بقوله به وقدره غيره العقاب (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) جعل المفسر الجملة منفية
صفة لقوما واختلف فى القوم فقيل المراد بهم العرب لانهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون
هذه الآية بمعنى قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم وقيل المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد
عليهما السلام فيشمل بنى آدم برمتهم (قوله لعلهم يهتدون) الترجى بالنسبة له صلى الله عليه وسلم والمعنى
لتنذرقوما راجيا الاهتداء لهم لا آيسا منه (قوله الله الذى خلق السموات والارض) مبتدأ وخبر وهو
شروع فى ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله اولها الاحد وآخرها الجمعة) أى على سبيل التوزيع
فخلق الارض أولا فى الاحد والاثنين وخلق ما فيها فى الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات فى الخميس
والجمعة وفى ذلك اشكال وهو ان الايام لم تكن معروفة اذ ذاك فضلا عن تسميتها لعدم وجود الشمس
والافلاك التى بها تعرف الايام وأجيب بان المراد فى مقدار ستة ايام كائنة فى علمه تعالى بحيث تكون عند
ظهورها لنا اولها الاحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا انها كايام الدنيا وبه قال الحسن وقال ابن عباس
والضحاك اليوم منها مقداره الف سنة (قوله سرير الملك) اى ومنه قال نكروا لها عرشها والمراد به هنا
الجسم النورانى المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذا اشارة لطريق السلف الذين يؤمنون
بالمتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وهو اسلم ولذا سلكه المفسر وطريقة الخلف يؤولون الاستواء
بالاستيلاء والقهر اذ هو احد معنيي الاستواء ومنه قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وتقدم الكلام فى هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولى) هذا نتيجة ما قبله اى فحيث ثبت انه الخالق
للسموات والارض وما بينهما وهو المالك للعرش وما حوى فلا ولى ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكة)
خصهم لانهم سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اسم ما) اشار بذلك الى ان ما حجازية وولى
اسمها مؤخر ومن دونه خبر ما مقدم وفيه ان شرط إعمالها الترتيب وهو مفقود هنا الا ان يقال انه مشي على

(تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (لا ريب) شك (فيه) خبر اول (من رب العالمين) خبر ثان (أم) بل (يقولون افتراه) محمد لا (بل هو الحق من ربك لتنذر) به (قوما ما) نافية (أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) بانذارك (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام) اولها الاحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) وهو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (ما لكم) يا كفار مكة (من دونه) اى غيره (من ولى) اسم ما بزيادة من اى ناصر (ولا شفيع) يدفع عذابه عنكم

قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها والاحسن جعلها تميمية ومن دونه خبر مقدم وولى مبتدأ مؤخر لان القرآن لا ينبغي حمله على ضعيف (قوله افلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الامر) أي الشان والحال والمعنى يتصرف في الخلق على طبق علمه وارادته وهو القضاء والقدر المشار اليهما بقول الاجهوري

ارادة الله مع التعلق * في ازل قضاؤه فحقق
والقدر الايجاد للاشيا على * وجه معين اراده علا
وبعضهم قد قال معنى الاول * العلم مع تعلق في الازل
والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى كل يوم هو في شان فالتصريف الذي يظهر في الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والارادة قدر ومن حيث تعلق علم الله وارادته به قضاء فكل شيء بقضاء وقدر (قوله من السماء الى الارض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروى انه يدبر امر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل صلوات الله عليهم اجمعين فاما جبريل فموكل بالارياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والماء واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الآيات ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أي وهي كما ورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الالف السادس ومدة أمته تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطي في الكشف عن مجاوزة هذه الامة الالف وهذا احد اقوال تقدمت (قوله يرجع الامر والتدبير اليه) أي ينتقل التصريف الظاهري من ايدي العبيد يوم القيامة ويكون لله وحده ظاهرا وباطنا قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (قوله لشدة اهواله الخ) هذا اشارة لوجه الجمع بين الآيتين اي فالمراد من ذكر الالف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه وجمع أيضا بان موقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف فهذه الآيات بينت احد المواقف وآية سال بينت المواقف كلها وهذا هو الاقرب وجمع أيضا بان العذاب مختلف فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة ثم ينقل الى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة الصبح فهو في حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر اول والعزيز خبر ثان والرحيم خبر ثالث والذي احسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على انهما بدلان من الهاء في اليه وقرئ أيضا بجر عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الاشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير في اليه (قوله الذي احسن) اي احكم واتقن (قوله صفة) اي لكل أو لشيء (قوله وبسكونها) اي وهما قراءتان سبعيتان (قوله بدل اشتمال) اي من كل شيء (قوله ذريته) سميت نسلا لانها تنسل اي تنفصل (قوله أي خلق آدم) اشار بذلك الى ان الضمير في سواه عائد على آدم ويصح ان يكون عائدا على النسل ويكون المعنى سوى اعضاءه في الرحم وصورها بعد ان كان يشبه الجماد حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة (قوله من روحه) الاضافة للتشريف (قوله اي الذرية) فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والنكتة ان الخطاب انما يكون مع الحي فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أئذا ضللنا) حكاية لبعض قبائحهم واباطيلهم وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر

(افلا تتذكرون) هذا فتؤمنون (يدبر الامر من السماء الى الارض) مدة الدنيا (ثم يعرج) يرجع الامر والتدبير (اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) في الدنيا وفي سورة سال خمسين الف سنة وهو يوم القيامة لشدة اهواله بالنسبة الى الكافر واما المؤمن فيكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث (ذلك) الخالق المدبر (عالم الغيب والشهادة) اي ما غاب عن الخلق وما حضر (العزيز) المنيع في ملكه (الرحيم) باهل طاعته (الذي احسن كل شيء خلقه) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة وبسكونها بدل اشتمال (وبدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم جعل نسله) ذريته (من سلالة) علقة (من ماء مهين) ضعيف هي النطفة (ثم سواه) اي خلق آدم (ونفخ فيه من روحه) أي جعله حيا حساسا بعد ان كان جمادا (وجعل لكم) اي لذريته (السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة) القلوب (قليلا ما تشكرون) ما زائدة مؤكدة للقلة (وقالوا) اي منكرو البعث (أئذا ضللنا في الارض) غبنا فيها بان صرنا ترابا مختلطا بترابها (أئنا لفي خلق جديد) استفهام انكار بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية

اللام وبضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله وادخال الف بينهما) اى وتركه فتكون القراآت أربعا سبعيات (قوله فى الموضعين) اى وهما ائذا ضللنا أئنا (قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون) انتقال من جحدهم البعث الى جحدهم لقاء الله بالمرة (قوله قل لهم) اى للكفار وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى فى هذه الآية لملك الموت وفى آية الانعام للرسل وفى الزمر لله تعالى ولا منافاة بينها فما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم وما فى الانعام محمول على معالجة اعوان عزرائيل لمن امر بقبض روحه فان المباشر لاخراجها من الظفر الى الحلقوم اعوانه وما فى الزمر محمول على الحقيقة فان المتوفى حقيقة هو الله تعالى روى ان الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد فيأخذ منها من شاء اخذه من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروى ان خطوته ما بين المشرق والمغرب وروى انه جعلت له الارض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء وقيل انه على معراج بين السماء والارض وقيل ان له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى اجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن ينزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم باعمالكم) اى عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل احد ممن يصلح له (قوله ناكسوا رؤسهم) اى خافضوها (قوله وسمعنا منك تصديق الرسل) اى فيما اخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله انا موقنون الآن) اى آمنا فى الحال ويحتمل ان المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (قوله لرأيت امرا فظيعا) اى شنيعا عجيبا (قوله هداها) اى ايمانها والمعنى لو اردنا خلق كل نفس على الايمان والطاعة لفعلنا ذلك (قوله ولكن حق القول منى) اى ثبت وتقرر وعيدى (قوله من الجنة) قدمهم لان دخول الجن النار اكثر من الانس (قوله اى بترككم الايمان) اشار بذلك الى ان المراد بالنسيان الترك (قوله وذوقوا عذاب الخلد) كرره لبيان مفعول ذوقوا الاول (قوله بما كنتم تعملون) اى بسبب عملكم (قوله انما يؤمن بآياتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على بقاء من كفر على كفره كان الله يقول لنبيه لا تحزن فان اهل الايمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن واهل الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به فالخلق فريقان فى علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بانه يقتضى مدح كل من سمع القرآن واتعظ به ويسجد لله وان لم يكن له موضع سجود واجيب بان السنة بينت مواضع السجود فى القرآن فمدح المتعظين بالقرآن فى كل آية الساجدين فى مواضع السجود (قوله خروا سجدا) اى على وجوههم تعظيما لآياته وامتثالا لامره وخص السجود بالذكر لانه غاية الذل والخضوع وهو لا يكون الا لله وفعله لغيره كفر ولانه روح الصلاة وأعظم اركانها ولانه يقرب العبد من الله تعالى لما فى الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله متلبسين بحمد ربهم) اى جمعوا فى سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الاعضاء على الارض وبقولهم سبحان الله والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه ايضا الدعاء ومما ورد فيما يقال فى سجدات القرآن اللهم اكتب لى بها اجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لا يستكبرون) اى لا يتكبرون ولا يانفون (قوله تتجافى جنوبهم) اسند التجافى للجنوب لان الواعظ الذى يكون سببا فى القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالانسان اذا كان مشغولا بربه سلط عليه واعظ فى قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والهجوع قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فاذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة وبالجملة فتكون جميع

وادخال الف بينهما على الوجهين فى الموضعين قال تعالى (بل هم بلقاء ربهم) بالبعث (كافرون قل) لهم (يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) اى بقبض ارواحكم (ثم الى ربكم ترجعون) احياء فيجازيكم باعمالكم (ولو ترى اذ المجرمون) الكافرون (ناكسوا رؤسهم عند ربهم) مطاطؤها حياء يقولون (ربنا ابصرنا) ما انكرنا من البعث (وسمعنا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل صالحا) فيها (انا موقنون) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو لرأيت امرا فظيعا قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فتهتدى بالايمان والطاعة باختيار منها (ولكن حق القول منى) وهو (لاملأن جهنم من الجنة) الجن (والناس اجمعين) وتقول لهم الخزنة اذا دخلوها (فذوقوا) العذاب (بما نسيتم لقاء يومكم هذا) اى بترككم الايمان به (انا نسيناكم) تركناكم فى العذاب (وذوقوا عذاب الخلد) الدائم (بما كنتم تعملون) من الكفر والتكذيب (انما يؤمن بآياتنا) القرآن (الذين اذا ذكروا) وعظوا (بها خروا سجدا وسبحوا) ملتبسين (بحمد ربهم) اى قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) عن الايمان والطاعة (تتجافى جنوبهم) ترتفع (عن المضاجع) مواضع الاضطجاع بفرشها

لصلاتهم بالليل تهجدا (يدعون ربهم خوفا) من عقابه (وطمعا) في رحمته (ومما رزقناهم (٢١٩) ينفقون) يتصدقون (فلا تعلم نفس ما أخفى) خبيء (لهم من قرة أعين) ما تقر به أعينهم وفي قراءة بسكون الياء مضارع (جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) اى المؤمنون والفاسقون (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا) هو ما يعد للضيف (بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا) بالكفر والتكذيب (فمأواهم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى) عذاب الدنيا بالقتل والاسر والجدب سنين والامراض (دون) قبل (العذاب الاكبر) عذاب الآخرة (لعلهم) اى من بقي منهم (يرجعون) الى الايمان (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) القرآن (ثم أعرض عنها) اى لا احد أظلم منه (انا من المجرمين) اى المشركين (منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فلا تكن في مرية) شك (من لقائه) وقد التقيا ليلة الاسراء (وجعلناه) اى موسى او الكتاب (هدى) هاديا (لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ياء قادة (يهدون) الناس (بامرنا لما صبروا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وكانوا بآياتنا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يوقنون) وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (ان ربك هو يفصل

أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب (قوله لصلاتهم بالليل) أي لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما في الحديث ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت ان خيار أمتي لا ينامون (قوله فلا تعلم نفس) أي لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهم والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلا والا فنحن نعلمه اجمالا كالاشجار والانهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك لان عطاء الجنة لا تحيط به العقول ففي الحديث لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها (قوله من قرة أعين) اى سرورها وفرحها فلا يلتفتون لغيره (قوله وفي قراءة) اى وهي سبعية أيضا (قوله مضارع) اى والفاعل مستتر تقديره أنا ففي الحديث أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله جزاء) مفعول مطلق أو مفعول لاجله (قوله أفمن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة ابن أبي معيط تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك صبي وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال علي اسكت فانك فاسق وهذه الآية بمعنى قوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله كمن كان فاسقا) اى كافرا (قوله لا يستوون) اى في المآل وقد راعى المعنى فجمع لان المراد الفريق في كل وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ويبتدئ بقوله لا يستوون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجمل أولا (قوله نزلا) اى مهيأة ومعدة لاكرامهم كما تهيأ التحف للضيف النازل بالكرام (قوله بما كانوا يعملون) اى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما الذين فسقوا) لم يقل وعملوا السيئات اشارة الى ان مجرد الكفر كاف في الخلود في النار فلا التفات الى الاعمال معه وأما العمل الصالح فلا بد مع الايمان تأثيرا لما اقترن به (قوله فمأواهم النار) اى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأواهم روى ان النار تضربهم فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهبها فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقائل لهم الخزنة (قوله الذي كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالتذكير نظرا للمضاف وهو العذاب وفي سبأ بالتانيث نظرا للمضاف اليه وهو النار (قوله والجدب سنين) اى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب (قوله اى من بقي منهم) اى بعد القحط وبعد يوم بدر والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان اجمالي لحال المكذب اثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) اى ترك الايمان بها (قوله اى لا أحد الخ) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة في ذكر موسى قربه من النبي ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الاسراء) أي في الارض عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره وفي السماء السادسة كما ورد بذلك الحديث وفي كلامه اشارة الى ان الضمير في لقائه عائد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله اى من لقائك موسى ليلة الاسراء وهو أقوى الاحتمالات في هذا الموضع (قوله وجعلنا منهم أئمة) اى وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل أو أتباع الانبياء (قوله وابدال الثانية ياء) تقدم انها سبعية لكن من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) اى تحملوا المشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل

الصبر كالصبر مر في مذاقته * لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفي قراءة) اى وهي سبعية

بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه (٢٢٠) يختلفون) من امر الدين (أولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم) اى يتبين لكفار مكة اهلاكنا

كثيرا (من القرون) الامم
بكفرهم (يمشون) حال من
ضميرلهم (فى مساكنهم)
فى اسفارهم الى الشام
وغيرها فيعتبروا (ان فى
ذلك لآيات) دلالات
على قدرتنا (أفلا يسمعون)
سماع تدبر واتعاظ (أولم
يروا أنا نسوق الماء الى
الارض الجرز) اليابسة
التى لا نبات فيها (فنخرج
به زرعا تاكل منه انعامهم
وانفسهم أفلا يبصرون)
هذا فيعلمون أنا نقدر على
اعادتهم (ويقولون)
للمؤمنين (متى هذا الفتح)
بيننا وبينكم (ان كنتم صادقين
قل يوم الفتح) بانزال
العذاب بهم (لا ينفع الذين
كفروا ايمانهم ولاهم
ينظرون) يمهلون لتوبة أو
معذرة (فاعرض عنهم
وانتظر) انزال العذاب
بهم (انهم منتظرون) بك
حادث موت او قتل
فيستريحون منك
وهذا قبل الامر بقتالهم
﴿سورة الاحزاب مدنية
ثلاث وسبعون آية﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها النبي اتق الله) دم على
تقواه (ولا تطع الكافرين
والمنافقين) فيما يخالف
شرعتك (ان الله كان
عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلقه (واتبع ما يوحى اليك من ربك) اى القرآن الباء
(ان الله كان بما يعملون خبيرا) وفى قراءة بالفوقانية (وتوكل على الله) فى امرك (وكفى بالله وكيلا) حافظا لك وامته

ايضا وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية اى جعلناهم ائمة لاجل صبرهم (قوله بينهم) اى
المؤمنين والمشركين أو بين الانبياء وأممهم (قوله أولم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة
عليه والتقدير اغفلوا ولم يتبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله
ان فى ذلك) اى المذكور من كثرة اهلاك الامم الخالية (قوله اليابسة التى لا نبات فيها) اى التى قطع وازيل
بالمرة فالجرز معناه القطع سميت الارض اليابسة بذلك لقطع النبات منها وقيل المراد بالجرز موضع
باليمن (قوله تاكل منه انعامهم وانفسهم) قدم الانعام لان اكلها مقدم لكونها تاكله قبل ان يثمر (قوله
ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها ان المسلمين كانوا يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل
بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح
(قوله قل يوم الفتح) المراد به يوم القيامة لانه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لا ينفع الذين
كفروا ايمانهم) اى لان الايمان المقبول هو الذى يكون فى الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها (قوله ولاهم
ينظرون) اى يؤخرون وقوله او معذرة اى اعتذار (قوله فاعرض عنهم) اى اتركهم ولا تتعرض لهم
(قوله وهذا قبل الامر بقتالهم) اى فهو منسوخ بآية الجهاد ويحتمل ان الآية محكمة ومعنى فاعرض
عنهم اى اقبل عذر من أسلم منهم وترك ما هو عليه وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشي حين اسلم بعد قتله
حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح

﴿سورة الاحزاب﴾

اى التى ذكر فيها قصة الاحزاب وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من اصحابه والتشنيع
على المنافقين وذمهم وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فابقى الله منها ما هو بايدينا ورفع الزائدة خلافا للروافض
حيث كانوا زعموا ان تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فاكلها الداجن (قوله مدنية) اى باجماع
(قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الانبياء حيث قال ياموسى ياعيسى ياداود لكونه صلى
الله عليه وسلم افضل الخلق على الاطلاق فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والاجلال حيث قال يا أيها النبي
يا أيها الرسول وان ذكر اسمه صريحا اردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال محمد رسول الله وما محمد الا رسول
الى غير ذلك (قوله اى دم على تقواه) دفع بذلك ما يقال ان فى الآية تحصيل الحاصل وسبب نزول هذه
الآية ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور عمرو بن سفيان السلمى قدموا المدينة
فنزلوا على عبد الله بن ابى رأس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان
يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابى سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها
وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا فى قتلهم
فقال انى اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فامر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة
(قوله ان الله كان عليما حكيما) تعليل للامر والنهى (قوله ان الله كان بما يعملون خبيرا)
الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية وضمير النبي وامته على قراءة الفوقانية وهما
قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) اى اعتمد عليه وفوض امورك اليه (قوله وكفى بالله وكيلا)

تبع له فى ذلك كله (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) رداعلى من قال من الكفار انه له قلبين يعقل بكل منهما افضل من عقل محمد (وماجعل ازواجكم اللائى) بهمزة وياء وبلاياء (تظهرون) بلا الف قبل الهاء وبها والتاء الثانية فى الاصل مدغمة فى الظاء (منهن) بقول الواحد مثلا لزوجته انت على كظهر امى (امهاتكم) اى كالامهات فى تحريمها بذلك المعد فى الجاهلية طلاقا وانما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر فى سورة المجادلة (وماجعل ادعياءكم) جمع دعى وهو من يدعى لغير ابيه ابناله (ابناءكم) حقيقة (ذلكم قولكم بافواهكم) اى اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التى كانت امرأة زيد بن حارثة الذى تبناه النبى صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فاكذبهم الله تعالى فى ذلك (والله يقول الحق) فى ذلك (وهو يهدى السبيل) سبيل الحق لكن (ادعوهم لآبائهم هو اقسط) اعدل (عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم) بنو عمكم (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به) فى ذلك (ولكن) فى (ما تعمدت قلوبكم) فيه وهو بعد النهى (وكان الله غفورا) لما كان من قولكم قبل النهى (رحيما) بكم فى ذلك (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم)

الياء زائدة فى فاعل كفى ووكيلا حال (قوله تبع له فى ذلك) أى فيما ذكر من قوله اتق الله الى هنا (قوله من قلبين فى جوفه) أى لان القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لانه يؤدى للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله رداعلى من قال الخ) أى وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهرى كان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء الا من أجل أن له قلبين وكان هو يقول لى قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان واحدى نعليه بيده والاخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا فقال ما بال احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا أنهما فى رجلى فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده (قوله بهمزة وياء وبلاياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التى قال ابن مالك * باللات واللاء التى قد جمعا * (قوله بلا ألف قبل الهاء) أى فاصله تتظهرون بتاءين سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت فى الظاء (قوله وبها والتاء الثانية فى الاصل مدغمة فى الظاء) أى فهما قراءتان سبعيتان وبقى قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين حذفت احداهما وضم التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر وهذه القراآت واردة فى قد سمع أيضا غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء لان المضارع هناك مبدوء بالياء فلا تتأتى فيه وفى الماضى ثلاث لغات تظهر كتكلم وتظاهر كتقاتل وظاهر كقاتل (قوله بقول الواحد مثلا لزوجته الخ) أى وضابطه أن يشبه زوجته كلا أو بعضا بظهر مؤبدة التحريم (قوله امهاتكم) مفعول ثان لجعل (قوله بشرطه) أى وهو العزم على العود فان لم يعزم على العود فلا تجب عليه الكفارة مالم يمسها والا تحتمت عليه ولو طلقها بعد ذلك (قوله وماجعل أدعياءكم) نزلت فى حق زيد بن حارثة وهو كما روى كان من سبايا الشام فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبى صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فاقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه فى فدائه فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم خيراه فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا انه ابنى يرثنى وارثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضى ذلك عمه وابوه وانصرفا فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فمكثت معه مدة ثم اخبر الله نبيه انه زوجه زينب فلما طلقها زيد تزوجها رسول الله فتكلم المنافقون وقالوا تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها فنزلت هذه الآية ردا عليهم وستأتى هذه القصة فى اثناء السورة (قوله جمع دعى) اى بمعنى مدعو واصله دعيو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فى الياء (قوله اى اليهود) تفسير للكاف فى افواهكم (قوله ادعوهم لآبائهم) روى ان عمر بن الخطاب قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم (قوله هو اقسط) اى دعاؤهم لآبائهم ابلغ فى العدل والصدق (قوله فاخوانكم فى الدين) اى فادعوهم بمادة الاخوة بان تقول له يا اخى مثلا (قوله بنو عمكم) تفسير للموالى فانه يطلق على معان من جملتها ابن العم والمعنى اذا لم تعرفوا نسب شخص واردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمى مثلا (قوله وليس عليكم جناح) اى اثم (قوله ولكن ما تعمدت) اى ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم (قوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى انه صلى الله عليه وسلم احق بكل مؤمن من نفسه كان فى زمنه اولا فطاعة النبى مقدمة على طاعة النفس فى كل شئ من امور الدين والدنيا لانها طاعة لله قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واذا كان اولى بهم من انفسهم فهو اولى بمالهم واولادهم وازواجهم من انفسهم بالاولى فحقه صلى الله عليه وسلم على امته اعظم من حق

السيد على عبده وهذه الآية أعظم دليل على انه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت للخلق (قوله فيما دعاهم اليه) أى من أمور الدين او الدنيا او الآخرة فاذا طلب النبي شيأ من امر الدنيا او الدين وطلبت النفس خلافه فالحق فى الطاعة للنبي وحينئذ فلا يأتى من النبي الغصب ولا السرقة ولكن من كمال اخلاقه انه كان يتداين من اليهود ويشترى الشئ بالثمن وانما جعله الله اولى بالمؤمنين لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيأ عن هوى نفسه بل عن وحى فى جميع افعاله واقواله عن ربه (قوله وازواجه أمهاتهم) أى من عقد عليهن سواء دخل بهن أولا متن عنه او طلقهن وسراريه اللاتى تمتع بهن كذلك (قوله فى حرمة نكاحهن عليهم) أى والتعظيم والاحترام والبر لا فى غير ذلك من النظر والخلوة فانهن فى ذلك كالاجانب (قوله واولوا الارحام) مبتدأ وبعضهم بدل او مبتدأ ثان وأولى خبر (قوله فى الارث) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف والتقدير الاقارب اولى بارث بعضهم من ان يرثهم المؤمنون والمهاجرون الاجانب (قوله اى من الارث بالايمان والهجرة) اشار بذلك الى ان قوله من المؤمنين متعلق باولى يعنى ان الاقارب اولى بارث بعضهم من الارث بسبب الايمان والهجرة الذى كان فى صدر الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخى بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض (قوله الا ان تفعلوا) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن (قوله الى اوليائكم) اى من تولونه من الاجانب (قوله بوصية) اى فلما نسخ الارث بالايمان والهجرة توصل الى نفع الاجانب بالوصية وهى خارجة من ثلث المال (قوله مسطورا) أى مكتوبا (قوله واذ اخذنا) ظرف لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله وهى اصغر النمل) اى فكل اربعين منها اصغر من جناح بعوضة (قوله بان يعبدوا الله) أى يوحدوه وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا الى عبادته) اى يبلغوا شرائعه للخلق فعهد الانبياء ليس كعهد مطلق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أى والنكتة كونهم اولى العزم ومشاهير الرسل وقدمه صلى الله عليه وسلم لمزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أى وهو عبادة الله والدعاء اليها (قوله وهو اليمين) اى الحلف بالله على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته فالميثاق الثانى غير الاول لان الاول ايصاء على التوحيد والدعوى اليه من غير يمين والثانى مغلظ باليمين والشئ مع غيره غيره فى نفسه (قوله ليسأل الصادقين) متعلق باخذنا وفى الكلام التفات من التكلم للغيبة كما اشار له المفسر بقوله ثم اخذ الميثاق والمراد بالصادقين الرسل (قوله تبكيتا للكافرين) اى تقبيحا عليهم أى فالحكمة فى سؤال الرسل عن صدقهم وهو تبليغهم ما امروا به مع علمه تعالى انهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على اخذنا) ويصح ان يكون فى الكلام احتباك وهو الحذف من الثانى نظير ما اثبت فى الاول والتقدير ليسئل الصادقين عن صدقهم فاعد لهم نعيما مقيما ويسئل الكافرين عما اجابوا به رسلهم واعد لهم عذابا اليما (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هذا شروع فى ذكر قصة غزوة الاحزاب وكانت فى شوال سنة اربع وقيل خمس وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من اماكنهم سار منهم جمع من اكابرهم منهم حيي بن اخطب وكنانة ابن الربيع وابو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير الى ان قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال ابو سفيان مرحبا واهلا واحب الناس الينا من اعاننا على عداوة محمد ثم قالت قريش لاولئك اليهود يامعشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول فاخبرونا أنحن على الحق ام محمد فقالوا بل انتم على الحق فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لحرب محمد ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤا غطفان

وقيس

فيما دعاهم اليه ودعتهم انفسهم الى خلافه (وازواجه امهاتهم) فى حرمة نكاحهن عليهم (واولوا الارحام) ذوو القرابات (بعضهم اولى ببعض) فى الارث (فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) اى من الارث بالايمان والهجرة الذى كان اول الاسلام فنسخ (الا) لكن (أن تفعلوا الى اوليائكم معروفا) بوصية فجائز (كان ذلك) اى نسخ الارث بالايمان والهجرة بارث ذوى الارحام (فى الكتاب مسطورا) واريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ (و) اذكر (اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) حين اخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهى اصغر النمل (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) شديدا بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم اخذ الميثاق (ليسال) الله (الصادقين عن صدقهم) فى تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين بهم (واعد) تعالى (للكافرين) بهم (عذابا اليما) مؤلما هو عطف على اخذنا (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة
ابن حصن ولما تهيأ الكل للخروج اتى ركب من خزاعة فى اربع ليال حتى اخبروا محمدا بما اجتمعوا
عليه فشرع فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسي فقال له يارسول الله انا كنا بفارس اذا حاصرونا
خندقنا علينا فعمل فيه النبي والمسلمون حتى احكموه وكان النبي يقطع لكل عشرة اربعين ذراعا ومكثوا
فى حفره ستة ايام وقيل خمسة عشر وقيل اربعة وعشرين وقيل شهرا قال عمرو بن عوف كنت انا
وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار فى اربعين ذراعا فحفرنا واذا ببطن الخندق
صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره
بخبر هذه الصخرة فاتى سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة
بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فمرنا فيها بامرك فانا لانحب ان نجاوز
خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الى الخندق واخذ المعول من سلمان وضربها
به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كان مصباحا فى جوف بيت
مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الاول
فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثالثة فكسرها فبرق منها برق مثل
الاول واخذ بيد سلمان ورقى فقال بابى انت وامي يارسول الله لقد رأيت شيا ما رأيت مثله قط فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم وقال ارأيتم مايقول سلمان قالوا نعم قال ضربت ضربتي
الاولى فبرق البرق الذى رأيتم فاضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فبرق لى الذى رأيتم اضاءت لى منها قصور قيصر من
ارض الروم كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى
رأيتم اضاءت لى منها قصور صنعاء كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا
فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون
الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل قوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض
ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية فلما فرغوا من حفره اقبلت قريش
والقبائل وجملتهم اثنا عشر الفا فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم وبين المسلمين فلما رأته قريش قالوا
هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا
ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم
وخرج عدو الله حيي بن اخطب رئيس بني النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظي سيد بني قريظة
فلما سمع كعب حييا اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فابى ان يفتح له وقال له ويحك ياحيي انك امرؤ
مشؤوم انى عاهدت محمدا فلست بناقض فانى لم ار منه الا وفاء وصدقا فلم يزل حيي به ويقول له جئتك بعز
الدهر حتى فتح له ونقض عهد رسول الله فلما انتهى الخبر الى رسول الله بعث لهم سعد بن معاذ سيد
الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فشاتموهم وقالوا لهم لا عهد بيننا وبينكم ورجعوا واخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يامعشر المسلمين فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا
فى ذلك الحصار خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف ثم ان نعيم بن
مسعود الاشجعي من غطفان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انى اسلمت وان قومي لم

يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى و بينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاؤ الحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره وان رأوا نهزة وغنيمة أصابوا وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين هذا الرجل ولا طاقة لكم عليه ان خلا بكم فلا تقاتلوه مع القوم حتى تاخذوا رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يتاخروا قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا على أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيهكم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فارسل اليهم أن نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا و بينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لم يخف عليكم ولسنا مع الذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز معكم محمدا فانا نخشى ان ضرمتكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انتهزوا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا وهى ريح الصبا فى ليلة شديدة البرد والظلمة فقلعت بيوتهم وقطعت اطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الارض وارسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم ادخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا احد ثم صلى هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا احد من شدة الخوف والجوع والبرد ثم قال يا حذيفة فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى اتيته فاخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال ائت هؤلاء القوم حتى تاتينى بخبرهم ولا تحدثن شيا حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمى ثم انطلقت امشى نحوهم كانما امشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد ارسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا

قوله ولسنا مع الذى نقاتل معكم هكذا فى النسخ والذى فى الزرقانى على المواهب ولسنا مع ذلك بمقاتلين معكم

نارا

اذجاءتكم جنود) من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) من الملائكة (وكان الله بما تعملون) بالتاء من حفر الخندق وبالياء من تحزيب المشركين (بصيرا اذجاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم) **(٢٢٥)** من أعلى الوادى وأسفله من المشرق والمغرب (واذ زاغت الابصار) مالت عن كل شئ الى عدوها من كل جانب (وبلغت القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم من شدة الخوف (وتظنون بالله الظنونا) المختلفة بالنصر واليأس (هنالك ابتلى المؤمنون) اختبروا ليتبين المخلص من غيره (وزلزلوا) حركوا (زلزالا شديدا) من شدة الفزع (و) اذكر (اذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (ماوعدنا الله ورسوله) بالنصر (الاغرورا) باطلا (واذقالت طائفة منهم) اى المنافقين (ياأهل يثرب) هى ارض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لامقام لكم) بضم الميم وفتحها أى لااقامة ولامكانة (فارجعوا) الى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي صلى الله وعليه سلم الى سلع جبل خارج المدينة للقتال (ويستاذن فريق منهم النبي) فى الرجوع (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة يخشى عليها قال تعالى (وماهى بعورة ان

نارا ولا بناء وأبو سفيان قاعد يصطلى فاخذت سهما فوضعته فى كبد قوسي فاردت ان ارميه ولورميته لاصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى فلما رأى ابو سفيان ماتفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يامعشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسى فقلت من انت فقال سبحان الله أما تعرفنى انا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانى أمشى فى حمام فاتيته وهو قائم يصلى فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت انيابه فى سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفء فادنانى النبي صلى الله عليه وسلم فانامنى عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدرى ببطن قدميه فلم أزل نائما حتى اصبحت فلما أصبحت قال قم يانومان (قوله اذجاءتكم) بدل من نعمة والعامل اذكروا (قوله متحزبون) أى مجتمعون وتقدم انهم كانوا اثنى عشر ألفا وكان المسلمون اذذاك ثلاثة آلاف والمنافقون من جملتهم (قوله ريحا) أى وهى الصبا التى تهب من المشرق ولم تتجاوزهم (قوله ملائكة) اى وكانوا ألفا ولم يقاتلوا وانما ألقوا الرعب فى قلوبهم (قوله وبالياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اذجاؤكم) بدل من اذجاءتكم (قوله من اعلى الوادى) اى وهم اسد وغطفان (قوله واسفله) اى وهم قريش وكنانة (قوله من المشرق والمغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) اى المحيط من كل جانب (قوله وهى منتهى الحلقوم) اى من اسفله (قوله الظنونا) بالف بعد النون وصلا ووقفا وبدونها فى الحالين وباثباتها وقفا وحذفها وصلا ثلاث قراآت سبعيات وتجرى فى قوله أيضا السبيلا والرسولا فى آخر السورة (قوله بالنصر) أى من المؤمنين وقوله واليأس اى من المنافقين وبعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان اى فى ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالا) بكسر الزاى فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بفتح الزاى وهما لغتان فى مصدر الفعل المضعف اذاجاء على فعلال كصلصال وقلقال (قوله واذيقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير وقال أيضا يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا وخوفا ماهذا الاوعد غرور (قوله واذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيظى بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين (قوله هى أرض المدينة) اى فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديما وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تسميتها بذلك وسماها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله ووزن الفعل) اى فهى على وزن يضرب (قوله بضم الميم وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولامكانة) اى تمكن فهو بمعنى الاقامة (قوله جبل خارج المدينة) اى بينها وبين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم اليه ووجوههم للعدو (قوله ويستأذن) عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع استحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) اى من السراق لكونها قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أى تكذيبا لهم (قوله ولودخلت عليهم) اى دخلها الاحزاب (قوله الشرك) اى ومقاتلة المسلمين (قوله بالمد والقصر) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى اعطوها وفعلوها) لف ونشر مرتب (قوله وماتلبثوا بها الايسيرا) اى ما أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد واظهار الكفر وقتال المسلمين الازمنا

يريدون الا فرارا) من القتال (ولودخلت) أى المدينة (عليهم من اقطارها) نواحيها (ثم سئلوا) اى سألهم الداخلون (الفتنة) الشرك (لآتوها) بالمد والقصر أى اعطوها وفعلوها (وماتلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله

من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا) عن الوفاء به (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا) ان فررتم (لا تمتعون) في الدنيا بعد فراركم (الا قليلا) بقية آجالكم (قل من ذا الذى يعصمكم) يجيركم (من الله ان اراد بكم سوأ) هلاكا

وهزيمة (أو) يصيبكم بسوء ان (اراد) الله (بكم رحمة) خيرا (ولا يجدون لهم من دون الله) اى غيره (وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين) المثبطين (منكم والقائلين لاخوانهم هلم) تعالوا (الينا ولا يأتون البأس) القتال (الا قليلا) رياء وسمعة (اشحة عليكم) بالمعاونة جمع شحيح وهو حال من ضمير يأتون (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى) كنظر أو كدوران الذى (يغشى عليه من الموت) أى سكراته (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) آذوكم أو ضربوكم (بالسنة حداد أشحة على الخير) أى الغنيمة يطلبونها (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة (فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) بارادته (يحسبون الاحزاب) من الكفار (لم يذهبوا) الى مكة لخوفهم منهم (وان يأت الاحزاب) كرة أخرى (يودوا) يتمنوا (لو أنهم بادون فى الاعراب) اى كائنون

فى البادية (يسئلون عن انبائكم) اخباركم مع الكفار (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة) بكسر الهمزة وضمها (حسنة) اقتداء به فى القتال والثبات فى مواطنه

قليلا ويهلكون فالعزة لله ورسوله والمسلمين فالمعنى لو دخل الكفار المدينة وارتد هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار لاخذ الله بايديكم سريعا بقطع دابرهم فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها (قوله من قبل) اى قبل غزوة الخندق (قوله لا يولون الادبار) اى بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء (قوله مسؤلا عن الوفاء به) أى مسؤلا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله أن فررتم من الموت أو القتل) اى لانه مصيبكم لا محالة (قوله واذا لا تمتعون الا قليلا) اى وان نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا زمنا قليلا (قوله وأراد بكم رحمة) قدر له المفسر عاملا يناسبه وهو قوله او يصيبكم بسوء لانه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله المثبطين) اى المكسلين غيرهم عن القتال فى سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين) عطف على المعوقين وقوله لاخوانهم اى فى الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالقائلين اليهود من بنى قريظة (قوله هلم الينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وهذه لغة اهل الحجاز وعند تميم هو فعل امر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتانيث ومقتضى عبارة المفسر انه لازم حيث فسره بتعالوا ويصح جعله متعديا بمعنى قربوا ومفعوله محذوف والتقدير انفسكم الينا (قوله رياء وسمعة) اى لان شان من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله الا قليلا لغرض خبيث (قوله اشحة عليكم) اى مانعين للخير عنكم (قوله جمع شحيح) هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء كخليل واخلاء والشح البخل (قوله رأيتهم ينظرون اليك الخ) هذا وصف لهم بالجبن لان شان الجبان الخائف ينظر يمينا وشمالا شاخصا ببصره (قوله كنظر او كدوران) اشار بذلك الى ان قوله كالذى يغشى عليه نعت لمصدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالذى يغشى عليه من الموت) اى لانه يشخص ببصره ويذهب عقله (قوله سلقوكم) السلق بسط العضو ومده للقهر كان يدا أو لسانا ففى الآية استعارة بالكناية حيث شبه اللسان بالسيف وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب فاثباته تخييل والحداد ترشيح (قوله اشحة على الخير) أى مانعين له فلا نفع فى انفسهم ولا فى مالهم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) اى بقلوبهم وان اسلموا ظاهرا (قوله فاحبط الله اعمالهم) اى اظهر بطلانها (قوله يحسبون) اى المنافقون لشدة جبنهم (قوله الاحزاب) اى قريشا وغطفان واليهود (قوله لو انهم بادون فى الاعراب) اى ساكنون فى البادية خارج المدينة ليكونوا فى بعد عن الاحزاب (قوله يسئلون عن انبائكم) يصح ان يكون حالا من الواو فى بادون أو جملة مستانفة والمعنى يسئلون كل قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما بينهم ان غلب المسلمون قاسمناهم فى الغنيمة وان غلب الكفار فنحن معهم (قوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) هذه الآية وما بعدها الى قوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من تمام قصة الاحزاب وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمنافقين (قوله بكسر الهمزة وضمها) اى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) اشار بذلك الى ان الاسوة اسم بمعنى المصدر وهو الائتساء يقال ائتسى فلان بفلان اى اقتدى به (قوله فى القتال) لا مفهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فى الاقوال والافعال والاحوال لانه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل جميع افعاله واقواله واحواله عن ربه ولذا قال العارف

وخصك بالهدى فى كل أمر * فلست تشاء الا ما يشاء

(لمن) بدل من لكم (كان
يرجوا الله) يخافه (واليوم
الآخر وذكر الله كثيرا)
بخلاف من ليس كذلك
(ولما رأى المؤمنون
الاحزاب) من الكفار
(قالوا هذا ماوعدنا الله
ورسوله) من الابتلاء
والنصر (وصدق الله
ورسوله) فى الوعد (وما
زادهم) ذلك (الا ايمانا)
تصديقا بوعد الله (وتسليما)
لامره (من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله
عليه) من الثبات مع النبى
صلى الله عليه وسلم (فمنهم
من قضى نحبه) مات او قتل
فى سبيل الله (ومنهم من
من ينتظر) ذلك (وما بدلوا
تبديلا) فى العهد وهم بخلاف
حال المنافقين (ليجزى
الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء)
بان يميتهم على نفاقهم (او
يتوب عليهم ان الله كان
غفورا) لمن تاب (رحيما)
به (ورد الله الذين كفروا)
اى الاحزاب (بغيظهم لم
ينالوا خيرا) مرادهم من
الظفر بالمؤمنين (وكفى
الله المؤمنين القتال) بالريح
والملائكة (وكان الله قويا
على ايجاد مايريده (عزيزا)
غالبا على امره (وانزل
الذين ظاهروهم من اهل
الكتاب) اى قريظة (من
صياصيهم) حصونهم
جمع صيصية

وانما خص القتال بالذكر لانه معرض السبب (قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) اى فالمتصف
بهذه الاوصاف ثبتت له الاسوة الحسنة فى رسول الله واما من لم يكن متصفا بتلك الاوصاف فليس
كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) اى بلسانه اوجنانه اوماهو اعم (قوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب)
اى ابصروهم محدقين حول المدينة (قوله قالوا هذا ماوعدنا الله) اى بقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه
متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وقوله ورسوله اى بقوله ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال أو
عشر والعاقبة لكم عليهم (قوله وصدق الله ورسوله) اى ظهر صدق خبر الله ورسوله فى الوعد بالنصر
فاستبشروا بالنصر قبل حصوله وأظهر فى محل الاضمار زيادة فى تعظيم اسم الله ولانه لو اضمر لجمع بين
اسم الله واسم رسوله فى ضمير واحد مع ان النبى صلى الله عليه وسلم عاب على من قال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله (قوله وما
زادهم ذلك) اى الوعد او الصدق (قوله من المؤمنين رجال صدقوا الخ) هم جماعة من الصحابة نذروا
انهم اذا أدركوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا (قوله فمنهم من
قضى نحبه) اى وفى نذره بموته فى القتال يقال نحب ينحب من باب قتل نذر ومن باب ضرب بكى (قوله
ومنهم من ينتظر ذلك) اى قضاء النحب بالموت فى سبيل الله (قوله بخلاف حال المنافقين) اى فقد بدلوا
وغيروا فكان الواحد منهم اذا أراد القتال انما يقاتل خوفا على نفسه وماله لا طمعا فى رضا الله (قوله
ليجزى الله الصادقين) متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزى الله
الخ (قوله بان يميتهم على نفاقهم) اشار بذلك الى ان مفعول شاء محذوف ودفع بذلك ما يقال ان عذابهم
متحتم فكيف علق على المشيئة فالتعليق بحسب علمنا واما فى علم الله فالامر محتم اما بالسعادة أو الشقاوة
وسيظهر ذلك للعباد (قوله بغيظهم) الجملة حالية اى متلبسين بالغيظ (قوله لم ينالوا خيرا) حال ثانية (قوله
وكفى الله المؤمنين القتال) اى لم يحصل بينهم اختلاط فى الحرب بل انما كان بينهم ضرب بالسهام
والخندق بينهم (قوله بالريح) اى فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم (قوله والملائكة) اى بالقاء
الرعب فى قلوبهم وتقدم بسط ذلك فى القصة (قوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب الخ) شروع
فى ذكر قصة بنى قريظة وذكرت عقب الاحزاب لكون بنى قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه قال العلماء بالسير لما أصبح رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الليلة التى انصرف فيها الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف هو والمؤمنون الى المدينة
ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من استبرق راكبا على بغلة بيضاء عليها قطيفة
من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه
الايمن فقال يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح
منذ اربعين ليلة ومارجعت الآن الا من طلب القوم فقال ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة فانهض
اليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم فى زلزال والقيت الرعب فى قلوبهم فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى ان من كان مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحصرهم المسلمون
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم أتنزلون على حكمى فابوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الاوس فرضوا به
فحكمه فيهم فقال سعد انى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء فقال صلى

الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج الى سوق المدينة الذى هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث اليهم فاتى بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بنى النضير وكعب بن أسد رئيس بنى قريظة وكانوا ستمائة أو سبعمائة فامر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم فى ذلك الخندق فلما فرغ من قتلهم وانقضى شانهم توفى سعد المذكور بالجرح الذى أصابه فى وقعة الاحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذى نفس محمد بيده انى لاعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم (قوله وهو ما يتحصن به) أى سواء كان من الحصون أولا حتى الشوكة والقرن وباب الدار ونحو ذلك تسمى صيصية (قوله فريقا تقتلون) بيان لما فعل بهم (قوله وهم المقاتلة) أى وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة (قوله أى الذرارى) أى وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أى الآن وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وهى خيبر) أى وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك الى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أى بسنتين أو ثلاث على الخلاف المتقدم فى قريظة هل هى فى الرابعة أو الخامسة وخيبر كانت فى السابعة فى أول المحرم وهى مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها و بين المدينة الشريفة أربع مراحل فاقبل عليها صبيحة النهار وفى تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا وكان فيها عشرة آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وحاصرها وبنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من نخلها أربعمائة نخلة وسبى أهلها وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بنى النضير وكانت وقعت فى سهم دحية الكلبي فتنازع بعض الصحابة فى شان ذلك فاخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخى موسى فاسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها (قوله يا أيها النبى قل لازواجك) اختلف المفسرون فى هذا التخيير هل كان تفويضا فى الطلاق اليهن فيقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويضا فى الطلاق وانما خيرهن على انهن ان اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن وذهب قوم الى انه كان تفويضا وانهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا فلا يحتاج لانشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) اى وهن اللاتى مات عنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست نظمهن مهذب

فعائشة هى بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب من بنى النضير وهند هى ام سلمة بنت ابى امية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطلقية ورملة هى ام حبيبة بنت ابى سفيان بن حرب وسودة هى بنت زمعة (قوله ان كنتن تردن الحياة الدنيا) اى التنعم فيها (قوله وزينتها) اى زخارفها روى ان أبا بكر جاء ليستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم قال فاذنت لابى بكر فدخل ثم جاء عمر فاستاذن فاذن له فدخل فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لاقولن شيا اضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتنى النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى يسالننى النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها

وهو ما يتحصن به (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (فريقا تقتلون) منهم وهم المقاتلة (وتاسرون فريقا) منهم اى الذرارى (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها) بعد وهى خيبر اخذت بعد قريظة (وكان الله على كل شئ قديرا يا ايها النبى قل لازواجك) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها

كلاهما يقول تسألن رسول الله ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ماليس عنده ثم اعتزلن شهرا ثم نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله استشير أبوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكر لهن ذلك فانزل الله لا يحل لك النساء من بعد ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له و بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل امر مبني على السكون ونون النسوة فاعل (قوله أمتعكن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض و يصح ان يكون مجزوما في جواب الامر والجواب فتعالين (قوله أطلقكن من غير ضرار) اى من غير تعب ولا مشقة (قوله فاخترن الآخرة على الدنيا) اى ودمن على ذلك فكن زاهدات في الدنيا حتى وردان عائشة دخل عليها ثمانون الف درهم من بيت المال فامرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها في مجلس واحد فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئا تفطر به وكانت صائمة فلم تجد منها شيئا (قوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة الخ) هذه الآيات خطاب من الله لازواج النبي اظهارا لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى لان العتاب والتشديد في الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهن ضجيعاته في الجنة فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافا لمن شذ وزعم ان حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحدت حدين لعظم قدرها كالحرة بالنسبة للامة وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي بل جميع نساء الانبياء مصونات من الزنا ولذا قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وانما خانت امرأة نوح ولوط في الايمان والطاعة وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق وقيل الفاحشة اذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط وان وردت منكرة فهي سائر المعاصي وان وردت منعوتة كما هنا فهي حقوق الزوج وسوء عشرته وقيل المراد بها جميع المعاصي وهو الاظهر وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد لئن اشركت ليحبطن عملك و لا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى بينت الخ) لف ونشر مرتب (قوله وفي قراءة يضعف) اى و الثلاث سبعيات (قوله العذاب) اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة (قوله اى مثليه) اى فضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيرا) اى سهلا فلا يبالي الله باحد وان عظمت رتبته فليس امر الله كامر الخلق يترك تعذيب الاعزة حيث اذنبوا الكثرة أوليائهم واعوانهم بل المكرم عند الله هو التقي (قوله وتعمل صالحا) اى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) اى مرة على الطاعة والتقوى ومرة اخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التي لا تتيسر من غيرهن (قوله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء) تقدم ان حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن فلا يليق منهن التوغل في الشهوات وتطلب زينة الدنيا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لست من الدنيا وليست الدنيا مني والمقربون منه كذلك والمعنى ليست الواحدة منكن كواحدة من آحاد النساء فالتفاضل في الافراد (قوله ان اتقيتن) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه كما يشير له المفسر بقوله فانكن اعظم والمعنى ان اتقيتن الله فلا يقاس بواحدة منكن واحدة من سائر النساء (قوله فلا تخضعن) كلام مستانف مفرع على التقوى (قوله بالقول) اى بان تكلمن بكلام

فتعالين امتعكن) اى متعة الطلاق (واسرحكن سراحا جميلا) اطلقكن من غير ضرار (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) اى الجنة (فان الله اعد للمحسنات منكن) بارادة الآخرة (اجرا عظيما) اى الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) بفتح الياء وكسرها اى بينت أو هي بينة (يضاعف) وفي قراءة يضعف بالتشديد وفي اخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب (لها العذاب ضعفين) ضعفي عذاب غيرهن اى مثليه (وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت) يطع (منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين) اى مثلي ثواب غيرهن من النساء وفي قراءة بالتحتية في تعمل ويؤتها (واعتدنا لها رزقا كريما) في الجنة زيادة (يا نساء النبي لستن كاحد) كجماعة (من النساء ان اتقيتن) الله فانكن اعظم فلا تخضعن بالقول) للرجال

بيوتكن) من القرار وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء الى القاف وحذفت مع همزة الوصل (ولا تبرجن) بترك احدى التاءين من اصله (تبرج الجاهلية الاولى) اى ماقبل الاسلام من اظهار النساء محاسنهن للرجال والاظهار بعد الاسلام مذكور فى آية ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الاثم يا (اهل البيت) اى نساء النبي صلى الله عليه وسلم (ويطهركم) منه (تطهيرا واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله) القرآن (والحكمة) السنة (ان الله كان لطيفا) باوليائه (خبيرا) بجميع خلقه (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات) المطيعات (والصادقين والصادقات) فى الايمان (والصابرين والصابرات) على الطاعات (والخاشعين) المتواضعين (والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة) للمعاصى (واجرا عظيما) على الطاعات

رقيق يميل قلوب الرجال اليكن اذ لا يليق منكن ذلك لكونكن اعظم النساء (قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض) فى ذلك احتراس عما يقال انهن أمهات المؤمنين والانسان لا يطمع فى أمه فاجاب بان الذى يقع منه الطمع انما هو المنافق لان شهوته حاصلة معه وهو منزوع الخشية والخوف من الله ولكن نهين عموما سدا للذريعة (قوله قولا معروفا) أى حسنا فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لا ريبة فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من القرار) اى الثبات بيان لمعنى القراءتين (قوله واصله اقررن بكسر الراء) اى من باب ضرب وقوله وفتحها أى من باب علم فماضى الاول مفتوح والامر منه مكسور والثانى بالعكس (قوله نقلت حركة الراء) اى الاولى وحركتها اما كسرة على الاول او فتحة على الثانى (قوله مع همزة الوصل) اى للاستغناء عنها بتحريك القاف والمعنى اثبتن فى بيوتكن ولا تخرجن الا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الاولى) اختلف فى زمنها فقيل هى ماقبل بعثة ابراهيم وقيل مابين آدم ونوح وقيل مابين نوح وادريس وقيل مابين نوح وابرهيم وقيل مابين موسى وعيسى وقيل مابين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى ماقبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر المفسر وجعلها أولى بالنسبة الى ما كن عليه وليس المعنى ان ثم جاهلية أخرى (قوله من اظهار محاسنهن للرجال) اى فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين وكانت النساء يظهرون مايقبح اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار وينفرد زوجها بما دون الازار الى أسفل وربما سال أحدهما صاحبه البدل (قوله والاظهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال ان اظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الاولى فاجاب بانه تقدم النهى عنه فى قوله ولا يبدين زينتهن الخ (قوله وأقمن الصلاة) اى بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) اى لمستحقيها (قوله واطعن الله ورسوله) اى فى جميع الاوامر والنواهى فلا تليق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به (قوله الرجس) اى الذنب المدنس لعرضكن (قوله اهل البيت) منصوب على انه منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر (قوله اى نساء النبي) قصره عليهن لمراعاة السياق والا فقد قيل الآية عامة فى أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركم تطهيرا) أكده اشارة الى الزيادة فى التطهير بسبب التكاليف فالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهى الخلوص من دنس المعاصى فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصى فهو ضال كذاب (قوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن) اى لتذكرن به انفسكن او غيركن وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من اهل بيت النبوة وشاهدن نزول الوحى وكل ذلك موجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) اى عالما بخفيات الامور (قوله خبيرا) اى مطلعا على كل شئ (قوله ان المسلمين والمسلمات الخ) سبب نزولها ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن ان الله ذكر الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فسالت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يارسول الله مابال ربنا يذكر الرجال فى كتابه ولا يذكر النساء فنخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت جبرا لخاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) انما عطف وصفهما بالايمان على وصفهما بالاسلام وان كانا متحدين شرعا نظرا الى أنهما مختلفان مفهوما اذ الاسلام التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والايمان الاذعان القلبى بشرط النطق باللسان ويكفى فى العطف ادنى تغاير (قوله والحافظات) حذف المفعول لدلالة ماقبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) اى باى ذكر كان من تسبيح او تهليل او تحميد او صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والكثرة مختلفة باختلاف

الاشخاص

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون) بالتاء والياء (لهم الخيرة) أى الاختيار (من امرهم) خلاف امر الله ورسوله نزلت فى عبد الله بن جحش واخته زينب خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما لظنهما قبل ان النبي صلى الله عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) بينا فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع فى نفسه حبها وفى نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم اريد فراقها فقال امسك عليك زوجك كما قال تعالى (واذ) منصوب باذكر (تقول للذى انعم الله عليه) بالاسلام (وانعمت عليه) بالاعتاق وهو زيد بن حارثه كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة واعتقه وتبناه (امسك عليك زوجك واتق الله) فى امر طلاقها (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) مظهره من محبتها وان لو فارقها زيد تزوجتها (وتخشى الناس) ان يقولوا تزوج زوجة ابنه (والله احق ان تخشاه) فى كل شئ

الاشخاص فالسكرة فى حق العامة أقامها تماثلة وفى حق المريدين اثنى عشر الفا وفى حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم ومنه قول العارف ابن الفارض

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى يوما حكمت بردتى

(قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) اى لا ينبغى ولا يصلح ولا يليق وهذا اللفظ يستعمل تارة فى الحظر والمنع كما هنا وتارة فى الامتناع عقلا كما فى قوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وتارة فى الامتناع شرعا كقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا (قوله اذا قضى الله ورسوله امرا) ذكر اسم الله للتعظيم واشارة الى ان قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى واذا يصح ان تكون ظرفا معمولا لما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله امرا كون الخيرة لهم ويصح ان تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ماقبله (قوله ان تكون) اسم كان مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة والياء نظرا الى ان الخيرة مجازى التانيث اوللفصل بين العامل والمعمول (قوله الخيرة) بفتح الياء وقرئ شذوذا باسكانها ومعناهما واحد وهو الاختيار (قوله أى الاختيار) اشار بذلك الى ان الخيرة مصدر (قوله من امرهم) حال من الخيرة (قوله واخته زينب) اى بنت جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبي وعنى لزيد) اى بعد ان كان زوجه اولا ام ايمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن كانت لعبد الله ابى النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقها وقيل اعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم خمسة اشهر وقيل سنة وولدت لزيد اسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس (قوله فكرها ذلك) اى كون الخطبة لزيد وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا بنت عمتك فلا ارضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وزيد اسود (قوله ثم رضيا للآية) أى حين نزلت الآية توبيخا لهما (قوله ومن يعص الله ورسوله الخ) هذا من تمام ما نزل فى شانهما فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) اى اخطأ طريق الصواب (قوله فزوجها النبي لزيد) اى واعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على ان معنى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه هو حبها الذى درج عليه المفسر تبعا لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنابه الشريف وايضا يبعد ان النبى يخفى عليه حالها مع كونها بنت عمته وفى حجره (قوله فقال امسك عليك زوجك) أى لا تفارقها (قوله منصوب باذكر) أى فهو معمول لمحذوف (قوله اشتراه رسول الله) فيه تسمح بل الذى فى السيرات خديجة اشترته بار بعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشراء صورى والا فهو كان حرا لانه لم يكن الرق بالسبي مشروعا لكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربى والعلماء عرفوا الرق بانه عجز حكمى سببه الكفر روى ان عمه لقيه يوما بمكة فعرفه وضمه الى صدره وقال له لما ابت قال لمحمد بن عبد الله فوقفوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرضوا عليه فان اختاركم خذوه فبعث الى زيد وخيره فقال يا رسول الله اختار عليك احدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك قال نعم هى احب الى من ان اكون عندكم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من محبتها) بيان لما ابداه وهو النبوة وردد لما تقدم انه ينزه عنه رسول الله والصواب ان يقول ان الذى اخفاه فى نفسه هو ما اخبره الله به من انها ستصير احدى زوجاته بعد طلاق زيد لها لما روى عن على بن الحسين رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى الله اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما شكا للنبي خلق زينب وانها

وتزوجها ولا عليك من قول الناس ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) حاجة (زوجناكها) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وأشبع المسلمين خبزا ولحما (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله) مقضيه (مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض) أحل (الله له سنة الله) اى كسنة الله فنصب بنزع الخافض (في الذين خلوا من قبل) من الانبياء ان لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح (وكان أمر الله) فعله قدرا مقدورا) مقضيا (الذين) نعت للذين قبله (يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله) فلا يخشون مقالة الناس فيما احل الله لهم (وكفى بالله حسيبا) حافظا لاعمال خلقه ومحاسبتهم (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) فليس أبا زيد أى والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب (ولكن) كان (رسول الله وخاتم النبيين) فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم اى به ختموا (وكان الله بكل شيء عليما) منه بان لا نبي بعده واذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته

لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له رسول الله على جهة الادب والوصية اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك وهذا هو الذى أخفى في نفسه وخشي رسول الله ان يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه فعاتبه الله على الكتم لاجل هذا العذر والحكمة في تزوج رسول الله بزينب ابطال حكم التبني والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبني من حيث أن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته وولد التبني لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا في بعض النسخ بصيغة الامر وفي نسخة ويزوجكها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أى بان لم يبق له فيها ارب وطلقها وانقضت عدتها وفي ذكر اسمه صريحا دون غيره من الصحابة جبر وتانيس له وعوض من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اسمه قرآنا يتلى في الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة وزاد في الآية أن قال واذ تقول للذى أنعم الله عليه أى بالايمان فدل على أنه من اهل الجنة فعلم ذلك قبل موته فهذه فضيلة أخرى (قوله فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن) أى ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التي لم يشاركه فيها احد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي اول من مات بعده من زوجاته ماتت بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تفتخر على ازواج النبي وتقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وكانت تقول للنبي جدى وجدك واحد وليس من نسائك من هي كذلك غيرى وقد أنكحنيك الله والسفير في ذلك جبريل (قوله واشبع المسلمين خبزا ولحما) اى فذبح شاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه ولم يولم النبي على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج الخ) أى فهو دليل على أن هذا الامر ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولا) اى موجودا لا محالة (قوله من حرج) أى اثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم في النكاح) اى فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية (قوله قدرا مقدورا) هو من التاكيد كظل ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أبا احد من رجالكم) اى ابوة حقيقية فلا ينافي انه أبوهم من حيث انه شفيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على انه خبر لكان المحذوفة وقرئ شذوذا بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير وراثة اذ لم يعش له ولد ذكر وقرئ أيضا بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أى هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفي الابوة عنه ان حقه ليس أكيدا فافاد ان حقه آكد من حق الاب الحقيقي بوصف الرسالة (قوله فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) النفي في الحقيقة متوجه للوصف اى كون ابنه رجلا وكونه نبيا بعده والا فقد كان له من الذكور اولاد ثلاث ابراهيم والقاسم والطيب ولكنهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلغوا مبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له وأورد عليه بمنع الملازمة اذ كثير من الانبياء وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بانبياء وأجيب بان الملازمة ليست عقلية بل على مقتضى الحكمة الالهية وهي ان الله اكرم بعض الرسل بجعل اولادهم انبياء كالخليل ونبينا اكرمهم وأفضلهم فلو عاش اولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء لجمعه المزايا المتفرقة في غيره فتدبر (قوله واذا نزل السيد عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى وخاتم النبيين وعيسى ينزل بعده وهو نبي ولا يرد على هذا وضع الجزية وعدم قبول غير الاسلام ونحو ذلك مما جاء في الاحاديث مما يخالف

شرعا لان ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) فى هذا اشارة الى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وامرهم بذكره وتسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وافاض عليهم الانوار وحياهم والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم قال تعالى اذكرونى اذكركم وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك تنزه الله عن ان يصل له من عباده نفع او ضر قال تعالى ان تكفروا فان الله غنى عنكم فذكرنا لانفسنا لانه لا غنى لنا عن ربنا طرفة عين واذا كان كذلك فلا تليق الغفلة عنه أبدا بل المطلوب ذكره دائما وابدا واعلم ان الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده الا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فلم يجعل له حدا ولم يعذر احدا فى تركه الا من كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم به فى جميع الاحوال قال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ففيه اشارة الى ان الذكر أمره عظيم وفضله جسيم (قوله وسبحوه بكرة واصيلا) خص التسبيح بالذكر وان كان داخلا فيه لكونه أعلى مراتبه وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين لكونهما أشرف الاوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما (قوله هو الذى يصلى عليكم) استئناف فى معنى التعليل للامر بالذكر والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر فى يصلى والفاصل موجود (قوله اى يستغفرون لكم) أى يطلبون لكم من الله المغفرة قال تعالى ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم اخراجه اياكم) جواب عما يقال ان اخراجه اياهم من الظلمات حاصل بمجرد الايمان وايضاح الجواب ان المراد دوام هذا الاخراج لان الغفلة عن الخالق اذا دامت ربما اخرجت العبد من النور والعياذ بالله (قوله من الظلمات الى النور) جمع الاول لتعدد انواع الكفر وافرد الثانى لان الايمان شئ واحد لا تعدد فيه فمن ادعى الايمان وأثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أى يقبل القليل من اعمالهم ويعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا فى ايمانهم (قوله تحيتهم منه تعالى) اى التحية الصادرة منه تعالى زيادة فى الاعتناء بهم وتعظيما لقدرهم (قوله يوم يلقونه) اختلف فى وقت اللقى فقيل عند الموت وقيل عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أى لما ورد اذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له ربك يقرئك السلام وفى الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما (قوله هو الجنة) أى وما فيها من النعيم المقيم (قوله على من ارسلت اليهم) أى لتترقب احوالهم وتكون مشاهدا لما صدر منهم من الاعمال الحسنة والقبيحة فالاعمال تعرض عليه حيا وميتا ويصح ان يكون المراد شاهدا يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين فهو مقبول الدعوى لا يحتاج فى دعواه الى شهادة أحد فيشهد للانبياء بالتبليغ وعلى الامم اما بالتصديق او التكذيب (قوله بامره) دفع بذلك ما يقال ان الاذن حاصل بقوله ارسلناك فاجاب بان المراد بالاذن الامر والحكمة فى الاذن تسهيل الامر وتيسيره لان الدخول فى الشئ من غير اذن متعذر فاذا حصل الاذن سهل وتيسر ومن هنا اخذ الاشياخ استعمال الاجازة للمريدين فمن اجازه أشياخه بشئ من العلم والارشاد فقد سهلت له الطرق وتيسرت ومن لم تحصل له الاجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق (قوله وسراجا منيرا) يحتمل ان المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر ويحتمل ان المراد به المصباح وحينئذ فيقال انما شبه بالسراج ولم يشبه بالشمس مع ان نورها اتم

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا) اول النهار وآخره (هو الذى يصلى عليكم) اى يرحمكم (وملائكته) اى يستغفرون لكم (ليخرجكم) ليديم اخراجه اياكم (من الظلمات) أى الكفر (الى النور) أى الايمان (وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم) منه تعالى (يوم يلقونه سلام) بلسان الملائكة (واعد لهم اجرا كريما) هو الجنة (يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا) على من ارسلت اليهم (ومبشرا) من صدقك بالجنة (ونذيرا) منذرا من كذبك بالنار (وداعيا الى الله) الى طاعته (باذنه) بامره (وسراجا منيرا) اى مثله فى الاهتداء به

لان السراج يستهل اقتباس الانوار منه وهو صلى الله عليه وسلم تقتبس منه الانوار الحسية والمعنوية (قوله وبشر المؤمنين) أي حيث كنت متصفا بالصفات الخمسة فبشر المؤمنين (قوله ولا تطع الكافرين) أي لا تدار الكفار ولا تلين لهم جانبك في أمر الدين بل اثبت على ما أوحي اليك وبلغه ولا تكتم منه شيا (قوله ودع أذاهم) اما من اضافة المصدر لفاعله أي أذيتهم اياك فلا تقابلهم جزاء على ما صدر منهم أو لمفعوله أي اترك أذيتك لهم في نظير كفرهم واصفح عنهم واصبر ولا تعاجلهم بالعقوبة وهذا منسوخ بآية القتال (قوله وتوكل على الله) أي ثق به في أمورك واعتمد عليه يكفك أمور الدين والدنيا (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة في الفاعل أي ان الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة وفي الآية اشارة الى أن التوكل أمره عظيم فاذا عجز الانسان عن أمر فعليه بالتوكل على الله والتفويض اليه فان الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة (قوله اذا نكحتم المؤمنات) المراد بالنكاح العقد بدليل قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب اذ الكتابيات كذلك وانما خص المؤمنات بالذكر اشارة الى أن الاولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات وأما نكاح الكتابيات فمكروه أو خلاف الاولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي ولو طال زمن العقد (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان (قوله أي تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين (قوله تعتدونها) اما من العدد أو من الاعتداد أي تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عد الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها (قوله وعليه الشافعي) أي ومالك فالمطلقة قبل الدخول ان سمي لها صداق فلا متعة لها ولا عدة عليها وان لم يسم لها صداق بان نكحت تفويضا فلا عدة عليها ولها المتعة اما وجوبا كما هو عند الشافعي أو ندبا كما هو عند مالك (قوله خلوا سبيلهن) أي اتركوهن (قوله من غير اضرار) أي بان تمسكوهن تعنتا حتى يفتدين منكم أو تؤذوهن وتتكلموا في اعراضهن (قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك الخ) اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقيل المعنى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ وعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله لا تحل لك النساء من بعد فهذه الآية وان كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول عن الآية المنسوخة بها كآية الوفاة في البقرة وقيل المراد أحللنا لك ازواجك الكائنات عندك لانهن اخترنك على الدنيا ويؤيده قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج من أي النساء شاء وكان يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء الا من سمى سر نساؤه بذلك والقول الاول اصح (قوله اللاتي آتيت أجورهن) بيان لما كان يفعله من مكارم الاخلاق والا فالله احل له أن يتزوج بلا مهر (قوله مما أفاء الله عليك) بيان لما ملكت يمينك وهذا القيد خرج مخرج الغالب بل الملك بالشراء كذلك (قوله كصفية) هي بنت حيي بن أخطب من نسل هرون أخي موسى وتقدم انها كانت سبي خيبر اذن النبي صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبي في أخذ جارية فاخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اعطيته سيدة بني قريظة والنضير وهي لا تصلح الا لك نخشى عليهم الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت نعم يا رسول الله اني كنت اتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت انها كانت نائمة وراس زوجها ملكهم في حجرها فرأت قمرا وقع في حجرها فلما استيقظ اخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت في البقيع (قوله وجويرية) اى وهي بنت الحرث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى فكاتبها فجاءت تسال النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك الى ما هو خير من ذلك اؤدي عنك كتابتك

(وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) هو الجنة (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (ودع) اترك (اذاهم) لا تجازهم عليه الى ان تؤمر فيهم بامر (وتوكل على الله) فهو كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا اليه (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) وفي قراءة تماسوهن اى تجامعوهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) تحصونها بالاقراء وغيرها (فمتعوهن) اعطوهن ما يستمتعن به اى ان لم يسم لهن اصدقة والا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وسرحوهن سراحا جميلا) خلوا سبيلهن من غير اضرار (يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن) مهورهن (وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك) من الكفار بالسبي كصفية وجويرية

وا تزوجك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فاعتقوا ما بايديهم من قومها وقالوا اصهار رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم فى قومها بركة منها اعتق بسببها مائة اهل بيت
من بنى المصطلق وقسم لها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله
وبنات عمك وبنات عماتك) أى نساء قريش المنسوبات لابيك وقوله وبنات خالك وبنات خالاتك
أى نساء بنى زهرة المنسوبات لامك وحكمة افراد العم والخال دون العمة والخالة ان العم والخال يعمان اذا
أضيفا لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة والعمة والخالة لا يعمان لوجود التاء (قوله بخلاف من لم
يهاجرن) اى فلا يحللن له وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطا فى الاسلام فلما نسخ حكم
الهجرة نسخ هذا الحكم (قوله وامرأة مؤمنة) معطوف على مفعول احللنا أى واما غير المؤمنة فلا تحل له
وظاهر الآية ان النكاح ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بالهبة وحينئذ فيكون من خصوصياته والنساء
اللاتى وهبن أنفسهن اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وأم شريك
بنت جابر وخولة بنت حكيم واعلم انه يحرم على النبى تزوج الحرة الكتابية لما فى الحديث سألت
ربى ان لا أزوج الا من كان معى فى الجنة فاعطانى ولقوله تعالى وازواجه امهاتهم ولا يليق ان تكون
المشركة أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا نكاح الامة ولو مسلمة لان نكاحها مشروط بامرين خوف العنت
وعدم وجود مهر الحرة وكلا الامرين مفقود منه صلى الله عليه وسلم وأما تسريه بالامة الكتابية ففيه
خلاف (قوله ان وهبت نفسها للنبي) أظهر فى محل الاضمار تشريفا لهذا الوصف وأظهار العظمة قدره
عنده (قوله ان اراد النبى ان يستنكحها) هذا الشرط قيد فى الشرط الاول فان هبتها نفسها لا توجب
حلها الا اذا اراد نكاحها بان يحصل منه القبول بعد الهبة او يسالها فى ذلك قبل الهبة فتدبر (قوله خالصة)
مصدر معمول لمحذوف أى خلصت لك خالصة ومجئ المصدر على هذا الوزن كثير كالعاقبة والعافية
والكاذبة (قوله من غير صداق) اى ومن غير ولى وشهود (قوله وغيره) اى كهبة (قوله بخلاف
المجوسية الخ) اى فلا تحل له لكها الا اذا استسلمها وذلك كجوارى السودان والحبشة والمغرب لانهن
يجبرن على الاسلام ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر فى الفقه (قوله وان تستبرأ قبل الوطء) اى
كتابية كانت او مجوسية (قوله متعلق بما قبل ذلك) اى وهو قوله انا احللنا لك والمعنى احللنا لك ازواجك
وما ملكت يمينك والموهوبة لك لئلا يكون عليك ضيق (قوله لما يعسر التحرز عنه) اى لسولهم اذا ضاق
الامر اتسع (قوله ترجى من تشاء منهن الخ) اتفق المفسرون على ان المقصود من هذه الآية التوسعة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاشرته لنسائه واختلفوا فى تاويلها واصح ما قيل فيها التوسعة على
رسول صلى الله عليه وسلم فى ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روى عن عائشة رضى الله
عنها قالت كنت اغار على النبي صلى الله عليه وسلم على اللاتى وهبن انفسهن لرسول الله صلى عليه وسلم
واقول اوتهب المرأة نفسها للرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن
ابتغيت ممن عزلت قالت قلت والله ما ارى ربك الا يسارع فى هواك وقيل ان ذلك فى الواهبات
انفسهن وحينئذ فيكون المعنى تاخذ من شئت منهن وتترك من شئت وقيل ان ذلك فى الطلاق
فالمعنى لك طلاق من شئت منهن وامساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه
فى امر النساء (قوله والياء بدله) اى بدل الهمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على
الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) اى من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) اى التى
طلبت ردها الى فراشك بعد ان عزلتها واسقطتها من القسمة فلا جناح عليك (قوله بعد ان
كان القسم واجبا عليه) هذا احد قولين وقيل كان مخيرا من اول الامر ولم يكن واجبا عليه ابتداء

(وبنات عمك وبنات
عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتى
هاجرون معك) بخلاف
من لم يهاجرن (وامراة
مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبي ان اراد النبي ان
يستنكحها) يطلب نكاحها
بغير صداق (خالصة لك
من دون المؤمنين) النكاح
بلفظ الهبة من غير صداق
(قد علمنا ما فرضنا عليهم)
اى المؤمنين (فى ازواجهم)
من الاحكام بان لا يزيدوا
على اربع نسوة ولا يتزوجوا
الا بولى وشهود ومهر (و)
فى (ما ملكت ايمانهم) من
الاماء بشراء وغيره بان
تكون الامة ممن تحل لمالكها
كالكتابية بخلاف
المجوسية والوثنية وان
تستبرأ قبل الوطء (لكيلا)
متعلق بما قبل ذلك (يكون
عليك حرج) ضيق فى
النكاح (وكان الله غفورا)
لما يعسر التحرز عنه (رحيما)
بالتوسعة فى ذلك
(ترجى) بالهمزة والياء
بدله تؤخر (من تشاء
منهن) اى ازواجك عن
نوبتها (وتؤوى) تضم
(اليك من تشاء) منهن
فتاتيها (ومن ابتغيت)
طلبت (ممن عزلت) من
القسمة (فلا جناح عليك)
فى طلبها وضمها اليك خير
فى ذلك بعد ان كان القسم
واجبا عليه

(قوله ذلك ادنى ان تقر أعينهن) هذا اشارة الى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع انه عدل لان التخيير اقرب الى سكون اعينهن وعدم حزنهن واقرب الى رضاهن بما حصل لهن لانهن اذا علمن ان الله لم يوجب على النبي شيأ من القسم وحصل منه القسم سررن بذلك وقنعن به (قوله تاكيد للفاعل) أي فهو بالرفع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بالنصب توكيدا للمفعول (قوله والله يعلم ما في قلوبكم) خطاب للنبي على جهة التعظيم ويحتمل ان يراد العموم (قوله والميل الى بعضهن) اى بالطبع فكان يميل الى بعضهن أكثر وكان يقول اللهم ان هذا حظي فيما املك فلا تؤاخذني فيما لا املك واتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات غير سودة رضي الله عنها فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها (قوله حليما عن عقابهم) اى يعلم العيب ويستره فينبغي للانسان ان لا يفرط في حقوقه لان انتقام الحليم وغضبه امر عظيم لما في الحديث اتقوا غيظ الحليم ففي الآية ترغيب وترهيب (قوله بالتاء والياء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) اى بعد اجتماعهن في عصمتك فهن بمنزلة الاربع لآحاد الامة فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتي توفي عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي أمية وصفية بنت حيي وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج) البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي زاد بدلك والمراد هنا نهيه عن المفارقة والابدال باي وجه (قوله من ازواج) من زائدة في المفعول (قوله ولو اعجبك حسنهن) حال من فاعل تبدل (قوله الا ما ملكت يمينك) استثناء متصل من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع لاخراجه من الازواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) اى القبطية اهداها له المقوقس ملك القبط وهم اهل مصر والاسكندرية وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن ابي بلتعة بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام صورته * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية فلما جاء حاطب بالكتاب الى المقوقس وجده في الاسكندرية فدفعه اليه فقرأه ثم جعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية ثم كتب جوابه في كتاب صورته * بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وعلمت ان نبيا قد بقي وما كنت اظن الا انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك اى فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم اى وهما مارية وسيرين وعشرين ثوبا من قباطي مصر وطيبا وعودا وندا ومسكا مع الف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى اليه جارية اخرى زيادة على الجاريتين وخصيا يقال له مابور والبغلة هي دلدل وكانت شهباء وفرسا وهو اللزاز فانه سأل حاطبا ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فاسرج وألجم وهو فرسه الميمون واهدى اليه عسلا من عسل بنها قرية من قرى مصر فاعجبه صلى الله عليه وسلم وقال ان كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له ابراهيم) أي في ذي الحجة سنة ثمان وعاش سبعين يوما وقيل سنة وعشرة اشهر وقوله

(ذلك) التخيير (أدنى) أقرب الى (ان تقر اعينهن ولا يحزن و يرضين بما آتيتهن) ما ذكر المخير فيه (كلهن) تاكيد للفاعل في يرضين (والله يعلم ما في قلوبكم) من امر النساء والميل الى بعضهن وانما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما اردت (وكان الله عليما) بخلقه (حليما) عن عقابهم (لا تحل) بالتاء والياء (لك النساء من بعد) بعد التسع اللاتي اخترنك (ولا أن تبدل) بترك احدى التاءين في الاصل (بهن من ازواج) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك) من الاماء فتحل لك وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية وولدت له ابراهيم ومات في حياته (وكان الله على كل شيء رقيبا) حفيظا

ومات فى حياته اى ولم يصل عليه بنفسه بل امرهم فصلوا عليه (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الخ) هذه الآية نزلت فى شان وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انس ابن مالك قال كنت اعلم الناس بشان الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل فى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذاهم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ حجرة عائشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذاهم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بينى وبينه الستر وانزل الحجاب (قوله الا ان يؤذن لكم) اى الا بسبب الاذن لكم (قوله الى طعام) متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين اناه) هذا التقدير غير مناسب لانه يقتضي ان الدخول مع الاذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع انه يجوز فالمناسب حذف هذا التقدير ادهذه الآيه نزلت فى قوم كانوا يدخلون من غير اذن وينتظرون نضج الطعام فنهاهم الله عن كل من الامرين والحاصل ان اسباب النزول فى هذه الآيات تعددت منها ان قوما كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام ومنها ان قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد ما طعموا مستانسين لحديث ومنها مؤاكلة الاجانب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجاته فنزلت آية الحجاب ونهى عن ذلك كله وهذه آيات الحجاب لخصوص امهات المؤمنين واما لعموم الامة فقد تقدمت فى سورة النور تامل (قوله مصدر أنى يانى) اى من باب رمى وقياس مصدره أنى لكن لم يسمع وانما المسموع انى بالكسر والقصر (قوله فاذا اطعمتم) اى اكلتم الطعام (قوله فانتشروا) اى اذهبوا حيث شئتم فى الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب (قوله ولا تمكثوا مستانسين) اشار بذلك الى ان مستانسين حال من محذوف وذلك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذى النبي) اى لتضييقه عليه (قوله فيستحيي منكم) اى من اخراجكم (قوله والله لا يستحيي من الحق) المراد بالحق اخراجكم من منزله واطلاق الاستحياء فى حق الله وارد بلازمه وهو ترك البيان (قوله بياء واحدة) اى قراءة شاذة فى الثانى (قوله فاسئلوهن من وراء حجاب) روى ان عمر قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم عائشة وهى تاكل معهم فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية (قوله ذلكم) اى ماذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر المريبة) اى انفى وابعد لدفع الريبة والتهمة وهو يدل على انه لا ينبغى لاحد ان يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك احسن لحاله واحصن لنفسه (قوله وما كان لكم) اى ماصح وما استقام لكم وقوله ان تؤذوا هو اسم كان ولكم خبره وان تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال فى سره اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومشى على رجليه وحمل على عشرة افراس فى سبيل الله واعتق رقبة فكفر الله عنه (قوله من بعده) اى بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها لان كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأبد تحريمها على امته وأما امؤه فلا يحرمن على غيره الا بمسه لهن (قوله ان ذلكم) اى ماذكر من ايذائه ونكاح ازواجه من بعده (قوله ان تبدوا شيئا) اى تظهروه على السنتكم وقوله أو تخفوه اى فى صدوركم وقوله فيجازيكم

(يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم) فى الدخول بالدعاء (الى طعام) فتدخلوا (غير ناظرين) منتظرين (اناه) نضجه مصدر انى يانى (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا) تمكثوا (مستانسين لحديث) من بعضكم لبعض (ان ذلكم) المكث (كان يؤذى النبي فيستحيى منكم) ان يخرجكم (والله لا يستحيى من الحق) أن يخرجكم اى لا يترك بيانه وقرئ يستحى بياء واحدة (واذا سالتموهن) اى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم (متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب) ستر (ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الخواطر المريبة (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) بشيء (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله) ذنبا (عظيما ان تبدوا شيئا أو تخفوه) من نكاحهن بعده (فان الله كان بكل شيء عليما) فيجازيكم عليه

(لاجناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) اي المؤمنات (ولا ملكت أيمانهن) من الاماء والعبيد ان يروهن ويكلموهن من غير حجاب (واتقين الله) فيما أمرتن به (ان الله كان على كل شئ شهيدا) لايخفى عليه شئ (ان الله وملائكته يصلون على النبي) محمد صلى الله عليه وسلم (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

عليه جواب الشرط وقوله فان الله كان بكل شئ عليما تعليل للجواب وهو بمعنى قوله تعالى ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله (قوله لاجناح عليهن في آبائهن الخ) هذا في المعنى مستثنى من قوله واذا سألتموهن متاعا الآية روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن يارسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت هذه الآية وقوله في آبائهن أي أصولهن وان علون وقوله ولا أبنائهن المراد فروعهن وان سفلوا (قوله ولا نسائهن) الاضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الاسلام فقول المفسر اي المؤمنات تفسير للمضاف ومفهومه ان النساء الكافرات لايجوز لهن النظر لازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لازواج النبي بل جميع النساء المسلمات كذلك فلا يحل للمسلمة ان تبدي شيأ منها للكافرة لئلا تصفها لزوجها الكافر (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ما أمرتن به واتقين الله وحكمة تخصيص الحجاب هنا بامهات المؤمنين وان تقدم في سورة النور عموما دفع توهم ان أزواج النبي كالامهات من كل وجه فأفاد هنا أنهن كالامهات في التعظيم والتوقير لا في الخلوة والنظر فانهن كالاجانب بل هن أشد فذكر لهن حجابا مخصوصا فلا يقال انه مكرر مع ماتقدم في النور (قوله لايخفى عليه شئ) اي من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية (قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على انه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق اذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم ان وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره ان الله يصلي وملائكته يصلون وهذا هو الاتم لتغاير الصلاتين والمراد بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم وحينئذ فقد وسعت رحمة الله كل شئ تبعا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات (قوله ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه) اى ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة واظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لانه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم وحق على من وصل له نعمة من شخص ان يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض مايجب عليهم من حقوقه ان قلت ان صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه وهو مصل عليه مطلقا طلبوا اولا أجيب بان الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك ان يكافئه ولاشك ان الصلاة الواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لاتقف عند حد فكلما طلبت من الله زادت على نبيه فهي دائمة بدوام الله (قوله وسلموا تسليما) ان قلت خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة أجيب بان هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر مايؤذي النبي والاذية انما هي من البشر فناسب التخصيص بهم لان في السلام سلامة من الآفات وأكد السلام دون الصلاة لانها لما اسندت لله وملائكته كانت غنية عن التاكيد * واعلم ان العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا في تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة وعند الشافعي تجب في التشهد الاخير من كل فرض وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة وقيل تجب عند ذكره وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد وبالجملة فالصلاة على النبي امرها عظيم وفضلها جسيم وهي من أفضل

الطاعات

أى قولوا اللهم صل على محمد وسلم (ان الذين يؤذون الله ورسوله) وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك و يكذبون رسوله (لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) أبعدهم (وأعد لهم عذابا مهينا) ذا اهانة وهو النار

(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) يرمونهم بغير ما عملوا (فقد احتملوا بهتانا) تحملوا كذبا (وإثما مبينا) بينا (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلباب وهي الملاءة التى تشتمل بها المرأة اى يرخين بعضها على الوجوه اذا خرجن لحاجتهن الا عينا واحدة (ذلك أدنى) اقرب الى (ان يعرفن) بانهن حرائر (فلا يؤذين) بالتعرض لهن بخلاف الاماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من ترك الستر (رحيما) بهن اذ سترهن (لئن) لام قسم (لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) بالزنا (والمرجفون فى المدينة) المؤمنين بقولهم قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك) يساكنونك (فيها الا قليلا) ثم يخرجون (ملعونين) مبعدين عن الرحمة (أينما ثقفوا) وجدوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) اى الحكم فيهم هذا على جهة الامر به (سنة الله) اى سن الله ذلك (فى الذين خلوا من قبل) من الامم الماضية فى منافقيهم المرجفين المؤمنين (ولن تجد لسنة الله تبديلا) منه (يسئلك الناس) اى اهل مكة

الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين انها توصل الى الله تعالى من غير شيخ لان الشيخ والسند فيها صاحبها لانها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الاذكار فلا بد فيها من الشيخ العارف والا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها (قوله اى قولوا اللهم صل على محمد وسلم) اى اجمعوا بين الصلاة والسلام وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب فمن تمسك باى صيغة منها حصل له الخير العظيم (قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله) الايذاء فى حق الله معناه تعدى حدوده وفى حق الرسول ظاهر (قوله وهم الكفار) اى اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله فى الدنيا) اي حجبهم عن الطاعة والتوحيد وقوله والآخرة اى بتخليدهم فى العذاب الدائم (قوله ابعدهم) اى عن رحمته (قوله ذا اهانة) اى هوان واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين الخ) قيل نزلت فى على بن أبى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت فى شأن عائشة رضى الله عنها وقيل نزلت فى شأن المنافقين الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يطلبون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فان سكتت المرأة اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها وفى هذه الآية زجر لمن يسئ الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهى بمعنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم (قوله يا أيها النبي قل لأزواجك الخ) سبب نزولها ان المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالاذية يريدون منهن الزنا ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زى الكل واحد تخرج الحرة والامة والحرة فى درع وخمار فشكون ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله يدنين) اى يرخين ويغطين (قوله التى تشتمل بها) اى تتغطى وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والخمار (قوله فلا يغطين وجوههن) اى فكن لا يغطين وجوههن وهذا فيما مضى واما الآن فالواجب على الحرة والامة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة (قوله لما سلف منهن من ترك الستر) وردان عمر بن الخطاب مر بجارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يا لكاع القى القناع (قوله لئن لم ينته المنافقون) اى كعبد الله بن ابى وأصحابه (قوله والذين فى قلوبهم مرض) اى فجورهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله والمرجفون فى المدينة) اى بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سراياه صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو (قوله لنسلطنك عليهم) اى فتخرجهم من مجالسك وتقتلهم وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم يخرجون (قوله اى الحكم فيهم هذا) اى الاخذ والقتل (قوله على جهة الامر به) اى ان الآية خبر بمعنى الامر (قوله اى سن الله ذلك) أشار بذلك الى ان سنة مصدر مؤكد وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اى فلا تحزن على وجود المنافقين فى قومك فانه سنة قديمة كما كان فى قوم موسى منهم موسى السامرى واتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا) اى تغييرا ونسخا لكونها بنيت على أساس متين فليست مثل الاحكام التى تتبدل وتنسخ (قوله يسئلك الناس) اى على سبيل الاستهزاء والسخرية لانهم ينكرونها واعلم ان السائل للنبي عن الساعة اهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال اليهود امتحان لان الله أخفى علمها فى التوراة فان اجابهم بالتعيين ثبت

(عن الساعة) متى تكون (قل انما علمها عند الله وما يدريك) يعلمك بها اى انت لا تعلمها (لعل الساعة تكون) توجد (قريبا ان الله لعن الكافرين) أبعدهم (واعد لهم سعيرا) نارا شديدة يدخلونها (خالدين) مقدرا خلودهم (فيها ابدا لا يجدون وليا) يحفظهم عنها (ولا نصيرا) يدفعها عنهم (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا) للتنبيه (ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا) أى الاتباع منهم (ربنا انا اطعنا سادتنا) وفى قراءة ساداتنا جمع الجمع (وكبراءنا فاضلونا السبيلا) طريق الهدى (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) اى مثلى عذابنا (والعنهم) عذبهم (لعنا كثيرا) عدده وفى قراءة بالموحدة اى عظيما (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا) مع نبيكم (كالذين آذوا موسى) بقولهم مثلا ما يمنعه ان يغتسل معنا الا انه آدر (فبرأه الله مما قالوا) بان وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف بين ملا من بنى اسرائيل فادركه موسى فاخذ ثوبه فاستتر به فرأوه لا ادرة به وهى نفخة فى الخصية (وكان عند الله وجيها) ذا جاه * ومما أوذى به نبينا صلى الله عليه وسلم انه قسم قسما فقال رجل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال يرحم الله موسى لقد أوذى باكثر من هذا فصبر رواه البخارى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) صوابا (يصلح لكم أعمالكم) يتقبلها (ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) نال غاية مطلوبه (انا عرضنا الامانة) الصلوات وغيرها مما فى فعلها من الثواب وتركها من العقاب (على السموات والارض والجبال) على

عندهم كذبه وان أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلا ثبتت نبوته وصدقه فقول المفسر اى اهل مكة أى واليهود (قوله عن الساعة) اى عن اصل ثبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل انما علمها عند الله) أى لم يطلع عليها أحد وهذا انما هو وقت السؤال والا فلم يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى اطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة لكن أمر بكتم ذلك (قوله وما يدريك) ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام انكارى (قوله لعل الساعة تكون قريبا) لعل حرف ترج ونصب والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريبا حال وتكون تامة ولذا فسرها بتوجد والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد ان الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الالف السابع فلم يبق من الدنيا الا القليل (قوله ابعدهم) اى عن رحمته (قوله مقدرا خلودهم) اشار بذلك الى ان قوله خالدين حال مقدرة (قوله فيها) أى فى السعير وأنثه مراعاة لمعناه (قوله ابدا) تاكيد لما استفيد من قوله خالدين (قوله يوم تقلب) اما ظرف لخالدين او ليقولون مقدم عليه والمعنى تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوله يقولون يا ليتنا) كلام مستانف واقع فى جواب سؤال مقدر كانه قيل ماذا صنعوا عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا الخ (قوله وأطعنا الرسولا) بالف بعد اللام ودونها هنا وفى قوله السبيلا قراءتان سبعيتان وتقدم التنبيه على ذلك (قوله ساداتنا) جمع اما لسيد او لسائد على غير قياس (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله جمع الجمع) أى جمع تصحيح بالالف والتاء لسادة الذى مفرده اما سيد او سائد (قوله اى مثلى عذابنا) اى لانهم ضلوا واضلوا (قوله وفى قراءة بالموحدة) اى وهما سبعيتان (قوله ما يمنعه ان يغتسل معنا الخ) اى لما روى ان بنى اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظروا اليه فاخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان به ندبا أى اثرا ستة او سبعة من ضرب موسى (قوله فبرأه الله) اى اظهر براءته لهم (قوله وهى نفخة فى الخصية) اى بسبب انصباب مادة او ريح غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجيها) المراد عندية مكانة وقدر لا مكان (قوله فغضب النبى من ذلك) اى وقال كما فى رواية ان لم أعدل من يعدل خسرت وندمت ان لم أعدل (قوله قولا سديدا) المراد قولا فيه رضا الله بان يكون مما يعنى الانسان فدخل فى ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير اتم من غيره (قوله يتقبلها) اى يثيبكم عليها (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) اى يمحها من الصحف او يسترها عن الملائكة (قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) اختلف فى المراد بالامانة فاحسن ما قيل فيها انها التكاليف الشرعية وقيل انها قواعد الدين الخمس وقيل هى الودائع وقيل الفرج وقيل غير ذلك روى ان الله تعالى قال للسموات والارض والجبال اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله لئلا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما اى عرضناها مع الثواب والعقاب

بان خلق فيها فهما ونطقا (فابين ان يحملنها واشفقن) خفن (منها وحملها الانسان) آدم بعد عرضها عليه (انه كان ظلوما) لنفسه بما حمله (جهولا) به (ليعذب الله) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) المضيعين الامانة (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) المؤدين الامانة (وكان الله غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم

﴿ سورة سبا مكية الا ويرى الذين اوتوا العلم الآية وهي اربع او خمس وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وخلقا (وله الحمد فى الآخرة) كالدنيا يحمده اولياؤه اذا دخلوا الجنة (وهو الحكيم) فى فعله (الخبير) بخلقه

على السموات الخ (قوله بان خلق فيها فهما) اى حتى عقلت الخطاب وقوله ونطقا اى حتى ردت الجواب (قوله فابين ان يحملنها) اى استصغارا وخوفا من عدم الوفاء بها فليس إباؤهن كاباء ابليس من السجود لآدم لان السجود كان فرضا والامانة كانت عرضا واباؤه استكبارا واباؤهن استصغارا (قوله واشفقن منها) اى خفن من عدم القيام بها وعدم ادائها (قوله وحملها الانسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الانسان فحملها (قوله بعد عرضها عليه) روى ان الله عز وجل قال لآدم انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فحملها آدم فقال بين اذنى وعاتقى قال الله تعالى اما اذا تحملت فساعينك واجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلافا فاذا خشيت فاغلق عليه واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ماحرمت عليك قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر الى العصر (قوله انه كان ظلوما لنفسه) اى حيث حملها مالا تطيقه وقوله جهولا به اى بما حمله قيل جهولا بقدر ربه لا نه لا يعلم قدره غيره وهذا يناسب تفسير الانسان بآدم وعود الضمير عليه وان اريد بالضمير ما يشمله واولاده فيكون فى الكلام استخدام فيقال فى الانبياء والصالحين منهم كذلك وفى غيرهم الظلم والجهل من حيث خيانته فى الامانة ومجاوزته حد الشرع (قوله ليعذب الله المنافقين) اللام للعاقبة والصيرورة على حد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (قوله وكان الله غفورا للمؤمنين) اى حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحيما بهم) اى حيث اثابهم واكرمهم بانواع الكرامات وحكمة اخبار الامة بما حصل من تحمل آدم الامانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا انهم متحملون امرا عظيما لم تقدر على حمله الارض والسموات والجبال وقيل فى حق المعصوم انه كان ظلوما جهولا

﴿ سورة سبا ﴾

بالصرف وتركه كما سيأتى سميت بذلك لذكر قصة سبا فيها من باب تسمية الشئ باسم بعضه (قوله حمد تعالى) من باب فهم (قوله المراد به) بالجر نعت لاسم الاشارة (قوله الثناء بمضمونه) اى انشاء الثناء بمضمونه وهو الوصف بالجميل وليس المراد انشاء المضمون لان اتصافه بالجميل ازلى ثابت له سبحانه وتعالى وانما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمد موافق للحمد الازلى وهذا يؤيد قول بعض العلماء ان أل فى الحمد عهدية لان الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه ازلا وامرهم ان يحمدوه بحمد موافق لحمده فتحصل ان الوصف بالجميل ثابت لله ازلا وانشاء الثناء به حادث فقول الله تعالى الحمد لله اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم وهو اتصاف الله بالجميل ان قلت الحمد مدح ومدح النفس مذموم بين الخلق فما وجه ذلك اجيب بان اوصاف الرب لا تقاس على اوصاف العبيد ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء فانها نقص فى الخلق كمال فى الخالق وبهذا انهدم قول المعتزلة ان كل ما حسنه العقل يوصف به الرب وكل ما قبحه العقل ينزه عنه وبنوا على ذلك امورا فاسدة منها وجوب الصلاح والاصلح وغير ذلك (قوله ملكا وخلقا) اى ان كل ما فى السموات وما فى الارض مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد فى الآخرة) اى فى نظير النعم التى تعطى لاهل الايمان فالحمد فى الآخرة مخصوص بمن آمن واما الكفار فليسوا من اهله (قوله كالدنيا) اشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء (قوله يحمده اولياؤه) المراد بهم المؤمنون (قوله اذا دخلوا الجنة) اى فيقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) اى فلا اعتراض عليه فى فعل من

(يعلم ما يلج) يدخل (في الارض) كماء وغيره (وما يخرج منها) كنبات وغيره (وما ينزل من السماء) من رزق وغيره (وما يعرج)

يصعد (فيها) من عمل وغيره (وهو الرحيم) باوليائه (الغفور) لهم (وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة) القيامة (قل) لهم (بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب) بالجر صفة والرفع خبر مبتدا وعلام بالجر (لا يعزب) يغيب (عنه مثقال) وزن (ذرة) اصغر نملة (في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (ليجزي) فيها (الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم) حسن في الجنة (والذين سعوا في) ابطال (آياتنا) القرآن (معجزين) وفي قراءة هنا وفيما ياتي معاجزين اي مقدرين عجزنا اومسابقين لنا فيفوتونا لظنهم ان لا بعث ولا عقاب (اولئك لهم عذاب من رجز) سيء العذاب (اليم) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز وعذاب (ويرى) يعلم (الذين اوتوا العلم) مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه (الذي انزل اليك من ربك) اي القرآن (هو) فصل (الحق ويهدي الى صراط) طريق (العزيز الحميد) اي الله ذي العزة المحمودة (وقال الذين كفروا) اي

الافعال (قوله يعلم ما يلج في الارض) تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا (قوله كماء وغيره) أي كالكنوز والاموات (قوله كنبات وغيره) أي كالكنوز والاموات اذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أي كالبركات والملائكة والصواعق (قوله وما يعرج فيها) ضمن العروج معنى الاستقرار فعداه بفي دون الى (قوله من عمل وغيره) اي كالملائكة فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك (قوله الغفور لهم) اي اذا عصوه اوفرطوا في بعض حقوقه وفي ذلك اشارة الى ان رحمة الله وغفرانه مختصان بمن يدخل الجنة وهذا في الآخرة واما في الدنيا فرحمته وسعت كل شيء (قوله لا تاتينا الساعة) أراد الكفار بضمير التكلم جميع الخلق لا خصوص انفسهم وأرادوا أيضا بنفي اتيانها نفي وجودها لا عدم حضورها مع كونها موجودة في نفس الامر (قوله قل بلى) رد لكلامهم لان كلامهم نفي فاجيب بالنفي ونفي النفي اثبات (قوله وربي) أي بالقسم تاكيدا للرد وقوله عالم الغيب تقوية للتاكيد والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف الاهتمام بشان المقسم عليه (قوله بالجر الخ) اي فالقراآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه واحد في صيغة المبالغة (قوله لا يعزب) ضم الزاي في قراءة الجمهور وكسرها في قراءة الكسائي (قوله ولا اصغر من ذلك الخ) قرأ العامة بضم الراء في اصغر واكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله الا في كتاب مبين وقرئ بفتح الراء على ان لا نافية للجنس واصغر اسمها وقوله الا في كتاب مبين خبرها والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو ان كل ما كان وما يكون وما هو كائن من سائر المخلوقات ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به واثباتها في اللوح لا لاحتياج تنزه الله عنه ان قلت اي حاجة الى ذكر الاكبر بعد الاصغر اذ هو مفهوم بالاولى أجيب بانه لرفع توهم ان اثبات الاصغر خوف توهم النسيان وأما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فافاد ان كلا مرسوم في اللوح المحفوظ لا لاحتياج (قوله ليجزي الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتاتينكم كانه قال لتاتينكم لاجل جزاء المؤمنين والكافرين واللام للعاقبة والصيرورة (قوله حسن في الجنة) اي محمود العاقبة واعظمه رؤية الله تعالى (قوله والذين سعوا) عطف على قوله الذين آمنوا وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره أولئك لهم عذاب الخ (قوله في ابطال آياتنا) اي بالطعن فيها ونسبتها الى الاكاذيب (قوله وفي قراءة) اي وهي سبعية أيضا (قوله مقدرين عجزنا الخ) لف ونشر مرتب والمعنى مؤملين انهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم في ابطال القرآن (قوله أومسابقين لنا) اي مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن ظانين ان مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك ان القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر فيطعنون فيه ويريدون ابطاله لظنهم ان ذلك الابطال ينفعهم فيفروا من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه (قوله لظنهم ان لا بعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجر والرفع) اي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) اما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف أو بالنصب على انه معطوف على يجزي فقول المفسر يعلم صحح قراءته بالوجهين والذين فاعل والذي انزل مفعول اول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان وقوله ويهدي اما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كانه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك الحق وهاديا اومستانف اوحال بتقدير وهو يهدي (قوله مؤمنو اهل الكتاب) هذا احد اقوال وقيل المراد بهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المسلمين (قوله العزيز) اي عديم النظير والشبيه والمثيل او من عز بمعنى قهر وغلب (قوله الحميد) فعيل بمعنى مفعول اي محمود في ذاته وصفاته وافعاله (قوله هو محمد) نكروه تجاهلا وسخرية كانهم لم يعرفوا منه الا انه رجل مع انه عندهم اشهر من الشمس في رابعة النهار (قوله اذا مزقتم) يتعين ان عامل الظرف محذوف تقديره

قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض (هل ندلكم على رجل) هو محمد (ينبئكم) يخبركم انكم (اذا مزقتم) قطعتم (كل ممزق)

تبعثون وتحشرون اذا مزقتم الخ يدل عليه قوله انكم لفي خلق جديد ولا يصح ان يكون عامله ينبئكم لان الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وعبارة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال يخبركم انكم تبعثون اذا مزقتم لوفى بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) اشار بذلك الى ان ممزق اسم مصدر لان كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله انكم لفي خلق جديد) اى تنشؤن خلقا جديدا بعد تمزيق اجسامكم (قوله افترى على الله كذبا) يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ و يحتمل ان يكون من كلام السامع جوابا للقائل (قوله واستغنى بها) اى بهمزة الاستفهام لانها كافية في التوصل للنطق بالساكن (قوله في ذلك) اى الاخبار بالبعث (قوله جنون) اى خبل في عقله (قوله قال تعالى) اشار بذلك الى ان هذا انشاء كلام من الله ردا عليهم وما تقدم وان كان كلامه الا انه حكاية عنهم (قوله في العذاب) اى في الآخرة وذكره اشارة الى انه متحتم الوقوع فنزل المتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال وان كان الضلال حاصلا لهم بالفعل لان التسلية بحصول العذاب لهم اتم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقرير اعموا فلم يروا الخ (قوله الى ما بين ايديهم) المراد به ما ينظر له من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد به ما ينظر له بالتفات فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والارض) بيان لما والمعنى افلم يتفكروا في احوال السماء والارض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الآية (قوله ان نشا) هذا تحذير للكفار كانه قيل لم يبق من اسباب وقوع العذاب بكم الا تعلق مشيئتنا به (قوله نخسف بهم الارض) اى كما خسفناها بقارون (قوله او نسقط عليهم كسفا) اى كما اسقطناها على اصحاب الايكة (قوله بسكون السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فقول المفسر قطعة المناسب قطعا (قوله في الافعال الثلاثة) اى نشا ونخسف ونسقط (قوله ان في ذلك المرئي) اى من السماء والارض (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتابا) اى وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره اشارة الى أن قوله ياجبال مقول لقول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو امر من التأويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شذوذا أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع اى ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح فكان داود اذا سبح اجابته الجبال وعطفت عليه الطير من فوقه وقيل كان اذا ادركه فتور اسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطفا على محل الجبال) اى لان محله نصب لكونه منادى مفردا أو مفعولا معه وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية بالحركة الاعرابية قال ابن مالك

وان يكن مصحوب أل ما نسقا * ففيه وجهان ورفع ينتقى

(قوله والنا له الحديد) سبب ذلك ان الله تعالى ارسل له ملكا في صورة رجل فساله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول في داود فقال نعم هو لولا خصلة فيه فقال داود وما هي قال انه ياكل ويطعم عياله من بيت المال فسال داود ربه ان يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح قيل كان يعمل كل يوم درعا ويبيعها باربعة آلاف درهم وينفق ويتصدق منها فلذا قال صلى الله عليه وسلم كان داود لا ياكل الا من عمل يده (قوله فكان في يده كالعجين) اى من غير نار ولا آلة (قوله دروعا كوامل) اشار بذلك الى ان سابغات صفة لموصوف محذوف (قوله وقدر في

بمعنى تمزيق (انكم لفي خلق جديد افترى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (على الله كذبا) في ذلك (ام به جنة) جنون تخيل به ذلك قال تعالى (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) المشتملة على البعث والعذاب (في العذاب) فيها (والضلال البعيد) من الحق في الدنيا (افلم يروا) ينظروا (الى ما بين ايديهم وما خلفهم) ما فوقهم وما تحتهم (من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا) بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء) وفي قراءة في الافعال الثلاثة بالياء (ان في ذلك) المرئي (لآية لكل عبد منيب) راجع الى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء (ولقد آتينا داود منا فضلا) نبوة وكتابا وقلنا (ياجبال اوبي) رجعي (معه) بالتسبيح (والطير) بالنصب عطفا على محل الجبال اى ودعوناها تسبيح معه (والنا له الحديد) فكان في يده كالعجين وقلنا (ان اعمل) منه سابغات دروعا كوامل يجرها لابسها على الارض (وقدر في السرد) اى نسيج الدروع قيل لصانعها سراد اى اجعله

بحيث تناسب حلقه (واعملوا) اى آل داود معه (صالحا انى بما تعملون بصير) فاجازيكم به (و) سخرنا (لسليمان الريح) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غدوها) سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال (شهر ورواحها) سيرها من الزوال الى الغروب (شهر) أى مسيرته (وأسلنا) أذبنا (له عين القطر) اى النحاس فاجريت ثلاثة ايام بلياليهن كجرى الماء وعمل الناس الى اليوم مما اعطى سليمان (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن) بامر (ربه ومن يزغ) يعدل (منهم عن امرنا) له بطاعته (نذقه من عذاب السعير) النار فى الآخرة وقيل فى الدنيا بان يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه (يعملون له ما يشاء من محاريب) أبنية مرتفعة يصعد اليها بدرج (وتماثيل) جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء أى صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما فى شريعته (وجفان) جمع جفنة (كالجوابى) جمع جابية وهى حوض كبير يجتمع على الجفنة الف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد اليها بالسلالم (وقلنا اعملوا) يا (آل داود) بطاعة الله (شكرا) له على ما آتاكم

السرد) اختلف فى معنى الآية فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه بل اشتغل بعبادة ربك وقيل قدر المسامير فى حلق الدروع لا غلاظا ولا دقاقا ورد ذلك بانه لم يكن فى حلقها مسامير لعدم الحاجة اليها بسبب إلانة الحديد وحينئذ فالاظهر ما قاله المفسر من ان السرد الدروع والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لاختها ضيقة لا ينفذ منها السهم فى الغلظ لا تقبل الكسر ولا تثقل حاملها والكل نسبة واحدة (قوله بحيث تناسب حلقه) بفتحتين او بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون او بفتحتين (قوله اى آل داود) تفسير للواو فى اعملوا (قوله صالحا) اى عملا صالحا ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه (قوله فاجازيكم عليه) اى ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله ولسليمان الريح) الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله سخرنا بدليل التصريح به فى قوله تعالى فسخرنا له الريح تجرى بامره (قوله بتقدير تسخير) اى فالجار والمجرور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والاصل وتسخير الريح كائن لسليمان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر والمعنى سيرها من الغداة الى الزوال مسيرة شهر للسائر المجد ومن الزوال للغروب مسيرة شهر عن الحسن كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل فى اصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وتقدم ان الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لاى جهة توجه اليها فاما صفة تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله واسلنا له عين القطر) اى جعلنا النحاس فى معدنه جاريا كالعين النابعة من الارض وكانت تلك العين باليمن (قوله فاجريت ثلاثة ايام) قيل مرة واحدة وقيل كان يسيل فى كل شهر ثلاثة ايام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ خبره قوله مما اعطى سليمان اى صنع الناس للنحاس واذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لانه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين يديه) يصح ان يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله ويصح ان يكون مفعولا لمحذوف تقديره وسخرنا من الجن من يعمل ومن على كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) اى بطاعة سليمان (قوله بان يضربه ملك الخ) اى فقد وكل الله ملكا بالجن المسخرين لسليمان وجعل فى يده سوطا من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (قوله ابنية مرتفعة) اى مساجد وغيرها وسميت بذلك لان صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها وقيل المراد بالمحاريب خصوص المساجد والاقرب ما قاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التى تقف فيها الائمة فى المساجد اذ هى حادثة فى المساجد بعد زمن النبى صلى الله عليه وسلم وسميت بالمحاريب تشبيها لها بالابنية المرتفعة لانها رفيعة القدر ولذا خصوها بالائمة (قوله وتماثيل) قال بعضهم انها صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان اولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة اى ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا فى العبادة (قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال ان اتخاذ الصور حرام فكيف يليق اتخاذها من سليمان واعلم ان اتخاذ الصور اولا كان لمقصد حسن فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهى حوض كبير) اى وسمى جابية لان الماء يجبى فيه اى يجمع (قوله آل داود) المراد سليمان واهل بيته (قوله شكرا) مفعول لاجله اى اعملوا لاجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التى لا تضاهى وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لاجل شكر الله على نعمه فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث اوجدهم من العدم وجعل لهم السمع والبصر والافئدة والعافية وغير ذلك من انواع النعم التى

لا تحصى (قوله وقليل من عبادى الشكور) أى لكون هذا المقصد عزيزا لم يوفق له الا القليل من الناس
وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم اما لاجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعا فى الجنة ﴿فائدة﴾ من
جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس وذلك أن داود ابتدأ بناءه فى موضع فسطاط موسى التى كان ينزل فيها
فرفعه قدر قامة فاوحى الله اليه لم يكن تمامه على يديك بل على يد ابن لك اسمه سليمان فلما قضى على داود
واستخلف سليمان وأحب اتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فارسل بعضهم فى تحصيل
الرخام و بعضهم فى تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح فلما فرغ منها ابتدأ فى
بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافى من أماكنها
ومنهم من ياتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه فاتى من ذلك بشئ كثير ثم أحضر الصناع لنحت تلك
الاحجار واصلاح تلك الجواهر وثقب تلك اليواقيت واللآلئ فبناه بالرخام الابيض والاصفر
والاخضر وجعل عمده من البلور الصافى وسقفه بانواع الجواهر وبسط أرضه بالعنبر فلم يكن على وجه
الارض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه فكان يضئ فى الظلمة كالقمر ليلة البدر ولم يزل على هذا البناء حتى
غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمه وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله الى مملكته
بالعراق حين بطرت بنو اسرائيل النعم وقتلوا زكريا ويحيى وكان ابتداء بيت المقدس فى السنة الرابعة من
ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد
فراغه منه اثنى عشر الف ثور ومائة وعشرين الف شاة واتخذ اليوم الذى فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على
الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء وقال اللهم أنت وهبت لى هذا السلطان وقويتنى على بناء هذا
المسجد اللهم فاوزعنى شكرك على ما أنعمت على وتوفنى على ملتك ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى اللهم انى
أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا
خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى
يخرج منه الا من أراد الحادا أو ظلما يارب العالمين وروى أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا
ثلاثا حكما يصادف حكمه فاوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله حين
فرغ من بنائه أن لا ياتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه الا اخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه اذا علمت ذلك
فبيت المقدس تم بناؤه وهو حى وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى أن سليمان كان يتجرد
للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما أعلمه الله
بوقت موته قال اللهم أخف على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر
الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما فى غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام
يصلى واتكأ على عصاه على كرسيه فمات فكان الجن ينظرون اليه ويحسبون انه حى ولا ينكرون احتباسه
عن الخروج الى الناس لتكرره منه قبل ذلك فالحكمة فى اخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب لا
تتميم بناء بيت المقدس كما قيل فان الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل (قوله حتى اكلت الارضة
عصاه) فلما اكلتها أحبها الجن وشكروا لها فهم ياتونها بالماء والطين فى خروق الخشب وقالوا لها لو كنت
تاكلين الطعام والشراب لاتيناك بهما (قوله مصدر ارضت الخشبة) اى اكلت فهى بمعنى دابة الارض دابة
الاكل وهذا أحد وجهين والوجه الآخر أن المراد بالارض المعروفة ونسبت لها لخروجها منها (قوله
بالهمز) أى الساكن أو المفتوح فتكون القراآت ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى على
وفى نسخة له أى لسليمان (قوله لظنهم حياته) علة لقوله ما لبثوا (قوله وعلم كونه الخ) اما بالبناء

(وقليل من عبادى الشكور) العامل بطاعتى شكرا لنعمتى (فلما قضينا عليه) على سليمان (الموت) أى مات ومكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا (ما دلهم على موته الا دابة الارض) مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول اكلتها الارضة (تاكل منساته) بالهمز وتركه بالف عصاه لانها ينسأ يطرد ويزجر بها (فلما خر) ميتا (تبينت الجن) انكشف لهم (أن) مخففة أى أنهم (لو كانوا يعلمون الغيب) ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان (ما لبثوا فى العذاب المهين) العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الارضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا

المفعول اومصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ فتحصل ان الجن ارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات من مدة سنة (قوله لقدكان لسبا) اللام موطئة لقسم محذوف اى والله لقدكان الخ ولسبا خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفي مسا كنهم حال (قوله بالصرف وعدمه) اى وفي عدم الصرف قراءتان فتح الهمزة وسكونها فالقراآت ثلاث (قوله سميت باسم جدلهم) اى وهو سبا بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان روى ان رجلا قال يارسول الله وماسبا أرض أو امرأة قال ليس بارض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرا من العرب فتيامن منهم ستة اى سكنوا اليمن وتشاءم منهم اربعة اى سكنوا الشام فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يارسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم و بجيلة والمقصود من تلك القصة اتعاظ هذه الامة المحمدية ليعتبروا و يشكروا نعمة الله عليهم والايحل بهم ماحل بمن قبلهم (قوله في مسا كنهم) بالجمع كمساجد والافراد إما بكسر الكاف او فتحها ففيه ثلاث قراآت سبعيات (قوله باليمن) اى وكان بينها و بين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) اى فاذا تامل العاقل فيها استدل على باهر قدرته وانه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) اى من آية التي هي اسم كان وصح ابدال المثنى من المفرد لانه في قوة المتعدد وذلك ان الجنتين لما كانتا متماثلين وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها صح جعلهما آية واحدة نظير قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية (قوله عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين الذاهب وشماله (قوله وقيل لهم) اى على لسان انبيائهم لانه بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه وهذا الامر للاذن والاباحة (قوله واشكروا له) اى اصرفوا نعمه في مصارفها (قوله ارض سبا الخ) اشار بذلك الى ان قوله بلدة طيبة خبر لمحذوف فهو كلام مستانف (قوله ليس بها سباخ) جمع سبخة وهي الارض ذات الملح (قوله ولا بعوضة) البعوض البق وقوله ولا برغوث بضم الباء (قوله فيموت) اى القمل ومثله باقي الهوام (قوله ورب غفور) اى يستر ذنوبكم (قوله فاعرضوا عن شكره) اى عن امتثال امره واتباع رسله لما روى انه ارسل لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا له فليحبس عنا هذه النعم ان استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار كان له ولد فمات فرفع رأسه الى السماء وبزق وكفر فلا يمر بارضه احد الا دعاه للكفر فان اجابه والا قتله (قوله وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره) اى فكان واديهم أرضا متسعة بين جبال شامخة فبنت بلقيس سدا حول ذلك الوادي بالصخر والقار وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الاوسط ثم من الادنى على حسب علو الماء وهبوطه فالعرم هو هذا السد وقيل العرم اسم للفار الذي نقب السد لاوردانهم كانوا يزعمون انهم يجدون في كتبهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين صخرتين الاربطوا الى جانبها هرة فلما جاء ما أراده الله بهم اقبلت فارة حمراء الى بعض تلك الهرر فثاورتها حتى استأخرت عن الحجر ثم وثبت فدخلت في الفرجة التي عندها و نقبت السد حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على اموالهم فاغرقها ودفن بيوتهم (قوله جنتين) تسميتها بذلك تهكم بهم لمشاكلة الاول (قوله مفرد على الاصل) اى لان اصلها ذوية تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا ففي تثنيته وجهان اعتبار الاصل واعتبار

(لقدكان لسبا) بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جدلهم من العرب (في مسا كنهم) باليمن (آية) دالة على قدرة الله تعالى (جنتان) بدل (عن يمين وشمال) عن يمين واديهم وشماله وقيل لهم (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) على مارزقكم من النعمة في ارض سبا (بلدة طيبة) ليس بها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها (و) الله (رب غفور فاعرضوا) عن شكره وكفروا (فارسلنا عليهم سيل العرم) جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته اى سيل واديهم الممسك بما ذكر فاغرق جنتيهم وأموالهم (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي) تثنية ذوات مفرد على الاصل

(أكل خمط) مر بشع باضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه (وأثل وشيء من سدر قليل ذلك) التبديل (جزيناهم بما كفروا) بكفرهم (وهل يجازى الا الكفور) بالياء والنون مع كسر الزاى ونصب الكفور أى ما يناقش الا هو (وجعلنا بينهم)

بين سبأ وهم باليمن (وبين القرى التى باركنا فيها) بالماء والشجر وهى قرى الشام التى يسيرون اليها للتجارة (قرى ظاهرة) متواصلة من اليمن الى الشام (وقدرنا فيها السير) بحيث يقيلون فى واحدة و يبيتون فى أخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء أى وقلنا (سيروا فيها ليالى وأياما آمنين) لا تخافون فى ليل ولا فى نهار (فقالوا ربنا بعد) وفى قراءة باعد (بين أسفارنا) الى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وظلموا أنفسهم) بالكفر (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم فى ذلك (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم فى البلاد كل التفرق (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) عبرا (لكل صبار) عن المعاصي (شكور) على النعم (ولقد صدق) بالتخفيف والتشديد (عليهم) أى الكفار منهم سبأ (ابليس ظنه) انهم باغوائه يتبعونه (فاتبعوه) فصدق بالتخفيف فى ظنه او صدق بالتشديد ظنه اى وجده صادقا (الا) بمعنى لكن (فريقا من المؤمنين) للبيان اى هم المؤمنون لم يتبعوه (وما كان له عليهم من سلطان) تسليطا منا (الا لنعلم) علم ظهور (من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) فنجازى كلا منهما (وربك على كل شيء حفيظ) رقيب (قل) يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم)

العارض فالاول ذواتان والثانى ذاتان (قوله مر بشع) قيل هو شجر الاراك وقيل كل شجر له شوك (قوله باضافة أكل) اى بضم الكاف لا غير وقوله وتركها أى بضم الكاف وسكونها فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ويعطف عليه) اى على أكل (قوله من سدر قليل) الصحيح ان السدر وهو النبق نوعان نوع يؤكل ثمره وينتفع بورقه ونوع له ثمر غض لا يؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو المسمى بالضال وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزيناه مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك الى ان ما مصدرية (قوله بالياء والنون) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى ما يناقش الا هو) أشار بذلك الى ان الحصر منصب على المناقشة والتدقيق فى الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب والا فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ الى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) اى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى المباركة سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء) اى فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر فى أماكن لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل أبيه لا يحركه (قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب فى المعايش نظير قول بنى اسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض الآية وكتمنى اهل مكة العذاب بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهو الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد اذا مات وقيل من فاز اذا نجا وسلم سمى بذلك تفاؤلا بالسلامة (قوله أحاديث) اى يتحدث باخبارهم (قوله فرقناهم فى البلاد) اى لضيق عيشهم وخراب أماكنهم وهى سنة باقية فى كل من بطر النعمة وظلم فقد أفاد الله فى تلك الآيات انه أصابهم بنعمتين وابتلاهم بنقمتين (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه) اى وسبب ظنه امارة رآها فيهم كميلهم فى الشهوات أو قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها أو وسوسته لآدم فى الجنة فاخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له وان كان لم تؤثر وسوسته لآدم (قوله فصدق بالتخفيف فى ظنه) أشار بذلك الى ان قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض والمعنى صار فيما ظنه أولا من اغوائهم على يقين وقوله أو صدق بالتشديد الخ أى فظنه مفعول لصدق والمعنى حقق ظنه ووجده صادقا (قوله بمعنى لكن) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار ويصح ان يكون متصلا لان بعض المؤمنين يذنب ويتبع ابليس فى بعض المعاصي ويكون قوله الا فريقا من المؤمنين المراد بهم من لم يتبعه أصلا والاقرب الاول لان المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين (قوله تسليطا منا) اى فالشيطان سبب فى الاغواء لا خالق الاغواء فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ومن أراد الله اغواءه سلط عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى (قوله علم ظهور) اى فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة لا للتعليل ومعنى الآية ما كان له عليهم ايجاد اضلال بل خالق الهدى والضلال هو نحن وانما سبقت حكمتنا بتسليطه ليتميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الايمان فاتباعه وعدمه علامة على ما تعلق به علمه تعالى فتدبر (قوله رقيب) اى فهو تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما سيقع (قوله قل ادعوا) بكسر اللام على أصل

التخلص وبالضم اتباعا قراءتان سبعيتان (قوله اى زعمتموهم آلهة) أى فالمفعولان محذوفان الاول لطوله بصلته والثانى لقيام صفته أعنى قوله من دون الله مقامه (قوله لينفعوكم) متعلق بادعوا اى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع ويجلبوا لكم سعة العيش (قوله مثقال ذرة) اى لا يملكون أمرا من الامور فى العالم وذكر السموات والارض للتعميم عرفا (قوله معين) اى على خلق شيء بل الله تعالى المنفرد بالايجاد والاعدام (قوله ولا تنفع الشفاعة عنده) أى ان الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام الا ان يأذن الله للملائكة والانبياء فى الشفاعة لغير الكفار وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وأما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم (قوله ردا لقولهم الخ) اى حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وايضاحه ان الشفاعة لا تكون ولا تحصل الا بالاذن والرضا وهم قد ارتكبوا ما يقتضى الغضب وهو الكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضى للغضب وعدم الاذن فى الشفاعة ان هذا الزعم باطل (قوله الا لمن اذن له) يصح وقوعه على الشافعين والمعنى الا لشافع أذن له فى الشفاعة ويصح وقوعها على المشفوع لهم والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمشفوع اذن ان يشفع له فاللام على كل حال متعلقة باذن والضمير عائد على الموصول وفيه الوجهان (قوله بفتح الهمزة) اى والضمير عائد على الله تعالى لذكره اولا وقوله وضمها أى بالبناء للمفعول والآذن هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله حتى اذا فزع) غاية فى محذوف تقديره يتربصون ويتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى اذا فزع الى آخره والتضعيف للسلب كالهمزة كما شار له بقوله كشف عنها الفزع والمعنى حتى اذا ازيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى الاذن بالشفاعة سال بعضهم بعضا (قوله بالبناء للفاعل) اى والفاعل ضمير يعود على الله وقوله وللمفعول اى والجار والمجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعيتان (قوله استبشارا) اى لزوال الكرب والحزن عن القلوب واختلف هل هذا الامر فى الآخرة أو الدنيا فقيل فى الآخرة ويؤيده ما فى سورة النبا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وعلى هذا فيكون فى الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة الا لمن اذن له فزع ما ورد على القلوب من المهابة حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم سال بعضهم بعضا وقيل فى الدنيا ويؤيده ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى اذا اراد ان يوحى بامر وتكلم بالوحى اخذت السموات والارض منه رجفة اى رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما اراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء ساله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلى الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهى جبريل بالوحى حيث أمر الله تعالى وعن ابن عباس قال كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحى وكان اذا نزل الوحى سمع له صوت كامرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على اهل سماء الا صعقوا فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ثم يقول يكون فى هذا العام كذا او يكون كذا فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة والكهنة تخبر الناس فيجدونه كذلك فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا بالشهب فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك هلك من فى السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى اسرعوا فى اموالهم فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من فى السماء اما ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر والليل والنهار فقال ابليس

اى زعمتموهم آلهة (من دون الله) أى غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم (لا يملكون مثقال) وزن (ذرة) من خير او شر (فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك) شركة (وما له) تعالى (منهم) من الآلهة (من ظهير) معين (ولا تنفع الشفاعة عنده) تعالى ردا لقولهم ان آلهتهم تشفع عنده (الا لمن اذن) بفتح الهمزة وضمها (له) فيها (حتى اذا فزع) بالبناء للفاعل وللمفعول (عن قلوبهم) كشف عنها الفزع بالاذن فيها (قالوا) قال بعضهم لبعض استبشارا (ماذا قال ربكم) فيها (قالوا)

لقد حدث فى الارض اليوم حدث فائتونى من كل تربة أرض فاتوه بها فلما شم تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث فانصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث فتحصل ان الفزع على القول بانه فى الآخرة يكون من جميع الخلق وعلى القول بانه فى الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للامرين والعموم أولى لان الكفار زعموا ان آلهتهم تنفعهم فى الدنيا والآخرة فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للامرين فتدبر (قوله القول الحق) اشار بذلك الى ان الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العلى الكبير) هذا من تمام كلام الشفعاء اعترافا بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هذا السؤال تبكيت للمشركين واشارة الى ان آلهتهم لا تملك لهم ضرا ولا نفعا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله فسيقولون الله (قوله لعلى هدى أو فى ضلال مبين) غاير بين الحرفين اشارة الى ان المؤمنين مستعلون على الهدى كراكب الجواد يسير به حيث شاء والكفار محبوسون فى الضلال كالمنغمس فى الظلمات الذى لا يبصر شيئا (قوله فى الابهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وداع صفة لتلطف (قوله لا تسئلون عما أجرمنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث اسند الاجرام لانفسهم والعمل للمخاطبين (قوله يوم القيامة) اى فى الموقف (قوله أعلمونى) اشار بذلك الى ان ارى علمية فتتعدى الى ثلاثة مفاعيل أولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء ويصح ان تكون بصرية فتتعدى الى مفعولين الاول المتكلم والثانى الموصول وشركاء حال من عائد الموصول والقصد من ذلك تبكيتهم واظهار خطئهم بعد اقامة الحجة عليهم (قوله بل هو) الضمير اما عائد على الله أو ضمير الشان وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله الا كافة) الحصر اضافى جىء به للرد على المشركين الذين يعتقدون ان رسالته غير عامة لجميع بنى آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترضه الزمخشرى بان تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بمنزلة تقدم المجرور على الجار ورد بان الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به واذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها فتقديمها على صاحبها وحده أجوز لتقدم عاملها وهو أرسلنا وهذا احد اوجه فى الآية ويصح جعل كافة حالا من الكاف فى ارسلناك والتاء للمبالغة كهى فى علامة وراوية والمعنى الا جامعا للناس فى التبليغ لا يخرج عن تبليغك احد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع او مصدر كالعاقبة والعافية اما مبالغة او على حذف مضاف اى ذا كافة للناس او صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة اى محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها احد والاوجه الثلاثة على انه حال من الكاف وهى متقاربة فتحصل ان هذه الآية دالة على انه مرسل لجميع الانس بشيرا ونذيرا وأما ارساله لغيرهم فماخوذ من آيات أخر منها وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لكن ارساله للانس والجن ارسال تكليف وللملائكة قيل ارسال تكليف وقيل تشريف وللحيوانات الغير العاقلة والجمادات ارسال تشريف (قوله لا يعلمون ذلك) اى ما ذكر من عموم رسالته وكونه بشيرا ونذيرا (قوله ويقولون) اى على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله ان كنتم) الخطاب للنبى والمؤمنين (قوله لا يستاخرون عنه) اى ان اردتم التاخر وقوله ولا تستقدمون اى ان اردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم * ان قلت ان الجواب ليس مطابقا للسؤال لان السؤال عن طلب تعيين الوقت والجواب يقتضى انهم منكرون للوقت من أصله وأجيب بان الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم لان سؤالهم وان كان على صورة الاستفهام عن الوقت الا أن مرادهم الانكار والتعنت والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال

القول (الحق) اى قد أذن فيها (وهو العلى) فوق خلقه بالقهر (الكبير) العظيم (قل من يرزقكم من السموات) المطر (والارض) النبات (قل الله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (وانا واياكم) اى احد الفريقين (لعلى هدى أو فى ضلال مبين) بين فى الابهام تلطف بهم داع الى الايمان اذا وفقوا له (قل لا تسئلون عما أجرمنا) اذنبنا (ولا نسئل عما تعملون) لانا بريئون منكم (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح) يحكم (بيننا بالحق) فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم (العليم) بما يحكم به (قل ارونى) أعلمونى (الذين الحقتم به شركاء) فى العبادة (كلا) ردع لهم عن اعتقاد شريك له (بل هو الله العزيز) الغالب على امره (الحكيم) فى تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك فى ملكه (وما ارسلناك الا كافة) حال من الناس قدم للاهتمام (للناس بشيرا) مبشرا للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) منذرا للكافرين بالعذاب (ولكن اكثر الناس) اى كفار مكة (لا يعلمون) ذلك (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) عليه وهو يوم القيامة

(وقال الذين كفروا)من اهل مكة (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه)اى تقدمه كالتوراة والانجيل الدالين على البعث لانكارهم
له قال تعالى فيهم(ولوترى)يامحمد (اذ الظالمون)الكافرون(موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض
القول يقول الذين
استضعفوا) الاتباع
(للذين استكبروا)الرؤساء
(لولا انتم)صددتمونا عن
الايمان (لكنا مؤمنين)
بالنبي(قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا انحن
صددناكم عن الهدى بعد
اذجاءكم) لا (بل كنتم
مجرمين)فى انفسكم(وقال
الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل
والنهار) اى مكر فيهما
منكم بنا (اذ تامروننا ان
نكفر بالله ونجعل له اندادا)
شركاء (واسروا) اى
الفريقان(الندامة)على
ترك الايمان به(لما رأوا
العذاب) اى اخفاها كل
عن رفيقه مخافة التعيير
(وجعلنا الاغلال فى اعناق
الذين كفروا) فى النار
(هل) ما (يجزون الا)
جزاء(ما كانوا يعملون)
فى الدنيا (وما ارسلنا فى
قرية من نذير الا قال
مترفوها) رؤساؤها
المتنعمون(انا بما ارسلتم به
كافرون وقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا)ممن آمن
(وما نحن بمعذبين قل ان
ربى يبسط الرزق)يوسعه
(لمن يشاء) امتحانا
(ويقدر)يضيقه لمن يشاء
ابتلاء (ولكن اكثر الناس)اى كفار مكة
(لا يعلمون) ذلك (وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) قربى اى تقريبا(الا)لكن (من آمن وعمل صالحا
الخ

الذين كفروا لن نؤمن الخ) سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم ان صفة محمد فى كتبنا فلما سالوهم ووافق ماقال أهل الكتاب قال المشركون لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه (قوله الدالين على البعث) أى وعلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يكفرون بها أيضا (قوله قال تعالى فيهم) أى فى بيان أحوالهم فى الآخرة (قوله ولوترى) مفعول ترى وجواب لو محذوفان والتقدير ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع بعضهم الى بعض القول لرأيت أمرا فظيعا (قوله اذ الظالمون) اذ ظرف لترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أى محبوسون فى الموقف للحساب (قوله عند ربهم) العندية للمكانة والعظمة لا المكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع (قوله يقول الذين استضعفوا) تفسير لقوله يرجع فالجملة لا محل لها من الاعراب (قوله لولا أنتم) ما بعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله صددتمونا الخ وقوله لكنا مؤمنين جواب لولا (قوله قال الذين استكبروا) أى جوابا للمستضعفين (قوله أنحن صددناكم) أى منعناكم (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله وقال الذين استضعفوا) ترك العاطف فيما سبق لانه مر أولا كلامهم فاتى بالجواب مستأنفا من غير عاطف ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفا على كلامهم الاول (قوله بل مكر الليل والنهار) ردوا بطال الكلام المستكبرين ومكر فاعل بفعل محذوف أى صدنا مكركم بنا فى الليل والنهار فحذف المضاف اليه وأقيم الظرف مقامه على الاتساع والاسناد مجازى (قوله اذ تامروننا) ظرف للمكر أى مكركم وقت أمركم لنا الخ (قوله وأسروا الندامة) جملة حالية أو مستأنفة(قوله أى أخفاها كل عن رفيقه) أى فكل أخفى الندم على فعله فى الدنيا من الكفر والمعاصى مخافة أن يعيره الآخر (قوله وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) أى زيادة على تعذيبهم بالنار (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله الا قال مترفوها) حال من قرية وان كانت نكرة لوقوعها فى سياق النفى فتعم فقد وجد المسوغ (قوله بما أرسلتم به) متعلق بكافرون قدم للاهتمام ورعاية للفواصل (قوله وقالوا نحن اكثر أموالا وأولادا) أى فلو لم يكن راضيا بما نحن عليه لما أعطانا الاموال والاولاد فى الدنيا واذا كان كذلك فلا يعذبنا فى الآخرة (قوله وما نحن بمعذبين) أى لانه لما اكرمنا فى الدنيا فلا يهيننا فى الآخرة على فرض وجودها (قوله قل ان ربى يبسط الرزق الخ) أى فبسط الرزق وضيقه فى الدنيا ليس دليلا على رضا الله فقد يبسط الرزق للكافر و يضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وانما هو تابع للقسمة الازلية قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أى فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ)كلام مستأنف سيق لتقرير ماسبق وتحقيقه (قوله بالتى تقربكم) صفة للاموال والاولاد لان جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة و يصح أن تكون التى صفة لموصوف محذوف تقديره بالاحوال التى (قوله قربى) أشار بذلك الى أن زلفى مصدر من معنى الفعل(قوله لكن من آمن) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلا والخطاب الاول عام كانه قيل وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى انفق امواله فى سبيل الله وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح فاولئك

الموت وغيره وفى قراءة الغرفة بمعنى الجمع (والذين يسعون فى آياتنا) القرآن بالا بطال (معجزين) لنا مقدرين عجزنا واتهم يفوتوننا) أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء من عباده) امتحانا (و يقدر) يضيقه (له) بعد البسط اولمن يشاء ابتلاء (وما انفقتم من شيء) فى الخير (فهو يخلفه وهو خير الرازقين) يقال كل انسان يرزق عائلته اى من رزق الله (و) اذكر (يوم يحشرهم جميعا) اى المشركين (ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم) بتحقيق الهمزتين وابدال الاولى ياء واسقاطها (كانوا يعبدون قالوا سبحانك) تنزيها لك عن الشريك (انت ولينا من دونهم)اى لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا (بل) للانتقال (كانوا يعبدون الجن) الشياطين اى يطيعون فى عبادتهم ايانا (اكثرهم بهم مؤمنون) مصدقون فيما يقولون لهم قال تعالى (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض) اى بعض المعبودين لبعض العابدين (نفعا) شفاعة (ولا ضرا) تعذيبا (ونقول للذين ظلموا)

الخ (قوله فاولئك) مبتدأ ولهم خبر مقدم وجزاء مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وهو استئناف لبيان جزاء اعمالهم (قوله جزاء الضعف) من اضافة الموصوف لصفته اى الجزاء المضاعف (قوله مثلا) اى أو الحسنة بسبعين او بسبعمائة او اكثر (قوله وغيره) اى من سائر المكاره فلا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله مقدرين عجزنا) اى معتقدين اننا عاجزون فلا نقدر عليهم (قوله قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء الخ) اختلف فى هذه الآية فقيل مكررة مع التى قبلها للتاكيد وقيل مغايرة لها فالاولى محمولة على اشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين فوقت البسط غير وقت القبض وهو الاحتمال الاول فى المفسر أو الاولى محمولة على الكفار وهذه فى حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله ويقدر له اى يختبر هل يصبر اولا (قوله وما انفقتم من شيء) اى على انفسكم وعيالكم او تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) اى بالمال او بالقناعة التى هى كنز لا ينفد او بالثواب فى الآخرة وفى الحديث مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى فاما من اعطى واتقى الآيات واتى بهذه الآية عقب التى قبلها اشارة الى ان الانفاق لا يضيق الرزق بل ربما كان سببا فى توسعته فالحيلة فى توسعة الرزق الانفاق فى وجوه الخير والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) اى احسنهم واجلهم لكونه خالق السبب والمسبب (قوله يقال كل انسان الخ) اى لغة ودفع بذلك ماقيل ان الرازق فى الحقيقة واحد وهو الله فاجاب بان الجمع باعتبار الصورة فالله خالق الرزق والعبيد متسببون فيه انفاقات اى مشاركة بين المفضل والمفضل عليه اجيب بان الرازق يطلق على الموصل للرزق والخالق له والرب يوصف بالامرين والعبد يوصف بالايصال فقط فخيرية الله من حيث انه خالق وموصل فعلم ان العبد يقال له رازق بهذا ولا يقال له رزاق لانه من الاسماء المختصة به تعالى (قوله يرزق عائلته) اى عياله وعيال الرجل من يعولهم واحده عيل كجيد (قوله وابدال الاولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر اذلم يقرأ بهذه احد من القراء واما تحقيقهما واسقاط الاولى فقراءتان سبعيتان وبقى ثلاث قراآت سبعيات تحقيق الاولى وتسهيل الثانية وعكسه وابدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الاولى فتكون الجملة خمسا (قوله كانوا يعبدون) خطاب للملائكة وتقريع للكفار وذلك كقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله مع كون الله تعالى عالما بان الملائكة وعيسى بريئون من ذلك (قوله انت ولينا من دونهم) اى انت الذى نواليك ونتقرب اليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل فى عبادتهم لنا (قوله اى يطيعونهم) اى فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون ان الجن تتراءى لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله (قوله اكثرهم بهم مؤمنون) ان قلت حيث اثبت اولا انهم كانوا يعبدون الجن لزم منه ان جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال اكثرهم اجيب بان قول الملائكة اكثرهم من باب الاحتياط تحرزا عن ادعاء الاحاطة بهم كانهم قالوا ان الذين رايناهم واطلعنا على احوالهم كانوا يعبدون الجن ولعل فى الوجود من لم يطلع عليه من الكفار واجيب ايضا بان العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم مؤمنون لعدم اطلاعهم على مافى القلوب (قوله اى بعض المعبودين) اى وهم الملائكة وقوله لبعض العابدين اى وهم الكفار (قوله ونقول) عطف على لا يملك (قوله واذا تتلى عليهم آياتنا) اى دلائل توحيدنا (قوله الا افك) اى

كفروا (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قالوا ماهذا الارجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) من الاصنام (وقالوا ماهذا) اى القرآن (الا افك) كذب (مفترى) على الله

(وقال الذين كفروا للحق) القرآن (لما جاءهم ان) ما (هذا الا سحر مبين) بين قال تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير) فمن أين كذبوك (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا) اى هؤلاء (معشار ما آتيناهم) من القوة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا رسلى) اليهم (فكيف كان نكير) انكارى عليهم بالعقوبة والاهلاك اى هو واقع موقعه (قل انما أعظكم بواحدة) هى (ان تقوموا لله) اى لاجله (مثنى) اثنين اثنين (وفرادى) واحدا واحدا (ثم تتفكروا) فتعلموا (ما بصاحبكم) محمد (من جنة) جنون (ان) ما (هو الا نذير لكم بين يدى) اى قبل (عذاب شديد) فى الآخرة ان عصيتموه (قل) لهم (ما سألتكم) على الانذار والتبليغ (من أجر فهو لكم) اى لا أسألكم عليه أجرا (ان اجرى) ما ثوابى (الا على الله وهو على كل شئ شهيد) مطلع يعلم صدقى (قل ان ربى يقذف بالحق) يلقيه الى أنبيائه (علام الغيوب)

كذب غير مطابق للواقع ومع كونه كذلك هو مفترى اى مختلق من حيث نسبته الى الله فقوله مفترى تاسيس لا تاكيد (قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل انكار عظيم وتعجيب بليغ (قوله قال تعالى) اى ردا عليهم (قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها) اى فالمعنى لا عذر لهم فى عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فان لهم كتابا ودينا ويحتجون بان نبيهم حذرهم من ترك دينه وان كان عذرا باطلا وحجة واهية (قوله وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) اى نبى يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناهم) قيل المعشار لغة فى العشر وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزأ من الف وهو الاظهر لان المراد به المبالغة فى التقليل (قوله من القوة الخ) اى ومع ذلك فلم ينفعهم شئ من ذلك فى دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلى) عطف على قوله وكذب الذين من قبلهم عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان نكير) عطف على محذوف تقديره فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم (قوله واقع موقعه) اى فهو فى غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل انما أعظكم) أى آمركم وأوصيكم وقوله بواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة (قوله ان تقوموا) ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هى وليس المراد بالقيام حقيقته وهو الانتصاب على القدمين بل المراد صرف الهمة والاشتغال والتفكر فى أمر محمد وما جاء به لان اول واجب على المكلف النظر المؤدى للمعرفة (قوله مثنى وفرادى) حالان من فاعل تقوموا وانما أمرهم بذلك لان الجماعة ربما يكون فى اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر بسبب الاغراض والتعصب واما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته واما الواحد فيفكر فى نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا ما به جنون بل علمتموه ارجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا واذا علمتم ذلك كفاكم ان تطلبوا منه آية على صدقه واذا جاء بها تبين انه صادق فيما جاء به واذا كان كذلك فالواجب اتباعه وتصديقه (قوله فتعلموا) أشار بذلك الى ان نتيجة الفكر العلم ومعمول التفكر محذوف والتقدير فتتفكروا فى أحوال محمد فينتج لكم العلم بان ما بصاحبكم جنون ولا نقص (قوله ما بصاحبكم) اضافه لهم اشارة الى انه كان مشهورا بينهم وحاله معروف عندهم فكانوا يدعونه بالصادق الامين فاذا تفكروا وقاسوا احواله بعد النبوة على حاله قبلها فيفيدهم العلم بكمال أوصافه (قوله ان هو) اى المحدث عنه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بين يدى عذاب شديد) اى هو مقدمة عذاب لكم فى الدنيا والآخرة ان لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه (قوله قل ما سألتكم من اجر) يحتمل ان ما شرطية مفعول لسألتكم ومن أجر بيان لما وقوله فهو لكم جواب الشرط ويحتمل انها موصولة مبتدأ وقوله فهو لكم خبرها وقرن الخبر بالفاء لما فى الموصول من العموم وعلى كل فيحتمل ان المعنى ما سألتكم أجرا البتة فيكون كقولك لمن لم يعطك شيأ أصلا ان اعطيتنى شيأ فخذه ويؤيده قوله ان اجرى الا على الله وقول المفسر اى لا أسألكم عليه أجرا ويحتمل ان المعنى لم أسألكم شيأ يعود نفعه على فهو كقوله تعالى قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى وقوله قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا (قوله قل ان ربى) اى مالكى وسيدى (قوله يقذف بالحق) مفعول يقذف محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق ويؤيده قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل اى ندفع الباطل بالحق ونصرفه به ويصح ان تكون الباء للملابسة والمفعول محذوف ايضا والتقدير يقذف الوحى الى انبيائه ملتبسا بالحق او ضمن يقذف معنى يقضى ويحكم والاقرب الاول لان خير ما فسرته بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لان أو خبر مبتدأ

محذوف (قوله ماغاب عن خلقه) أى فتسميته غيبا بالنسبة للخلق والا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك ان الوعد منجز ومتحقق بالفعل فليس بمجرد وعد (قوله وما يبدئ الباطل وما يعيد) اى لم يبق له بداية ولا اعادة اى نهاية فهو كناية عن ذهابه بالمرة وهذا بمعنى قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان قلت ان السورة مكية والكفر فى ذلك الوقت كان له شوكة قوية والاسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق الخ أجيب بانه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع فعبر عنه بالماضي كقوله أتى امر الله (قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي) سبب نزولها ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تركت دين آبائك فضللت والمعنى قل لهم يا محمد ان حصل لى ضلال كما زعمتم فان وبال ضلالى على نفسى لا يضر غيرى وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرئ شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وان اهتديت الخ) اى لان الاهتداء لا يكون الا بهدايته وتوفيقه (قوله فبما يوحى الى ربى) اى بسبب ايحاء ربى الىّ أو بسبب الذى يوحيه الى فما مصدرية أو موصولة والمعنى فهداى بفضل الله تعالى فحاصل المعنى المراد انه ان كان بى ضلال فمن نفسى لنفسى وان كان بى هدى فمن فضل الله بالوحى الى على حد قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك (قوله انه سميع) أى يسمع كل ما خفى وما ظهر وقوله قريب اى قرب مكانة لا مكان (قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت) يحتمل ان مفعول ترى محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فزعهم ويحتمل ان اذ مفعول ترى اى ولو ترى وقت فزعهم واسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه ان يسند لهم وقوله عند البعث احد اقوال فى وقت الفزع وقيل فى الدنيا يوم بدر حين ضربت اعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا الفرار الى التوبة وقيل نزلت فى ثمانين ألفا يأتون فى آخر الزمان يغزون الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب (قوله لرأيت امرا عظيما) أشار بذلك الى ان جواب لو محذوف (قوله فلا فوت) اى لا تخلص ولا مهرب (قوله اى القبور) اى وهى قريبة من مساكنهم فى الدنيا أو المعنى قبضت ارواحهم فى اماكنها فلم يمكنهم الفرار وقيل أخذوا من مكان قريب وهى القبور لجهنم فيخرجون من قبورهم لها (قوله وقالوا آمنا به) اى قالوا ذلك وقت حصول الفزع وهو وقت نزول العذاب بهم (قوله وأنى لهم) اى كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم فى الآخرة مع ان ذلك لا يحصل ولا يكون الا فى الدنيا وهى بعيدة من الآخرة فالماضي بعيد اذ لا يعود والمستقبل قريب لانه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) اى الرجوع الى الدنيا للايمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية اى يستبعد تناولهم الايمان فى الآخرة والحال انهم كفروا فى الدنيا (قوله ويقذفون بالغيب) أى يتكلمون فى الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من امره وهو الشبه التى اقترحوها فى جانب الرسول ويتكلمون فى العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث انهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) اى عن الصدق (قوله وحيل بينهم) اى فى الآخرة (قوله اى قبوله) أى بحيث يخلصهم فى الآخرة (قوله باشياعهم) جمع شيع وشيع جمع شيعة فالاشياع جمع الجمع وهم قوم الرجل وانصاره واتباعه والمراد بهم هنا أشباههم فى الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للاشياع (قوله اى قبلهم) اى الذين كانوا سابقين عليهم فى الزمان لا فى العذاب فان زمن عذابهم فى القيامة متحد (قوله موقع فى الريبة لهم) اى فهو من اراب اذا اوقعه فى الريبة وهى الشك فهو كقولهم عجب عجيب وشعر شاعر من باب التاكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو فى آمنوا اى آمنوا به فى الآخرة والحال انهم لم يعتدوا فى الدنيا بدلائله

ماغاب من خلقه فى السموات والارض (قل جاء الحق) الاسلام (وما يبدئ الباطل) الكفر (وما يعيد) أى لم يبق له أثر (قل ان ضللت) عن الحق (فانما اضل على نفسي) اى اثم ضلالى عليها (وان اهتديت فبما يوحى الى ربى) من القرآن والحكمة (انه سميع) للدعاء (قريب ولو ترى) يا محمد (اذ فزعوا) عند البعث لرأيت امرا عظيما (فلا فوت) لهم منا اى لا يفوتوننا (واخذوا من مكان قريب) اى القبور (وقالوا آمنا به) بمحمد او القرآن (وانى لهم التناوش) بالواو وبالهمزة بدلها اى تناول الايمان (من مكان بعيد) عن محله اذهم فى الآخرة ومحله الدنيا (وقد كفروا به من قبل) فى الدنيا (ويقذفون) يرمون (بالغيب من مكان بعيد) اى بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا فى النبى ساحر شاعر كاهن وفى القرآن سحر شعر كهانة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من الايمان اى قبوله (كما فعل باشياعهم) اشباههم فى الكفر (من قبل) اى قبلهم (انهم كانوا فى شك مريب) موقع فى الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله فى الدنيا

﴿سورة فاطر مكية﴾

أي وتسمى سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أي تعظيما لنفسه وتعليما لخلقه كيفية الثناء عليه قال في الحمد الصادر منه تعالى يحتمل ان تكون للاستغراق او للجنس ولا يصح ان تكون عهدية لانه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة واما في كلام العباد فالاولى ان تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين في أول سورة سبا) اي حيث قال هناك حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل واعلم ان السور المفتتحة بالحمد اربع الانعام والكهف وسبا وفاطر وحكمة افتتاحها بذلك ان فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) اي وان كان لها مادة وهو النور المحمدي فالمنفي المثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان للفظ الجلالة وجاعل وان كان بمعنى الماضي الا انه للاستمرار فباعتبار دلالته على الماضي تكون اضافته محضة فيصلح لوصف المعرفة به وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال يصلح للعمل في رسلا (قوله الى الانبياء) أي بالوحي وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم وعبارة البيضاوي اوضح من هذه واولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصالحة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه (قوله اولي اجنحة) يصح ان يكون صفة لرسلا وهو وان كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيرا الا انه يوهم ان الاجنحة لخصوص الرسل مع انها لكل الملائكة فالاحسن جعله صفة او حالا من الملائكة نظرا لال الجنسية (قوله مثنى) بدل من اجنحة مجرور بفتحة مقدرة نيابة عن الكسرة المقدرة لانه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) ان قلت في أي محل يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة قلت لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة (قوله يزيد في الخلق) جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله في الملائكة) أي في صورهم فقد قال الزمخشري رأيت في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان للطيران يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى وفي الحديث رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح تتناثر من رأسه الدر والياقوت وروي انه سأل جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني أحب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر الف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين اي يتصاغر الازمان لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير (قوله وغيرها) اي من جميع الخلق كطول القامة واعتدال الصورة وتمام الاعضاء وقوة البطش وحسن الصوت والشعر والخط وغير ذلك من الكمالات التي اعطاها الله لخلقه (قوله ان الله على كل شيء قدير) كالتعليل لما قبله (قوله ما يفتح الله) ما اما شرطية ويفتح فعل الشرط وقوله فلا ممسك لها جواب الشرط واما موصولة مبتدأ ويفتح صلتها وقوله فلا ممسك لها خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم وقوله من رحمة بيان لما (قوله كرزق) اي دنيوي او اخروي وعبر في جانب الرحمة بالفتح اشارة الى انها شيء عزيز نفيس شأنه ان يوضع في خزائن واتى بها منكرة لتعم كل رحمة دنيوية او اخروية (قوله فلا ممسك لها) انث مراعاة لمعنى ما وهو الرحمة

﴿سورة فاطر مكية﴾

وهي خمس او ست واربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين في اول سبا (فاطر السموات والارض) خالقهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) الى الانبياء (اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق) في الملائكة وغيرها (ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة) كرزق ومطر (فلا ممسك لها

(قوله وما يمسك) يصح ان يبقى على عمومه فالتذكير فى قوله له ظاهر ويصح أن يكون قد حذف من الثانى لدلالة الاول عليه والتذكير مراعاة للفظ وقد أشار المفسر لهذا الثانى بقوله من ذلك يعنى من الرحمة (قوله اى أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول والا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذكروا نعمت الله عليكم) اى اشكروه على تلك النعم التى أسداها اليكم (قوله باسكانكم الخ) أشار بذلك الى ان النعمة بمعنى الانعام ويصح أن تكون بمعنى المنعم به (قوله وخالق مبتدا) اى مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) اى فهما قراءتان سبعيتان وقوله لفظا ومحلا لف ونشر مرتب وفى بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفا ونشرا مشوشا وقرئ شذوذا بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للتقرير) اى والتوبيخ (قوله اى لا خالق رازق غيره) هذا حل معنى لا حل اعراب والا لقال لا خالق غيره رازق لكم (قوله لا اله الا هو) كلام مستانف لتقرير النفى المتقدم (قوله فانى تؤفكون) من الافك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ومنه قوله تعالى قالوا أجئتنا لتافكنا عن آلهتنا واما الافك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) اى كيف تعبدون غيره مع انه ليس فى ذلك الغير وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله وان يكذبوك) اى يدوموا على تكذيبك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف والمعنى فتأس بمن قبلك ولا تحزن (قوله فيجازى المكذبين) اى بادخالهم النار وقوله وينصر المرسلين أى بقبول شفاعتهم وادخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) اى كالحساب والعقاب (قوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا) المراد نهيهم عن الاغترار بها والمعنى فلا تغتروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (قوله فى حلمه) اى بسببه والمعنى لا تجعلوا حلمه وامهاله سببا فى اتباعكم الشيطان (قوله الغرور) هو بالفتح فى قراءة العامة كالصبور والشكور وقرئ شذوذا بضمها اما جمع غار كقاعد وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله ان الشيطان لكم عدو) اى عظيم فان عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم (قوله فاتخذوه عدوا) أى فكونوا منه على حذر فى جميع أحوالكم ولا تأمنوه فى السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفا ولا عدلا قال البوصيرى

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما * فانت تعرف كيد الخصم والحكم

(قوله انما يدعو حزبه الخ) بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته (قوله هذا) اى قوله الذين كفروا الى آخره والمعنى من كفر من اول الزمان الى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان الى آخره فله المغفرة والاجر الكبير (قوله ونزل فى أبى جهل وغيره) أى من مشركى مكة كالعاص بن وائل والاسود بن المطلب وعقبة بن أبى معيط واضرابهم ويؤيد هذا القول آيات منها ليس عليك هداهم ومنها ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ومنها فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا وغير ذلك ففى هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه وقيل هذه الآية نزلت فى الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بارض الحجاز يقال لهم الوهابية يحسبون أنهم على شئ ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون نسأل الله الكريم ان يقطع دابرهم وقيل نزلت فى اليهود والنصارى وقيل نزلت فى الشيطان حيث زين له أنه العابد التقى وآدم العاصى فخالف ربه لاعتقاده أنه على شئ (قوله أفمن زين له سوء عمله) اى زين له الشيطان ونفسه الامارة عمله السيء

اى اهل مكة (اذكروا نعمت الله عليكم) باسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هل من خالق) من زائدة وخالق مبتدأ (غير الله) بالرفع والجر نعت لخالق لفظا ومحلا وخبر المبتدا (يرزقكم من السماء) المطر (و) من (الارض) النبات والاستفهام للتقرير اى لا خالق رازق غيره (لا اله الا هو فانى تؤفكون) من أين تصرفون عن توحيده مع اقراركم بانه الخالق الرازق (وان يكذبوك) يا محمد فى مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فقد كذبت رسل من قبلك) فى ذلك فاصبر كما صبروا (والى الله ترجع الامور) فى الآخرة فيجازى المكذبين وينصر المرسلين (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث وغيره (حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا) عن الايمان بذلك (ولا يغرنكم بالله) فى حلمه وامهاله (الغرور) الشيطان (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) بطاعة الله ولا تطيعوه (انما يدعوا حزبه) أتباعه فى الكفر (ليكونوا من أصحاب السعير) النار الشديدة (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) هذا بيان ما لموافقى الشيطان وما لمخالفيه * ونزل فى ابى جهل وغيره (أفمن زين له سوء عمله)

بالتمويه (فرآه حسنا) من
مبتدأ خبره كمن هداه الله
لا دل عليه (فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك
عليهم) على المزين لهم
(حسرات) باغتمامك ان
لا يؤمنوا (ان الله عليم بما
يصنعون) فيجازيهم عليه
(والله الذي ارسل الرياح)
وفي قراءة الريح (فتثير
سحابا) المضارع لحكاية
الحال الماضية اي تزعجه
(فسقناه) فيه التفات عن
الغيبة (الى بلد ميت)
بالتشديد والتخفيف
لا نبات بها (فأحيينا به
الارض) من البلد (بعد
موتها) يبسها اي انبتنا به
الزرع والكلأ (كذلك
النشور) اي البعث
والاحياء (من كان يريد
العزة فلله العزة جميعا) اي
في الدنيا والآخرة فلا
تنال منه الا بطاعته
فليطعه (اليه يصعد الكلم
الطيب) يعلمه وهو لا اله
الا الله ونحوها (والعمل
الصالح يرفعه) يقبله (والذين
يمكرون) المكرات
(السيئات) بالنبي في دار
الندوة من تقييده او قتله
او اخراجه كما ذكر في
الانفال (لهم عذاب شديد
ومكر أولئك هو يبور)
يهلك (والله خلقكم من تراب)

فهو من اضافة الصفة للموصوف (قوله بالتمويه) اي التحسين ظاهرا بان غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري (قوله دل عليه) اي على تقدير الخبر والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفي هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون ان العبد يخلق افعال نفسه فلو كان كذلك ما اسند الاضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تتعاط أسباب ذلك وقرئ شذوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم ايمانهم (قوله حسرات) مفعول لاجله جمع حسرة وهي شدة التلهف على الشيء الفائت (قوله فيجازيهم عليه) اي ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وفي قراءة الريح) اي وهي سبعية ايضا (قوله لحكاية الحال الماضية) أي استحضارا لتلك الصورة العجيبة التي تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أي تزعجه) اي تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) اي الكائنة في قوله والله الذي ارسل (قوله الى بلد ميت) البلد يذكر ويؤنث يطلق على القطعة من الارض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) اي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا نبات بها) اي فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودهما (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أي كمثل احياء الارض بالنبات احياء الاموات ووجه الشبه ان الارض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الاعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق اليها المياه فتحييها والاجساد تساق اليها الارواح فتحييها (قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فليطعه وقوله فلله العزة تعليل للجواب واختلف في هذه الآية فقيل المراد من كان يريد ان يسأل عن العزة لمن هي فقل له لله العزة جميعا وقيل المراد من اراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره وطلبها يكون بطاعته والالتجاء اليه والوقوف على بابه لما ورد في الحديث من أراد عز الدارين فليطع العزيز ومن طلب العزة من غيره تعالى كسي من وصفه وهو الذل لان وصف العبد الذل ووصف الله العز فمن التجا الى الله كساه الله من وصفه ومن التجا الى العبد كساه الله من وصف ذلك العبد لما ورد من استعز بقوم اورثه الله ذلهم وقال الشاعر

واذا تذللت الرقاب تواضعا * منا اليك فعزها في ذلها

(قوله يعلمه) أشار بذلك الى ان في الكلام مجازا فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الامر الى القاضي يعني علمه وعبر عنه بالصعود اشارة لقبوله لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب اسفل وقيل المعنى يصعد الى سمائه وقيل يحمل الكتاب الذي كتب فيه طاعة العبد الى السماء (قوله ونحوها) اي من الاذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) اي كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يمكرون) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح (قوله المكرات) قدره اشارة الى ان السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون لان مكر لازم لا ينصب المفعول والمكر الحيلة والخديعة (قوله في دار الندوة) أي وهي التي بناها قصي بن كلاب للتحدث والمشاورة (قوله كما ذكر في الانفال) اي في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآيات وقد فصلت هناك (قوله ومكر اولئك) اتى باسم الاشارة البعيد اشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغي والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر الاول ويصح ان يكون ضمير فصل لا محل له من الاعراب وقولهم ان الفصل

بخلق ابيكم آدم منه (ثم من نطفة) اى منى بخلق ذريته منها (ثم جعلكم ازواجا) ذكورا واناثا (وما تحمل من انثى ولا تضع الا

بعلمه) حال اى معلومة له (وما يعمر من معمر) اى ما يزاد فى عمر طويل العمر (ولا ينقص من عمره) اى ذلك المعمر او معمر آخر (الا فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (ان ذلك على الله يسير) هين (وما يستوى البحران هذا عذب فرات) شديد العذوبة (سائغ شرابه) شربه (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة (ومن كل) منهما (تاكلون لحما طريا) هو السمك (وتستخرجون) من الملح وقيل منهما (حلية تلبسونها) هى اللؤلؤ والمرجان (وترى) تبصر (الفلك) السفن (فيه) فى كل منهما (مواخر) تمخر الماء اى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا) تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك (يولج) يدخل الله (الليل فى النهار) فيزيد (ويولج النهار) يدخله (فى الليل) فيزيد (وسخر الشمس والقمر كل) منهما (يجرى) فى فلكه (لاجل مسمى) يوم القيامة (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون) تعبدون (من دونه) اى غيره وهم الاصنام (ما يملكون من قطمير) لفافة النواة (ان تدعوهم لا

لا يقع قبل الخبر اذا كان فملامردود بجواز ذلك (قوله بخلق أبيكم آدم منه) ويصح ان يراد خلقكم من تراب بواسطة ان النطفة من الغذاء وهو من التراب (قوله أزواجا) اى اصنافا (قوله من انثى) من زائدة فى الفاعل (قوله حال) اى من انثى (قوله وما يعمر من معمر) بفتح الميم فى قراءة العامة قال ابن عباس ما يعمر من معمر الا كتب عمره كم هو سنة وكم هو شهرا وكم هو يوما وكم هو ساعة ثم يكتب فى كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من اجله فهو النقصان وما يستقبله فهو الذى يعمره وهذا هو الاحسن وقيل ان الله كتب عمر الانسان مائة سنة ان اطاع وتسعين ان عصى فايهما بلغ فهو كتاب وهذا مثل قوله عليه السلام من احب ان يبسط له فى رزقه وينسا له فى اثره أى يؤخر فى عمره فليصل رحمه اى انه يكتب فى اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد فى عمره كذا سنة فبين ذلك فى موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطلع على الاول دون الثانى ظن أنه زيادة او نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى درهم ونصفه أى فالمعنى ما يزاد فى عمر شخص بان يكون اجله طويلا ولا ينقص من عمر آخر بان يكون عمره قصيرا الا فى كتاب (قوله ان ذلك) أى كتابه الاعمار والآجال (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله وما يستوى البحران) هذا مثل المؤمن والكافر وقوله شديد العذوبة اى يكسر وهج العطش وقوله سائغ أى يسهل الحرارة (قوله شربه) انما فسر الشراب بالشرب لان الشراب هو المشروب فيلزم اضافة الشئ لنفسه (قوله اجاج) اى يحرق الحلق بملوحته (قوله ومن كل تاكلون الخ) يحتمل انه استطراد لبيان صفة البحرين ومافيهما من المنافع والمثل قدتم بما قبله وهو الاظهر وقيل هو من تمام التمثيل يعنى انهما وان اشتركا فى بعض الاوصاف لا يستويان فى جميعها كالبحرين فانهما وان اشتركا فى بعض المنافع لا يستويان فى جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر كلها فيجوز اكلها (قوله وقيل منهما) أى ووجهه ان فى البحر الملح عيونا عذبة تمتزج بالملح فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كاصابع الكف وقيل هو صغار اللؤلؤ (قوله لتبتغوا) متعلق بمواخر (قوله بالتجارة) اى وغيرها كالغزو والحج (قوله على ذلك) أى على ما اسداه اليكم من تلك النعم (قوله يولج الليل فى النهار) أى فيطول النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كايام الصيف وقوله ويولج النهار فى الليل اى فيطول الليل حتى يكون من الغروب للطلوع اربع عشرة ساعة كايام الشتاء فالدائر بين الليل والنهار اربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) معطوف على يولج وعبر بالمضارع فى جانب الليل والنهار لان ايلاج أحدهما فى الآخر يتجدد كل عام واما الشمس والقمر فتسخيرهما من يوم خلقهما الله فلا تجدد فيه وانما التجدد فى آثارهما فلذا عبر فى جانبهما بالماضى (قوله والذين تدعون من دونه الخ) هذا من جملة الادلة على انفراده تعالى بالالوهية (قوله لفافة النواة) بكسر اللام وهى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة واعلم ان فى النواة أربعة اشياء يضرب بها المثل فى القلة الفتيل وهو ما فى شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهو ما فى ظهرها والثفروق وهو ما بين القمع والنواة (قوله ما أجابوكم) اى بجلب نفع ولا دفع ضر (قوله باشراككم اياهم) اشار بذلك الى ان المصدر مضاف للفاعل (قوله اى يتبرؤن منكم) اى بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون (قوله ولا ينبئك مثل خبير) اى لا يخبرك احد مثلى لانى عالم بالاشياء وغيرى لا يعلمها وهذا الخطاب يحتمل ان يكون عاما غير مختص باحد ويحتمل ان يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم (قوله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله) انما خاطب الناس بذلك وان كان كل ما سوى الله فقيرا لان الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبونه لانفسهم والمعنى يا ايها الناس انتم اشد الخلق افتقارا واحتياجا الى الله فى انفسكم وعيالكم واموالكم وفيما

 يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا) فرضا (ما استجابوا لكم) ما اجابوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) باشراككم اياهم مع الله اى يتبرؤن منكم ومن عبادتكم اياهم (ولا ينبئك) باحوال الدارين (مثل خبير) عالم وهو الله تعالى (يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله)

يعرض لكم من سائر الامور فلاغنى لكم عنه طرفة عين ولا اقل من ذلك ومن هنا قول الصديق رضي الله عنه من عرف نفسه عرف ربه اى من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والمسكنة عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال (قوله بكل حال) اى فى حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز فالعبد مفتقر لربه فى اى حالة كان بها ذلك العبد (قوله الحميد) انما ذكره بعد الغنى لدفع توهم ان غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا فافاد انه كما انه غنى هو منعم جواد محمود على انعامه لكونه يعطى النوال قبل السؤال للبر والفاجر (قوله ان يشا يذهبكم) هذا بيان لغناه المطلق يعني ان اذهابكم ليس متوقفا على شيء الا على مشيئته فابقاؤكم من محض فضله (قوله بخلق جديد) اى بعالم آخر غير ما تعرفونه (قوله شديد) اى متعذر او متعسر (قوله وازرة) فاعل تزر وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله نفس والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس اخرى واما غير الوازرة فتحمل وزر الوازرة بمعنى تشفع لها فى غفرانه لا بمعنى انه ينتقل من الوازرة لغيرها ان قلت ما الجمع بين هذه الآية و بين قوله تعالى وليحملن اثقالهم الآية اجيب بان تلك الآية محمولة على من ضل و تسبب فى الضلال لغيره فعليه وزر ضلاله ووزر تسببه لان تسببه من فعله فلم يحمل الا أثقال نفسه فرجع الامر الى ان الانسان لا يحمل وزر غيره اصلا بل كل نفس بما كسبت رهينة (قوله وان تدع مثقلة الى حملها) اى وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا الى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر او رأس وبالفتح ما كان فى البطن او على رأس شجرة (قوله لا يحمل منه شيء) العامة على قراءة يحمل مبنيا للمفعول وشيء نائب الفاعل وقرئ شذوذا تحمل بفتح التاء وكسر الميم مسندا الى ضمير النفس المحذوفة وشيا مفعول تحمل (قوله ولو كان ذا قربى) العامة على قراءة ذا بالنصب خبر كان واسمها ضمير يعود على المدعو كما قدره المفسر وقرئ شذوذا بالرفع على ان كان تامة والمعنى وان تدع نفس مذنبة نفسا اخرى الى حمل شيء من ذنبها لا يحمل منه شيء ولو كانت تلك النفس الاخرى قريبة للداعية كابنها او ابيها ورد يلقى الاب والام الابن فيقولان له يا بنى احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبي ما على (قوله فى الشقين) اى الحمل القهرى والاختيارى (قوله حكم من الله تعالى) اى وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة (قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم) انما اداة حصر والمعنى ان انذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغيب حال من فاعل يخشون اى يخشونه حال كونهم غائبين عنه فالغيبة وصف العبيد لا وصف الرب فان وصف الرب القرب قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ووصف العبيد الغيبة والحجاب فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله و يصح ان يكون حالا من المفعول اى يخشونه والحال انه غائب عنهم اى محتجب بجلاله فلا يرونه والى هذا أشار المفسر بقوله وما رأوه فعدم رؤية الله تعالى انما هو من تحجبه بصفات الجلال فاذا تجلى بالجمال رأته الابصار وذلك يحصل فى الآخرة لاهل الايمان وقد حصل فى الدنيا لسيد الخلق على الاطلاق وقد يتجلى بالجمال للقلوب فى الدنيا فتراه وهى الجنة المعجلة لاهل الله المقربين (قوله لانهم المنتفعون بالانذار) جواب عما يقال كيف قصر الانذار على أهل الخشية مع انه لجميع المكلفين فاجاب بان وجه قصره عليهم انتفاعهم به فكانه قال انما ينفع انذارك اهل الخشية (قوله اداموها) اى واظبوا عليها باركانها وشروطها وآدابها وفى نسخة أدوها (قوله وغيره) اى كالمعاصي (قوله فصلاحه مختص به) اى فهو قاصر عليه لا يتعداه فيجزى بالعمل فى الآخرة اى الخير والشر (قوله وما يستوى الاعمى والبصير الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وافاد أولا الفرق بين ذاتيهما وثانيا بين وصفيهما وثالثا بين داريهما فى الآخرة واما قوله وما يستوى الاحياء الخ فهو مثل آخر على ابلغ وجه لان الاعمى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار انواع الكفر فان انواعه كثيرة بخلاف

الايمان

بكل حال (والله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود فى صنعه بهم (ان يشا يذهبكم و يات بخلق جديد) بدلكم (وما ذلك على الله بعزيز) شديد (ولا تزر) نفس (وازرة) آثمة اى لا تحمل (وزر) نفس (اخرى وان تدع) نفس (مثقلة) بالوزر (الى حملها) منه احد ليحمل بعضه (لا يحمل منه شيء ولو كان) المدعو (اذا قربى) قرابة كالاب والابن وعدم الحمل فى الشقين حكم من الله تعالى (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافونه وما رأوه لانهم المنتفعون بالانذار (واقاموا الصلاة) اداموها (ومن تزكى) تطهر من الشرك وغيره (فانما يتزكى لنفسه) فصلاحه مختص به (والى الله المصير) المرجع فيجزى بالعمل فى الآخرة (وما يستوى الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ولا الظلمات) الكفر (ولا النور) الايمان (ولا الظل

ولا الحرور) الجنة والنار (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) المؤمنون والكفار وزيادة لا فى الثلاثة تاكيد (ان الله يسمع من يشاء) هدايته فيجيبه بالايمان (وما انت بمسمع من فى القبور) اى الكفار شبههم بالموتى فيجيبون (ان) ما (انت الا نذير) منذر لهم (انا ارسلناك بالحق) بالهدى (بشيرا) من اجاب اليه (ونذيرا) من لم يجب اليه (وان) ما (من امة) الا خلا سلف (فيها نذير) نبي ينذرها (وان يكذبوك) اى اهل مكة (فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات (وبالزبر) كصحف ابراهيم (وبالكتاب المنير) هو التوراة والانجيل فاصبر كما صبروا (ثم اخذت الذين كفروا) بتكذيبهم فكيف كان نكير) انكارى عليهم بالعقوبة والاهلاك اى هو واقع موقعه (الم تر) تعلم (ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا) فيه التفات عن الغيبة (به ثمرات مختلفا الوانها) كاخضر واحمر واصفر وغيرها (ومن الجبال جدد) جمع جدة طريق فى الجبل وغيره (بيض وحمر) وصفر (مختلف الوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على جدد اى صخور شديدة السواد يقال كثيرا اسود غربيب وقليلا غربيب اسود (ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال (انما يخشى الله من عباده العلماء) بخلاف الجهال ككفار مكة (ان الله عزيز) فى ملكه (غفور) لذنوب عباده المؤمنين (ان الذين يتلون) يقرؤن (كتاب الله وأقاموا الصلاة) اداموها (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) زكاة او غيرها

الايمان فهو نوع احد (قوله ولا الحرور) هى الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم بالليل وقيل الحرور والسموم بالليل والنهار (قوله وزيادة لا فى الثلاثة) أى فى الجمل الثلاث التى أولها ولا الظلمات ولا النور وثانيها ولا الظل ولا الحرور وثالثها وما يستوى الاحياء ولا الاموات وانما زيدت للتاكيد فى الجميع لان نفى المساواة معلوم من ما النافية (قوله ان الله يسمع من يشاء) من هنا الى قوله نكير تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله شبههم بالموتى) أى فى عدم التاثر بدعوته (قوله ان أنت الا نذير) أى فليس عليك الا التبليغ والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله بالحق) حال من الكاف بدليل قول المفسر بالهدى كانه قال أرسلناك حال كونك هاديا (قوله وان من أمة) أى تعلمها وقوله نبي ينذرها أى يخوفها من عقاب الله وتنقضي شريعته بموته فما بين الرسولين من اهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وان غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنص قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأما ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي وامرىء القيس وحاتم الطائى فقيل ان ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم والتحقيق أنه خبر آحاد وهو لا يعارض النص القطعي وتقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قوله وبالزبر) اسم لكل ما يكتب (قوله كصحف ابراهيم) اى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب الاربعة فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك الى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تتاتى منه الرؤية وهو كلام مستانف سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته (قوله فيه التفات) أى وحكمته أن المنة فى الاخراج أبلغ من انزال الماء ولما فى الاخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الالهية (قوله ثمرات مختلفا الوانها) أى فى اصل اللون كالاخضر والاصفر والاحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريق وقرىء شذوذا بضم الجيم والدال جمع جديدة وبفتحهما (قوله مختلفا الوانها) مختلف صفة لجدد والوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم والوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وغرابيب سود) الغربيب تاكيد للاسود كالقانى تاكيد للاحمر وانما قدمه عليه للمبالغة (قوله يقال كثيرا) أى بتقديم الموصوف على الصفة وهذا هو الاصل وقوله وقليلا أى بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الاصل ويرتكب للمبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف الوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ اى صنف مختلف الوانه من الناس وقوله كذلك صفة لمصدر محذوف اى اختلافا كذلك (قوله انما يخشى الله من عباده العلماء) اى ان خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان اخشاهم له ولذا ورد فى الحديث انا اخشاكم لله واتقاكم له وقرىء شذوذا برفع الجلالة ونصب العلماء والمعنى انما يعظم الله من العباد العلماء وانما كان كذلك لكونهم اعرف الناس بربهم واتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فان الله اخبر أنه يعظمهم ويجلهم (قوله ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية كانه قيل يجب على كل انسان ان يخشى الله تعالى لانه عزيز قاهر لما سواه غفور للمذنبين (قوله ان الذين يتلون كتاب الله) اى يقرؤنه على طهارة اولا عن ظهر قلب اوفى المصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة او غيرها)

(يرجون تجارة لن تبور) تهلك (ليوفيهم اجورهم) ثواب اعمالهم المذكورة (ويزيدهم من فضله انه غفور) لذنوبهم

(شكور) لطاعتهم (والذى اوحينا اليك من الكتاب) القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) تقدمه من الكتب (ان الله بعباده لخبير بصير) عالم بالبواطن والظواهر (ثم اورثنا) اعطينا (الكتاب) القرآن (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم امتك (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به أغلب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات) يضم الى العمل التعليم والارشاد الى العمل (باذن الله) ارادته (ذلك) أى ايراثهم الكتاب (هو الفضل الكبير جنات عدن) اقامة (يدخلونها) الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدا (يحلون) خبر ثان (فيها من) بعض (اساور من ذهب ولؤلؤ) مرصع بالذهب (ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) جميعه (ان ربنا لغفور) فى الذنوب (شكور) للطاعات (الذى احلنا دار المقامة) اى الاقامة (من فضله لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) اعياء من التعب لعدم التكليف فيها وذكر الثانى التابع للاول للتصريح بنفيه (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) بالموت (فيموتوا) يستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) طرفة عين (كذلك) كما جزيناهم (نجزى كل كفور) كافر

لف ونشر مشوش وهو تحضيض على الانفاق كيفما تيسر (قوله يرجون تجارة) خبر ان اى يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفيهم اجورهم) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله شكور) أى يثيبهم على طاعتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس او للتبعيض (قوله هو الحق) هو اما ضمير فصل أو مبتدا والحق خبر والجملة خبر الذى ومصدقا حال مؤكدة (قوله عالم بالبواطن والظواهر) لف ونشر مرتب (قوله ثم اورثنا) اتى بثم اشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الامم (قوله أعطينا) اشار بذلك الى ان المراد بالتوريث الاعطاء ووجه تسميته ميراثا ان الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب وكذلك اعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفين (قوله وهم امتك) أى امة الاجابة سواء حفظوه كلا أو بعضا اولا والا فليس المراد باعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والاقتداء به (قوله فمنهم ظالم لنفسه الخ) أى من غلبت سيئاته على حسناته والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته والسابق من لا تقع منه سيئة أصلا ولذا ورد فى الحديث فى تفسير هذه الآية سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقيل الظالم هو راجح السيآت والمقتصد هو الذى تساوت سيئاته وحسناته والسابق هو الذى رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذى ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاؤه فى ربه ولئلا يعجب الطائع بعمله فيهلك وهذا على حد ما قيل فى قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (قوله باذن الله) متعلق بقوله سابق وانما خص مع ان الكل باذن الله تنبيها على عزة هذه المرتبة فاضيفت لله (قوله يدخلونها الخ) أتى بضمير جماعة الذكور فى تلك الآيات تغليبا للمذكر على المؤنث والا فلا خصوصية للذكور (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مرصع بالذهب) تقدم انه أحد قولين وقيل انهم يحلون فيها اسورة من ذهب واسورة من فضة واسورة من لؤلؤ (قوله وقالوا) عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله جميعه) اى كخوف الامراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها (قوله الذى احلنا) أى ادخلنا واسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لاحلنا والمراد بها الجنة التى تقدم ذكرها (قوله لا يمسنا فيها نصب) حال من ضمير احلنا البارز (قوله تعب) اى فلا نوم فى الجنة لعدم التعب بها (قوله اعياء من التعب) أى فاذا اشتهى الشخص من اهل الجنة ان يسير وينظر ويتمتع بجميع ما اعطاه الله من الحور والغرف والقصور فى اقل زمن فعل ولا يحصل له اعياء ولا مشقة وبالجملة فاحوال الجنة لا تقاس على احوال الدنيا وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الامة المحمدية (قوله وذكر الثانى) جواب عما يقال ما الفائدة فى نفى اللغوب مع ان انتفاءه يعلم من انتفاء النصب لان انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله ان الذين يتلون كتاب الله على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه اذا ذكر اوصاف المؤمنين اعقبه بذكر اوصاف الكفار (قوله لا يقضى عليهم) اى لا يحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لا يقضى وهو منفى ايضا لانه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب ان قلت ان فى هذه الآية دليلا على ان اهل النار لا يموتون وفى آية اخرى لا يموت فيها ولا يحيا فيقتضى ان اهل النار لهم حالة بين الحالتين مع انه لا واسطة اجيب بان المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب ولا يحيون حياة طيبة (قوله ولا يخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم زمنا ما وبهذا اندفع ما قيل ان بعض اهل النار يخفف عنه كابى طالب وابى لهب لما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع فى ابى طالب فنقل فى ضحضاح من نار ينتعل بنعلين يغلى منهما دماغه وورد ان ابا لهب يسقى فى نقرة ابهامه ماء كل ليلة اثنين لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل ان المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وان كان يحصل لبعضهم بعض

تخفيف

بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاى ونصب كل (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون بشدة (٢٦١) وعويل يقولون (ربنا اخرجنا)

منها (نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل) فيقال لهم (اولم نعمركم ما) وقتا (يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) الرسول فما اجبتم (فذوقوا فما للظالمين) الكافرين (من نصير) يدفع العذاب عنهم (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب فعلمه بغيره اولى بالنظر الى حال الناس (هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) جمع خليفة اى يخلف بعضكم بعضا (فمن كفر) منكم (فعليه كفره) اى وبال كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) غضبا (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) للآخرة (قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون) تعبدون (من دون الله) اى غيره وهم الاصنام الذين زعمتم انهم شركاء الله تعالى (ارونى) اخبرونى (ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك) شركة مع الله (فى) خلق (السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة) حجة (منه) بان لهم معى شركة لا شئ من ذلك (بل ان) ما (يعد الظالمون) الكافرون (بعضهم بعضا الا غرورا) باطلا بقولهم الاصنام تشفع لهم (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) اى يمنعهما من الزوال (ولئن) لام قسم (زالتا ان) ما (امسكهما) يمسكهما (من احد من بعده) اى سواه (انه كان حليما غفورا) فى تاخير عقاب الكفار (واقسموا)

تخفيف فيه (قوله بالياء) اى المضمومة مع فتح الزاى ورفع كل وقوله والنون المفتوحة اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يصطرخون فيها) اى يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره اشارة الى ان قوله ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله يصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الاخرى عليه (قوله صالحا) صفة لموصوف محذوف تقديره عملا صالحا (قوله فيقال لهم) اى على سبيل التوبيخ والتبكيت (قوله أولم نعمركم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتعتذرون وتقولون ربنا أخرجنا الخ ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمرا يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر (قوله مايتذكر) ما نكرة موصوفة بمعنى وقت ولذا قدره المفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كانه قال قد عمرناكم وجاءكم النذير (قوله الرسول) اى رسول كان لان هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فما أجبتم فاندفع ما يقال ان ظاهر الآية ربما يوهم ان اذاقتهم العذاب مرتبة على مجئ الرسول مع انه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدا خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والارض) اى ما غاب عنا فيهما (قوله انه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله كانه قيل اذا علم ما خفى فى الصدور كان اعلم بغيرها من باب اولى وقوله بالنظر الى حال الناس جواب عما يقال علم الله لا تفاوت فيه بل جميع الاشياء مستوية فى علمه لا فرق بين ما خفى منها على الخلق وما ظهر لهم فاجاب بما ذكر اى ان الاولوية من حيث عادة الناس الجارية ان من علم الخفى يعلم الظاهر بالاولى (قوله هو الذى جعلكم خلائف فى الارض) اى رعاة مسؤلين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل انسان خليفة فى الارض وهو راع وكل راع مسؤل عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا فى بعض النسخ بالتاء وفى بعض النسخ بلا تاء والاولى اولى لان خليف جمعه خلفاء واما خليفة فجمعه خلائف (قوله اى وبال كفره) اى فلا يضر الا نفسه (قوله ولا يزيد الكافرين الخ) بيان لوبال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرأيتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد ان كانت بلا همز وبالهمز كما هنا تتعدى لمفعولين الاول قوله شركاءكم والثانى قوله ماذا خلقوا من الارض على سبيل التنازع لان كلا من أرأيتم وأرونى طالب ماذا خلقوا من الارض على أنه مفعول له (قوله شركاءكم) اضافهم لهم من حيث انهم جعلوهم شركاء اومن حيث انهم شركوهم فى اموالهم فانهم كانوا يعينون شيأ من اموالهم لآلهتهم وينفقونه على خدمتها ويذبحون عندها (قوله ماذا خلقوا من الارض) اى اى شئ خلقوه من الامور التى فى الارض كالحيوانات والنباتات والاشجار وغير ذلك (قوله ام لهم شرك) ام فى الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله آتيناهم) اى الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع قراءتان سبعيتان (قوله لا شئ من ذلك) جواب الاستفهام فى الجمل الثلاث وهو انكارى (قوله بل ان يعد الظالمون) لما ذكر نفى الحجج اضرب عنه بذكر الامر الحامل للرؤساء على الشرك واضلال الاتباع وهو قولهم لهم انهم شفعاء عند الله (قوله بعضهم) بدل من الظالمون (قوله بقولهم) اى الرؤساء للاتباع (قوله اى يمنعهما من الزوال) اشار بذلك الى ان الامساك بمعنى المنع وقوله ان تزولا ان وما دخلت عليه فى تاويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط فقوله ان امسكهما جواب الاول وحذف جواب الثانى على القاعدة المعروفة (قوله من احد) من زائدة فى الفاعل وقوله من بعده من ابتدائية والتقدير ما أمسكهما احد مبتدا وناشئا من غيره (قوله انه كان حليما غفورا) تعليل لقوله ان الله

والنصارى وغيرهم اي اي" واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا اذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم (مازادهم) مجيئه (الا نفورا) تباعدا عن الهدى (استكبارا في الارض) عن الايمان مفعول له (ومكر) العمل (السيء) من الشرك وغيره (ولا يحيق) يحيط (المكر السيء الا باهله) وهو الماكر ووصف المكر بالسيء اصل واضافته اليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذرا من الاضافة الى الصفة (فهل ينظرون) ينتظرون (الا سنت الاولين) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا) اى لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول الى غير مستحقه (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة) فاهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وما كان الله ليعجزه من شيء) يسبقه و يفوته (في السموات ولا في الارض انه كان عليما) اى بالاشياء كلها (قديرا) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ماترك على ظهرها) اى الارض (من دابة)

يمسك السموات والارض أي فامساكهما حاصل بحلمه وغفرانه والا فكانتا جديرتين بان تزولا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه الآية فحلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد اذ لولاه لما بقي شيء من العالم فقول العامة حلم الله يفتت الكبود اساءة أدب (قوله أي كفار مكة) اى قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم واقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نبي ينذرهم ليكونن اهدى من احدى الامم (قوله جهد ايمانهم) الجهد بالفتح بلوغ الغاية في الاجتهاد وأما بالضم فهو الطاقة وانما كان الحلف بالله غاية ايمانهم لانهم كانوا يحلفون بآبائهم واصنامهم فاذا ارادوا التاكيد والتشديد حلفوا بالله (قوله ليكونن) هذه حكاية لكلامهم بالمعنى والا فلفظه لنكونن الخ (قوله من احدى الامم) المراد من احدى الاحد الدائر فالمعنى من كل الامم فقول المفسر اي اي" واحدة منها الاوضح ان يقول اي كل واحدة منها (قوله مازادهم الا نفورا) جواب لما وفيه اشعار بان فيهم اصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسمعيل (قوله مفعول له) اى لاجل الاستكبار و يصح ان يكون بدلا من نفورا أو حالا من ضمير زادهم اي حال كونهم مستكبرين (قوله ووصف المكر بالسيء) أي في قوله ولا يحيق المكر السيء وقوله اصل اى جاء على الاصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف (قوله واضافته اليه قبل) اى في قوله ومكر السيء (قوله استعمال آخر) أي جاء على خلاف الاصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) اى مضاف اليه وقوله حذرا من الاضافة الى الصفة اى من اضافة المكر الذي هو الموصوف الى السيء الذي هو الصفة فيجعل المكر مضافا للمحذوف والسيء صفة لذلك المحذوف وتلك الاضافة من اضافة العام للخاص لان المكر يشمل الاعتقاد والعمل فاضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينظرون الا سنت الاولين) اى فلا ينتظرون الا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنت الله فيهم) اشار بذلك الى ان قوله سنت الاولين مصدر مضاف لمفعوله وسياتي اضافته لفاعله في قوله لسنت الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كانه قيل لا ينتظرون الا تعذيبهم كمن قبلهم لانك ايها العاقل لن تجد الخ (قوله أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول الى غير مستحقه) اشار بذلك الى ان المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل نقله لغير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أولم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير اتركوا السفر ولم يسيروا وهو استشهاد على ان سنة الله لا تبديل لها ولا تحويل والاستفهام انكاري بمعنى النفي ونفي النفي اثبات والمعنى بل ساروا في الارض ومروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي على اي حالة كانت ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب رسلهم فيخافوا ان يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا اشد منهم قوة) اى اطول أعمارا والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه الخ) تقرير لما فهم من استئصال الامم السابقة (قوله انه كان عليما قديرا) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة أي بسبب كسبهم او الذي كسبوه (قوله من المعاصي) بيان لما (قوله ماترك على ظهرها من دابة) أي من جميع مادب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بان يمسك عنها ماء السماء مثلا فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعا فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وعبر بالظهر تشبيها للارض بالدابة من حيث التمكن عليها و يعبر تارة بوجه الارض من حيث ان ظاهرها كالوجه للحيوان وغيره كالبطن وهو الباطن منها فتحصل

انه يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهرها فهو من قبيل اطلاق الضدين على شيء واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو التنفس اى ذى روح (قوله فيجازيهم باعمالهم) أشار بذلك الى ان جواب الشرط محذوف وقوله فان الله الخ تعليل له

﴿ سورة يس مكية ﴾

اى كلها وقوله أو الا قوله واذا قيل الخ قول ثان وقوله أو مدنية اى كلها وهو قول ثالث وورد فى فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يس على موتاكم ومنها ما من ميت يقرأ عليه يس الا هون الله عليه ومنها من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له فى تلك الليلة ومنها ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات ومنها ان فى القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهى سورة يس تدعى فى التوراة المعمة قيل يارسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى ايضا الدافعة والقاضية قيل يارسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة ومنها من قرأ يس حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسي ومن قرأها فى صدر ليلته أعطى يسر ليلته حتى يصبح ومنها عن أبى جعفر من وجد فى قلبه قسوة فليكتب سورة يس فى جام أى اناء بزعفران ثم يشربه ومنها من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفورا له ومنها من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات ومنها عن يحيى بن أبى كثير بلغنى ان من قرأ سورة يس ليلا لم يزل فى فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل فى فرح حتى يمسي وقد حدثنى بهذا من جربها ومنها ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات وايما مسلم قرىء عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ سورة يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان ومنها يس لما قرئت له وحكمة اختيار الصالحين فى استعمالها التكرار كاربع أو سبع أو واحد وأربعين اوغير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب فبالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته وان كان الفضل المذكور لا يتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الاحاديث (قوله يس) القراء السبعة على تسكين النون بادغامها فى الواو بعدها او باظهارها وقرىء شذوذا بضم النون وفتحها وكسرها فالاول خبر لمبتدا محذوف اى هذه ومنع من الصرف للعلمية والتانيث والثانى اما على البناء على الفتح تخفيفا كاين وكيف اومفعول به لفعل محذوف تقديره اتل اومجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف والثالث مبنى على الكسر على اصل التخلص من التقاء الساكنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد اقوال فى تفسير الحروف المقطعة كحم وطس وتقدم ان هذا القول أسلم وقيل معناه ياانسان وأصله ياانيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل هو اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اسم للقرآن (قوله والقرآن الحكيم) كلام مستانف لا محل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله انك لمن المرسلين (قوله المحكم) اى المتقن الذى هو فى أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) اى بالمرسلين ويصح ان يكون خبرا ثانيا لان كانه قيل انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم (قوله اى طريق الانبياء قبلك) اى

نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) اى يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم باثابة المؤمنين وعقاب الكافرين

﴿سورة يس مكية او الا قوله واذا قيل لهم انفقوا الآية اومدنية ثنتان وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يس) الله اعلم بمراده به (والقرآن الحكيم) المحكم بعجيب النظم وبديع المعانى (انك) يامحمد (لمن المرسلين على) متعلق بما قبله (صراط مستقيم) اى طريق الانبياء قبلك التوحيد والهدى والتاكيد بالقسم

وقولهم ان شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع وأما الاصول فالكل مستوون فيها ولا يتعلق بها نسخ قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وقال تعالى فبهداهم اقتده (قوله وغيره) اى ان واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدا مقدر) هذا احد وجهين فى الآية والآخر النصب على انه مفعول لمحذوف اى امدح او مفعول مطلق لنزل والقراءتان سبعيتان (قوله لتنذر قوما) أى العرب وغيرهم (قوله فى زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب ما بين اسمعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله فهم غافلون) مرتب على نفى الانذار وقوله أى القوم تفسير للضمير ويصح ان يكون الضمير راجعا للفريقين هم وآباؤهم (قوله لقد حق القول) اى وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين (قوله على أكثرهم) اى اكثر المكلفين فى كل زمن فالاقل متحتم ايمانه والاكثر متحتم كفره وتقدم لنا فى سورة الانعام ان الاقل واحد من ألف (قوله فهم لا يؤمنون) تفريع على ما قبله واشار بذلك الى ان الايمان والكفر بتقدير الله فمن طبعه على احدهما فلا يستطيع التحول عنه وانما الامر بالايمان باعتبار التكليف الظاهرى والنوع الاختيارى ومن هذا قول بعض العارفين

الكل تقدير مولانا وتاسيسه * فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك اذا ازدادت وساوسه * ابليس لما طغى من كان ابليسه

قوله انا جعلنا فى اعناقهم أغلالا) قيل نزلت فى أبى جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان اباجهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر فلما رآه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ اليه رجعت يداه الى عنقه والتصق الحجر بيديه فلما عاد الى اصحابه اخبرهم بما رأى فقال الرجل الثانى وهو الوليد بن المغيرة انا ارضخ رأسه فاتاه وهو يصلى على حالته ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شانك قال شانى عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبيه ما رأيت قط فحلا اعظم منه حال بينى وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لاكلنى فانزل الله تعالى تلك الآية وفيها اشارة الى ما يحصل لهم فى جهنم من السلاسل والاغلال وعمى ابصارهم وفيها ايضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى امتناعهم من الهدى والايمان بحال من غلت يده فى عنقه وعمى بصره بجامع ان كلا ممنوع من الوصول الى المقصود فتحصل ان الآية دالة على الامور الثلاثة سبب النزول وما يحصل لهم فى الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بان تضم اليها الايدى) جعل المفسر هذا توطئة لارجاع الضمير للايدى فى قوله فهى الى الاذقان كانه قال الايدى وان لم يتقدم لها ذكر صراحة فهى مذكورة ضمنا فى قوله الاغلال لان الغل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره اشارة الى ان قوله الى الاذقان متعلق بمحذوف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك ان اليد ترفع تحت الذقن ويلبس الغل فى العنق فتضم اليد اليها تحت الذقن فحينئذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) اى استعارة تمثيلية للمعنى المذكور وفيه اشارة الى سبب النزول والى ما يحصل لهم فى الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فاغشيناهم) هو بالغين المعجمة فى قراءة العامة اى غطينا أبصارهم وقرئ شذوذا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الابصار ليلا والمعنى أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الاعشى (قوله تمثيل) اى استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى سد طرق الايمان عليهم ومنعهم منه بحال من سدت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع ان كلا لا يهتدى لمقصوده

وغيره رد لقول الكفار له لست مرسلا (تنزيل العزيز) فى ملكه (الرحيم) بخلقه خبر مبتدا مقدر أى القرآن (لتنذر) به (قوما) متعلق بتنزيل (ما انذر آباؤهم) اى لم ينذروا فى زمن الفترة (فهم) أى القوم (غافلون) عن الايمان والرشد (لقد حق القول) وجب (على أكثرهم) بالعذاب (فهم لا يؤمنون) اى الاكثر (انا جعلنا فى اعناقهم أغلالا) بان تضم اليها الايدى لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهى) اى الايدى مجموعة (الى الاذقان) جمع ذقن وهى مجتمع اللحيين (فهم مقمحون) رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد انهم لا يذعنون للايمان ولا يخفضون رؤسهم له (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين وضمها فى الموضعين (فاغشيناهم فهم لا يبصرون) تمثيل أيضا لسد طرق الايمان عليهم

(قوله وسواء عليهم أأنذرتهم الخ) هذا نتيجة ماقبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء والمعنى انذارك وعدمه سواء في عدم ايمانهم وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتهما (قوله بتحقيق الهمزتين) اى مع ادخال الف بينهما وتركه فالقراآت خمس لا أربع كما توهمه عبارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال فيه قراءة واحدة وهي سبعيات (قوله ينفع انذارك) جواب عما يقال ان ظاهر الآية يقتضي ان رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هي لقوم مخصوصين وهم من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ويخالف قوله سابقا لتنذر قوما الخ فاجاب المفسر عن ذلك بان محط الحصر الانذار النافع فلا ينافي وجود غيره لمن لم ينتفع به (قوله بالغيب) يصح ان يكون حالا من الفاعل او المفعول وتقدم نظيره (قوله فبشره بمغفرة الخ) تفريع على ماقبله اشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله انا نحن نحيي الموتى) اى نبعثهم في الآخرة للمجازاة على اعمالهم (قوله ونكتب ماقدموا) ان قلت ان الكتابة متقدمة قبل الاحياء اذهي في الدنيا والاحياء يكون في الآخرة أجيب بانه قدم الاحياء اعتناء بشانه اذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة (قوله في اللوح المحفوظ) المناسب ان يقول في صحف الملائكة لان الكتابة التي تكون في حياة العباد انما هي في صحف الملائكة وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق (قوله ما استن به بعدهم) اى من خير كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو شر كمكس رتبوه اوضلالة أحدثوها أو غير ذلك لما في الحديث من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل أجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من وزرهم شيء (قوله نصبه بفعل يفسره الخ) اى فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ان يضرب لقومه مثلا لعلهم يتعظون فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الاوضح ان يجعله مفعولا أول (قوله انطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة وهي مدينة بارض الروم ذات سور عظيم من صخر وهي بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلا وحاصل تلك القصة ان عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين الى أهل انطاكية اسم أحدهما صادق والثاني مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرىء الاكمه والابرص باذن الله تعالى وذلك كرامة لهما ومعجزة لنبيهما لانه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته قال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله فاتى بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخا فدعا بهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتتبعهما الناس فاخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ووضعوهما في السجن فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفى على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فاني أرى ايها الملك ان تدعوهما حتى نطلع على ماعندهما فدعاهما الملك فقال شمعون من ارسلكما الى ههنا قالا الله

(وسواء عليهم أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى وتركه (ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر) ينفع انذارك (من اتبع الذكر) القرآن (وخشي الرحمن بالغيب) خافه ولم يره (فبشره بمغفرة واجر كريم) هو الجنة (انا نحن نحيي الموتى) للبعث (ونكتب) في اللوح المحفوظ (ماقدموا) في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه (وآثارهم) ما استن به بعدهم (وكل شيء) نصبه بفعل يفسره (احصيناه) ضبطناه (في امام مبين) كتاب بين هو اللوح المحفوظ (واضرب) اجعل (لهم مثلا) مفعول اول (اصحاب) مفعول ثان (القرية) انطاكية (اذ جاءها)

الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال شمعون فصفاه واوجزا قالا انه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون الملك ان أنت سالت آلهتك حتى يضعوا مثل هذا كان لك الشرف ولآلهتك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال انى ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركا فادخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده الى صاحبيه وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن عيسى روح الله وكلمته فعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم ويذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين (قوله الى آخره) أى آخر القصة وهو قوله الا كانوا به يستهزؤن (قوله المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أى رسل عيسى) هذا هو المشهور وقيل انهم رسل من الله من غير واسطة عيسى ارسلوا الى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من اذ الاولى) أى بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا انا اليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بان لتقدم الانكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقالتهم (قوله قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) أى فلا مزية لكم علينا (قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويجاب كما يجاب به القسم (قوله لزيادة الانكار) أى حيث تعدد ثلاث مرات (قوله وهى ابراء الاكمه) أى الاعمى (قوله قالوا انا تطيرنا بكم) التطير التفاؤل سمى بذلك لانهم كانوا يتفاءلون بالطير اذا أرادوا سفرا أوغيره فان ذهب ميمنة قالوا خير وان ذهب ميسرة قالوا شر (قوله لانقطاع المطر عنا بسببكم) قيل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حنثوا فيه لان الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ماحلفوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طائركم حاصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وادخال الف) أى وتركه فالقراآت أربع سبعيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى أنه اذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهو مذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهو محل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه والمعنى لا ينبغى ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظتم بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشرككم) أى بعد ظهور المعجزات وهذا الخطاب لمن بقى على الكفر منهم وهم الذين رجموا حبيبا النجار واهلكهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى انطاكية المعبر عنها اولا بالقرية وعبر عنها بالمدينة اشارة الى عظمها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) اى ابن اسرائيل كان يصنع لهم الاصنام وهو ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما

الى آخره بدل اشتمال من اصحاب القرية (المرسلون) اى رسل عيسى (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) الى آخره بدل من اذ الاولى (فعززنا) بالتخفيف والتشديد قوينا الاثنين (بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان) ما (أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم) جار مجرى القسم وزيد التاكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الانكار فى (انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين) التبليغ البين الظاهر بالادلة الواضحة وهى ابراء الاكمه والابرص والمريض واحياء الميت (قالوا انا تطيرنا) تشاءمنا (بكم) لانقطاع المطر عنا بسببكم (لئن) لام قسم (لم تنتهوا لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب اليم) مؤلم (قالوا طائركم) شؤمكم (معكم) بكفركم (ائن) همزة استفهام دخلت على ان الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وادخال الف بينهما بوجهيها وبين الاخرى (ذكرتم) وعظتم وخوفتم وجواب الشرط محذوف اى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بل انتم قوم مسرفون) متجاوزون الحد بشرككم (وجاء من اقصى المدينة رجل) هو حبيب النجار وفى

وفى الحقيقة كل نبي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره بمصداق قوله تعالى واذاخذ الله ميثاق النبيين الآية وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وأما غيره من الانبياء فلم يؤمن به أحد الا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسل) اى رسل عيسى وسبب ايمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض وقيل انه هو كان مجذوما وعبد الاصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف فلما دعاه الرسل الى عبادة الله قال لهم هل من آية قالوا له ندعو ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال ان هذا لعجيب قد عبدت هذه الاصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه فهل يستطيع ربكم تفريجه فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على كل شيء قدير فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن (قوله يشتد عدوا) اى يسرع فى مشيته حرصا على نصح قومه والدفع عن الرسل (قوله تاكيد للاول) اى تاكيد لفظى فلفظ اتبعوا الثانى تاكيد للفظ اتبعوا الاول من توكيد الفعل بالفعل (قوله من لا يسئلكم أجرا) بدل من المرسلين والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين الذين لم يريدوا منكم العرض الفانى اذ لو كانوا غير مخلصين لطلبوا منكم المال ونازعوكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية وهو تعريض لهم بالاتباع أى فاهتدوا أنتم تبعا لهم (قوله انت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله ومالى لا أعبد الذى فطرنى) تلطف فى ارشادهم وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم والاحسن ان فى الآية احتباكا حيث حذف من الاول نظير ما اثبته فى الآخر والاصل ومالى لا اعبد الذى فطرنى وفطركم واليه ترجعون وارجع (قوله الموجود مقتضيها) أى وهو كون الله فطره وخلقه (قوله فى الهمزتين منه ما تقدم) أى من القراآت الاربع وتقدم انها خمسة التحقيق وتسهيل الثانية بالف ودونها وابدال الثانية الفا وهى سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النفى) أى وهو انكارى (قوله من دونه) يصح ان يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخذوا على انها متعدية لاثنين وآلهة مفعول اول مؤخر ويصح ان يكون حالا من آلهة أو متعلقا باتخذوا على انها متعدية لواحد (قوله لا تغن عنهم شفاعتهم) أى لا تنفعنى شفاعتهم فهو من الغناء بالفتح وهو النفع ومنه قول البوصيرى * فان مافى اليتيم عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أى جملة ان يردن الرحمن الخ فهى فى محل نصب والاوضح ان تكون مستانفة سيقت لتعليل النفى المذكور لان جعلها صفة يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك (قوله ان عبدت غير الله) اشار بذلك الى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال مبين) اى لثبوت الادلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى نون الوقاية حذفت بعدها ياء الاضافة وقرىء شذوذا بفتحها ولا وجه له فى العربية لان فعل الامر يبنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ما قلته لكم وهو اتبعوا المرسلين الخ (قوله فرجموه فمات) أى وهو يقول اللهم اهد قومى وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره فى سور انطاكية وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه الا فى الجنة وفى رواية انهم قتلوا معه الرسل الثلاثة ووضعوهم فى بئر وهو الرس (قوله وقيل له عند موته) هذا احد اقوال ثلاثة اقتصر المفسر على اثنين منها والثالث ان هذا القول كناية عن البشرى بانه يدخل الجنة (قوله وقيل دخلها حيا) اى فحين هموا بقتله رفعه الله من بينهم وادخله الجنة حيا اكراما له كما وقع لعيسى انه رفع الى السماء (قوله قال ياليت قومى) اى وهم الذين نصحهم أولا فقد نصحهم حيا وميتا (قوله بغفرانه) اشار بذلك الى ان ما مصدرية ويصح ان تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح ان تكون استفهامية اى باى شيء غفر لى اى بامر عظيم وهو توحيدى وصدعى بالحق (قوله وما انزلنا على قومه الخ) هذا تحقير لهم وتصغير لشانهم والمعنى لم نحتج فى اهلاكهم الى ارسال

كان قد آمن بالرسل ومنزله باقصى البلد (يسعى) يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم الرسل (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا) تاكيد للاول (من لا يسئلكم اجرا) على رسالته (وهم مهتدون) فقيل له انت على دينهم فقال (ومالى لا اعبد الذى فطرنى) خلقنى اى لا مانع لى من عبادته الموجود مقتضيها وانتم كذلك (واليه ترجعون) بعد الموت فيجازيكم بكفركم (أأتخذ) فى الهمزتين منه ما تقدم فى اانذرتهم وهو استفهام بمعنى النفى (من دونه) اى غيره (آلهة) اصناما (ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم) التى زعمتموها (شيا ولا ينقذون) صفة آلهة (انى اذا) اى ان عبدت غير الله (لفى ضلال مبين) بين (انى آمنت بربكم فاسمعون) اى اسمعوا قولى فرجموه فمات (قيل) له عند موته (ادخل الجنة) وقيل دخلها حيا (قال يا) حرف تنبيه (ليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى) بغفرانه (وجعلنى من المكرمين وما) نافية (انزلنا على قومه) اى حبيب (من بعده)

(الاصيحة واحدة) صاح بهم جبريل (فاذا هم خامدون) ساكنون ميتون (ياحسرة على العباد) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فاهلكوا وهى شدة التألم ونداؤها مجاز اى هذا اوانك فاحضرى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى الى اهلاكهم المسبب عنه الحسرة (ألم يروا) اى اهل مكة القائلون للنبى لست مرسلا والاستفهام للتقرير اى علموا (كم) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة ماقبلها عن العمل والمعنى انا (اهلكنا قبلهم) كثيرا (من القرون) الامم (انهم) اى المهلكين (اليهم) أى المكيين (لا يرجعون) افلا يعتبرون بهم وانهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وان) نافية او مخففة (كل) اى كل الخلائق مبتدأ (لما) بالتشديد بمعنى الا او بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة (جميع) خبر المبتدا اى مجموعون (لدينا) عندنا فى الموقف بعد بعثهم (محضرون) للحساب خبر ثان (وآية لهم) على البعث خبر مقدم (الارض الميتة) بالتشديد والتخفيف (احييناها) بالماء مبتدأ (واخرجنا منها حبا) كالحنطة (فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات) بساتين (من نخيل واعناب وغيرها

جنود من الملائكة بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلا وقوله وما كنا منزلين اى لم يكن شأننا وعادتنا ارسال جنود لاهلاك احد من الامم قبلهم بل اذا اردنا اهلاكا كان مايكون بغير الملائكة كصيحة اورجفة أو غير ذلك * ان قلت ان الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه * اجيب بان انزالهم تكرمة للنبى واصحابه لا للاهلاك العام وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعد موته) اى أو بعد رفعه حيا على القول الآخر (قوله لاهلاك احد) اى من الامم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون) اى فشبهوا بالنار الخامدة لانقطاع النفع فى كل (قوله ياحسرة على العباد) يحتمل ان يكون من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين والمراد بالعباد جميع الكفار قال للجنس وقيل المراد بالعباد نفس الرسل وعلى بمعنى من والقائل ذلك الكفار والتقدير ياحسرة علينا من مخالفة العباد والاوجه الاول الذى مشى عليه المفسر (قوله الا كانوا به يستهزؤن) الجملة حالية من مفعول يأتيهم (قوله مسوق الخ) اى فهو استئناف واقع فى جواب سؤال مقدر كانه قيل ماوجه التحسر عليهم فقيل ما يأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) اى بواسطة فان الاستهزاء سبب لاهلاكهم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) اى دلالته (قوله ألم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لاهلكنا مقدم وقبلهم ظرف لاهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفى (قوله معمولة لما بعدها) اى وليست معمولة ليروا لان كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ماقبلها فيها (قوله معلقة ماقبلها عن العمل) ان قلت ان كم الخبرية لا تعلق وانما التعليق للاستفهامية قال ابن مالك

وان ولا لام ابتداء أو قسم * كذا والاستفهام ذا له انحتم

اجيب بان الخبرية اجريت مجرى الاستفهامية فى التعليق (قوله والمعنى انا اهلكنا) أى وقد علموا ذلك (قوله بدل مما قبله) اى بدل اشتمال لان اهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم او بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كان اهلاكهم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) اى وهو قوله انا اهلكنا الخ والمعنى قد علموا اهلاكنا كثيرا من القرون السابقة المشتمل على عدم عودهم الى هؤلاء الباقين وهم اهل مكة فينبغى ان يعتبروا بهم (قوله نافية) اى ولما بالتشديد بمعنى الا وقوله أو مخففة أى مهملة ولما بالتخفيف واللام فارقة (قوله وما زائدة) للتأكيد فقد اغنت عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد فتحصل ان من شدد لما جعلها بمعنى الا وان نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالبصريون على أن ان مخففة واللام فارقة وما زائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى الا وان نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أى كل الخلائق) اشار بذلك الى ان التنوين عوض عن المضاف اليه (قوله اى مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بان كل اشير بها الاستغراق الافراد وجميع اشير بها الاجتماع الكل فى مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) اى علامة ظاهرة ودالة على الاحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله احييناها اشارة الى انه صفة للارض والصفة مع الموصوف كالشئ الواحد (قوله وجعلنا) عطف على احييناها (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند اهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلا خلاف اذا علمت ذلك فقول المفسر فيما يأتى من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب

وغيرها (قوله وفجرنا) بالتشديد فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالتخفيف (قوله اى بعضها) أشار
بذلك الى ان من تبعيضية و يصح ان تكون زائدة (قوله بفتحتين وبضمتين) اى فهما قراءتان سبعيتان
(قوله اى ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال ان الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية فاجاب بانه أفرد باعتبار
ماذكر (قوله اى لم تعمل الثمر) أشار بذلك الى ان ما نافية والمعنى انه ليس لهم ايجاد شئ بل الفاعل
والمنبت هو الله تعالى كما قال فى الآية الاخرى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ويصح ان تكون
موصولة اى ومن الذى عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية اى ومن عمل أيديهم واثبات
العمل للايدى من حيث الكسب (قوله أفلا يشكرون) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير
أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها اى بحيث لا يصرفونها فى مصارفها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر
ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحان الذى خلق الازواج) أى تنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به
(قوله الاصناف كلها) اى فكل زوج صنف لانه مختلف فى الالوان والطعوم والاشكال والصغر
والكبر فاختلافها هو ازدواجها (قوله مما تنبت الارض) بيان للازواج وكذا ما بعده فتحصل ان هذه
الامور الثلاثة لا يخرج عنها شئ من أصناف المخلوقات (قوله الغريبة) اى كالتى فى السموات والتى
تحت الارضين وكل ما لم يكن مشاهدا لنا عادة (قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ذكر الله تعالى فى هذه
الآية ما يتضمن علم الميقات الذى تجب معرفته وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضي الله عنه مقدمة
لطيفة فى هذا الشان كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى * وحاصلها بحروفها فائدة أسماء الشهور
القبطية توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمهات برموده بشنس بؤنه أبيب مسرى
أسماء البروج ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت حمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبله
ولا يدخل توت الذى هو أول السنة القبطية الا بعد خمسة أيام اوستة بعد مسرى وتسمى أيام النسئ
وفصول السنة اربعة فصل الخريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف واول
فصل الخريف انتقال الشمس الى برج الميزان وذلك فى نصف توت وفى تلك الليلة يستوى
الليل والنهار ثم كل ليلة تزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة الى نصف بابه تنتقل
الشمس الى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثلث درجة الى نصف هاتور تنتقل الشمس الى برج
القوس فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال
بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس الى طلوعها اربع عشرة ساعة فيصلى الفجر على ثنتى عشرة
ساعة وست درج ومن طلوعه الى الشمس اربع وعشرون درجة وذلك فى آخر يوم من فصل
الخريف منتصف كيهك ثم تنتقل الشمس الى برج الجدى وهو اول فصل الشتاء فيأخذ الليل فى
النقص والنهار فى الزيادة فيزيد النهار كل يوم سدس درجة ثلاثين يوما بخمس درج الى نصف طوبة
فتنتقل الشمس الى برج الدلو فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة الى نصف امشير فتنتقل الى برج
الحوت فتسميها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة الى
نصف برمهات فتنتقل الشمس الى برج الحمل و يسميها العامة بالشمس الكبيرة وهو اول فصل الربيع
وفيه الاعتدال الربيعى يستوى الليل فى تلك الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما فى برج
الحوت الذى قبله الى منتصف برموده فتنتقل الشمس الى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة
بعشرة الى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة الى نصف
بؤنه فتنتقل الى برج السرطان وهو اول فصل الصيف وبه ينتهى طول النهار فيكون النهار من طلوع
الشمس الى غروبها أربع عشرة ساعة وينتهى قصر الليل فيكون من الغروب الى طلوع الشمس عشرة

وفجرنا فيها من العيون)
اى بعضها (ليأكلوا من
ثمره) بفتحتين وبضمتين
اى ثمر المذكور من النخيل
وغيره (وما عملته أيديهم)
اى لم تعمل الثمر (أفلا
يشكرون) أنعمه تعالى
عليهم (سبحان الذى خلق
الازواج) الاصناف (كلها
مما تنبت الارض) من
الحبوب وغيرها (ومن
أنفسهم) من الذكور
والاناث (ومما لا يعلمون)
من المخلوقات العجيبة
الغريبة (وآية لهم)
على القدرة العظيمة (الليل

وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة ثم ينقص النهار ويأخذ الليل فى الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة الى خامس عشر ابيب فتنتقل الشمس الى برج الاسد فيزيد كل يوم ثلث درجة الى نصف مسرى فتنتقل الى السنبلة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة الى نصف توت اول السنة فقد علمت ان الدرج الذى يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات وان الاعتدال يكون فى السنة مرتين مرة فى نصف توت الذى هو اول السنة القبطية وهو اول فصل الخريف والمرة الثانية فى نصف برمهات اول فصل الربيع وان مبدأ زيادة النهار من الفصل الذى قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالاسداس ثم ثلاثين بالاثلاث ثم ثلاثين بالانصاف لاول فصل الربيع فيحصل الاعتدال ثم ثلاثين بالانصاف ايضا الى نصف برموده ودخول الشمس فى الثور فمدة زيادة الانصاف ستين من نصف امشير ودخول الشمس فى الحوت الى نصف برموده ثم ثلاثين بالاثلاث الى نصف بشنس ودخول الشمس فى الجوزاء ثم ثلاثين بالاسداس الى نصف بؤنه ودخول الشمس فى السرطان فيأخذ الليل فى الزيادة بالاسداس ثلاثين ليلة الى نصف ابيب ودخولها فى الاسد ثم ثلاثين بالاثلاث الى نصف مسرى ثم بالانصاف الى نصف توت ثم بالانصاف ايضا الى نصف بابه ثم بالاثلاث الى نصف هاتور ثم بالاسداس الى نصف كيهك ثم يعدو النهار على الليل فسبحان الله المقدر الامور القادر على كل شيء العليم الحكيم اه (**قوله وآية**) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره (**قوله نسلخ الخ**) بيان الكيفية كونه آية (**قوله نفصل منه النهار**) اى نزيله عنه لكونه كالساتر له فاذا زال الساتر ظهر الاصل فالليل اصل متقدم فى الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله فاذاهم مظلمون وهذا لا ينافى ما يأتى فى قوله ولا الليل سابق النهار لان معناه لا يأتى الليل قبل وقته المقدر له بأن يأتى فى وقت الظهر مثلا وهذا غير ما هنا فتحصل ان معنى السلخ الفصل والازالة وليس المراد به الكشف والا لقال فاذاهم مبصرون لانه يصير المعنى وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار (**قوله داخلون فى الظلام**) اى فيقال اظلم القوم اذا دخلوا فى الظلام واصبحوا اذا دخلوا فى الصباح (**قوله من جملة الآية**) اى فهو عطف مفردات على قوله الارض وقوله وآية اخرى اى فيكون عطف جمل (**قوله لمستقر لها**) اى مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها فى ان تطلع من مطلعها فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من المغرب وهذا هو الصحيح عند اهل السنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر حين غربت الشمس اتدرى اين ذهبت الشمس قال الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقيل ان الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من اهل الارض وان كنا لا نعرفه وهذا قول الحكماء ويؤيده ما قاله الفقهاء ان الاوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحى فقد يكون المغرب عندنا عصرا عند آخرين وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط واختلف فى العشاء حينئذ فقالت الحنفية بسقوطها وقالت الشافعية ووافقهم المالكية يقدر لهم باقرب البلاد اليهم ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم وتسمى اداء ولا حرمة عليهم فى ذلك وعلى ما قالته الحكماء فاختلف فى مستقر الشمس فقيل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل مستقرها هو سيرها فى منازلها حتى تنتهى الى

نسلخ) نفصل (منه النهار فاذاهم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) الى آخره من جملة الآية لهم او آية اخرى والقمر كذلك (لمستقر لها) اى اليه لا تتجاوزه (ذلك) اى جريها (تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه

(والقمر) بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (قدرناه) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلاً فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر و يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما او ليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (حتى عاد) فى آخر منازله فى رأى العين (كالعرجون القديم) اى كعود الشماريخ اذا عتق فانه يرق ويتقوس ويصفر (لا الشمس ينبغى) يسهل و يصح (لها ان تدرك القمر) فتجتمع معه فى الليل (ولا الليل سابق النهار) فلا يأتى قبل انقضائه (وكل) تنوينه عوض عن المضاف اليه من الشمس والقمر والنجوم (فى فلك) مستدير (يسبحون) يسيرون نزلوا منزلة العقلاء (وآية لهم) على قدرتنا (انا حملنا ذريتهم) وفى قراءة ذرياتهم اى آباءهم الاصول (فى الفلك) اى سفينة نوح (المشحون) المملوء (وخلقنا لهم من مثله) اى مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (ما يركبون) فيه (وان نشا نغرقهم) مع ايجاد السفن (فلا صريخ) مغيث (لهم ولا هم ينقذون) ينجون (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) اى لا ينجيهم الا رحمتنا لهم وتمتيعنا اياهم بلذاتهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم) من عذاب الدنيا كغيركم (وما خلفكم) من عذاب الآخرة (لعلكم ترحمون) اعرضوا (وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل) اى قال فقراء الصحابة (لهم انفقوا) علينا (مما رزقكم الله) من الاموال

مستقرها التى لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء (قوله والقمر) اختلف فيه هل لكل شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لكل شهر فقال الرملى من أئمة الشافعية ان لكل شهر قمرا جديدا ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غاب الاحاديث انه متحد (قوله بالرفع) أى على انه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب يفسره ما بعده) اى فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك الى ان قوله منازل ظرف لقوله قدرناه والتقدير قدرنا سيره فى منازل ويصح جعله حالا على حذف مضاف والتقدير ذا منازل (قوله اى كعود الشماريخ) جمع شمراخ وهو عيدان العنقود الذى عليه الرطب (قوله اذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فانه يدق و يتقوس و يصفر) اى فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر) اى بحيث تاتى فى وسط الليل لان ذلك يخل بتلوين النبات و نفع الحيوان و يفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لان سير القمر أسرع لانه يقطع الفلك فى شهر والشمس لا تقطع فلكها الا فى سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك الشمس فى سيرها ولكن لا سلطنة له (قوله ولا الليل سابق النهار) اى لا ياتى الليل فى اثناء النهار قبل ان ينقضى كان ياتى فى وقت الظهر مثلا (قوله وكل فى فلك يسبحون) قال ابن عباس يدورون فى فلكة كفلكة المغزل (قوله والنجوم) أى المدلول عليها بذكر الشمس والقمر (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع الذكور والذى سوغ ذلك وصفهم بالسباحة التى هى من اوصاف العقلاء (قوله وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا فى تاويل مصدر مبتدأ مؤخر اى حملنا ذريتهم فى الفلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله اى آباءهم الاصول) اشار بذلك الى ان لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الاصول لانه من الذرء وهو الخلق فاندفع ما يقال ان الذى حمل فى سفينة نوح اصول اهل مكة لا فروعهم وهذا اوضح ما قررت به هذه الآية (قوله المملوء) اى لان نوحا جعله ثلاث طبقات السفلى وضع فيها السباع والهوام والوسطى جعل فيها الدواب والانعام والعليا وضع فيها الآدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله والمعنى جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق وعلمناهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا بها (قوله من مثله) من اما زائدة او تبعيضية وعلى كل فمدخولها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو ما عملوه) هذا احد اقوال ثلاثة فى تفسير المثل والثانى انه خصوص الابل والثالث انه مطلق الدواب التى تركب (قوله بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال عادة الله تعالى اضافة صفة العبيد لانفسهم وان كان هو الخالق لها حقيقة فلم اضافها لنفسه فاجاب بان التعليم والهداية لما كانتا منه اضاف الخلق له لان سفينة نوح التى هى اصل السفن كانت بمحض تعليم الله والهامه له (قوله مع ايجاد السفن) اى ومع ركوبهم لها (قوله فلا صريخ لهم) الصريخ بمعنى الصارخ يطلق على المستغيث وعلى المغيث فهو من تسمية الاضداد والمراد الثانى (قوله الا رحمة منا) الا اداة استثناء ورحمة مفعول لاجله وهو استثناء مفرغ من عموم الاحوال والمعنى لا ننجيهم لشىء من الاشياء الا لاجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الامد الذى سبق فى علمنا (قوله كغيركم) اى وهم المؤمنون (قوله من عذاب الآخرة) اشار بذلك الى ان لفظ الخلف كما يطلق على ما مضى يطلق على ما ياتى فهو من تسمية الاضداد وسمى ما ياتى خلفا لغيبته عنا (قوله اعرضوا) قدره اشارة الى ان جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما تاتيهم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعيضية (قوله الا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله واذا قيل لهم انفقوا الخ)

آمنوا) استهزاء بهم (انطعم من لو يشاء الله اطعمه) فی معتقدکم هذا (ان) ما (انتم) فی قولکم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (الا فی ضلال مبين) بين والتصريح بكفرهم موقع عظيم (ويقولون متى هذا الوعد) بالبعث (ان كنتم صادقين) فيه قال تعالى (ماينظرون) ای ماینتظرون (الا صيحة واحدة) وهی نفخة اسرافيل الاولى (تاخذهم وهم يخصمون) بالتشديد اصله يختصمون نقلت حركة التاء الى الخاء وادغمت فی الصاد ای وهم فی غفلة عنها بتخاصم وتبايع واكل وشرب وغير ذلك وفی قراءة يخصمون كيضربون ای يخصم بعضهم بعضا (فلا يستطيعون توصية) ای ان يوصوا (ولا الى اهلهم يرجعون) من اسواقهم واشغالهم بل يموتون فيها (ونفخ فی الصور) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين اربعون سنة (فاذا هم) ای المقبورون (من الاجداث) القبور (الى ربهم ينسلون) يخرجون بسرعة (قالوا) ای الكفار منهم (يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا وهو مصدر

اشار بذلك الى انهم كما تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة كالعاص بن وائل السهمی وغيره كان اذا ساله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى منی بك قد منعك الله افاطعمك انا وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون لا نعطی من حرمه الله ولم يعلموا ان الفقراء يحملون زاد الاغنياء للآخرة ولولا الفقراء ما انتفع الغنی بغناه (قوله قال الذين كفروا) ای بالصانع ای ينكرون وجوده وهم فرقة من جبابرة مكة (قوله من لو يشاء الله اطعمه) مفعول انطعم وقوله اطعمه جواب لو (قوله فی معتقدكم) ای ايها الفقراء المؤمنون لا فی معتقد الكفار الاغنياء فانهم ينكرون الصانع كما علمت (قوله فی قولكم لنا ذلك) اشار بذلك الى ان هذا من كلام الكفار للمؤمنين ويؤيده ما روی ان ابا بكر الصديق رضی الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه ابو جهل فقال يا أبا بكر أتزعم ان الله قادر على اطعام هؤلاء قال نعم قال فما باله لم يطعمهم قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالغنى وأمر الفقراء بالصوم والاغنياء بالاعطاء فقال ابوجهل والله يا أبا بكر ان انت الا فی ضلال اتزعم ان الله قادر على اطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم انت وقيل انه من كلام المؤمنين للكفار وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) ای وهو التبكيت والتقبيح عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى (قوله ای ماينتظرون) هذا مجاراة لاول كلامهم لان شان من يسال عن الشیء ان يكون معترفا بوجوده والا فهم جازمون بعدمها (قوله الاولى) ای وهی التی يموت عندها من كان موجودا على وجه الارض (قوله نقلت حركة التاء الى الخاء) ای بتمامها او بعضها فهما قراءتان (قوله وادغمت) ای بعد قلبها صادا وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء ٣ وقوله وفی قراءة الخ تلخص من كلامه ان القراآت هنا ثلاث وبقی رابعة وهی فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وعلى هذه القراءة فحركة الخاء ليست حركة نقل وانما هی لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على اصل التخلص من التقاء الساكنين وكل تلك القراآت سبعية (قوله ای وهم فی غفلة عنها) اشار بهذا الى ان المراد من الاختصام لازمه وهو الغفلة التی ينشا عنها الاختصام وغيره وفی الحديث لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقی فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاری (قوله ای يخصم بعضهم بعضا) بيان لحاصل المعنى والمفعول محذوف على القراءة الاخيرة (قوله ای ان يوصوا) ای على اولادهم واموالهم (قوله ولا الى اهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله وبين النفختين اربعون سنة) هذا هو الصحيح وقيل اربعون يوما وقيل غير ذلك (قوله ای المقبورون) ای من شانه ان يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من اكلته السباع ونحوه (قوله من الاجداث) جمع جدث كفرس وافراس وقرئ شذوذا الاجداف بالفاء وهی لغة فی الاجداث (قوله يخرجون بسرعة) ای يسرعون فی مشيهم قهرا لا اختيارا (قوله ای الكفار) ای لا كل الخلائق اذ المؤمنون يفرحون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للتنبيه) دفع بذلك ما يقال ان النداء مختص بالعقلاء فكيف ينادی الويل وهو لا يعقل فاجاب بان يا للتنبيه والمعنى تنبهوا فان الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة باضافته الى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تانيث وقرئ شذوذا يا ويلتنا بتاء التانيث ويا ويلتی بابدال الياء الفا وعلى

٣ (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا انما هو فی الماضی الذی هو اختصم راجع حاشية العلامة الجمل

لا فعل له من لفظه (من بعثنا من مرقدنا) لانهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا (هذا) اى البعث (ما) اى الذى (وعد) به الرحمن وصدق) فيه (المرسلون) اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل يقال لهم ذلك (ان) ما (كانت الا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا) عندنا (محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل) بسكون الغين وضمها عما فيه اهل النار مما يلتذون به كافتضاض الابكار لا شغل يتعبون فيه لان الجنة لا نصب فيها (فاكهون) ناعمون خبر ثان لان والاول فى شغل (هم) مبتدا (وازواجهم فى ظلال) جمع ظلة او ظل خبر اى لا تصيبهم الشمس (على الارائك) جمع اريكة وهو السرير فى الحجلة او الفرش فيها (متكئون) خبر ثان متعلق على (لهم فيها فاكهة ولهم) فيها (ما يدعون) يتمنون (سلام) مبتدا (قولا) اى بالقول خبره (من رب رحيم) بهم اى يقول لهم سلام عليكم

قراءة الافراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لا فعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلك (قوله من بعثنا) قرأ العامة بفتح ميم من على انها استفهامية مبتدأ وجملة بعثنا خبره وقرئ شذوذا بكسر الميم على انها حرف جر وبعثنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعلق بويلنا وقوله من مرقدنا متعلق بالبعث والمرقد يصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان أى من رقادنا أو من مكان رقادنا (قوله لانهم كانوا بين النفختين نائمين) أى حين يرفع الله عنهم العذاب فيرقدون قبيل النفخة الثانية فيذوقون طعم النوم فاذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ما وعد الرحمن الخ) مفعول وعد وصدق محذوف والتقدير ما وعدنا به الرحمن وصدقنا فيه المرسلون (قوله أقروا الخ) أشار بذلك الى أن هذه الجملة من كلام الكفار فهى فى محل نصب مقول القول كأنهم لما سألوا فلم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أى من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى وانما عدلوا عن جواب سؤالهم لان الباعث لهم معلوم وانما لهم السؤال عن البعث (قوله ان كانت) أى النفخة الثانية (قوله الا صيحة واحدة) أى وهى قول اسرافيل ايتها العظام النخرة والاوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة ان الله يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فاذاهم جميع لدينا محضرون) أى مجموعون فى موقف الحساب (قوله فاليوم لا تظلم نفس شيا) هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب (قوله ان أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه اذا ذكر أحوال أهل النار اتبعه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله فى شغل) أبهمه ونكره اشارة الى تعظيمه ورفعة شانه والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية كالتفكه بالاكل والشرب والسماع وضرب الاوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون الغين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كافتضاض الابكار) أى لما روى أن أهل الجنة كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكارا فيفتضونهن من غير قذر ولا ألم (قوله فاكهون) من الفكاهة بفتح الفاء وهى التنعم والتلذذ (قوله هم وأزواجهم) هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم (قوله جمع ظلة) أى كقباب جمع قبة وزنا ومعنى (قوله أو ظل) أى كشعاب جمع شعب (قوله أى لا تصيبهم الشمس) أى لعدم وجودها (قوله فى الحجلة) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها وهى قبة تعلق على السرير وتزين به العروس (قوله أو الفرش فيها) أى فى الحجلة فالاريكة فيها قولان قيل هى السرير الكائن فى الحجلة أو الفرش الكائن فيها (قوله متعلق على) أى قوله على الارائك فتحصل أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه وفى ظلال خبر أول ومتكئون خبر ثان وعلى الارائك متعلق بمتكئون قدم عليه رعاية للفاصلة (قوله لهم فيها فاكهة) أى من كل نوع من أنواع الفواكه لا مقطوع ولا ممنوع قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة (قوله ولهم ما يدعون) أصله يدتعيون بوزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى ما قبلها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما ثم أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال والمعنى يعطى أهل الجنة جميع ما يتمنونه ويشتهونه حالا من غير بطء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الاعاريب وقيل انه بدل من قوله ما يدعون أو صفة لما او خبر لمبتدا محذوف (قوله اى بالقول) اشار بذلك الى ان قولا منصوب بنزع الخافض و يصح ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدا والخبر (قوله اى يقول لهم سلام عليكم) اشار بذلك الى ان الجملة معمولة لمحذوف والمعنى ان الله تعالى يتجلى لاهل الجنة ويقرؤهم السلام لما فى الحديث بينما اهل الجنة فى نعيم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون

(و) يقول (امتازوا اليوم ايها المجرمون) اى انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم (ألم اعهد اليكم) آمركم (يا بنى آدم) على لسان رسلى (أن لا تعبدوا الشيطان) لا تطيعوه (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (وان اعبدونى) وحدونى واطيعونى (هذا صراط) طريق (مستقيم ولقد اضل منكم جبلا) خلقا جمع جبيل كقديم وفى قراءة بضم الباء (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) عداوته واضلاله او ما حل بهم من العذاب فتؤمنون ويقال لهم فى الآخرة (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم) اى الكفار لقولهم والله ربنا ما كنا مشركين (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم) وغيرها (بما كانوا يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر منه (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) لاعميناها طمسا (فاستبقوا) ابتدروا (الصراط) الطريق ذاهبين كعادتهم (فانى) فكيف (يبصرون) حينئذ أى لا يبصرون (ولو نشاء لمسخناهم) قردة وخنازير اوحجارة (على مكانتهم) وفى قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان اى فى منازلهم (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) اى لم يقدروا على ذهاب ولا مجئ (ومن نعمره) باطالة اجله (ننكسه) وفى قراءة بالتشديد من التنكيس (فى الخلق) اى خلقه اى فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفا وهرما (افلا يعقلون) ان القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفى قراءة بالتاء

اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم (قوله ويقول امتازوا الخ) أشار بذلك الى ان هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضا (قوله عند اختلاطهم به) أى حين يسار بهم الى الجنة لما ورد فى الحديث ما معناه اذا كان يوم القيامة ينادى مناد كل أمة تتبع معبودها فتبقى هذه الامة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى ننظر معبودنا فيظهر لهم عن يمين العرش ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم فى نقرة ابهامه لوسعهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يأتى عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فيريد المنافقون ان يسجدوا فيصير ظهرهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم اعهد اليكم) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمراد بالعهد ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الاوامر والنواهى (قوله آمركم) اى وانها كم ففيه اكتفاء (قوله ان لا تعبدوا الشيطان) ان تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل مجزوم بها (قوله انه لكم عدو مبين) تعليل لوجوب الانتهاء (قوله ولقد أضل منكم) تاكيد للتعليل (قوله جبلا) بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام (قوله وفى قراءة بضم الباء) اى مع ضم الجيم وبقى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل (قوله هذه جهنم) هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع (قوله اصلوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم (قوله اليوم نختم على افواههم) أى ختما يمنعها عن الكلام النافع فلا ينافى قوله تعالى فى الآية الاخرى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وهذا مرتبط بقوله اصلوها اليوم روى انهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر عنهم فى الدنيا ويتخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون انهم ما كانوا مشركين ويقولون لا نجيز علينا شاهدا الا من انفسنا فيختم على افواههم ويقال لاركانهم انطقوا فتنطق بما صدر منهم وحكمة اسناد الختم لنفسه والشهادة للايدى والارجل دفع توهم ان نطقها جبرا والمجبور غير مقبول الشهادة فافادك ان نطقها اختيارى (قوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الخ) مفعول المشيئة محذوف اى لو نشاء طمسها لفعلنا وقوله فاستبقوا الصراط اى ارادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين فى حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله فانى يبصرون استفهام انكارى مرتب على ماقبله اى فلا يبصرونه (قوله ولو نشاء لمسخناهم الخ) يقال فيها ما قيل فيما قبلها والمسخ تغيير الصور وعلى بمعنى فى والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتوبيخ الكفار واعلامهم بان الله قادر على اذهاب ما بهم من النعم فى الدنيا وانهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الآية (قوله ومن نعمره) اى من يكون فى سابق علمنا طويل العمر (قوله وفى قراءة بالتشديد) أى وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد والمعنى نقلبه فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه عكس ما كان عليه اول امره (قوله اى خلقه) اى خلق جسده وقواه (قوله ضعيفا) مقابل قوته وقوله وهرما مقابل وشبابه فهو لف ونشر مرتب وهذا فى غير الانبياء عليهم السلام واما هم فلا يعتريهم الضعف فى العقل والبدن وان طال عمرهم جدا واستعاذته صلى الله عليه وسلم من الرد لارذل العمر تعليم لامته ويلحق بالانبياء العلماء العاملون فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر بل يكونون على احسن ما كانوا عليه (قوله افلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون (قوله وفى قراءة)

(وما علمناه) اى النبي (الشعر) رد لقولهم ان ما اتى به من القرآن شعر (وما ينبغى) يسهل (له) الشعر (ان هو) ليس الذى أتى به (الا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر للاحكام وغيرها (لينذر) بالياء والتاء به (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون (ويحق القول) بالعذاب (على الكافرين) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به (أو لم يروا) يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (انا خلقنا لهم) فى جملة الناس (مما عملت ايدينا) اى عملناه بلا شريك ولا معين (أنعاما) هى الابل والبقر والغنم (فهم لها مالكون) ضابطون (وذللناها) سخرناها (لهم فمنها ركوبهم) مركوبهم (ومنها يأكلون ولهم فيها منافع) كاصوافها وأوبارها واشعارها (ومشارب) من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب اوموضعه (أفلا يشكرون) المنعم عليهم بها فيؤمنون اى ما فعلوا ذلك (واتخذوا من دون الله) اى غيره (آلهة) اصناما يعبدونها (لعلهم ينصرون) يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم (لا يستطيعون) اى آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء (نصرهم وهم) اى آلهتهم من الاصنام (لهم جند) بزعمهم نصرهم (محضرون) فى النار معهم (فلا يحزنك قولهم) لك لست مرسلا وغير ذلك (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه (أولم ير الانسان) يعلم وهو العاصي بن وائل

اى وهى سبعية أيضا (قوله وما علمناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن التهم فيما أوحاه الله اليه اذلو كان للعقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله رد لقولهم ان ما اتى به من القرآن شعر) أى وحينئذ فيصير المعنى ليس القرآن بشعر لان الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصدا مبنى على خيالات وأوهام واهية وأين ذلك من القرآن العزيز الذى تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله وما ينبغى له) أى لا يصح ولا يليق منه لان الشعر شانه الاكاذيب وهى عليه مستحيلة ولذا قيل اعذبه أكذبه فتحصل ان النبي لا ينبغى له الشعر ولا يليق منه ان قلت انه تمثل بقول ٣ ابن رواحة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشا من نفسه قوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت قلت أحسن ما أجيب به ان انشاده بيت ابن رواحة وانشاء البيتين المتقدمين لم يكن عن قصد وانما وافق وزن الشعر كما فى بعض الآيات القرآنية فليس كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الشعر شاعرا وانما وافق وزن الشعر (قوله لينذر) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله (قوله بالياء والتاء) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) اى وخصوا بالذكر لانهم هم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من المقابلة فى قوله من كان حيا (قوله والاستفهام للتقرير) اى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين فى نظير هذه الآية وهما ان الهمزة اما مقدمة من تاخير لان لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيما تقدم ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله انا خلقنا لهم) اللام للحكمة أى حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك الى ان هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم ولغيرهم (قوله مما عملت ايدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى وهذا كقول الانسان كتبته بيدى مثلا بمعنى انى انفردت به ولم يشاركنى فيه غيرى فهو كناية عرفية (قوله أنعاما) خصها بالذكر لان منافعها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) اى قاهرون مذللون والاحسن ان يفسر قوله مالكون بالملك الشرعى اى يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله وذللناها لهم تاسيسا لنعمة أخرى لا تتميما لما قبله (قوله كاصوافها) اى وجلودها ونسلها وغير ذلك (قوله اوموضعه) اى وهو الضروع (قوله اى ما فعلوا ذلك) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى وان قوله واتخذوا الخ عطف على محذوف (قوله يعبدونها) تفسير للاتخاذ (قوله لعلهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) اى لمشاكلة عبادتهم فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدا وجند خبر أول ولهم متعلق بجند ومحضرون خبر ثان (قوله اى آلهتهم من الاصنام) هذا احد وجهين والآخر انه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لها بمنزلة الجند وهى لا تستطيع ان تنصرهم (قوله محضرون فى النار) اى ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن من قولهم بل اتركه ولا تلتفت له (قوله انا نعلم الخ) تعليل للنهى قبله (قوله فيجازيهم عليه) اى على ما صدر منهم سرا وعلانية خيرا وشرا (قوله أولم ير الانسان) فى الهمزة التقريران السابقان وهما كونها مقدمة من تاخير او عاطفة على محذوف والتقدير اعمى ولم ير (قوله وهو العاصى بن وائل) وقيل نزلت

٣ قوله ابن رواحة صوابه طرفة العبدى كما فى الخطيب اهـ

(انا خلقناه من نطفة) منى الى ان صيرناه شديدا قويا (فاذا هو خصيم) شديد الخصومة لنا (مبين) بينها فى نفى البعث (وضرب لنا مثلا) فى ذلك (ونسى خلقه) من المنى وهو اغرب من مثله (قال من يحيي العظام وهى رميم) اى بالية ولم يقل بالتاء لانه اسم لا صفة

وروى انه اخذ عظما رميا ففتته وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أترى يحيي الله هذا بعد ما بلى ورم فقال صلى الله عليه وسلم نعم و يدخلك النار (قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) مجملا ومفصلا قبل خلقه و بعد خلقه (الذى جعل لكم) فى جملة الناس (من الشجر الاخضر) المرخ والعفار اوكل شجر الا العناب (نارا فاذا انتم منه توقدون) تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفىء النار ولا النار تحرق الخشب (او ليس الذى خلق السموات والارض) مع عظمهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) أى الاناسى فى الصغر (بلى) اى هو قادر على ذلك اجاب نفسه (وهو الخلاق) الكثير الخلق (العليم) بكل شيء (انما امره) شانه (اذا اراد شيئا) اى خلق شيء (ان يقول له كن فيكون) اى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت) ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة أى القدرة على (كل شيء واليه ترجعون) تردون فى الآخرة

﴿سورة والصافات مكية مائة واثنتان وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا)

وقوله

فى أبى بن خلف الجمحى ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله انا خلقناه من نطفة) اى قذرة خسيسة والمقصود التعجب من جهله حيث تصدى لمخاصمة العزيز الجبار ولم يتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة (قوله فاذا هو خصيم مبين) عطف على جملة النفى (قوله فى نفى البعث) متعلق بخصيم (قوله وضرب لنا مثلا) اى أورد كلاما عجيبا فى الغرابة كالمثل حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق (قوله ونسي خلقه) أى ذهل عنه وهذا عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار واضافة خلق للضمير من اضافة المصدر لمفعوله أى خلق الله اياه (قوله قال من يحيي العظام الخ) بيان لضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) اشار بذلك الى سؤال حاصله ان فعيلا بمعنى فاعلا يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة ان يقال رميمة فاجاب المفسر بان محل ذلك اذا لم تغلب عليه الاسمية فاذا صار اسما بالغلبة لما بلى من العظام فلا تلحقه التاء فى مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم و يدخلك النار) أخذ من هذا انه مقطوع بكفره وخلوده فى النار وزيادة ذلك فى الجواب لانه متعنت لا متفهم وجزاء المتعنت المنكر ان يجاب بما يكره و بضد ما يترقب و يسمى عند علماء البلاغة الاسلوب الحكيم (قوله الذى انشاها) أى اوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق عليم) اى بكيفية خلقها و باجزاء الاشخاص تفصيلا (قوله الذى جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله فى جملة الناس) اشار بذلك الى انه ليس مخصوصا بالكفار بل لجميع الخلق (قوله المرخ) بفتح الميم وسكون الراء و بالخاء المعجمة شجر سريع القدح وقوله والعفار بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فالف فراء وكيفية ايقاد النار منهما ان يجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ وقيل يؤخذ منهما غصنان خضراوان و يسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله (قوله أوكل شجر) أى وقد شوهد فى بعضه كالبرسيم اذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فانه يحرق نفسه وما حوله (قوله الا العناب) اى ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين (قوله والخشب) بفتحتين أو ضمتين او ضم فسكون (قوله او ليس الذى) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره اليس الذى انشاها أول مرة وليس الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذى خلق السموات والارض بقادر (قوله اى الاناسي) تفسير للضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفى وهو صادر منه تعالى اشارة الى تعيينه قالوه اولا (قوله وهو الخلاق العليم) عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم (قوله ان يقول له كن) فى الكلام استعارة تمثيلية وتقريرها ان يقال شبه سرعة تاثير قدرته ونفاذها فيما يريده بامر المطاع للمطيع فى حصول المامور به من غير امتناع ولا توقف وحينئذ فمعنى ان يقول له كن ان تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا (قوله فسبحان الذى الخ) اى تنزيهه عما لا يليق به (قوله واليه ترجعون) قرأ العامة ببنائه للمفعول وقرئ شذوذا ببنائه للفاعل (تتمة) تقدم فى فضل يس انها قلب القرآن ووجه ذلك انها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر والايمان بذلك متعلق بالقلب فلذلك سميت قلبا ومن هنا امر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت ليكون القلب قد اقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده ما يزداد به قوة و يقينا

﴿سورة والصافات مكية﴾

اى بالاجماع وسميت باسم اول كلمة منها من باب تسمية الشيء باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه (قوله والصافات الخ) الواو حرف قسم وجر والصافات مقسم به مجرور وما بعده عطف عليه

وقوله ان الهكم لواحد جواب القسم وهو المقسم عليه والمعنى وحق الصافات وحق الزاجرات وحق التاليات وانما خص ماذكر لعظم قدرها عنده ولا يعكر عليه ماورد من النهى عن الحلف بغير الله لان النهى للمخلوق حذرا من تعظيم غير الله واماهو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم كقوله والشمس والليل والضحى والنجم وغير ذلك (قوله الملائكة تصف نفوسها الخ) اشار بذلك الى ان المفعول محذوف ان قلت ان التاء فى الصافات وما بعدها للتانيث والملائكة منزهون عن الاتصاف بالانوثة كالمذكورة اجيب بانها للتانيث اللفظى والمنزهون عنه التانيث المعنوى وقوله الملائكة هو احد اقوال فى تفسير الصافات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون او الطير تصف اجنحتها (قوله فى العبادة) اى فى مقاماتها المعلومة (قوله واجنحتها فى الهواء) اى ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ماتؤمر به) اى من صعود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجى لان مبدأ الصلاة الاصطفاف ثم يعقبه زجر النفس ثم يعقبه التلاوة وهكذا او يحتمل انها للترتيب فى المزايا ثم هو اما باعتبار الترقى فالصافات ذوات فضل فالزاجرات افضل فالتاليات اكثر فضلا او باعتبار التدلى فالصافات اعلى ثم الزاجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله الملائكة تزجر السحاب) وقيل المراد بهم العلماء تزجر العصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) و يصح ان يكون مفعولا للتاليات والمراد بالذكر القرآن وغيره من تسبيح وتحميد والمراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم (قوله ان الهكم لواحد) ان قلت ماحكمة ذكر القسم هنا لانه ان كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له لانهم مصدقون ولو من غير قسم وان كان المقصود الكفار فلاحاجة له ايضا لانهم غير مصدقين على كل حال اجيب بان المقصود منه تاكيد الادلة التى تقدم تفصيلها فى سورة يس ليزداد الذين آمنوا ايمانا او يزداد الكافر طردا او بعدا (قوله رب السموات والارض) اما بدل من واحد او خبر ثان او خبر لمحذوف (قوله اى والمغارب) اشار بذلك الى ان فى الآية اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر وانما اقتصر على المشارق لان نفعه اعم من الغروب ان قلت انه تعالى جمع المشارق هنا وحذف مقابله وجمعهما فى سال وثناهما فى الرحمن وافردهما فى المزمل فما وجه الجمع بين هذه الآيات اجيب بان الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه لان الشمس لها فى السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا فتشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم فى مقابله من تلك المغارب والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والافراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع اولها (قوله السماء الدنيا) اى القربى من الارض (قوله بزينة الكواكب) اختلف العلماء هل الكواكب فى سماء الدنيا او ثوابت فى العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لان السموات شفافة لاتحجب ماوراءها (قوله بضوئها) اى نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله او بها اى ان ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا فان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح ازرق وجدها فى غاية الزينة (قوله المبينة بالكواكب) اى فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفا عليها وبقى قراءة ثالثة سبعية وهى تنوين زينة ونصب الكواكب على انه مفعول لمحذوف تقديره اعنى الكواكب (قوله بفعل مقدر) اى معطوف على زينا (قوله من كل شيطان مارد) وكانوا لايحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها و يأتون باخبارها فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الارمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلايخطئه ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل

الملائكة تصف نفوسها فى العبادة او اجنحتها فى الهواء تنتظر ماتؤمر به (فالزاجرات زجرا) الملائكة تزجر السحاب اى تسوقه (فالتاليات) اى قراء القرآن يتلونه (ذكرا) مصدر من معنى التاليات (ان الهكم) يااهل مكة (لواحد رب السموات والارض ومابينهما ورب المشارق) اى والمغارب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) اى بضوئها او بها والاضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب (وحفظا) منصوب بفعل مقدر اى حفظناها بالشهب (من كل) متعلق بالمقدر (شيطان مارد) عات خارج عن الطاعة (لا يسمعون) اى الشياطين

مستانف وسماعهم مستانف وسماعهم هو فى المعنى المحفوظ عنه (الى الملأ الاعلى) الملائكة فى السماء وعدى السماع بالى لتضمنه معنى
الاصغاء وفى قراءة بتشديد الميم والسين اصله يتسمعون ادغمت التاء فى السين (ويقذفون) اى الشياطين بالشهب (من

كل جانب) من آفاق السماء (دحورا) مصدر دحره اى طرده وابعده وهو مفعول له (ولهم) فى الآخرة (عذاب واصب) دائم (الا من خطف الخطفة) مصدر اى المرة والاستثناء من ضمير يسمعون اى لا يسمع الا الشيطان الذى سمع الكلمة من الملائكة فاخذها بسرعة (فاتبعه شهاب) كوكب مضيء (ثاقب) يثقبه او يحرقه او يخبله (فاستفتهم) استخبر كفار مكة تقريرا او توبيخا (اهم اشد خلقا ام من خلقنا) من الملائكة والسموات والارضين وما فيهما وفى الاتيان بمن تغليب العقلاء (انا خلقناهم) اى اصلهم آدم (من طين لازب) لازم يلصق باليد المعنى ان خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بانكار النبي والقرآن المؤدى الى هلاكهم اليسير (بل) للانتقال من غرض الى آخر وهو الاخبار بحاله وحالهم (عجبت) بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اى من تكذيبهم اياك (و)

هم (يسخرون) من تعجبك (واذا ذكروا) وعظوا بالقرآن (لا يذكرون) لا يتعظون (واذا راوا آية) كانشقاق القمر والعكس
(يستسخرون) يستهزئون بها (وقالوا) فيها (ان) ما (هذا الا سحر مبين) بين وقالوا امنكرين البعث (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون) فى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال الف بينهما على الوجهين (اوآباؤنا الاولون) بسكون الواو عطفا باو

الناس فى البراري (قوله مستانف) اى لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعتريهم من العذاب (قوله
وفى قراءة) اى وهى سبعية ايضا (قوله ادغمت التاء فى السين) اى بعد قلبها سينا واسكانها (قوله من آفاق
السماء) اى نواحيها وجهاتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) اى ومن فى محل رفع بدل من الواو
او فى محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ويجوز ان تكون من شرطية وجوابها فاتبعه او
موصولة مبتدأ وخبرها فاتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر
(قوله فاتبعه شهاب ثاقب) ان قلت تقدم ان الكواكب ثابتة فى السماء او فى العرش زينة ومقتضى كونها
رجوما للشياطين انها تنفصل وتزول فكيف الجمع بين ذلك اجيب بانه ليس المراد ان الشياطين يرجمون
بذات الكواكب بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها ان قلت ان الشياطين
خلقوا من النار فكيف يحترقون اجيب بان الاقوى يحرق الاضعف كالحديد يقطع بعضه ان قلت اذا
كان الشيطان يعلم انه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة اخرى اجيب بانه يرجو وصوله
لمقصوده وسلامته كراكب البحر فانه يشاهد الغرق المرة بعد المرة ويعود طمعا فى السلامة (قوله يثقبه)
اى بحيث يموت من ثقبه وقوله او يحرقه اى ويموت ايضا واو فى كلام المفسر للتنويع وهو لا ينافى وصف
الشهاب بالثاقب لان معنى الثاقب المضيء اى الذى يثقب الظلام خلافا لما يوهمه المفسر (قوله او يخبله)
الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والبله ويطلق ايضا على من فسدت اعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ)
المقصود من هذا الكلام الرد على منكرى البعث حيث ادعوا انه مستحيل وحاصل الرد ان يقال لهم ان
استحالته التى تدعونها اما لعدم المادة وهو مردود بان غاية الامر تصيير الاجزاء ترابا وهو قادر على ان ينزل
عليه ماء فيصير طينا وقد خلق اباهم آدم من طين او لعدم القدرة وهو مردود بان القادر على هذه الاشياء
العظام من السموات والارض وغيرها قادر على اعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه الآية نظير قوله
تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها الخ (قوله أهم أشد خلقا) اى اقوى خلقة واصعب او اشق ايجادا
(قوله ام من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الميم وقرئ شذوذا بتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدأ خبره
محذوف دل عليه ما قبله اى اشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلصق باليد اى انه لضعفه
لا قوام له بنفسه (قوله المعنى ان خلقهم الخ) التفت المفسر الى انه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذى منه
انكار البعث (قوله بل عجبت) اضراب عن الامر بالاستفتاء كانه قال لا تستفتهم فانهم جاهلون معاندون
لا منفعة فى استفتائهم بل انظر الى حالك وحالهم والمقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله بفتح
التاء) اى وبضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى ومعناه فى حقه الغضب والمؤاخذة
على حد ومكروا ومكر الله والمعنى يجازيهم على تكذيبهم اياك وقد يطلق التعجب فى حق الله تعالى على
الرضا والمحبة كما فى الحديث عجب ربك من شاب ليس له صبوة (قوله وهم يسخرون من تعجبك) اى
او من تعجبي اى غضبي عليهم ومجازاتي لهم على كفرهم (قوله لا يتعظون) اى لقيام الغفلة بهم (قوله أئذا
متنا الخ) اصل الكلام انبعث اذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقدموا الظرف وكرروا الهمزة واخروا العامل وعدلوا
به الى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار اشعارا بانهم مبالغون فى الانكار (قوله وادخال الف
بينهما) اى وتركه فالقراآت اربع فى كل موضع وبقى قراءتان سبعيتان ايضا الاولى بالفين والثانية بواحدة

و بفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو والمعطوف عليه محل ان واسمها او الضمير فى لمبعوثون والفاصل همزة الاستفهام (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هى) ضمير مبهم يفسر (زجرة) اى صيحة (واحدة فاذاهم) اى الخلائق أحياء (ينظرون) ما يفعل بهم (وقالوا) اى الكفار (يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هذا يوم الدين) اى الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) بين الخلائق (الذى كنتم به تكذبون) ويقال للملائكة (أحشروا الذين ظلموا) أنفسهم بالشرك (وأزواجهم) قرناءهم من الشياطين (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى غيره من الاوثان (فاهدوهم) دلوهم وسوقوهم (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم عند الصراط (انهم مسؤلون) عن جميع اقوالهم وافعالهم و يقال لهم توبيخا (مالكم لاتناصرون) لا ينصر بعضكم بعضا كحالكم فى الدنيا و يقال عنهم (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون اذلاء (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتلاومون و يتخاصمون (قالوا) اى الاتباع منهم للمتبوعين (انكم كنتم تاتوننا عن اليمين) عن الجهة التى كنا نامنكم منها لحلفكم انكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى انكم أضللتمونا (قالوا) اى المتبوعون لهم (بل لم تكونوا مؤمنين) وانما يصدق الاضلال منا ان لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الايمان الينا (وما كان لنا عليكم من سلطان) قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) ضالين مثلنا (فحق) وجب (علينا) جميعا

والعكس و بسط تلك القراآت يعلم من كتبها (قوله و بفتحها) اى والقراءتان سبعيتان هنا وفى الواقعة وتقدم فى الاعراف او أمن أهل القرى (قوله للاستفهام) اى الانكارى (قوله أو الضمير فى لمبعوثون) أى على القراءة الثانية فيكون مبعوثون عاملا فيه أيضا ان قلت ان ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ماقبلها فكان الاولى ان يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أوآباؤنا يبعثون أجيب بانها مؤكدة للاولى لا مقصودة بالاستقبال فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد (قوله والفاصل) اى بين المعطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر و بين المعطوف وهو آباؤنا فتحصل انه على قراءة سكون الواو يتعين العطف على محل ان واسمها لا غير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه و يجوز كونه معطوفا على الضمير المستتر فى لمبعوثون و يكفى الفصل بهمزة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والعامل فيها معنى نعم كانه قيل تبعثون والحال انكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارهم على ظهورهم (قوله فانما هى زجرة الخ) هذه الجملة جواب شرط مقدر او تعليل لنهى مقدر تقديره اذا كان الامر كذلك فانما هى الخ أولا تستصعبوه فانما هى الخ (قوله اى صيحة واحدة) اى وهى النفخة الثانية (قوله فاذاهم ينظرون) اى ينتظرون (قوله لا فعل له من لفظه) اى بل من معناه وهو هلك (قوله وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك الى ان الوقف تم عند قوله ياويلنا وما بعده كلام مستقبل وهذا أحد احتمالات و يحتمل انه من كلام بعضهم لبعض و يحتمل انه من كلام الله تعالى تبكيتا لهم و يحتمل انه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) اى من مقامهم الى الموقف او من الموقف الى النار (قوله قرناءهم من الشياطين) هذا أحد أقوال وقيل المراد بازواجهم نساؤهم اللاتى على دينهم وقيل أشباههم واخلاؤهم من الانس لان زوج الشئ يطلق على مقاربه ومجانسه فيقال لمجموع فردتى الخف زوج ولاحداهما زوج (قوله من الاوثان) اى كالاصنام والشمس والقمر (قوله انهم مسؤلون) بكسر الهمزة فى قراءة العامة على الاستئناف وفيه معنى التعليل وقرئ بفتحها على حذف لام العلة والمعنى قفوهم لاجل سؤال الله اياهم (قوله عن جميع أقوالهم وافعالهم) اى لما فى الحديث لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به (قوله و يقال لهم) اى والقائل خزنة جهنم (قوله كحالكم فى الدنيا) تشبيه فى المنفى (قوله و يقال عنهم) اى فى شانهم على سبيل التوبيخ (قوله وأقبل بعضهم) اى بعض الكفار يوم القيامة وهذا بمعنى ماتقدم فى سورة سبا فى قوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول (قوله يتلاومون و يتخاصمون) اى يلوم بعضهم بعضا و يخاصم بعضهم بعضا كما قال تعالى فى شانهم كلما دخلت امة لعنت اختها بخلاف تساؤل المؤمنين فى الجنة فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم (قوله عن اليمين) يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير والآية محتملة لتلك المعانى والمفسر اختار الاول وعليه فعن بمعنى من والمعنى كنتم تاتوننا من الجهة التى كنا نامنكم منها فتلك الجهة مصورة بحلفكم انكم على الحق الخ (قوله المعنى أنكم أضللتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات لا على ما قاله المفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا باجوبة خمسة آخرها فاغويناكم انا كنا غاوين والمعنى انكم لم تتصفوا بالايمان فى حال من الاحوال (قوله ان لو كنتم مؤمنين) اى ان لو اتصفتم بالايمان (قوله فرجعتم عن الايمان الينا) اى باضلالنا واغوائنا كانهم قالوا لهم ان من آمن

(قوله ربنا) بالعذاب اى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين (انا) جميعا (لذائقون) العذاب بذلك القول ونشاء عنه قولهم (فاغويناكم) المعلل بقولهم (انا كنا غاوين) قال تعالى (فانهم يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) اى لاشتراكهم فى

الغواية (انا كذلك) كما نفعل بهؤلاء (نفعل بالمجرمين) غير هؤلاء اى نعذبهم التابع منهم والمتبوع (انهم) اى هؤلاء بقرينة ما بعده (كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون و يقولون ائنا) فى همزتيه ماتقدم (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) اى لاجل قول محمد قال تعالى (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) الجائين به وهو ان لا اله الا الله (انكم) فيه التفات (لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين استثناء منقطع اى ذكر جزاؤهم فى قوله (أولئك) الخ (لهم) فى الجنة (رزق معلوم) بكرة وعشيا (فواكه) بدل او بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذا لا لحفظ صحة لان اهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق اجسادهم للابد (وهم مكرمون) بثواب الله سبحانه وتعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) لا يرى بعضهم قفا بعض (يطاف عليهم) على كل منهم (بكأس) هو

الاناء بشرابه (من معين) من خمر يجرى على وجه الارض كانهار الماء (بيضاء) اشد بياضا من اللبن (لذة) لذيذة (للشاربين) بخلاف او
خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب (لا فيها غول) ما يغتال عقولهم (ولا هم عنها ينزفون) بفتح الزاى وكسرها من نزف الشارب
وانزف اى يسكرون بخلاف خمر الدنيا (وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الاعين على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن

لا يطيعنا لثبات الايمان فى قلبه فلو حصل منكم الايمان لما اطعتمونا (قوله قول ربنا) اى وعيده ومقول القول محذوف قدره بقوله لاملان جهنم الخ (قوله انا لذائقون) اخبار منهم عن جميع الرؤساء والاتباع باذاقة العذاب (قوله فاغويناكم) اى تسببنا لكم فى الغواية من غير اكراه فلا ينافى ماقبله (قوله انا كنا غاوين) اى فاحببنا لكم ماقام بانفسنا لان من كان متصفا بصفة شنيعة يحب ان يتصف بها غيره لتهون المصيبة عليه (قوله يوم القيامة) اى حين التحاور والتخاصم (قوله كما نفعل بهؤلاء) اى عبدة الاصنام وقوله غير هؤلاء اى كالنصارى واليهود (قوله انهم كانوا الخ) اى عبدة الاصنام وسبب ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على ابى طالب عند موته وقريش مجتمعون عنده فقال قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فابوا وانفوا من ذلك وقالوا ائنا لتاركوا آلهتنا الخ (قوله يستكبرون) اى يتكبرون عن قولها وعلى من يدعوهم اليها (قوله فى همزتيه ماتقدم) اى من التحقيق فيهما وتسهيل الثانية بالف ودونها فالقراآت اربع (قوله لتاركوا آلهتنا) من اضافة اسم الفاعل لمفعوله اى لتاركون آلهتنا والمعنى لتاركون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بان ماجاء به من التوحيد حق موافق فيه المرسلين قبله (قوله فيه التفات) اى من الغيبة الى الخطاب زيادة فى التقبيح عليهم (قوله الا ما كنتم تعملون) اى فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف الخير فجزاؤه باضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) اى من الواو فى تجزون (قوله أولئك) اى عباد الله المخلصين (قوله الى آخره) اى وهو قوله كانهن بيض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) اى اوقاته وصفاته فلا ينافى آية يرزقون فيها بغير حساب فان المراد غير معلوم المقدار (قوله بدل) اى كل من كل لان جميع ما يؤكل فى الجنة انما هو على سبيل التفكه والتلذذ فلا فرق بين الرزق والفواكه (قوله لا لحفظ صحة) المناسب ان يقول لا لحفظ بنية (قوله بخلق اجسادهم للابد) اى فهم يدومون بدوام الله لا يفنون ابدا (قوله وهم مكرمون) اى معظمون مبجلون بالتحية والكلام اللين (قوله فى جنات النعيم) اما متعلق بمكرمون اوخبر ثان او حال (قوله على سرر) قال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير ما بين صنعاء الى الجابية وما بين عدن الى ايلياء (قوله متقابلين) اى تواصلا وتحابا وقيل الاسرة تدور كيف شاؤا فلا يرى احد قفا احد (قوله يطاف عليهم) اى والطائف الولدان كما فى آية يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكأس (قوله هو الاناء بشرابه) اى فان لم يكن فيه شراب فانه يسمى قدحا و يطلق الكاس على الخمر نفسه من باب تسمية الشئ باسم محله (قوله من معين) اى ظاهر للعيون او خارج من العيون فعلى الاول اسم مفعول كمبيع وعلى الثانى اسم فاعل من عان بمعنى نبع ووصف به خمر الجنة لانه يجرى كالماء النابع (قوله بيضاء) اما صفة لكاس او للخمر (قوله لذة) اما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر او مصدر فالوصف بها مبالغة او على حذف مضاف اى ذات لذة (قوله ما يغتال عقولهم) اى يفسدها وقيل الغول صداع فى الرأس وعليه فيكون ما بعده تاسيسا (قوله ولا هم عنها ينزفون) عن سببية اى ولا هم ينزفون بسببها (قوله بفتح الزاى) اى مع ضم الياء فهو مبنى للمفعول وقوله وكسرها اى مع ضم الياء ايضا فهو مبنى للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من نزف الشارب الخ) اى فهو ماخوذ من الثلاثى

(عين) ضخام الاعين حسانها (كأنهن) في اللون (بيض) للنعام (مكنون) مستور بريشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة احسن الوان النساء (فاقبل بعضهم) بعض اهل الجنة (على بعض يتساءلون) عما مر بهم في الدنيا (قال قائل منهم اني كان لي قرين) صاحب ينكر البعث (يقول) لي تبكيتا (أئنك لمن المصدقين) بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا) في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (لمدينون) مجزيون ومحاسبون انكر ذلك ايضا (قال) ذلك القائل لاخوانه (هل انتم مطلعون) معي الى النار لننظر حاله فيقولون لا (فاطلع) ذلك القائل من بعض كوى الجنة (فرآه) اي راى قرينه (في سواء الجحيم) اي وسط النار (قال) له تشميتا (تالله ان) مخففة من الثقيلة (كدت) قاربت (لتردين) لتهلكني باغوائك (ولولا نعمة ربي) علي بالايمان (لكنت من المحضرين) معك في النار وتقول اهل الجنة (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) اي التي في الدنيا (وما نحن بمعذبين) هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب (ان هذا) الذي ذكر لاهل الجنة (لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) قيل يقال لهم ذلك وقيل هم يقولونه (اذلك) المذكور لهم (خير نزلا) وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره (ام شجرة الزقوم) المعدة لاهل النار وهي من اخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي (انا جعلناها) بذلك (فتنة للظالمين) اي الكافرين من اهل مكة اذ قالوا النار تحرق الشجر

أو الرباعي والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهي الواسعة العين اتساعا غير مفرط بل مع الحسن والجمال (قوله كأنهن بيض مكنون) شبههن هنا ببيض النعام وفي سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه وكون بياضه مشوبا ببعض صفرة مع لمعان لان هذه الاوصاف جمال أهل الجنة (قوله عما مر بهم في الدنيا) أي من الفضائل والمعارف وما عملوه في الدنيا (قوله قال قائل منهم) أي من أهل الجنة لاخوانه في الجنة وهذا من جملة ما يتحدثون به (قوله تبكيتا) أي توبيخا على عدم انكار البعث (قوله ما تقدم) أي من القراآت الاربع وهي تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بادخال الف وتركه (قوله مجزيون) أي فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أي الجزاء والحساب وقوله أيضا أي كما انكر البعث (قوله لاخوانه) أي من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمد جمع كوة بفتح الكاف وضمها أي طبقاتها (قوله تشميتا) أي فرحا بمصيبته لان الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أي واللام فارقة ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى الا وعلى كل فهي جواب القسم (قوله أفما نحن بميتين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين الخ (قوله الا موتتنا الاولى) الا أداة حصر وموتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه قوله ميتين ويكون استثناء مفرغا وهو بمعنى قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (قوله هو استفهام تلذذ) أي فهو من كلام بعضهم لبعض وقيل من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت (قوله من تأبيد الحياة الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذي ذكر لاهل الجنة) أي من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أي لا للحظوظ الدنيوية الفانية التي تزول ولا تبقى (قوله فليعمل العاملون) أي ليجتهد المجتهدون في الاعمال الصالحة فان جزاءها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان كذلك فلو افنى الانسان عمره في خدمة ربه ولم يشتغل بشئ سواها لكان ذلك قليلا بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم جعلنا الله من اهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) اي ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل هم يقولونه اي يقول بعضهم لبعض ويبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون فان العمل والترغيب فيه انما يكون في الدنيا فالاولى انه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيبا للمكلفين في عمل الطاعات (قوله اذلك) معمول لمحذوف تقديره قل يا محمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت اذلك خير الخ (قوله المذكور لهم) اي لاهل الجنة من قوله اولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله نزلا) تمييز لخير وقوله ام شجرة الزقوم ام حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الاشارة وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه والتقدير ام شجرة الزقوم خير نزلا والتعبير بخير ونزلا تهكم بهم وللمشاكلة (قوله من ضيف وغيره) الضيف من يأتي بدعوة وغيره من يأتي زائرا للمحبة والالفة وربما كان اعز من الضيف (قوله ام شجرة الزقوم) من التزقم وهو البلع بشدة واكراه للاشياء الكريهة سميت بذلك لان اهل النار يكرهون على الاكل منها وهي شجرة مسمومة متى مست جسد احد تورم فمات وهي خبيثة مرة كريهة الطعم (قوله وهي من أخبث الشجر) أي وهي صغيرة الورق منتنة (قوله انا جعلناها بذلك) اي بسبب اخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة للظالمين) أي امتحانا واختبارا هل يصدقون ام لا (قوله اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته) أي ولم يعلموا أن القادر لا يعجزه شئ

تخرج فى اصل الجحيم) اى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) المشبه بطلع النخل (كانه رؤس الشياطين) اى الحيات
القبيحة المنظر (فانهم) اى الكفار (لآكلون منها) مع قبحها لشدة جوعهم (فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا
من حميم) اى ماء حار يشربونه فيختلط بالماكول منها فيصير شوباله (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) يفيد انهم يخرجون منها لشرب الحميم وانه خارجها (انهم الفوا) وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) يزعجون الى اتباعهم فيسرعون اليه (ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين) من الامم الماضية (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) من الرسل مخوفين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الكافرين اى عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين فانهم نجوا من العذاب لاخلاصهم فى العبادة اولان الله اخلصهم لها على قراءة فتح اللام (ولقد نادانا نوح) بقوله رب انى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) له نحن اى دعانا على قومه فاهلكناهم بالغرق (ونجيناه واهله من الكرب العظيم) اى الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) فالناس كلهم من نسله عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وهو ابو العرب وفارس
والروم وحام وهو ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج وقوله
ومأجوج وما هنالك (وتركنا) ابقينا (عليه) ثناء حسنا (فى الآخرين) من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام) منا (على نوح

(قوله تخرج فى اصل الجحيم) اى تنبت فى اسفلها (قوله الى دركاتها) اى منازلها وذلك نظير شجرة طوبى لاهل الجنة فان اصلها فى عليين وما من بيت فى الجنة الا وفيه غصن منها (قوله طلعها) الطلع فى الاصل اسم لثمر النخل اول بروزه فتسميته طلعا تهكم بهم (قوله اى الحيات القبيحة المنظر) اى ووجه الشبه الشناعة والسم فى كل وما مشي عليه المفسر احد اقوال ثلاثة وقيل شبه طلعها برؤس الشياطين حقيقة ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل لكن يرد عليه انه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين واجيب بان الشيطان وان كان غير معلوم فى الخارج فهو معروف فى الاذهان والخيالات كالغول فانه مرسوم فى خيال كل احد بصورة قبيحة وقيل الشياطين شجر فى البادية معروف للمخاطبين (قوله لشدة جوعهم) اى ولقهرهم على الاكل منها زيادة فى عذابهم (قوله ثم ان لهم عليها) اى على ما ياكلونه منها اذا شبعوا وغلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين فى قراءة العامة مصدر على اصله وقرئ شذوذا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله يفيد انهم يخرجون منها) هذا احد قولين والآخر وهو قول الجمهور انهم لا يخرجون اصلا لقوله تعالى وماهم بخارجين منها وحينئذ فالمعنى انه ينوع عذابهم وهم فى النار فتارة يكون عذابهم باكل الزقوم وتارة بشرب الحميم وتارة بالزمهرير وغير ذلك من انواع العذاب فاذا كانوا مشغولين باكل الزقوم وفرغوا منه يردون الى الاشتغال بعذاب غيره والحال انهم فى النار لا يخرجون منها ويمكن التوفيق بين القولين بان يحمل القول بانه خارجها على انه فى محل خارج عن المحل الذى يعذبون فيه وليس المراد انه خارج النار بالكلية لمعارضته صريح النص فيخرجون الى ذلك المحل للاكل والشرب ثم يردون الى محل العذاب الذى كانوا فيه اولا (قوله انهم الفوا آباءهم) هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب والمعنى ان سبب استحقاقهم للعذاب تقليد آبائهم فى الضلال من غير شئ يتمسكون به سوى التقليد (قوله يهرعون) اى من غير تامل ولا تدبر (قوله ولقد ضل قبلهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم محذوف وكل من الجملتين سيق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي اولكل من يتاتى منه النظر (قوله الا عباد الله) استثناء منقطع لان ما قبله وعيد وهم لم يدخلوا فيه (قوله لاخلاصهم فى العبادة) اى على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) اى والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع فى تفصيل ما اجمله فى قوله ولقد ارسلنا فيهم منذرين وقد ذكر فى هذه السورة سبع قصص قصة نوح وقصة ابراهيم وقصة الذبيح وقصة موسي وهرون وقصة الياس وقصة لوط وقصة يونس وذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كفر من امته (قوله رب انى مغلوب) اى مقهور وقوله فانتصر اى انتقم منهم (قوله فلنعم المجيبون) الواو للتعظيم وقوله نحن هو المخصوص بالمدح (قوله واهله) اى من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة واولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فالناس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد وقيل كان لغير ولد نوح ايضا نسل (قوله سام الخ) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس كذلك للعلمية والتانيث لانه علم على قبيلة (قوله والخزر) بفتح الخاء والزاى بعدهما راء مهملة هكذا فى النسخ الصحيحة وهو الصواب وفى بعض النسخ والخزرج وهو تحريف فاحش لان الخزرج من جملة العرب والخزر صنف من الترك صغار الاعين يعرفون الآن بالططر (قوله وما هنالك) اى وهم قوم عند يأجوج ومأجوج اذا طلعت عليهم الشمس دخلوا فى اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل هم قوم عراة يفرش بعضهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى (قوله ثناء حسنا) قدره اشارة الى ان مفعول تركنا محذوف

وقوله سلام على نوح كلام مستقل انشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالاول ثناء الخلق والثانى ثناء الخالق وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يمسي سلام على نوح فى العالمين لم تلدغه عقرب (قوله فى العالمين) متعلق بما تعلق به الجار قبله والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان (قوله انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من الكرامة فى اجابة دعائه وابقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم الله عليه فى العالمين أى فهذا الجزاء سنتنا فى كل من اتصف بالاحسان كنوح (قوله انه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه محسنا وفيه اجلال لشان الايمان واظهار لفضله وترغيب فى تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم اغرقنا الآخرين) معطوف على نجيناه واهله فالترتيب حقيقى لان نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين فتدبر (قوله وان من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أى ممن تبعه الخ) اى فالشيعة الاتباع والحزب (قوله فى اصل الدين) اى وان اختلفت فروع شرائعهما فالاتباع فى اصول الدين وهو التوحيد لا فى الفروع كالصلاة مثلا (قوله وان طال الزمان الخ) الجملة حالية والمعنى انه من اتباعه على عهده والحال ان الزمان طال بينهما فطول المدة لم ينسه العهد (قوله وهو ألفان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما الف سنة ومائة واثنين واربعين سنة (قوله وكان بينهما هود وصالح) أى وكان قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث وآدم فجملة من قبل ابراهيم من الانبياء ستة (قوله اذ جاء ربه الخ) معنى مجيئه توجهه بقلبه مخلصا لربه وفى الكلام استعارة تبعية تقريرها ان تقول شبه اقباله على ربه بخلاصه قلبه بمجيئه بتحفة جميلة والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا واشتق من المجئ جاء بمعنى أقبل بقلبه (قوله اى تابعه وقت مجيئه) اشار بذلك الى ان الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله شيعته ويصح جعله متعلقا بشيعته لما فيها من معنى المشايعة لكن فيه انه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله باجنبى وهو قوله لابراهيم وأيضا يلزم عليه عمل ماقبل اللام الابتدائية فيما بعدها وأجيب بانه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها (قوله من الشك وغيره) اى من الآفات والعلائق التى تشغل القلب عن شهود الرب تعالى (قوله لابيه وقومه) تقدم الخلاف فى كونه أباه حقيقة او عمه وانما عبر بالاب لان العم اب والمراد بقومه النمروذ وجماعته (قوله فى همزتيه ما تقدم) أى وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بالف بينهما وتركها (قوله وافكا مفعول له) اى وقدم على المفعول به لاجل التقبيح عليهم بانهم على افك وباطل (قوله اى اتعبدون غير الله) كان عليه ان يزيد قوله لاجل الافك ليوفى بالمفعول لاجله (قوله اذ عبدتم غيره) اى وقت عبادتكم غيره (قوله انه يترككم بلا عقاب) معمول للظن والمعنى أى سبب حملكم على ظنكم انه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره واشار بقوله لا الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى اى ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن المذكور واذا انفى السبب انتفى المسبب بالاولى (قوله وكانوا نجامين) ذكر هذا توطئة لقوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم (قوله فخرجوا الى عيدهم) اى وكانوا فى قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز (قوله زعموا التبرك عليه) اى انها تنزل عليه البركة (قوله فنظر نظرة فى النجوم) اى فى علم النجوم متفكرا فى امر يعذرونه بسببه فيتركونه (قوله اى ساسقم) جواب عما يقال كيف قال انى سقيم والحال انه لم يكن سقيما وأجيب ايضا بان المعنى سقيم القلب من عبادتكم مالا يضر ولا ينفع وقد اشار بقوله انى سقيم الى سقم مخصوص وهو الطاعون وكان الطاعون اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن ابراهيم خوفا منها فهربوا الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام (قوله وهى الاصنام) اى وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من حجر وبعضها من خشب وبعضها

فى العالمين انا كذلك) كما جزيناهم (نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين) كفار قومه (وان من شيعته) اى ممن تبعه فى اصل الدين (لابراهيم) وان طال الزمان بينهما وهو الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما هود وصالح (اذ جاء) اى تابعه وقت مجيئه (ربه بقلب سليم) من الشك وغيره (اذ قال) فى هذه الحالة المستمرة له (لابيه وقومه) موبخا (ماذا) ما الذى (تعبدون أئفكا) فى همزتيه ما تقدم (آلهة دون الله تريدون) وافكا مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون والافك اسوأ الكذب اى اتعبدون غير الله (فما ظنكم برب العالمين) اذ عبدتم غيره انه يترككم بلا عقاب لا وكانوا نجامين فخرجوا الى عيدهم وتركوا طعامهم عند اصنامهم زعموا التبرك عليه فاذا رجعوا اكلوه وقالوا للسيد ابراهيم اخرج معنا (فنظر نظرة فى النجوم) ايهاما لهم انه يعتمد عليها ليعتمدوه (فقال انى سقيم) عليل اى ساسقم (فتولوا عنه) الى عيدهم (مدبرين فراغ) مال فى خفية (الى آلهتهم) وهى الاصنام

وعندها الطعام (فقال) استهزاء (الا تاكلون) فلم ينطقوا فقال (ما لكم لا تنطقون) فلم يجب (فراغ عليهم ضربا باليمين) بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه (فاقبلوا اليه يزفون) اى يسرعون المشي فقالوا له نحن نعبدها وأنت تكسرها (قال) لهم موبخا (اتعبدون ما تنحتون) من الحجارة وغيرها اصناما (والله خلقكم وما تعملون) من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قالوا) بينهم (ابنوا له بنيانا) فاملؤه حطبا وأضرموه بالنار فاذا التهب (فالقوه في الجحيم) النار الشديدة (فارادوا به كيدا) بالقائه في النار لتهلكه (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين فخرج من النار سالما (وقال انى ذاهب الى ربى) مهاجرا اليه من دار الكفر (سيهدين) الى حيث أمرنى ربى بالمصير اليه وهو الشام فلما وصل الى الارض المقدسة قال (رب هب لى) ولدا (من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) اى ذى حلم كثير (فلما بلغ معه السعى) اى ان يسعى معه و يعينه قيل بلغ سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة (قال يا بنى انى ارى) اى رأيت (فى المنام

من ذهب و بعضها من فضة و بعضها من نحاس و بعضها من حديد و بعضها من رصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر وكان فى عينيه ياقوتتان تتقدان نورا (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء بهم) ان قلت اى فائدة فى خطاب مالا يعقل أجيب بانه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها اوغيرهم (قوله فراغ عليهم) اى مال فى خفية من قولهم راغ الثعلب روغانا تردد وأخذ الشئ خفية (قوله بالقوة) اى القدرة (قوله فاقبلوا اليه) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) بكسر الزاى مع فتح الياء او ضمها قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا نحن نعبدها الخ) اى بعد ان سالوه وأجابهم فلما تحققوا انه هو الذى كسرها قالوا نحن نعبدها الخ وقد تقدم بسط ذلك فى الانبياء (قوله موبخا) اى على ما وقع منهم حيث ياتون للخشب مثلا فيصنعون منه صورة و يتخذونها الها مع انها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم ولا تضر ولا تنفع (قوله وما مصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه و بقى اثنان كونها استفهامية والمعنى وأى شئ تعملونه وكونها نافية والمعنى ليس العمل فى الحقيقة لكم وانما هو لله تعالى (قوله بنيانا) قيل بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا فى كيفية رميه فعلمهم ابليس المنجنيق فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها فصارت عليه بردا وسلاما (قوله واضرموه بالنار) اى ارقدوه بها (قوله النار الشديدة) اى فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيما من الجحمة وهى شدة التاجج (قوله المقهورين) اى بابطال كيدهم حيث جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وقال انى ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ والمعنى انه لما خرج من النار سالما ولم يهتد من قومه احد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته الى ارض الشام وهو أول من هاجر من الخلق فى طاعة الله وقوله الى ربى اى الى عبادة ربى وطاعته (قوله سيهدين) اى الى ما فيه صلاح دينى و بلوغ مطالبى (قوله الى حيث أمرنى ربى) أى الى مكان أمرنى الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب و يهدين (قوله فلما وصل الى الارض المقدسة) قدره توطئة لقوله رب هب لى الخ (قوله من الصالحين) اى بعض الصالحين يكون خليفة لى و يرث حالى (قوله فبشرناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤه فى صورة أضياف فبشروه بالغلام ثم انتقلوا من قريته وهى فلسطين الى قرية لوط وهى سذوم لاهلاك قومه كما تقدم ذلك فى سورة هود ويأتى فى الذاريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر الى ان قوله معه ظرف متعلق بالسعى وفيه انه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من ان والفعل عليه وهو لا يجوز وأجيب بانه يغتفر فى الظروف مالا يغتفر فى غيرها و يصح جعله متعلقا بمحذوف على سبيل البيان كان قائلا قال مع من بلغ السعى فقيل بلغ معه ولا يصح جعله متعلقا ببلغ ولا حالا من ضميره لانه يوهم اقترانهما فى بلوغ السعى لان المصاحبة تقتضى المشاركة مع ان المقصود وصف الصغير بذلك فقط (قوله قال يا بنى) جواب لما والحكمة فى ذلك ان ابراهيم اتخذه الله تعالى خليلا والخلة هى صفاء المودة ومن شانها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سال ربه الولد فلما وهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب لتظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها حيث امتثل امر ربه وقدم محبته على محبة ولده (قوله اى رأيت) أشار بذلك الى ان الرؤيا وقعت بالفعل لما روى انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما أصبح فكر فى نفسه انه من الله فلما أمسى رأى مثل ذلك فى الليلة الثانية ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فقال له يا بنى الخ ولذلك سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر لانه فى اليوم الاول

تروى

تروى وفى الثانى عرف وفى الثالث نحر (قوله أنى اذبحك) اى افعل الذبح أو أومر به احتمالان ويشير للاول قوله قد صدقت الرؤيا وللثانى قوله افعل ما تؤمر (قوله ماذا ترى) يصح ان تكون ماذا مركبة وحينئذ فهى منصوبة بترى وما بعدها فى محل نصب بانظر لانها معلقة له ويصح ان تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبرا وقوله ترى بفتحتين من الرأى وفى قراءة سبعية ترى بالضم والكسر والمفعولان محذوفان اى تريني اياه من صبرك واحتمالك وقرئ شذوذا بضم ففتح اى ما يخيل لك (قوله شاوره ليانس الخ) اى وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله (قوله قال يا ابت) اى بفتح التاء وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) اى فهى فى محل جر كما كانت الياء فى محل جر (قوله افعل ما تؤمر) قال ابن اسحق وغيره لما امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بنى خذ هذا الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال يا أبت افعل ما تؤمر (قوله ان شاء الله) أتى بها تبركا واشارة الى انه لا حول عن المعصية الا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة الا بمعونة الله (قوله فلما أسلما) اى الوالد والولد (قوله وتله للجبين) اى صرعه ورماه على شقه فوق التل الذى هو المكان المرتفع قال ابن عباس لما فعل ذلك قال الابن يا ابت اشدد رباطى كى لا أضطرب واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شئ فينتقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون أهون على واذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت ان ترد قميصى عليها فافعل فانه عسى ان يكون أسلى لها عنى فقال ابراهيم نعم العون انت يا بنى على امر الله ففعل ابراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكى والابن يبكى فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيا فاشتدها بالحجر مرتين أو ثلاثا كل ذلك لا تستطيع ان تقطع شيا فمنعت بقدرة الله تعالى وقيل ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ فى القدرة الالهية وهو منع الحديد عن اللحم فعند ذلك قال الابن يا ابت كبنى لوجهى على جبينى فانك اذا نظرت فى وجهى رحمتنى فادركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله وأنا أنظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فنودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الخ (قوله بمنى) يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة (قوله وأمر السكين) هذا احد قولين مشهورين وهو ما تقدم عن ابن عباس والآخر انه لم يمر السكين بل لما أضجعه وأراد أن يمر السكين جاءه النداء وبالاول استدل اهل السنة على ان الامور العادية لا تؤثر شيا الا بنفسها ولا بقوة اودعها الله فيها وانما المؤثر هو الله تعالى فتخلف القطع فى ولد ابراهيم وتخلف الاحراق فى ابراهيم (قوله فجملة ناديناه جواب لما الخ) هذا احد اوجه ثلاثة والثانى انه محذوف تقديره ظهر صبرهما او اجزلنا لهما الاجر والثالث ان قوله وتله للجبين بزيادة الواو (قوله بافراج الشدة) المناسب ان يقول بتفريج الشدة او بفرجها لان الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فمصدره اما التفريج او الفرج (قوله وفديناه) عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) اى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل اكبر او اسحق فمن قال بالاول قال ان الذبيح اسمعيل ومن قال بالثانى قال ان الذبيح اسحق واعلم ان كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين لكن القول بان الذبيح اسحاق أقوى فى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير ارى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى فلما صرف الله عنه الذبح امره ان يذبح به الكبش فذبحه وسار الى الشام مسيرة شهر فى روحة واحدة وطويت له الاودية والجبال وبقى قول ثالث وهو الوقف عن الجزم باحد القولين وتفويض علم ذلك الى الله تعالى

انى اذبحك) ورؤيا الانبياء حق وافعالهم بامر الله تعالى (فانظر ماذا ترى) من الراى شاوره ليانس بالذبح وينقاد للامر به (قال يا ابت) التاء عوض عن ياء الاضافة (افعل ما تؤمر) به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على ذلك (فلما اسلما) خضعا وانقادا لامر الله تعالى (وتله للجبين) صرعه عليه ولكل انسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وامر السكين على حلقه فلم تعمل شيا بمانع من القدرة الالهية (وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) بما اتيت به مما امكنك من امر الذبح اى يكفيك ذلك فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو (انا كذلك) كما جزيناك (نجزى المحسنين) لانفسهم بامتثال الامر بافراج الشدة عنهم (ان هذا) الذبح المامور به (لهو البلاء المبين) اى الاختبار الظاهر (وفديناه) اى المامور بذبحه وهو اسمعيل او اسحق قولان (بذبح)

بكبش (عظيم) من الجنة هو الذى قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد ابراهيم مكبرا (وتركنا)
ابقينا (عليه فى الآخرين
ثناء حسنا (سلام) منا (على
ابراهيم كذلك) كما جزيناه
نجزى (المحسنين) لانفسهم
(انه من عبادنا المؤمنين
وبشرناه باسحق) استدل
بذلك على ان الذبيح غيره
(نبيا) حال مقدرة اى
يوجد مقدرا نبوته (من
الصالحين وباركنا عليه)
بتكثير ذريته (وعلى
اسحق) ولده بجعلنا اكثر
الانبياء من نسله (ومن
ذريتهما محسن) مؤمن
(وظالم لنفسه) كافر (مبين)
بين الكفر (ولقد مننا على
موسى وهرون) بالنبوة
(ونجيناهما وقومهما)
بنى اسرائيل (من الكرب
العظيم) اى استعباد فرعون
اياهم (ونصرناهم) على القبط
(فكانوا هم الغالبين وآتيناهما
الكتاب المستبين) البليغ
البيان فيما اتى به من
الحدود والاحكام وغيرها
وهو التوراة (وهديناهما
الصراط) الطريق (المستقيم
وتركنا) ابقينا (عليهما فى
الآخرين) ثناء حسنا
(سلام) منا (على موسى
وهرون انا كذلك) كما
جزيناهما (نجزى المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين
وان الياس) بالهمز اوله
وتركه (لمن المرسلين) قيل
هو ابن اخى هرون اخى موسى وقيل غيره ارسل الى قوم ببعلبك ونواحيها (اذ) منصوب باذكر مقدرا (قال لقومه

(قوله كبش عظيم) وقيل انه كان تيسا جبليا اهبط عليه من ثبير (قوله وهو الذى قربه هابيل) اى ووصفه بالعظم لكونه تقبل مرتين (قوله فذبحه السيد ابراهيم) أى وبقى قرناه معلقين على الكعبة الى ان احترق البيت فى زمن ابن الزبير وما بقى من الكبش أكلته السباع والطيور لان النار لا تؤثر فيما هو من الجنة (قوله مكبرا) روى انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فصار سنة (قوله استدل بذلك الخ) أى وهو مذهب الشافعى وقال مالك وابو حنيفة لا دليل فيها لان اسحق وقعت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته فمعنى قوله وبشرناه باسحق نبيا بشرناه بنبوة اسحق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) اما صفة لنبيا او حال من ضميره (قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه اشارة الى ان النسب لا مدخل له فى الهدى ولا فى الضلال (قوله ولقد مننا) معطوف على ماقبله عطف قصة على قصة واللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد انعمنا الخ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم وقوله بالنبوة أى المصاحبة للرسالة لانهما كانا رسولين ولا مفهوم للنبوة بل اعطاهما الله تعالى نعما جمة دينية ودنيوية وانما خصها لانها اشرف النعم (قوله بنى اسرائيل) اى اولاد يعقوب (قوله اى استعباد فرعون اياهم) وسبب استيلائه عليهم ان أصولهم قدموا مصر مع ابيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكا فاستمروا بها فلما ظهر فرعون وتكبر استعبد ذريتهم وجعلهم خدما للقبط (قوله ونصرناهم) الضمير عائد على موسى وهرون وقومهما (قوله فكانوا هم الغالبين) يصح ان يكون هم ضمير فصل او بدلا من الواو فى كانوا والاول اظهر (قوله وغيرهما) اى كالقصص والمواعظ (قوله وهديناهما الصراط المستقيم) أى وصلناهما للدين الحق (قوله سلام) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله منا وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والمسوغ للابتداء بالنكرة قصد التعظيم وعملها فى الجار المجرور بعدها (قوله كما جزيناهما) أى بما تقدم من الانجاء والنصر وايتاء الكتاب وابقاء الثناء (قوله نجزى المحسنين) فى مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين واشعار بان كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له (قوله انهما من عبادنا المؤمنين) اى الكاملين فى الايمان البالغين الغاية فيه (قوله وان الياس) معطوف على ماقبله عطف قصة على قصة (قوله بالهمز اوله وتركه) اى بناء على انها همزة قطع او وصل قراءتان سبعيتان وسبب جواز الامرين انه اسم اعجمى استعملته العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبران (قوله قيل هو ابن اخى هرون الخ) الصحيح انه من ذرية هرون لقول محمد بن اسحق هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران والياس ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك انه قيل هو ادريس وقيل هو اليسع (قوله ارسل الى قوم ببعلبك) حاصل قصته كما قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبى صلى الله عليه وسلم عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذى بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه ارحب وكان قد اضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه بعلا وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم ابناءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها

عنه

عنه و يبلغونها الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره و يسدده و يرشده ثم ان الملك ارتد واشتد غضبه على الياس وقال يا الياس ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوي الى الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسئم الكمون في الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا دعا ربه عز وجل ان يريحه منهم فقيل انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اذا اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا أرضيا سماويا ونبأ الله تعالى اليسع و بعثه رسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله اليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع وقد أعطى الله الياس معجزات جمة منها تسخير الجبال له والاسود وغيرهما واعطاه الله قوة سبعين نبيا وكان على صفة موسى في الغضب والقوة وروى ان الياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس و يحضران موسم الحج كل عام و يفترقان عن اربع كلمات بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله بسم الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وقيل في الرواية غير ذلك والياس موكل بالفيافي والقفار والخضر موكل بالبحار ولا يموتان الا في آخر الزمان حين يرفع القرآن وعن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا عند فج الناقة فسمعت صوتا يقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض ابيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رآني قال أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم قال فارجع اليه فاقرأه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد ان يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فجاء يمشي وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي وتاخرت انا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعواني فاكلت معهما واذا فيها كماة ورمان وحوت وكرسف فلما أكلت قمت فتنحيت فجاءت سحابة فحملته وانا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوي قبل السماء انتهى (قوله الا تتقون الله) اى تمتثلون اوامره وتجتنبون نواهيه (قوله و به سمي البلد) اى ثانيا وأما اولا فاسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعلبك (قوله مضافا الى بك) اى مضموما اليه والا فالتركيب مزجي لا اضافي (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل في حيز الانكار (قوله احسن الخالقين) اى المصورين لانه سبحانه وتعالى يصور الصورة و يلبسها الروح وغيره يصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة الخ) اى والقراءتان سبعيتان (قوله فانهم نجوا منها) اشار بذلك الى ان الاستثناء من الواو في لمحضرون كانه قال فكذبوه فانهم لمحضرون الا الذين تابوا من تكذيبهم واخلصوا فانهم غير محضرين (قوله قيل هو الياس المتقدم) اي وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة وهي

الا تتقون) الله (اتدعون بعلا) اسم صنم لهم من ذهب و به سمي البلد ايضا مضافا الى بك اى اتعبدونه (وتذرون) تتركون (احسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) برفع الثلاثة على اضمار هو و بنصبها على البدل من احسن (فكذبوه فانهم لمحضرون) في النار (الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين منهم فانهم نجوا منها (وتركنا عليه في الآخرين) ثناء حسنا (سلام) منا (على الياسين) قيل هو الياس المتقدم ذكره

وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليبا كقولهم للمهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد اى اهله المراد به الياس ايضا (انا كذلك) كما جزيناه (نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين) اذكر (اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين) اى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) اهلكنا (الآخرين) كفار قومه (وانكم لتمرون عليهم) على آثارهم ومنازلهم فى اسفاركم (مصبحين) اى وقت الصباح يعنى بالنهار (وبالليل افلا تعقلون) يا اهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وان يونس لمن المرسلين اذ ابق) هرب (الى الفلك المشحون) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى وعدهم به فركب السفينة فوقفت فى لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة (فساهم) قارع اهل السفينة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة فالقوه فى البحر (فالتقمه الحوت) ابتلعه (وهو مليم) اى آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه (فلولا انه كان من المسبحين) الذاكرين بقوله كثيرا فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة (فنبذناه) القيناه من بطن الحوت (بالعراء) بوجه الارض اى بالساحل من يومه او بعد ثلاثة او سبعة ايام او عشرين او اربعين يوما (وهو سقيم) عليل كالفرخ الممعط (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) وهى القرع تظله بساق على خلاف العادة فى القرع معجزة له وكانت تاتيه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوى (وارسلناه) بعد ذلك

لغة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أى وعليه فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالما (قوله المراد به الياس أيضا) أى فاطلق الاول وأراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به فتحصل أن فى الآية ثلاث عبارات الياس فى أولها والياسين وآل ياسين فى آخرها وكلها سبعية (قوله وان لوطا لمن المرسلين) عطف على ماقبله أيضا عطف قصة على قصة (قوله اذكر اذ نجيناه الخ) قدر المفسر اذكر اشارة الى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقا بقوله المرسلين لانه يوهم انه قبل النجاة لم يكن رسولا مع أنه رسول قبل النجاة وبعدها (قوله وأهله) المراد بهم بنتاه (قوله الا عجوزا) هى امرأته (قوله أى وقت الصباح) بيان لمعناه فى الاصل وقوله يعنى بالنهار بيان للمراد منه وقوله وبالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير اتشاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وان يونس لمن المرسلين) هو ابن متى وهو ابن العجوز التى نزل عليها الياس فاستخفى عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبى يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس اذن له فى السياحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن المرأة فخرجت فى اثر الياس تطوف وراءه فى الجبال حتى وجدته فسألته ان يدعو الله لها لعله يحيى لها ولدها فجاء الياس الى الصبى بعد اربعة عشر يوما مضت من موته فتوضأ وصلى ودعا الله فاحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام وارسل الله يونس الى اهل نينوى من ارض الموصل وكانوا يعبدون الاصنام (قوله اذ ابق) ظرف لمحذوف تقديره اذكر كما تقدم نظيره وقوله ابق بابه فتح والاباق فى الاصل الهروب من السيد واطلاقه على هروب يونس استعارة تصريحية فشبه خروجه بغير اذن ربه باباق العبد من سيده (قوله حين غاضب قومه) المفاعلة على بابها لانهم غاضبوه بعدم الانقياد له والايمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) اى أى باجتهاد منه لظنه انه ان بقى بينهم قتلوه لانهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لربه لا صغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه فى بطن الحوت على مخالفته الاولى فان الاولى له انتظار الاذن من الله تعالى هذا هو الصواب فى تحقيق المقام وهنالك أقوال أخر اعتقادها يضر فى العقيدة والعياذ بالله تعالى (قوله فوقفت) أى من غير سبب وقوله فى لجة البحر المراد به الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) اى وكان من عادتهم ان السفينة اذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) اى غالبهم قيل مرة واحدة وقيل ثلاثا (قوله فالقوه فى البحر) قدره اشارة الى ان قوله فالتقمه الحوت مرتب على محذوف (قوله اى آت بما يلام عليه) اى أو المعنى وهو مليم نفسه (قوله بقوله كثيرا) استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين (قوله قبرا له) اى بان يموت فيبقى فى بطنه ميتا وقيل بان يبقى على حياته (قوله فنبذناه) اى امرنا الحوت بنبذه فنبذه (قوله بالعراء) اى الارض المتسعة التى لا نبات بها (قوله من يومه) اى فالتقمه ضحى ونبذه عشية وماذكره المفسر خمسة أقوال الاول للشعبى والثانى لمقاتل والثالث لعطاء والرابع للضحاك والخامس للسدى (قوله الممعط) بضم الميم الاولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة ايضا اى المنتوف الشعر (قوله وهى القرع) خص بذلك لانه بارد الظل لين الملمس كبير الورق لا يعلوه الذباب وماذكره المفسر أحد اقوال فى تفسير اليقطين وقيل كانت شجرة التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره (قوله وعلة) اما

كقبله الى قوم بنينوى من ارض الموصل (الى مائة ألف أو) بل (يزيدون) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا (فآمنوا) عند معاينة العذاب الموعودين به (فمتعناهم) أبقيناهم ممتعين بما لهم (الى حين) تنقضي آجالهم فيه (فاستفتهم) استخبر كفار مكة توبيخا لهم (ألربك البنات) بزعمهم ان الملائكة بنات الله (ولهم البنون) فيختصون بالاسنى (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) خلقنا فيقولون ذلك (ألا انهم من افكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) بقولهم الملائكة بنات الله (وانهم لكاذبون) فيه (اصطفى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت اى اختار (البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (افلا تذكرون) بادغام التاء فى الذال انه سبحانه وتعالى منزه عن الولد (أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) التوراة فأرونى ذلك فيه (ان كنتم صادقين) فى قولكم ذلك (وجعلوا) أى المشركون (بينه) تعالى (وبين الجنة) أى الملائكة لاجتنانهم عن الابصار (نسبا) بقولهم انها بنات الله (ولقد علمت الجنة انهم) اى قائلى ذلك (لمحضرون) للنار يعذبون فيها (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفون) بان لله ولدا (الا عباد الله المخلصين) اى المؤمنين استثناء منقطع اى فانهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فانكم وما تعبدون) من الاصنام (ما انتم عليه) اى على معبودكم وعليه متعلق بقوله

بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هى الغزالة (قوله كقبله) جواب عما يوهم انه قبل خروجه لم يكن مرسلا (قوله بنينوى) بكسر النون الاولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو (قوله او يزيدون) جعل المفسر أو للاضراب بمعنى بل ويصح ان تكون للشك بالنسبة للمخاطبين اى ان الرائى يشك عند رؤيتهم او للابهام بمعنى ان الله أبهم أمرهم او الاباحة او التخيير بمعنى ان الناظر يباح له او يخير بين ان يحذرهم بكذا أو كذا (قوله عند معاينة العذاب) اى عند حضور أماراته ولذا نفعهم ايمانهم وأما مثل فرعون فلم يؤمن الا بعد حصول العذاب بالفعل وأيضا قوم يونس اخلصوا فى ايمانهم وفرعون لم يخلص وانما ايمانه عند الغرغرة لدفع الشدة ولو ردوا لعادوا (قوله بما لهم) بفتح اللام اى بالذى ثبت لهم من النعم وتقدم بسط قصة يونس فى سورة يونس فراجعها ان شئت (قوله فاستفتهم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ما تقدم للامم من شركهم ومخالفتهم لانبيائهم فاستفتهم اى اطلب من اهل مكة الخبر لاجل توبيخهم واقامة الحجة عليهم (قوله توبيخا لهم) اى فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم (قوله ألربك البنات ولهم البنون) اى ألهذه القسمة الجائرة وجه فانهم كفروا من وجهين الاول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو والثانى كونه خصوص الانثى فانهم لا يرضون بنسبتها لانفسهم بل اما ان يمسكوها على الهوان او يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبنين (قوله فيختصون بالاسنى) اى الاشرف وهو الذكور وفى نسخة بالابناء (قوله أم خلقنا الملائكة اناثا) ام منقطعة تفسر ببل والهمزة فهو اضراب عما زعموا ورد عليهم وهذا بمعنى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم الآية (قوله وهم شاهدون) الجملة حالية اى والحال انهم معاينون لخلقهم (قوله الا انهم من افكهم) استئناف لبيان ابطال ما هم عليه كانه قيل ليس لهم مستند الا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وانهم لكاذبون فيه) اى فى قولهم الملائكة بنات الله (قوله واستغنى بها) اى بهمزة الاستفهام فى التوصل للنطق بالساكن والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله ما لكم كيف تحكمون) اى اى شئ ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين فى زعمكم لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء فى الذال) اى أو بتاء واحدة من غير ادغام قراءتان سبعيتان (قوله ام لكم سلطان مبين) انتقال من توبيخهم الى الزامهم الحجة بما لا وجود له ولا يقدرون على اثباته (قوله التوراة) الصواب اسقاطه لان الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للغيبة اشارة الى انهم بعيدون من رحمة الله وليسوا أهلا لخطابه (قوله لاجتنانهم عن الابصار) اى استتارهم عنها (قوله ولقد علمت الجنة) هذا زيادة فى تبكيتهم وتكذيبهم كانه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله اعلم بحالكم وما يؤول اليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التأييد (قوله سبحان الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم فكانه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون بقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم برآء من هذا الوصف وقوله فانكم وما تعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم (قوله استثناء منقطع) أى من الواو فى يصفون وهو فى قوة الاستدراك رفع به ما يتوهم ثبوته أو نفيه كانه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لانهم لا يصفونه تعالى الا بالكمالات (قوله أى على معبودكم) اشار بذلك الى ان الضمير فى عليه عائد على ما وعلى هذا فالواو

(بفاتنين) اى احدا (الا من هو صال الجحيم) فى علم الله تعالى قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (ومامنا) معشر الملائكة

احد (الا له مقام معلوم) فى السموات يعبد الله فيه لايتجاوزه (وانا لنحن الصافون) أقدامنا فى فى الصلاة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون الله عما لايليق به (وان) مخففة من الثقيلة (كانوا) اى كفار مكة (ليقولون لوان عندنا ذكرا) كتابا (من الاولين) اى من كتب الامم الماضية (لكنا عباد الله المخلصين) العبادة له قال تعالى (فكفروا به) اى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الاشرف من تلك الكتب (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم (ولقد سبقت كلمتنا) بالنصر (لعبادنا المرسلين) وهى لاغلبن انا ورسلى اوهى قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا) اى المؤمنين (لهم الغالبون) الكفار بالحجة والنصرة عليهم فى الدنيا وان لم ينتصر بعض منهم فى الدنيا ففى الآخرة (فتول عنهم) اى اعرض عن كفار مكة (حتى حين) تؤمر فيه بقتالهم (وابصرهم) اذا نزل بهم العذاب (فسوف يبصرون) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزول هذا العذاب قال تعالى تهديدا لهم (افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم) بفنائهم قال الفراء العرب تكتفى بذكر الساحة عن القوم (فساء) بئس صباحا (صباح المنذرين) مااقله

للمعية ومامفعول معه سادة مسد خبران (قوله بفاتنين) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله احدا والمعنى انكم مع معبودكم لستم بمفسدين احدا الامن سبقت له الشقاوة فى علم الله (قوله الامن هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاض (قوله فى علم الله تعالى) اى من علم الله انه من اهل الجحيم فانه يميل الى الكفر واهله (قوله ومامنا الا له مقام معلوم) هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم والمعنى ليس منا احدا لا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة وامتثال مايامرنا الله تعالى به قال ابن عباس مافى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى و يسبح قيل ان هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهنا تفارقنى فقال جبريل ما استطيع ان اتقدم عن مكانى هذا وانزل الله تعالى حكاية عن الملائكة ومامنا الا له مقام معلوم الآيات وفى الحديث مافى السموات موضع قدم الا عليه ملك ساجد اوقائم (قوله احد) قدره اشارة الى ان فى الآية حذف الموصوف وابقاء صفته وهو مبتدا والخبر جملة قوله الا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا الا له مقام معلوم (قوله اقدامنا فى الصلاة) اشار بذلك الى ان المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) اى واللام فارقة والمعنى ان قريشا كانت تقول قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لوان لنا كتابا مثل كتاب الاولين لاخلصنا العبادة لله تعالى وهذا نظير قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ماقبله (قوله فسوف يعلمون) اى فى الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلا سوف ترى ماتوعد به وانت شارع فيه فسوف للوعيد لا للتبعيد (قوله ولقد سبقت كلمتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم وانما صدرت هذه الجملة بالقسم لتاكيد الاعتناء بتحقيق مضمونها (قوله كلمتنا بالنصر) انما سمى الوعد بالنصر كلمة مع انه كلمات لكون معنى الكل واحدا (قوله وهى لاغلبن انا ورسلى) اى فيكون قوله انهم لهم المنصورون جملة مستانفة وقوله اوهى قوله انهم الخ اى وعليه فيكون بدلا من كلمتنا اوتفسيرا لها (قوله وان جندنا) الجند فى الاصل الانصار والاعوان والمراد منه انصار دين الله وهم المؤمنون كما قال المفسر (قوله وان لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا مايقال قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين فى بعض الازمان فاجاب بان النصر امافى الآخرة للجميع اوفى الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال واجيب ايضا بان الانبياء المأذون لهم فى القتال لابد لهم من النصر فى الدنيا ولاتقع لهم هزيمة ابدا وانما ان وقع للكفار بعض غلبة كمافى احد فهو لحكم عظيمة ولاتبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية واماغيرهم فتارة ينصرون فى الدنيا وتارة لا وانما ينصرون فى الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) اى فكان اولا مامورا بالتبليغ والصبر ثم لما كان فى السنة الثانية من الهجرة امر صلى الله عليه وسلم بالجهاد وغزواته سبع وعشرون غزوة قاتل فى ثمان منها بنفسه بدر واحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف (قوله وابصرهم اذا نزل بهم العذاب) اى من القتل والاسر والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك قريب كانه واقع مشاهد (قوله عاقبة كفرهم) ى من نزول العذاب بساحتهم (قوله تهديد لهم) اى فليس الاستفهام على حقيقته بل المقصود تهديدهم (قوله تكتفى بذكر الساحة) اى تستغنى على سبيل الكناية فالمعنى فاذا نزل بهم العذاب فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فاناخ بفنائهم بغتة وهم فى ديارهم ففى ضمير العذاب استعارة بالكناية والنزول تخييل (قوله بئس صباحا) اشار بهذا الى ان الفاعل ضمير والتمييز محذوف والمذكور مخصوص والاوضح

ماقاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمخصوص محذوف وعليه فالتقدير بئس صباح المنذرين صباحهم (قوله فيه اقامة الظاهر مقام المضمر) أي في التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر ان يقال صباحهم (قوله سبحان ربك الخ) الغرض من هذا تعليم المؤمنين ان يقولوه ولا يغفلوا عنه لما روى عن على كرم الله وجهه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته اوحين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (قوله رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذى العزة وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه و يترتب على كل من القولين مسئلة اليمين فعلى الاول ينعقد بها اليمين لانها من صفات الله تعالى وعلى الثاني لا ينعقد لانها من صفات المخلوق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم

﴿سورة ص﴾

اى ويقال لها سورة داود (قوله مكية) أي كلها (قوله او ثمان) اولحكاية الخلاف (قوله الله اعلم بمراده به) تقدم غير مرة ان هذا القول اسلم لان تفويض الامر امتثالا به لعلم الله تعالى هو غاية الادب واعلم ان في لفظ ص قراآت خمسة السبعة على السكون لا غير والباقي شاذ وهو الضم والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين وبدونه فالضم على انه خبر لمحذوف على انه اسم للسورة اى هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتانيث والفتح اما على أنه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ أو نحوه أو مبني على الفتح كاين وكيف والاول اقرب والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين و بالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر الى اللفظ (قوله اى البيان) اى لما يحتاج اليه في امر الدين وقوله او الشرف أي ان من آمن به كان شريفا في الدنيا والآخرة قال تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اى شرفكم وايضا القرآن شريف في ذاته من حيث اشتماله على المواعظ والاحكام وغيرها فهو شريف في نفسه مشرف لغيره وقيل المراد بالذكر ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده وقيل المراد به الموعظة وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا احد اقوال وهو احسنها وقيل تقديره انك لمن المرسلين كما في يس وقيل هو قوله كم اهلكنا وفيه حذف اللام والاصل لكم اهلكنا وانما حذفت لطول الكلام نظير حذفها في قوله قد افلح من زكاها بعد قوله والشمس وقيل غير ذلك (قوله بل الذين كفروا) اضراب وانتقال من قصة الى قصة (قوله من اهل مكة) خصهم بالذكر لانهم سبب النزول والا فالمراد كل كافر (قوله اى كثيرا) اشار بذلك الى ان كم خبرية بمعنى كثيرا مفعول اهلكنا ومن قرن تمييزها (قوله ولات حين) اختلفت المصاحف في رسم التاء فبعضهم رسمها مفصولة و بعضهم رسمها متصلة بحين و ينبني على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء و بعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلفوا والجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة اتباعا للمرسوم الخط الشريف والاقل منهم يقف بالهاء وهذا الوقف للاختبار لا انه من جملة الاوقاف الجائزة (قوله مناص) المناص يطلق على المنجى والمفر والتقدم والتاخر وكل هنا يناسب المقام (قوله اى ليس الحين الخ) اشار بذلك الى مذهب الخليل وسيبويه في لات من حيث انها تعمل عمل ليس وان اسمها محذوف وهو وخبرها لفظ الحين والى ذلك اشار ابن مالك بقوله

وما للات في سوى حين عمل * وحذف ذى الرفع فشا والعكس قل

(قوله والتاء زائدة) اى لتاكيد النفي (قوله من فاعل نادوا) اى وهو الواو (قوله وما اعتبر) معطوف

فيه اقامة الظاهر مقام المضمر (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) كررتا كيدا لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (سبحان ربك رب العزة) الغلبة (عما يصفون) بان له ولدا (وسلام على المرسلين) المبلغين عن الله التوحيد والشرائع (والحمد لله رب العالمين) على نصرهم وهلاك الكافرين

﴿سورة ص مكية ست او ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) الله اعلم بمراده به (والقرآن ذى الذكر) اى البيان او الشرف وجواب هذا القسم محذوف اى ما الامر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة (بل الذين كفروا) من اهل مكة (فى عزة) حمية وتكبر عن الايمان (وشقاق) خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم (كم) اى كثيرا (اهلكنا من قبلهم من قرن) اى امة من الامم الماضية (فنادوا) حين نزول العذاب بهم (ولات حين مناص) اى ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا اى استغاثوا والحال ان لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة

(وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) رسول من انفسهم ينذرهم و يخوفهم النار بعد البعث وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وقال الكافرون) فيه
وضع الظاهر موضع المضمر (هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا) حيث قال لهم قولوا لا اله الا الله اى
كيف يسع الخلق كلهم اله
واحد (ان هذا لشئ
عجاب) اى عجيب
(وانطلق الملا منهم) من
مجلس اجتماعهم عند ابى
طالب وسماعهم فيه من
النبي صلى الله عليه وسلم
قولوا لا اله الا الله (ان
امشوا) اى يقول بعضهم
لبعض امشوا (واصبروا
على آلهتكم) اثبتوا على
عبادتها (ان هذا) المذكور
من التوحيد (لشئ يراد)
منا (ماسمعنا بهذا فى الملة
الآخرة) اى ملة عيسى
(ان) ما (هذا الا اختلاق)
كذب (أأنزل) بتحقيق
الهمزتين وتسهيل الثانية
وادخال الف بينهما على
الوجهين وتركه (عليه) على
محمد (الذكر) القرآن (من
بيننا) وليس باكبرنا ولا
اشرفنا اى لم ينزل عليه قال
تعالى (بل هم فى شك من
ذكرى) وحيي اى القرآن
حيث كذبوا الجائى به
(بل لما) لم (يذوقوا عذاب)
ولو ذاقوه لصدقوا النبي
صلى الله عليه وسلم فيما جاء
به ولا ينفعهم التصديق
حينئذ (ام عندهم خزائن
رحمة ربك العزيز) الغالب
(الوهاب) من النبوة وغيرها
فيعطونها من شاؤا (أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما) ان زعموا ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) الموصلة الى السماء
فياتون بالوحى فيخصوا به من شاؤا وأم فى الموضعين بمعنى همزة الانكار (جندما) اى هم جند حقير (هنالك) اى فى
تكذيبهم لك (مهزوم) صفة جند (من الاحزاب) صفة جند ايضا اى كالاجناد من جنس الاحزاب المتحزبين على الانبياء قبلك ثلاث

على كم أهلكنا (قوله وعجبوا الخ) اى جعلوا مجئ رسول من جنسهم أمرا خارجا عن طوق العقل فيتعجب منه (قوله من أنفسهم) اى من جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) اى زيادة فى التقبيح عليهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) اى فيما يظهره من الخوارق كذاب اى فيما يسنده الى الله من الارسال والانزال (قوله أجعل الآلهة الخ) الاستفهام تعجبي اى كيف يعلم الجميع و يقدر على التصرف فيهم اله واحد وسبب هذا التعجب قياسهم القديم على الحادث ولم يعلموا انه واحد لا من قلة بل وحدته وحدة تعزز وانفراد تنزه الله عن مماثلة الحوادث له (قوله عجيب) أشار بذلك الى ان عجاب مبالغة فى عجيب (قوله عند ابى طالب) روى انه لما أسلم عمر شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا اباطالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاحضره وقال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسالونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ماسالتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم فقالوا نعم وعشر أمثالها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وانطلقوا قائلين امشوا واصبروا على آلهتكم (قوله اى يقول بعضهم الخ) اشار بذلك الى ان ان تفسيرية وضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آلهتكم) اى استمروا على عبادتها (قوله ان هذا) تعليل للامر بالصبر (قوله يراد منا) اى يقصد منا تنفيذه فلا انفكاك لنا عنه (قوله ماسمعنا بهذا الخ) اى وانما سمعنا فيها التثليث (قوله بتحقيق الهمزتين) اى فالقراآت اربع سبعيات (قوله اى لم ينزل عليه) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله بل هم فى شك) اضراب عن مقدر تقديره انكارهم للذكر ليس عن علم بل هم فى شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) اضراب انتقالى لبيان سبب الشك والمعنى سببه انهم لم يذوقوا العذاب الى الآن ولو ذاقوه لايقنوا بالقرآن وآمنوا به (قوله لم يذوقوا) اشار بذلك الى ان لما بمعنى لم فالمعنى لم يذوقوه الى الآن وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم (قوله حينئذ) اى حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له (قوله الغالب) اى الذى لا يغلبه شئ بل هو الغالب لكل شئ (قوله الوهاب) اى الذى يهب من يشاء لمن يشاء (قوله ام لهم ملك السموات والارض) المعنى ليس لهم تصرف فى العالم الذى هو من جملة خزائن رحمته فمن أين لهم التصرف فيها (قوله فليرتقوا فى الاسباب) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر قدره بقوله ان زعموا ذلك اى المذكور من العندية والملكية والمعنى فليصعدوا فى المعاريج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه و يدبروا أمر العالم و ينزلوا الوحى على من يختارون (قوله بمعنى همزة الانكار) اى وبعضهم قدرها ببل والهمزة (قوله اى هم جند) أشار بذلك الى ان جند خبر لمحذوف والتنوين للتقليل والتحقير وما لتاكيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند او لمهزوم (قوله مهزوم) اى مقهور ومغلوب والمعنى ان قريشا جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تكترث بهم وتسل عنهم (قوله صفة جند ايضا) اى فقد وصف جند بصفات

واولئك قد قهروا واهلكوا فكذا انهلك هؤلاء (كذبت قبلهم قوم نوح) تانيث قوم باعتبار المعنى (وعاد وفرعون ذو الاوتاد) كان يتد لكل من يغضب عليه اربعة اوتاد يشد اليها يديه ورجليه و يعذ به (وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة) اى الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (اولئك الاحزاب ان) ما (كل) من الاحزاب (الا كذب الرسل) لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لان دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد (فحق) وجب (عقاب وما ينظر) ينتظر (هؤلاء) اى كفار مكة (الا صيحة واحدة) وهى نفخة القيامة تحل بهم العذاب (ما لها من فواق) بفتح الفاء وضمها رجوع (وقالوا) لما نزل فاما من اوتى كتابه بيمينه الخ (ربنا عجل لنا قطنا) اى كتاب اعمالنا (قبل يوم الحساب) قالوا ذلك استهزاء قال تعالى (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد) اى القوة فى العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه (انه اواب) رجاع الى مرضاة الله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) بتسبيحه (بالعشي) وقت صلاة العشاء (والاشراق) وقت صلاة الضحى وهو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها (و) سخرنا (الطير محشورة) مجموعة اليه تسبح معه (كل) من الجبال والطير (له اواب) رجاع الى طاعته بالتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه

ثلاث الاولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الاحزاب (قوله وأولئك) أى الاحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ماقبله ببيان تفاصيل الاحزاب (قوله باعتبار المعنى) أى وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أى يدق و يغرز والاوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الافصح (قوله يشد اليها يديه الخ) أى و يضجعه مستلقيا على ظهره (قوله و يعذ به) قيل يتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل معنى ذوالاوتاد ذوالملك الثابت أو ذوالجموع الكثيرة وفى الاوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر وهو لا يثبت الا بالاوتاد (قوله أى الغيضة) أى الاشجار الملتفة المجتمعة وتقدم انهم أهلكوا بالظلة (قوله أولئك الاحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله ان كل الخ استئناف جئ به تقرير التكذيبهم و بيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه وان نافية لاعمل لها لانتقاض النفى بالا (قوله لانهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال ان كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اخوانهم الاحزاب (قوله هى نفخة القيامة) أى الثانية (قوله ما لها من فواق) الجملة فى محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة فى المبتدا (قوله بفتح الفاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة وقال ابن عباس ما لها من رجوع من أفاق المريض اذا رجع الى صحته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فاما من أوتى كتابه الخ) أى الذى فى سورة الحاقة (قوله قطنا) أى نصيبنا وحظنا وأصله من قط الشئ أى قطعه (قوله أى كتاب أعمالنا) سمى قطا لانه مقطوط أى مقطوع لان صحيفة الاعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها (قوله قبل يوم الحساب) أى فى الدنيا (قوله اصبر على ما يقولون) فيه تهديد للكفار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذكر عبدنا داود الخ) المقصود من ذكر تلك القصص اظهار فضل المتقدمين وتسليته صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والاضافة فى عبدنا لتشريف المضاف (قوله ذا الايد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يئيد اذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما و يفطر يوما) أى وهو جهاد للنفس دليل على قوة داود لان النفس كالطفل فاذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطاقها فى اليوم الثانى ثم يعود لفطمها ولا شك انه جهاد عظيم (قوله و يقوم نصف الليل الخ) هكذا فى بعض النسخ موافقة لما فى القرطبي والبيضاوى وأبى السعود وفى بعض النسخ كان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه وهو الموافق لما فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام ان أحب الصيام الى الله صيام داود وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما و يفطر يوما وكان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه ولما فى الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام أحب الصيام الى الله صيام داود كان يصوم يوما و يفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه ولعله كان احيانا هكذا واحيانا هكذا (قوله انه اواب) تعليل لكونه ذا قوة فى الدين (قوله الى مرضاة الله) المرضاة بمعنى الرضا (قوله انا سخرنا الجبال) تعليل آخر لقوته فى الدين (قوله يسبحن) اى بلسان المقال و يسرن معه فى السياحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت صلاة العشاء) ظاهره ان المراد بها العشاء الاخيرة والذى يفهم من كلام غيره انها المغرب حيث قال فكان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (قوله و يتناهى ضوؤها) اى وهو ربع النهار (قوله والطير محشورة) بالنصب فى قراءة العامة معطوف على الجبال وقرئ شذوذا بالرفع مبتدا وخبر (قوله كل له اواب) اشار المفسر الى ان الضمير فى له عائد على داود وحينئذ فالمعنى

بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون الف رجل (وآتيناه الحكمة) النبوة والاصابة في الامور (وفصل

الخطاب) البيان الشافي في كل قصد (وهل) معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق الى استماع ما بعده (اتاك) يا محمد (نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) محراب داود اي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة اي خبرهم وقصتهم (اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف) نحن (خصمان) قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما والخصم يطلق على الواحد واكثر وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل العرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امراة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها (بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) تجر (واهدنا) ارشدنا (الى سواء الصراط) وسط الطريق الصواب (ان هذا اخي) اي على ديني (له تسع وتسعون نعجة) يعبر بها عن المراة (ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها) اي اجعلني كافلها (وعزني) غلبني (في الخطاب) اي الجدال واقره الآخر على ذلك (قال لقد ظلمك

كل من الجبال والطير مطيع لداود في تسبيحه ان رفع رفعوا وان خفض خفضوا وهو احد قولين والآخر انه عائد على الله تعالى والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتحتين اسم جمع كخدم او بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس (قوله ثلاثون الف رجل) في رواية ابن عباس ستة وثلاثون الفا (قوله النبوة والاصابة في الامور) هذا احد اقوال في تفسير الحكمة وقيل هي العلم بكتاب الله تعالى وقيل العلم والفقه وقيل السنة (قوله البيان الشافي) اي الاظهار المنبه للمخاطب من غير التباس وهو احد اقوال في تفسير فصل الخطاب وقيل الفصل في القضاء وقيل هو البينة على المدعي واليمين على من انكر وقيل هو أما بعد وقيل غير ذلك (قوله التعجيب) اي حمل المخاطب على التعجب او ايقاعه في العجب (قوله الى استماع ما بعده) اي لكونه امرا غريبا كقولك لجليسك هل تعلم ما وقع اليوم تريد ان يستمع لكلامك ثم تذكر له ما وقع (قوله اذ تسوروا) ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم الخصم ولا يصح ان يكون ظرفا لاتاك لان اتيان النبأ كائن في عهد رسول الله لا في عهد داود ولا لنبأ لان النبأ الواقع في عهد داود فلا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله اي مسجده) اي الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة (قوله حيث منعوا الدخول عليه من الباب) اي لكونهم اتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب (قوله ففزع منهم) اي لانهم نزلوا من اعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لا تخف) جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه فقال قالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبني على ان الداخل عليه كان ازيد من اثنين فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكين (قوله وقيل اثنان) اي شخصان وهو مبني على ان الداخل المتداعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) اي لانه في الاصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله على سبيل العرض) بالعين المهملة اي التعريض وهو جواب عما يقال ان الملائكة معصومون فكيف يتصور منهم البغي او الكذب فاجاب بان هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا بغي فيه ولا كذب (قوله لتنبيه داود) اي ايقاظه على ما صدر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره اوريا بن حنان اسم عظيم وهو كما قيل انها ام سليمان عليه السلام (قوله وتزوجها ودخل بها) مشى المفسر على ان داود سأل اوريا طلاق زوجته ثم بعد وفاء عدتها تزوجها داود ودخل بها وهو احد اقوال ثلاثة والثاني ان داود لما تعلق بها قلبه امر اوريا ليذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل ولما قتل في الجهاد تزوجها داود والثالث ان اوريا لم يكن متزوجا بها وانما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها وكان ذلك كله جائزا في شرعه وانما عاتبه الله لرفعة قدره وللسيد ان يعاتب عبده على ما يقع منه وان كان جائزا من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله ولا تشطط) العامة على ضم التاء من اشطط اذا تجاوز الحد وقرئ شذوذا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وتشطط من اشط رباعيا الا انه ادغم وتشطط من شطط وتشاطط (قوله ان هذا اخي الخ) مرتب على مقدر تقديره فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي الخ (قوله اي على ديني) اي فليس المراد اخوة النسب لان الملائكة لا يلدون ولا يوصفون بذكورة ولا انوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) اي يكنى بها عن المراة لسكونها وعجزها وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة (قوله اي اجعلني كافلها) هذا هو معناه الاصلي والمراد هنا ملكنيها وانزل لي عنها (قوله وعزني في الخطاب) اي فهو افصح مني في الكلام فالغلبة له على لضعفي (قوله واقره الآخر) اي المدعى عليه وهو جواب عما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيئا من المدعى عليه فاجيب بانه سمع منه الاقرار والاعتراف

(قوله

(قوله بسؤال نعجتك) من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أى بان سالك نعجتك (قوله ليضمها) أشار بذلك الى انه ضمن السؤال معنى الاضافة والضم (قوله الخلطاء الشركاء) أى الذين خلطوا أموالهم وفيه اشارة الى ان داود ساير ظاهر دعواهم (قوله الا الذين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) اى علم انهما يريدانه بهذا التعريض (قوله أنما فتناه) ما زائدة والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر (قوله فاستغفر ربه) اى طلب منه المغفرة وتقدم انه ليس بذنب وانما هو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله اى ساجدا) عبر بالركوع عنه لان كلا منهما فيه انحناء (قوله وأناب) اى رجع الى مولاه قال المفسرون سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام الاربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عزوجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور الهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي باى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باى قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهي من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي انا لا اطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه سبحان خالق النور الهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي سبحان خالق النور الهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور قيل مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي ياداود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فاجيب في غير ما طلب ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد ورد انه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان سنه اذ ذاك سبعين سنة فقسم الدهر على أربعة أيام يوم للقضاء ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والسياحة ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فاذا كان يوم سياحته خرج الى الفيافي ويرفع صوته بالبكاء فتبكي معه الاشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته بالبكاء فتبكي معه دواب البحر وطير الماء فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء اربعة آلاف راهب فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله وقد

بسؤال نعجتك) ليضمها (الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) ما لتاكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما الى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود قال تعالى (وظن) أى أيقن (داود أنما فتناه) اوقعناه في فتنة اى بلية بمحبته تلك المرأة (فاستغفر ربه وخر راكعا) اى ساجدا (وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى) اى زيادة خير في الدنيا (وحسن مآب) مرجع في الآخرة

ورد ايضا انه لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى ان لا أنسى خطيئتى فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا و بسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر للخاطئين قبل نفسه وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل و يصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وكان اذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت اوصاله واذا ذكر رحمة الله تراجعت اه ملخصا (قوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) يحتمل انه كلام مستانف بيان للزلفى فى قوله وان له عندنا لزلفى و يحتمل انه مقول لقول محذوف معطوف على قوله فغفرنا له كأنه قيل فغفرنا له وقلنا يا داود الخ وفى هذه الآية دليل على ان خلافته التى كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة (قوله تدبر امر الناس) أى لكونك ملكا وسلطانا عليهم فقد جمع لداود بين النبوة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر فيحكم السلطان بما يامره به النبي (قوله بالحق) أى العدل لان الاحكام اذا كانت موافقة لما امر الله به صلحت الخلق واستقام نظامهم بخلاف ما اذا كانت موافقة لهوى النفس فان ذلك يؤدى الى فساد النظام ووقوع الهرج والمرج المؤدى للهلاك وهو معنى قولهم العدل ان دام عمر والظلم ان دام دمر (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيه اعلام أمته بانه معصوم واتباعه فيما امر به لانه اذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره اولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب فى جواب النهى وهو اولى من جعله مجزوما عطفا على النهى وفتح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله اى عن الدلائل الدالة على توحيده) انما فسر السبيل بذلك وان كان شاملا لفروع الدين الموصلة الى الله تعالى ليوافق قوله لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم) أشار بذلك الى ان ما مصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب ما ظرف لقوله لهم عذاب شديد او مفعول لنسوا (قوله المرتب عليه الخ) اى فالسبب الحقيقى فى حصول العذاب لهم هو ترك الايمان ونسيان يوم الحساب سبب فى ترك الايمان فاكتفى بذكر السبب (قوله وما خلقنا السماء والارض الخ) استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب (قوله باطلا) نعت لمصدر محذوف اى خلقا باطلا او حال من ضمير الخالق (قوله ذلك ظن الذين كفروا) اى مظنونهم (قوله فويل) هو فى الاصل معناه الهلاك اى هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظاهر تقبيحا عليهم واشارة الى ان ظنهم انما نشا من اجل كفرهم (قوله ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ام منقطعة تفسر ببل والهمزة وهو اضراب انتقالى من أمر البعث والحساب الى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين فى العواقب وهو نظير قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله ام نجعل المتقين الخ) تنويع آخر فى الاضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الانكار) اى مع بل التى للاضراب (قوله خبر مبتدا محذوف) اى وانزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدا محذوف أو خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب لانه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفيه خلاف (قوله ينظروا فى معانيها) اى يتاملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشاربهم فان التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرؤنه مرتلا مجودا مراعى بعض معانيه على حسب الطاقة والخاصة يقرؤنه ملاحظين انهم فى حضرة الله تعالى يقرؤن كلامه عليه وخاصة الخاصة يقرؤنه فانين عن انفسهم مشاهدين ان لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضي الله عنهم وعنا بهم (قوله أولو الالباب) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بالذكر (قوله ووهبنا لداود) اى من المرأة التى اخذها من أوريا وكان سنه اذ ذاك سبعين سنة (قوله اى سليمان) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله اذ عرض عليه) ظرف

(يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض) تدبر امر الناس (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) اى هوى النفس (فيضلك عن سبيل الله) اى عن الدلائل الدالة على توحيده (ان الذين يضلون عن سبيل الله) اى عن الايمان بالله (لهم عذاب شديد بما نسوا) بنسيانهم (يوم الحساب) المرتب عليه تركهم الايمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا فى الدنيا (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) اى عبثا (ذلك) اى خلق ماذكر لا لشيء (ظن الذين كفروا) من اهل مكة (فويل) واد (للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الانكار (كتاب) خبر مبتدا محذوف اى هذا (انزلناه اليك مبارك ليدبروا) اصله يتدبروا ادغمت التاء فى الدال (آياته) ينظروا فى معانيها فيؤمنوا (وليتذكر) يتعظ (أولوا الالباب) اصحاب العقول (ووهبنا لداود سليمان) ابنه (نعم العبد) اى سليمان (انه اواب) رجاع فى التسبيح والذكر فى جميع الاوقات (اذ عرض عليه بالعشى)

محذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك وقت ان عرض الخ والمعنى اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال) اى الى الغروب (قوله وهى القائمة) اى الواقعة على ثلاثة قوائم (قوله على طرف الحافر) اى من رجل او يد (قوله وهو من صفن) اى ماخوذ منه والصافن من الآدميين الذى يصف قدميه و يقرن بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطلق على كل من الذكر والانثى ماخوذ من الجودة او الجيد وهو العنق والمعنى طويلة العنق لفراهتها (قوله المعنى) اى معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت الف فرس) روى انه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم الف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فوضع يده عليها لبيت المال وقيل خرجت له من البحر ولها اجنحة (قوله لارادة الجهاد) اى ليختبرها (قوله فقال انى أحببت الخ) اى على وجه الاعتذار عما صدر منه وندما عليه وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن (قوله اى الخيل) انما سماها خيرا لتعلق الخير بها لما فى الحديث الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة (قوله بالحجاب) اى وهو جبل دون جبل ق بمسيرة سنة تغرب من ورائه (قوله ردوها على) الخطاب لاتباعه المتولين أمر الخيل والضمير عائد على التى شغلته وهى التسعمائة واما المائة الاخرى فلم يذبحها وما فى ايدى الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة (قوله اى ذبحها وقطع ارجلها) اى وكان مباحا له ولذا لم يعاتبه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل الضمير فى قوله ردوها عائد على الشمس والخطاب للملائكة الموكلين بها فردوها فصلى العصر فى وقتها وقال الفخر الرازى معنى قوله فطفق مسحا بالسوق والاعناق انه يمسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها لكونه كان اعلم باحوال الخيل واشارة الى انه بلغ من التواضع الى انه يباشر الامور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولا عقر ولم تفوت عليه صلاة ومعنى انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اى لاجل طاعة ربى لا لهوى نفسى ومعنى توارت بالحجاب اى الخيل غابت عن بصره حين امر باجرائها ليختبرها للغزو فقال ردوها على فردوها فصار يمسح فى اعناقها وسوقها كما تقدم وليس فى الآية ما يدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فوات صلاة اهـ بالمعنى (قوله ولقد فتنا سليمان الخ) اجمل المفسر فى القصة * وحاصل تفصيلها على ما رواه وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر وانما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا ولا جمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحب مثله احدا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ قالت ان ابى اذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك فقال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو اعظم من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكننى اذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن فلو انك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى انا فيها اراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزنى وان يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها اى جواريها فتسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع فى ملكه اى أبيها وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك اربعين صباحا وبلغ ذلك

ما بعد الزوال (الصافنات) الخيل جمع صافنة وهى القائمة على ثلاث واقامة الاخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الجياد) جمع جواد وهو السابق المعنى انها اذا استوقفت سكنت وان ركضت سبقت وكانت الف فرس عرضت عليه بعد ان صلى الظهر لارادته الجهاد عليها العدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم (فقال انى أحببت) اى اردت (حب الخير) اى الخيل (عن ذكر ربى) اى صلاة العصر (حتى توارت) اى الشمس (بالحجاب) اى استترت بما يحجبها عن الابصار (ردوها على) اى الخيل المعروضة فردوها (فطفق مسحا) بالسيف (بالسوق) جمع ساق (والاعناق) اى ذبحها وقطع ارجلها تقربا الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوضه الله تعالى خيرا منها واسرع وهى الريح تجرى بامره كيف شاء (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه بسلب ملكه وذلك

الى آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يردعن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضرا او غائبا فاتاه وقال يا نبي الله ان غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فاتى بها وهي ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل الخلاء أو اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فاتاها شيطان اسمه صخر المارد ابن عمير في صورة سليمان لا تنكر منه شيا فقال هات خاتمي يا أمينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من انت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل و يقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب و يقولون انظروا الى هذا المجنون يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق و يعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فيا كلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم فقالوا نعم فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فاخذته سمكة فاخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان احداهما بارغفة و بقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده وخر لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف ان الذي دخل عليه من اجل ما حدث في داره فرجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان يأتوه بصخر المارد فاتي به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص ثم امر به فقذف في البحر فهو باق فيها الى النفخة وسياتي رد تلك القصة وانها من موضوعات الاخباريين (قوله لتزوجه بامرأة) أي واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هويها بمعنى احبها من باب صدي وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) اي وهو صورة أبيها ومدة ذلك اربعون يوما (قوله وكان ملكه في خاتمه) اي كان ملكه مرتبا على لبسه اياه فاذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها واذا نزعه زال عنه ذلك وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الاشياء التي نزل بها آدم من الجنة وقد نظمها بعضهم بقوله

وآدم معه انزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة * وختم سليمان النبي المعظم

وقوله العود المراد به عود البخور وقوله واليمين بمكة المراد به الحجر الاسود وورد في الحديث ان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله محمد رسول الله (قوله ووضعه عند امرأته) في عبارة غيره ام ولده المسماة بالامينة (قوله هو ذلك الجني) أي وسمي جسدا لانه ليس فيه روح سليمان وان كان فيه روحه هو لان الجسد هو

لتزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند ارادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالامينة على عادته فجاءها جني في صورة سليمان فاخذه منها (والقينا على كرسيه جسدا) هو ذلك الجني

الجسم الذى لا روح فيه (قوله وهو صخر) أى ابن عمير المارد (قوله فى غير هيئته) أى المعتادة التى كانوا يعرفونه بها (قوله رجع سليمان الى ملكه) هذا التفسير مبنى على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله والقينا على كرسيه جسدا وقال غيره انه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى أنابته رجوعه الى الله تعالى وتوبته (قوله بعد أيام) أى أربعين قال القاضى عياض وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه وان الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا والذى ذهب اليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة وفى رواية على مائة امرأة كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وفتنته من نسيان المشيئة فامتحن بهذا فتاب ورجع وقيل ان المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فامر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه واستغفر ربه اذا علمت ذلك فالمناسب أن يعرج على ما فى الصحيحين ويترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفر لى) انما قال ذلك تواضعا واظهارا للخضوع للمولى عز وجل والا فهو لم يحصل منه ذنب وانما هو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله وهب لى ملكا الخ) قدم طلب المغفرة اهتماما بامر الدين (قوله لا ينبغى لاحد من بعدى) أى ليكون معجزة لى فليس طلبه للمفاخرة بامور الدنيا وانما كان هو من بين النبوة والملك وكان فى زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك فطلب ما يكون معجزة لقومه ومعجزة كل نبى ما اشتهر فى عصره (قوله انك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة (قوله فسخرنا له الريح) أى أعدنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه وهذا على ما مشى عليه المفسر وعلى ما مشى عليه المحققون فيقال أدمنا تسخيرها (قوله تجرى بامره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينة) أى غير عاصفة وهذا فى أثناء سيرها وأما فى أوله فهى عاصفة فكانت العاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله بامره) أى اياها فالمصدر مضاف لفاعله (قوله كل بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء وذلك أن سليمان قسم الشياطين الى عملة استخدمهم فى الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مقرنين فى السلاسل كالمردة والعتاة (قوله القيود) من المعلوم أن القيد يكون فى الرجل فلا يلتئم مع قوله بجمع ايديهم الخ فلو فسر الاصفاد بالاغلال لكان أولى لانها تطلق عليها كما تطلق على القيود (قوله وقلنا له هذا) أى هذا الملك عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه متعلق بعطاؤنا أى أعطيناك بغير حساب وبغير حصر الثانى أنه حال من عطاؤنا أى فى حال كون عطائنا غير محاسب عليه والثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك والمعنى أعط من شئت وامنع من شئت لا حساب عليك فى إعطاء ولا منع قال الحسن ما أنعم الله نعمة على أحد الا عليه فيها تبعة الا سليمان فانه ان أعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة (قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى زيادة خير فى الدنيا والآخرة (قوله واذكر عبدنا أيوب) عطف على قوله واذكر عبدنا داود عطف قصة على قصة وليس معطوفا على قصة سليمان لانه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدر فى قصته بقوله واذكر عبدنا

وهو صخر أو غيره جلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان فى غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فانكروه (ثم أناب) رجع سليمان الى ملكه بعد أيام بان وصل الى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى) لا يكون (لاحد من بعدى) أى سواى نحو فمن يهديه من بعد الله أى سوى الله (انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء) لينة (حيث أصاب) اراد (والشياطين كل بناء) يبنى الابنية العجيبة (وغواص) فى البحر يستخرج اللؤلؤ (وآخرين) منهم (مقرنين) مشدودين (فى الاصفاد) القيود بجمع ايديهم الى اعناقهم وقلنا له (هذا عطاؤنا فامنن) اعط منه من شئت (او امسك) عن الاعطاء (بغير حساب) اى لا حساب عليك فى ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) تقدم مثله (واذكر عبدنا ايوب

اذ نادى ر به أنى) أى بانى (مسنى الشيطان بنصب) ضر (وعذاب) ألم ونسب ذلك الى الشيطان وان كانت الاشياء كلها من الله تادبا معه تعالى وقيل له (اركض) (٣٠٠) اضرب (برجلك) الارض فضرب فنبعت عين ماء فقيل (هذا مغتسل) ماء تغسل به (بارد وشراب) تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) اى أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم (رحمة) نعمة (منا وذكرى) عظة (لاولى الالباب) لاصحاب العقول (وخذ بيدك ضغثا) هو حزمة من حشيش او قضبان (فاضرب به) زوجتك وكان قد حلف ليضر بنها مائة ضربة لابطائها عليه يوما (ولا تحنث) بترك ضربها فاخذ مائة عود من الاذخر اوغيره فضربها به ضربة واحدة (انا وجدناه صابرا نعم العبد) أيوب (انه أواب) رجاع الى الله تعالى (واذكر عبادنا ابرهيم واسحق و يعقوب أولى الايدى) أصحاب القوى فى العبادة (والابصار) البصائر فى الدين وفى قراءة عبدنا وابراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (انا أخلصناهم بخالصة) هى (ذكرى الدار) الآخرة اى ذكرها والعمل لها وفى قراءة بالاضافة وهى للبيان (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين (الاخيار) جمع خير بالتشديد

سليمان مثلا بل كانا كانهما قصة واحدة وتقدم لنا فى الانبياء ان أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقيل انه ابن عيصو بن اسحق وقيل هو ابن أموص بن رعيل بن عيص بن اسحق وتقدمت قصته مفصلة فى سورة الانبياء (قوله اذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله انى مسنى الشيطان) اى حين ابتلى بفقد ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له الا زوجته وكانت مدة بلائه ثلاث سنين وقيل سبعا وقيل عشرا وقيل ثمانى عشرة (قوله بنصب) بضم فسكون التعب والمشقة وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تادبا معه تعالى) اى لان الشيطان هو السبب فى ذلك لانه نفخ فى أنفه فمرض جسده ظاهرا و باطنا الا قلبه ولسانه (قوله وقيل له) اى حين رجا وقت شفائه (قوله فنبعت عين ماء) ظاهره انها عين واحدة وهو احد قولين وقيل كانتا عينين بارض الشام فى أرض الجابية فاغتسل من احداهما فاذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دائه وكانت احدى العينين حارة والاخرى باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى (قوله ووهبنا له أهله) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فاغتسل الخ (قوله من مات من أولاده) اى وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث اناث وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) اى من زوجته وزيد فى شبابها واسمها قيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب (قوله رحمة الخ) مفعول لاجله اى لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله أولو الالباب (قوله وخذ بيدك ضغثا) عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) اى ملء الكف (قوله لابطائها عليه يوما) واختلف فى سبب بطئها المتسبب عنه حلفه فقيل ان الشيطان تمثل فى طريقها فى صورة حكيم يداوى المرضى فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه فقالت له عندى مريض فقال أداويه على انه اذا برئ قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل انها باعت ذوائبها برغيفين حين لم تجد شيا تحمله الى أيوب وكان أيوب يتعلق بها اذا أراد القيام فلهذا احلف ليضربنها وقيل غير ذلك (قوله ولا تحنث) اى لا تقع فى يمينك بحيث تلزمك كفارته وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجته واما فى شرعنا فلا يبر الا بضرب المائة وضربه باعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها الا اذا حصل منه ألم الضربة المنفردة (قوله انا وجدناه صابرا) اى علمناه والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله واذكر عبادنا ابراهيم الخ) اى اذكر صبرهم على ما امتحنوا به (قوله اولى الايدى) العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد فكنى بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما يزاول بها وقيل المراد بالايدى النعم وفسرها المفسر بالقوة فى العبادة وكلها معان متقاربة وقرئ شذوذا بحذف الياء تخفيفا (قوله انا أخلصناهم) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة (قوله هى ذكرى الدار) جعلها المفسر خبر المحذوف (قوله وفى قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان سبعيتان فعلى القراءة الاولى يكون ذكرى مرفوعا على اضمار مبتدا وعلى الثانى يكون مجرورا بالاضافة وعلامة جره كسرة مقدرة على الالف المحذوفة والاضافة بيانية كما قال المفسر (قوله واذكر اسمعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بذكر مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم نباه الله عليهم كما تقدم (قوله اختلف فى نبوته) روى الحاكم

عن

(واذكر اسمعيل واليسع) هو نبى واللام زائدة (وذا الكفل) اختلف فى نبوته قيل كفل مائة نبى فروا اليه من القتل (وكل)

اى كلهم (من الاخيار) جمع خير بالتثقيل (هذا ذكر) لهم بالثناء الجميل هنا (وان للمتقين) الشاملين لهم (لحسن مآب) مرجع في الآخرة (جنات عدن) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مفتحة لهم الابواب) منها (متكئين فيها) على الارائك

عن وهب ان الله بعث بعد ايوب ابنه بشرا وسماه ذا الكفل فهو بشر بن ايوب اختلف في نبوته ولقبه والصحيح انه نبي وسمي ذا الكفل اما لما قاله المفسر اولانه تكفل بصيام النهار وقيام الليل وان يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بما التزم وتقدمت قصته في الانبياء (قوله اى كلهم) اى المتقدمين من داود الى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدا وخبر قصد بها الفصل بين ماقبلها ومابعدها فهي للانتقال من غرض الى آخر ففيها تخلص من قصة وكذا يقال في قوله هذا وان للطاغين الخ (قوله وان للمتقين الخ) شروع في بيان اجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل (قوله الشاملين لهم) اى فالمتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فيها مافي المتقين من معنى الفعل والابواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء في لهم والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي لانه لا جوع فيها (قوله حابسات الاعين) اى لا ينظرن الى غيرهم نظر شهوة وميل (قوله اسنانهن واحدة) اى فقد استوين في السن والجمال وقيل معنى اتراب متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لاجله) اى لاجل وقوعه فيه فوقوعه وانجازه فيه علة للوعد به في الدنيا (قوله ان هذا لرزقنا) من كلام الله تعالى والمعنى ان هذا أى ماذكر من الجنات واوصافها لرزقنا اى لهو الرزق الذي نتفضل به على عبادنا ماله من نفاد أى انقطاع ابدا (قوله اى دائما الخ) لف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدا حذف خبره قدره بقوله المذكور وهو تخلص من مآل المتقين لمآل المجرمين فهو بمنزلة أما بعد (قوله وان للطاغين) اى الكافرين (قوله لشر مآب) مقابل قوله في حق المتقين لحسن مآب (قوله يصلونها) اى يكوون بها على سبيل التابيد وهو لازم للدخول (قوله الفراش) اى الغطاء والوطاء (قوله هذا مبتدأ) وحميم وغساق وآخر خبره ومن شكله صفة اولى لآخر وازواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين المبتدأ والخبر وهذا احسن مايقال (قوله محرق) اى للامعاء لقوله في الآية الاخرى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من صديد الخ) بيان لما كانه قال وهو صديد اهل النار الذي يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والافراد) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اى مثل المذكور) اى في كونه حارا يقطع الامعاء (قوله من انواع مختلفة) اى كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير وغير ذلك من انواع العذاب اجارنا الله منه (قوله ويقال لهم) اى من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام الالقاء في الشيء بشدة فانهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع (قوله فيقول المتبعون) اى جوابا للخزنة كانهم يقولون انحسد على كثرة اتباعنا مع كوننا واياهم في النار (قوله لا مرحبا بهم) مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحبا اى مكانا واسعا (قوله انهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء اى انهم صالوا النار كاصليناها (قوله قالوا) اى الاتباع اى جوابا للرؤساء (قوله بل انتم لا مرحبا بكم) أى انتم احق بما قلتم لنا فدأبهم انه كلما دخلت امة لعنت اختها (قوله انتم قدمتموه لنا) اى دللتمونا عليه بتزيين الاعمال السيئة لنا واغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالذم (قوله قالوا ايضا) اشار بذلك الى ان هذا من كلام الاتباع (قوله اى مثل عذابه على كفره) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فان الدال على الشر كفاعله (قوله اى كفار مكة) اى كابي جهل وابي بن خلف وغيرهما

(يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف) حابسات الاعين على ازواجهن (اتراب) اسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب (هذا) المذكور (ماتوعدون) بالغيبة وبالخطاب التفاتا (ليوم الحساب) اى لاجله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) أي انقطاع والجملة حال من رزقنا او خبر ثان لان اى دائما او دائم (هذا) المذكور للمؤمنين (وان للطاغين) مستانف (لشر مآب يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) الفراش (هذا) اى العذاب المفهوم مما بعده (فليذوقوه حميم) اى ماء حار محرق (وغساق) بالتخفيف والتشديد مايسيل من صديد اهل النار (وآخر) بالجمع والافراد (من شكله) اى مثل المذكور من الحميم والغساق (ازواج) اصناف اى عذابهم من انواع مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار باتباعهم (هذا فوج) جمع (مقتحم) داخل (معكم) النار بشدة

فيقول المتبعون (لا مرحبا بهم) أي لا سعة عليهم (انهم صالوا النار قالوا) اى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه) اى الكفر (لنا فبئس القرار) لنا ولكم النار (قالوا) ايضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) اى مثل عذابه على كفره (في النار وقالوا) اى كفار مكة

بهم في الدنيا والياء للنسب أي امفقودون هم (ام زاغت) مالت (عنهم الابصار) فلم نرهم وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان (ان ذلك لحق) واجب وقوعه وهو (تخاصم اهل النار) كما تقدم (قل) يا محمد لكفار مكة (انما انا منذر) مخوف بالنار (وما من اله الا الله الواحد القهار) لخلقه (رب السموات والارض وما بينهما العزيز) الغالب على أمره (الغفار) لاوليائه (قل) لهم (هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون) أي القرآن الذي انبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم الا بوحي وهو قوله (ما كان لي من علم بالملا الاعلى) اي الملائكة (اذ يختصمون) في شان آدم حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة الخ (ان) ما (يوحى الي الا انما انا) اي اني (نذير مبين) بين الانذار اذكر (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين) هو آدم (فاذا سويته) اتممته (ونفخت) اجريت (فيه من روحي) فصار حيا واضافة الروح اليه تشريف لآدم والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه (فقعوا له ساجدين) سجود تحية بالانحناء (فسجد الملائكة كلهم اجمعون)

(قوله وهم في النار) الجملة حالية (قوله ما لنا لا نرى رجالا) اي اي شيء ثبت لنا لا نبصر رجالا الخ (قوله من الاشرار) انما سموهم أشرارا لانهم خالفوا دينهم (قوله اتخذناهم) اما بوصل الهمزة مكسورة أو قطعها مفتوحة قراءتان سبعيتان فعلى الاولى تكون الجملة صفة لرجالا اي رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الاشرار وبكوننا نسخر بهم في الدنيا وعلى الثانية فالجملة استفهامية حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها والمعنى ما لنا لا نرى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الاشرار أتخذناهم سخريا فهم مفقودون من النار ام زاغت عنهم الابصار اي هم معنا في النار لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم (قوله بضم السين وكسرها) اي فهما قراءتان سبعيتان (قوله اي كنا نسخر بهم) راجع لقراءة الوصل (قوله والياء للنسب) اي على كل من القراءتين (قوله أم زاغت) على قراءة الوصل تكون ام بمعنى بل وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة (قوله وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله رجالا (قوله وسلمان) المناسب اسقاطه لان الكلام في اهل مكة وهو انما أسلم في المدينة (قوله ان ذلك) اي المحكي عنهم من اقوالهم وأحوالهم (قوله وهو تخاصم) اشار بذلك الى أن تخاصم خبر لمحذوف والجملة بيان لاسم الاشارة (قوله انما انا منذر) اي لا ساحر ولا شاعر ولا كاهن واقتصر على الانذار لان كلامه مع الكفار وهم انما يناسبهم الانذار فقط وان كان مبشرا أيضا (قوله الواحد) اي المعدوم المثيل في ذاته وصفاته وافعاله وقد ذكر أوصافا خمسة كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالالوهية (قوله رب السموات والارض) اي مالكهما (قوله قل هو نبأ عظيم) كرر الامر اشارة الى الاهتمام به (قوله اي القرآن) تفسير لهو (قوله بما لا يعلم) أي من القصص والاخبار وغيرها (قوله وهو) اي ما لا يعلم الا بوحي وفيه أن ما لا يعلم الا بوحي هو قوله اذ قال ربك للملائكة الخ لا قوله ما كان لي من علم الخ الا أن يقال انه ذكر توطئة وتمهيدا لما لا يعلم الا بالوحي (قوله اي الملائكة) اي وابليس (قوله اذ يختصمون) منصوب اما بعلم او بمحذوف والتقدير ما كان لي من علم بالملا الاعلى وقت اختصامهم أو ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم (قوله الا انما انا نذير مبين) الا اداة حصر وان وما دخلت عليه في تاويل مصدر نائب فاعل يوحى والتقدير ما يوحى الي الا كوني نذيرا مبينا والحصر فيه وفي قوله انما انا منذر اضافي والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم (قوله اذ قال ربك) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر ويصح أن يكون بدلا من قوله اذ يختصمون ان حمل الاختصام على ما حصل في شان آدم فقط واما ان جعل عاما فلا يصح جعله بدلا منه بل ظرف لمحذوف (قوله اني خالق بشرا) اي انسانا ظاهر البشرة اي الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله اجريت فيه من روحي) اشار بذلك الى انه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الاصح وقيل ان الروح عرض وهي الحياة التي صار الجسم بها حيا وقيل انها ليست بجسم ولا عرض بل هي جوهر مجرد قائم بنفسه له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بنفوذه فيه) اي سريانه فيه كسريان الماء في العود الاخضر (قوله فقعوا) الفاء واقعة في جواب اذا (قوله سجود تحية بالانحناء) جواب عما يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى وتقدم قول بانه كان سجودا حقيقة بالجباه وتقدم الجواب عنه بان محل كون السجود لغير الله غير جائز ما لم يامر به المولى تعالى أو يقال ان السجود لله تعالى وآدم جعل كالقبلة (قوله فسجد الملائكة الخ) قيل اول من

سجد

سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة
من وقت الزوال الى العصر وقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة (قوله فيه تاكيدان) اى فكل منهما يفيد ما
أفاده الآخر وقيل ان كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافاد انهم سجدوا عن آخرهم وانهم سجدوا جميعا
فى وقت واحد غير متفرقين فى اوقات (قوله كان بين الملائكة) اشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع وهو
الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله فى علم الله) اى ان الله تعالى علم فى الازل أنه يكفر فيما لا يزال وكان مسلما
عابدا طاف بالبيت اربعة عشر الف عام وعبد الله ثمانين الف عام (قوله اى توليت خلقه) اى بذاتى من
غير واسطة أب وأم وتثنية اليد اظهار الكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام (قوله أستكبرت الآن الخ) أشار
المفسر الى جواب سؤال وارد وهو ان قوله من العالين معناه المتكبرين فيلزم عليه التكرار فاجاب بان
المعنى اتركت السجود لاستكبارك الحادث ام لاستكبارك القديم المستمر (قوله قال انا خير منه) هذا
هذا جواب من ابليس لم يطابق الاستفهام السابق لانه اجاب بانه انما ترك السجود لكونه خيرا منه
وبين ذلك بان اصله من النار واصل آدم من الطين والنار اشرف من الطين لكون النار نورانية والطين من
الارض وهى ظلمانية والنورانى اشرف من الظلمانى وهذه شبهته وقد اخطأ فيها لان مآل النار الى
الرماد الذى لا ينتفع به والطين اصل لكل نام نابت كالانسان والشجرة ومن المعلوم ان الانسان والشجرة
خير من الرماد وزيادة على ذلك ان النوع الانسانى تشرف بالامور الاول من جهة الفاعل المشار اليه بقوله
لما خلقت بيدى والثانى من جهة الصورة المشار اليها بقوله ونفخت فيه من روحى ومن جهة الغاية المشار
اليها بقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يحصل ذلك لغير النوع الانسانى فدل على افضليته (قوله
اى من الجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع فى امر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد
دخوله الجنة اوقبله فقوله اى من الجنة مبنى على الاول وقوله او من السموات مبنى على الثانى وقيل
المعنى اخرج من الخلقة التى كنت عليها اولا لما ورد ان ابليس كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته
فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا وروى ان ابليس
كان رئيسا على اثنى عشر الف ملك وكان له جناحان من زمرد اخضر فلما طرد غيرت صورته وجعله
الله معكوسا على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ اعور وفى لحيته سبع شعرات مثل
شعر الفرس وعيناه مشقوقتان فى طول وجهه وانيابه خارجة كانياب الخنازير ورأسه كرأس البعير
وصدره كسنام الجمل الكبير وشفتاه كشفتى الثور ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام (قوله
فانك رجيم الخ) فان قلت اذا كان الرجيم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه ولزم التكرار اجيب بان
الرجم الطرد من الجنة اوالسماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو ابلغ (قوله وان عليك لعنتى)
ذكرها هنا بالاضافة وفى غيرها بالتعريف تفننا (قوله الى يوم الدين) فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية
فتقتضى انقضاء اللعنة عند مجئ يوم الدين مع انها لا تنقطع اجيب بان اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد
بخلوده فى العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفى يوم الدين تحقق الوعيد والمطلوب (قوله قال رب فانظرنى)
اى امهلنى واخرنى والفاء متعلقة بمحذوف تقديره اذ جعلتنى رجيما فامهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون
اى آدم وذريته واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت
بالكلية اذ لا موت بعد البعث فاجابه تعالى بالامهال مدة الدنيا لاجل الاغواء لا بالنجاة
من الموت (قوله قال فبعزتك) الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى فى الآية الاخرى قال
فبما اغويتنى فان اغواء الله تعالى له من آثار عزته التى اقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الاول الخ)

فيه تاكيدان (الا ابليس) هو ابو الجن كان بين الملائكة (استكبر وكان من الكافرين) فى علم الله تعالى (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) اى توليت خلقه وهذا تشريف لآدم فان كل مخلوق تولى الله خلقه (أستكبرت) الآن عن السجود استفهام توبيخ (ام كنت من العالين) المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم (قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها) اى من الجنة وقيل من السموات (فانك رجيم) مطرود (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) الجزاء (قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون) اى الناس (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقت النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) اى المؤمنين (قال فالحق والحق اقول) بنصبهما ورفع الاول ونصب الثانى فنصبه بالفعل بعده ونصب الاول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر اى احق الحق وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على انه مبتدأ محذوف الخبر اى فالحق منى وقيل فالحق قسمى

أي فالقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أي المذكور في بعض الاعاريب المتقدمة او المحذوف (قوله اجمعين) توكيد للضمير في منك وما عطف عليه (قوله دون الملائكة) انما اخرجهم من العالمين وان كان لفظ العالمين يشملهم لاجل قوله ان هو الا ذكر والذكر معناه الموعظة والتخويف وهو لا يناسب الا الانس والجن (قوله خبر صدقه) اي من ذكر الوعد والوعيد (قوله اي يوم القيامة) تفسير لبعد حين والحين مدة الدنيا وقال ابن عباس بعد الموت وقيل من طال عمره علم ذلك اذا جاء نصر الله والفتح (قوله بمعنى عرف) اي فهو متعد لمفعول واحد وهو نباه وقيل ان علم على بابها فتنصب مفعولين والثاني قوله بعد حين

﴿ سورة الزمر ﴾

سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها في قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وسيأتي ان الزمر جمع زمرة وهي الطائفة وتسمى ايضا سورة الغرف لذكر الغرف فيها قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية وروى من اراد ان يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة الغرف وورد انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني اسرائيل (قوله الا قل يا عبادي الخ) اي فانها نزلت في وحشي قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه اسلم بالمدينة وظاهره انها آية واحدة وقيل ان الذي نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها وقيل انهما آيتان هذه الآية وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث الآية فتحصل ان فيها ثلاثة اقوال قيل مكية الا آية وقيل الا آيتين وقيل الا سبعا (قوله وهي خمس وسبعون) وقيل اثنتان وسبعون (قوله تنزيل الكتاب من الله) اي انزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره نزل ردا لقول المشركين انما يعلمه بشر ولقولهم ان به جنة (قوله انا انزلنا الخ) شروع في بيان تشريف المنزل عليه اثر بيان شان المنزل من حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الاول لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عينا (قوله متعلق بانزل) اي والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذي أنت عليه واثباته واظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله انا أنزلنا اليك الخ والخطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخلصا) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله اي موحدا له) اي مفردا له بالعبادة والاخلاص بان لا تقصد بعملك ونيتك غير ربك (قوله ألا لله الدين الخ) ألا أداة استفتاح والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الامر بالاخلاص (قوله والذين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله قالوا وقوله ما نعبدهم الخ مقول لذلك القول وقوله ان الله يحكم بينهم الخ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الاحسن وقيل ان خبر المبتدأ هو قوله ان الله يحكم الخ وقوله ما نعبدهم حال من فاعل اتخذوا على تقدير القول اي قائلين ما نعبدهم الخ (قوله الاصنام) قدره اشارة الى ان اتخذوا تنصب مفعولين الاول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للموصول (قوله قالوا ما نعبدهم الخ) اي فكانوا اذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والارض ومن ربكم فيقولون الله فيقال لهم وما معنى عبادتكم الاصنام فيقولون لتقربنا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (قوله مصدر) اي مؤكد ملاق لعامله في المعنى والتقدير ايزلفونا زلفى او ليقربونا قربى (قوله وبين المسلمين) اشار بذلك الى ان المقابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) اي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله ان الله لا يهدي) اي لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار او مجبول على الكذب والكفر في علمه تعالى (قوله في نسبة الولد اليه) اشار بذلك الى ان قوله ان الله لا يهدي الخ توطئة

لقوله

وجواب القسم (لاملأن جهنم منك) بذريتك (وممن تبعك منهم) اي الناس (اجمعين قل ما أسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (من اجر) جعل (وما انا من المتكلفين) المتقولين القرآن من تلقاء نفسي (ان هو) اي ما القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين) للانس والجن العقلاء دون الملائكة (ولتعلمن) يا كفار مكة (نبأه) خبر صدقه (بعد حين) اي يوم القيامة وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدر اي والله

﴿ سورة الزمر مكية الا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فمدنية وهي خمس وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (انا انزلنا اليك) يا محمد (الكتاب بالحق) متعلق بانزل (فاعبد الله مخلصا له الدين) من الشرك اي موحدا له (ألا لله الدين الخالص) لا يستحقه غيره (والذين اتخذوا من دونه) الاصنام (اولياء) وهم كفار مكة قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) قربى مصدر بمعنى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) وبين المسلمين (فيما هم فيه يختلفون) من امر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (ان الله لا يهدي من هو كاذب) في نسبة الولد اليه (كفار) بعبادته غير الله

لقوله لواراد الله الخ و يصح ان يكون من تتمة ماقبله وحينئذ فيقال كاذب فى نسبة الالوهية لغيره تعالى (قوله لواراد الله ان يتخذ ولدا) اى لو تعلقت ارادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية اشارة الى قياس استثنائى حذفت صغراه ونتيجته وتقريره ان يقال لواراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء لكنه لم يصطف من خلقه شيأ فلم يرد ان يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) اى غير المخلوق الذي قالوا فى شأنه انه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) اى لانه ممتنع عقلا ونقلا اما عقلا فلانه يلزم ان يكون الولد من جنس خالقه وكونه جنسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل واما نقلا فقد تواترت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والكتب السماوية على ان الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزهه فى الصفات اثر بيان تنزهه فى الذات لان الوحدة تنافى المماثلة فضلا عن الولد والقهارية تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد والا لكان مقهورا تعالى الله عن ذلك (قوله خالق السموات والارض) تفصيل لبعض افعاله الدالة على انفراده بالالوهية واتصافه بالصفات الجليلة (قوله يكور الليل) من التكوير وهو فى الاصل اللف واللى يقال كور العمامة على رأسه أى لفها ولواها ثم استعمل فى الادخال والاغشاء فكان الليل يغشى النهار والنهار يغشى الليل (قوله فيزيد) تقدم ان منتهى الزيادة اربعة عشرة ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة اربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله ليوم القيامة) أى ثم ينقطع جريانه لانتقال العالم من الدنيا فان تسخير الشمس والقمر انما كان فى الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت مصالحه (قوله ألا هو العزيز الغفار) انما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها كانه قال تنبهوا ياعبادى فانى الغالب على أمرى الستار لذنوب خلقى فلا تشركوا بى شيأ وأخلصوا عبادتكم لى (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر وجميع صفات الالوهية (قوله ثم جعل منها زوجها) ان قلت ان ثم للترتيب فيقتضى ان خلق الذرية قبل خلق حواء وهو خلاف المعروف المشاهد * واجيب بثلاثة اجوبة الاول ان ثم لمجرد الاخبار لا لترتيب الايجاد الثانى ان المعطوف متعلق بمعنى واحدة وثم عاطفة عليه كانه قال خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها ثم شفعت بزوج الثالث ان معنى خلقكم من نفس واحدة اخرجكم منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لان الله تعالى خلق آدم وأودع فى صلبه اولاده كالذر ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم الى ظهره ثم خلق منه حواء (قوله وانزل لكم من الانعام الخ) انما عبر عنها بالنزول لانها تكون بالنبات وهو غذاء لها والنبات بالماء المنزل فهو يسمى عندهم بالتدريج ومنه قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا الآية وقيل ان الانزال حقيقة لما روى ان الله خلق الانعام فى الجنة ثم انزلها فى الارض كما قيل فى قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آدم لما أهبط الى الارض نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج مامعه آخر من جنسه ولا يستغنى باحدهما عن الآخر (قوله كما بين فى سورة الانعام) أى فى قوله ثمانية ازواج من الضأن اثنين الآيات (قوله يخلقكم فى بطون أمهاتكم) هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقا) مصدر ليخلقكم وقوله من بعد خلق صفة لخلقا (قوله اى نطفا الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الايجاد فالمناسب ان يقول اى حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (قوله فى ظلمات) بدل اشتمال من بطون أمهاتكم باعادة الجار ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لانه من تتمة العامل فليس باجنبى (قوله وظلمة المشيمة) اى فهى داخل الرحم

(لواراد الله ان يتخذ ولدا) كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا (لاصطفى مما يخلق ما يشاء) واتخذه ولدا غير من قالوا من الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله (سبحانه) تنزيها له عن اتخاذ الولد (هو الله الواحد القهار) لخلقه (خلق السموات والارض بالحق) متعلق بخلق (يكوّر) يدخل (الليل على النهار) فيزيد (ويكور النهار) يدخله (على الليل) فيزيد (وسخر الشمس والقمر كل يجرى) فى فلكه (لاجل مسمى) ليوم القيامة (الا هو العزيز) الغالب على أمره المنتقم من اعدائه (الغفار) لاوليائه (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم (ثم جعل منها زوجها) حوّاء (وانزل لكم من الانعام) الابل والبقر والغنم الضأن والمعز (ثمانية أزواج) من كل زوجان ذكر وانثى كما بين فى سورة الانعام (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) اى نطفا ثم علقا ثم مضغا (فى ظلمات ثلاث) هى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة

(ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون) عن عبادته الى عبادة غيره (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) وان أراده من بعضهم (وان تشكروا) الله فتؤمنوا (يرضه) بسكون الهاء وضمها مع اشباع ودونه اى الشكر (لكم ولا تزر) نفس (وازرة وزر) نفس (أخرى) اى لا تحمله (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب (واذا مس الانسان) اى الكافر (ضر دعا ربه) تضرع (منيبا) راجعا (اليه ثم اذا خوله نعمة) اعطاه انعاما (منه نسى) ترك (ما كان يدعو) يتضرع (اليه من قبل) وهو الله فما فى موضع من (وجعل لله أندادا) شركاء (ليضل) بفتح الياء وضمها (عن سبيله) دين الاسلام (قل تمتع بكفرك قليلا) بقية أجلك (انك من أصحاب النار أمن) بتخفيف الميم (هو قانت) قائم بوظائف الطاعات (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) فى الصلاة (يحذر الآخرة) اى يخاف عذابها (ويرجو رحمة) جنة (ربه) كمن هو عاص بالكفر او غيره

وهو داخل البطن والمشيمة بوزن كريمة واصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء نقلت كسرة الياء الى الساكن قبلها وهي غشاء ولد الانسان و يقال لها الغلاف والكيس ويقال لها من غير ولد الانسان السلا (قوله ذلكم) مبتدأ والله ربكم خبر ان له وجملة له الملك خبر ثالث (قوله لا اله الا هو) جملة مستأنفة نتيجة ماقبله اى فحيث ثبت انه ربنا وله الملك نتج منه انه لا اله الا هو (قوله فانى تصرفون) اى تمنعون (قوله فان الله غني عنكم) اى انه الغنى المطلق فلا يفتقر الى ماسواه (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) اى لا يفعل فعل الراضي بان يثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وان اراده من بعضهم) اشار بهذا الى انه لا تلازم بين الرضا والارادة بل قد يرضى ولا يريد وقد يريد ولا يرضى وانما التلازم بين الامر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والارادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ومن هنا قال العلماء ان الامور اربعة تارة يامر ويريد وهو الايمان من المؤمنين وتارة لا يامر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يامر ولا يريد وهو الايمان من الكفار وتارة يريد ولا يامر وهو الكفر من الكفار وحكى ان رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال المعتزلى سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال السنى سبحان من لا يقع فى ملكه الا مايشاء فقال المعتزلى أيريد ربك أن يعصى فقال السنى أيعصى ربنا قهرا فقال المعتزلى أرأيت ان منعني الهدى وحكم علي بالردى أحسن الى أم أساء فقال السنى ان منعك ماهولك فقد اساء وان منعك ماهوله فالمالك يفعل فى ملكه كيف يشاء فبهت المعتزلى (قوله يرضه لكم) اى لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه به تعالى الله عن ذلك (قوله بسكون الهاء الخ) اى فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) اى لا يحمل شخص اثم كفر شخص آخر وما ورد من ان الدال على الشر كفاعله فمعناه ان عليه اثم فعله وإثم دلالته ولا شك ان دلالته من فعله فآل الامر الى ان عقابه على فعله لا على فعل غيره وقوله وازرة اى وامّا غير الوازرة فتحمل وزر غيرها بمعنى أن من كان ناجيا وأذن له فى الشفاعة يشفع فى غيره فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة ان كان مسلما وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله انه عليم بذات الصدور) علة لقوله فينبئكم بما كنتم تعملون اى يخبركم باعمالكم لانه عليم بما فى القلوب فضلا عن غيرها (قوله اى الكافر) أشار بهذا الى ان أل فى الانسان للعهد (قوله ضر) المراد به جميع المكاره كانت فى نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيبا اليه) اى تاركا عبادة الاصنام لعلمه بانها لا تقدر على كشف ما نزل به (قوله اعطاه انعاما) اى اعطاء على سبيل الانعام والاحسان فانعاما مفعول لاجله لان التخويل هو اعطاء النعم على سبيل التفضل والاحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) اشار بذلك الى ان ما موصولة بمعنى الذى مرادا بها الله تعالى و يصح ان يراد بها الضر والمعنى نسي الضر الذى كان يدعو لكشفه ويصح ان تكون ما مصدرية والمعنى نسى كونه داعيا من قبل تخويل النعمة والاظهر ماقاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله بفتح الياء وضمها) اى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الامر للتهديد وفيه أشعار بقنوطه من التمتع فى الآخرة (قوله بقية أجلك) أشار بذلك الى ان قليلا صفة لموصوف محذوف أى زمانا قليلا (قوله انك من أصحاب النار) أى ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام (قوله أمن هو قانت) هذا من تمام الكلام المامور بقوله وحينئذ فالمعنى قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف الميم) اى والهمزة للاستفهام الانكارى ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناء الليل) جمع انى بالكسر والقصر كمعى وأمعاء (قوله ساعاته) أى أوله وأوسطه وآخره وفى الآية

دليل على أفضلية قيام الليل على النهار لما في الحديث مازال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن
خيار أمتي لا ينامون وقال ابن عباس من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل
(قوله وفي قراءة أمن) اي بالتشديد وعليها فام داخلة على من الموصولة فادغمت الميم في الميم وترسم على
هذه القراءة ميما واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعا لرسم المصحف والاعراب على كل من
القراءتين واحد لا يتغير وقوله بمعنى بل اي التي للاضراب الانتقالي وقوله والهمزة أي التي للاستفهام
الانكاري والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أي وهم المؤمنون العارفون بربهم وقوله والذين لا
يعلمون أي وهم الكفار (قوله أي لا يستويان) أشار به الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله انما
يتذكر أولوا الالباب) أي أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لانهم المنتفعون بالتذكر
(قوله قل يا عبادي الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم باوامر لنفسه ولامته زيادة
في الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوك والاوهام (قوله بان تطيعوه) أي تمتثلوا
أوامره وتجتنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى التي هي جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر
مقدم وأحسنوا صلته وفي هذه الدنيا متعلق باحسنوا وحسنة مبتدأ مؤخر (قوله هي الجنة) أي بجميع
ما فيها من النعيم المقيم فهي بمعنى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله وأرض الله واسعة) جملة
من مبتدا وخبر وهي حالية (قوله فهاجروا اليها الخ) أشار بذلك الى أن المراد بالارض أرض الدنيا
والمعنى من تعسرت عليه التقوى في محل فليهاجر الى محل آخر يتمكن فيه من ذلك اذلا عذر في التفريط
أصلا وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا في صحة الاسلام فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطا وصارت
تعتريها الاحكام فتارة تكون واجبة كما اذا هاجر من أرض لا يتيسر له فيها اقامة دينه لارض يتمكن فيها
دينه ويقيم شعائره وتارة تكون مندوبة كما اذا هاجر من أرض لا أخيار بها لارض بها أخيار يجتمع عليهم
للارشاد وتكون مكروهة كما اذا هاجر من أرض بها الاخيار وأهل العلم والصلاح لارض لا أخيار بها
ولا علم ولا عمل وتارة تكون محرمة كما اذا هاجر من أرض يامن فيها على دينه لارض لا يامن فيها عليه
(قوله انما يوفى الصابرون) هذا ترغيب في التقوى المامور بها (قوله على الطاعات) أي أو عن المعاصي
(قوله وما يبتلون به) أي ومن جملته مفارقة الوطن المامور بها في قوله وأرض الله واسعة (قوله بغير حساب)
أي لما ورد تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب
لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قوله قل اني أمرت أن أعبد الله الخ) الحكمة في هذا الاخبار اعلام
الامة بان يتصفوا به ويلزموه فان العادة ان المتصف بخلق ثم يامر به أو يعرض بالامر به يؤثر في غيره كما
قيل حال رجل في ألف رجل أنفع من حال ألف رجل في رجل (قوله من هذه الامة) جواب عما يقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أول المسلمين مطلقا فاجاب بان الاولية بحسب سبق الدعوة (قوله
قل اني أخاف) سبب نزولها ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي أتيتنا به
ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتاخذ بها فنزلت فالمقصود منها زجر الغير عن المعاصي لانه صلى الله
عليه وسلم اذا كان خائفا مع كمال طهارته وعصمته فغيره أولى وذلك سنة الانبياء والصالحين حيث يخبرون
غيرهم بما هم متصفون به ليكونوا مثلهم لا الملوك والمتجبرين حيث يامرون غيرهم بما لم يتصفوا به (قوله فيه
تهديد لهم) أي من حيث الامر (قوله وايذان) أي اعلام (قوله الذين خسروا) خبر ان (قوله وأهليهم)
أي أزواجهم وخدمهم يوم القيامة لما ورد أن الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا في

وفي قراءة أمن بمعنى
بل والهمزة (قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا
يعلمون) أي لا يستويان
كما لا يستوي العالم والجاهل
(انما يتذكر) يتعظ (أولوا
الالباب) أصحاب العقول
(قل يا عبادي الذين آمنوا
اتقوا ربكم) أي عذابه
بان تطيعوه (للذين أحسنوا
في هذه الدنيا) بالطاعة
(حسنة) هي الجنة (وأرض
الله واسعة) فهاجروا اليها
من بين الكفار ومشاهدة
المنكرات (انما يوفى
الصابرون) على الطاعة
وما يبتلون به (أجرهم بغير
حساب) بغير مكيال ولا
ميزان (قل اني أمرت أن
أعبد الله مخلصا له الدين)
من الشرك (وأمرت لان)
أي بان (أكون أول
المسلمين) من هذه الامة
(قل اني أخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم قل
الله أعبد مخلصا له ديني)
من الشرك (فاعبدوا ما شئتم
من دونه) غيره فيه تهديد
لهم وايذان بانهم لا يعبدون
الله تعالى (قل ان الخاسرين
الذين خسروا أنفسهم وأهليهم

يوم القيامة) بتخليد الا نفس فى النار و بعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا (ألا ذلك هو الخسران المبين) البين (لهم من فوقهم ظلل) طباق (من النار ومن تحتهم ظلل) من النار (ذلك يخوف الله به عباده) أى المؤمنين ليتقوه يدل عليه (ياعباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت) الاوثان (أن يعبدوها وأنابوا) أقبلوا (الى الله لهم البشرى) بالجنة (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وهو ما فيه صلاحهم (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) اصحاب العقول (أفمن حق عليه كلمة العذاب) أى لاملان جهنم الآية (أفانت تنقذ) تخرج (من فى النار) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار (لكن الذين أتقوا ربهم) بان اطاعوه

الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل المراد أهلهم فى الدنيا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذها با لارجوع بعده (قوله يوم القيامة) أى حين يدخلون النار (قوله بتخليد الانفس) راجع لقوله انفسهم وقوله بعدم وصولهم الى الحور العين الخ راجع لقوله وأهليهم على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله ألا ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لا خفاء فيه وتصدير الجملة باداة التنبيه اشارة الى فظاعته وشناعته (قوله لهم من فوقهم ظلل) لهم خبر مقدم وظلل مبتدأ مؤخر ومن فوقهم حال (قوله طباق) أى قطع كبار واطلاق الظلل عليها تهكم والا فهى محرقة والظلة تقى من الحر (قوله ومن تحتهم ظلل) أى لغيرهم وان كان فراشا لهم لان النار دركات فما كان فراشا للجماعة يكون ظلة لآخرين (قوله ذلك يخوف الله به عباده) اى فالحكمة فى ذكر أحوال أهل النار تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم (قوله يدل عليه) أى على الوصف المقدر وهو قوله المؤمنين (قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الخ) قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم سالوا أبا بكر رضي الله عنه فاخبرهم بايمانه فآمنوا (قوله الاوثان) هذا أحد أقوال فى تفسيره وقيل هو الشيطان وقيل كل ماعبد من دون الله تعالى وقيل غير ذلك (قوله لهم البشرى بالجنة) أى على ألسنة الرسل أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت وفى الحقيقة البشرى تحصل لهم فى الدنيا بالثناء عليهم بصالح اعمالهم وعند الموت وعند الوضع فى القبر وعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادى) أى الموصوفين باجتناب الاوثان والانابة الى الله تعالى والاضافة لتشريف المضاف (قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبيح فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون المحكم ويعملون به ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فياخذون العزيمة ويتركون الرخصة وكل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أى الموصوفون بتلك الاوصاف (قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل ان من شرطية وجوابها قوله أفانت تنقذ من فى النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتاكيد معنى الانكار ولطول الكلام وأقيم الظاهر مقام المضمر أى أفانت تنقذه ويحتمل انها موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أنت لا تنفعه فجملة قوله أفانت تنقذ من فى النار مستقلة مؤكدة لما قبلها وهذه الآية نزلت فى حق أبى لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان وقد كان حريصا على ايمانهم (قوله والهمزة) أى الاولى والثانية توكيد لها (قوله للانكار) أى الاستفهام الانكارى (قوله والمعنى لا تقدر على هدايته الخ) اشار بهذا الى ان قوله أفانت تنقذ من فى النار مجاز مرسل حيث أطلق المسبب وأراد السبب لان الادخال فى النار مسبب عن الضلال وترك الهدى كانه قال أنت تهدى من أضله الله وجعل له النار بسبب ضلاله وجعلها السمرقندى فى حواشي رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول فى النار على طريق المكنية فى المركب وحذف المركب الدال على المشبه به ورمز له بذكر شئ من لوازمه وهو الانقاذ وفيه اشكال انظر بسطه فى حاشيتنا على رسالة البيان لاستاذنا الشيخ الدرديرى (قوله لكن الذين أتقوا) أى وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة المخاطبون بقوله ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية ولكن ليست للاستدراك وانما هى للاضراب عن قصة الى قصة

مخالفة

مخالفة للاولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله فى حق اهل النار لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (قوله بفعله المقدر) أى وتقديره وعدهم الله وعدا (قوله ألم تر ان الله انزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بما ذكر من احوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاغترار بها (قوله ادخله أمكنة نبع) أى فمراده بالينابيع الامكنة التى أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الارض وتطلق الينابيع على نفس الماء الجارى على وجه الارض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زرعا) صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها (قوله مختلفا الوانه) اى من احمر وأخضر واصفر وأبيض واختلاف تلك الالوان امافى ثماره اوفى عوده ومراده بالزرع كل ما يستنبت (قوله فتاتا) أى متفتتا ومتمزقا (قوله أفمن شرح الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره الخ والاستفهام انكارى ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله انما يتذكر أولوا الالباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء وفى الحديث اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله (قوله دل على هذا) اى القدر (قوله كلمة العذاب) أى كلمة تفيد العذاب للمخاطب بها (قوله اى عن قبول القرآن) أشار بذلك الى ان من بمعنى عن وفى الكلام مضاف محذوف ويصح ان تبقى من على بابها للتعليل أى قست قلوبهم من اجل ذكر الله لفساد قلوبهم وخسرانها ومن المعلوم المشاهد أن الاطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ومن هنا قول بعض العارفين ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب (قوله الله نزل احسن الحديث الخ) سبب نزولها ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا حسنا فنزلت (قوله فى النظم) اى اللفظ وقوله وغيره اى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع قال البوصيرى رضى الله عنه فى هذا المعنى

ردت بلاغتها دعوى معارضها * رد الغيور يد الجانى عن الحرم

فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام من الاكثار بالسأم

واعلم انه فى هذه الآية أثبت ان القرآن متشابه وفى آية أخرى اثبت انه محكم وفى آية اخرى ان بعضه محكم وبعضه متشابه ووجه الجمع بينهما ان المراد بالمتشابه فى آية الاقتصار عليه ما أشبه بعضه بعضا فى اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب وبالمحكم فى آية الاقتصار عليه مالا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبالمتشابه فى آية الجمع ماخفى معناه وبالمحكم ماظهر معناه وتقدم هذا الجمع (قوله مثانى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به المفرد وهو الكتاب لان الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر نظير قولك الانسان عروق وعظام واعصاب (قوله وغيرها) أى كالقصص والاحكام (قوله تقشعر منه) أى تنقبض وتنجمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا ان الى بمعنى عند (قوله تطمئن) اى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا الى ان الى بمعنى عند فالتضمين فى الحرف وهو احد وجهين والآخر انه ضمن تلين معنى تسكن فعداه بالى والمفسر قد جمع بينهما والحاصل ان الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لان الخوف والرجاء مصحوبان للعبد كجناحى الطائر ان عدم احدهما سقط (قوله اى الكتاب) اى الموصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) اى سبب فى

(لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وعد الله) منصوب بفعله المقدر (لا يخلف الله الميعاد) وعده (ألم تر) تعلم (ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع) ادخله امكنة نبع (فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج) ييبس (فتراه) بعد الخضرة مثلا (مصفرا ثم يجعله حطاما) فتاتا (ان فى ذلك لذكرى) تذكيرا (لاولى الالباب) يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته (أفمن شرح الله صدره للاسلام) فاهتدى (فهو على نور من ربه) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فويل) كلمة عذاب (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى عن قبول القرآن (أولئك فى ضلال مبين) بين (الله نزل احسن الحديث كتابا) بدل من احسن اى قرآنا (متشابها) اى يشبه بعضه بعضا فى النظم وغيره (مثانى) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما (تقشعر منه) ترتعد عند ذكر وعيده (جلود الذين يخشون) يخافون (ربهم ثم تلين) تطمئن (جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى عند ذكر وعده (ذلك) أى الكتاب (هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)

أفمن يتقى) يلقى (بوجهه سوء العذاب يوم القيامة أى) شده بان يلقى فى النار مغلولة يداه الى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وقيل للظالمين) اى كفار مكة (ذوقوا ما كنتم تكسبون) اى جزاءه (كذب الذين من قبلهم) رسلهم فى اتيان العذاب (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا تخطر ببالهم (فأذاقهم الله الخزى) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا) أى المكذبون (يعلمون) عذابها ما كذبوا (ولقد ضربنا) جعلنا (للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) يتعظون (قرآنا عربيا) حال مؤكدة (غير ذى عوج) أى لبس واختلاف (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله) للمشرك والموحد (مثلا رجلا) بدل من مثلا (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون سيئة اخلاقهم (ورجلا سالما) خالصا (لرجل هل يستويان مثلا) تمييز أى لا يستوى العبد لجماعة والعبد لواحد فان الاول اذا طلب منه كل من مالكيه خدمته فى وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم وهذا مثل للمشرك والثانى مثل للموحد (الحمد لله) وحده (بل اكثرهم) اى اهل مكة (لا يعلمون) ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون (انك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ميت وانهم ميتون) ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت نزلت لما استبطؤا موته صلى الله عليه وسلم (ثم انكم) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن) اى لا أحد (اظلم ممن كذب على الله) بنسبة الشريك والولد اليه (وكذب بالصدق) بالقرآن (اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى) مأوى (للكافرين)

الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغلولة يداه) اى وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعبير بالماضي لتحقق الحصول (قوله اى كفار مكة) الاوضح ان يقول اى الكفار من هذه الامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله كذب الذين من قبلهم) بيان لحال المكذبين قبلهم وما حصل لهم فى الدنيا من العذاب (قوله لا تخطر ببالهم) المراد بالجهة السبب أى أتاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم كاللواط فى قوم لوط مثلا (قوله لو كانوا يعلمون) أى يصدقون و يوقنون وقوله ما كذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موطئة لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أى لفظ قرآنا وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها كما تقول جاء زيد رجلا صالحا (قوله غير ذى عوج) نعت لقرآنا أو حال أخرى (قوله أى لبس واختلاف) أى فمعناه صحيح لا لبس ولا تناقض فيه (قوله لعلهم يتقون) علة لقوله لعلهم يتذكرون (قوله ضرب الله مثلا الخ) المعنى اضرب يا محمد لقومك هذا المثل واذكره لهم لعلهم يؤمنون (قوله متشاكسون) التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاخس بخاء معجمة بدل الكاف (قوله ورجلا سالما) بالف بعد السين مع كسر اللام وتركها مع فتح السين واللام قراءتان سبعيتان فالاولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة وقرئ شذوذا بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله تمييز) اى محول عن الفاعل والمعنى لا يستوى مثلهما وصفتهما (قوله أى لا يستوى العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذى يعبد غير الله فقوله لجماعة أى سيئة اخلاقهم وقوله والعبد لواحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذى يعبد الله وحده وقوله فان الاول الخ تقرير للمثل الاول ولم يتعرض للثانى لوضوحه (قوله الحمد لله) أى على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل اكثرهم لا يعلمون) أى مع بيان ظهوره وهو اضراب انتقالى من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن اكثر الناس لا يعلمون ذلك (قوله انك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل (قوله فلا شماتة بالموت) الشماتة الفرح ببلية العدو (قوله نزلت لما استبطؤا موته الخ) أى وذلك انهم كانوا ينتظرون موته فاخبر الله تعالى بان الموت يعمهم فلا معنى لشماتة الفانى بالفانى (قوله أيها الناس) أى مؤمنكم وكافركم وقوله تختصمون أى يخاصم بعضكم بعضا فيقتص للمظلوم من الظالم لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المفلس من ياتى يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار (قوله اى لا أحد) اشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ممن كذب على الله) أى ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بان يقول مثلا قال رسول الله كذا أو هذا شرعه والحال انه لم يكن قاله ولم يكن شرعه (قوله اذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق

والمعنى

بلى (والذى جاء بالصدق) هو النبي صلى الله عليه وسلم (وصدق به) هم المؤمنون فالذى بمعنى (٣١١) الذين (أولئك هم المتقون) الشرك

(لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) لانفسهم بايمانهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) أسوأ واحسن بمعنى السيء والحسن (أليس الله بكاف عبده) اى النبي بلى (ويخوفونك) الخطاب له (بالذين من دونه) اى الاصنام ان تقتله أو تخبله (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) غالب على أمره (ذى انتقام) من اعدائه بلى (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون) تعبدون (من دون الله) اى الاصنام (ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) لا (أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته) لا وفى قراءة بالاضافة فيهما (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) يثق الواثقون (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انى عامل) على حالتى (فسوف تعلمون من) موصولة مفعولة العلم (يأتيه عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق) متعلق بانزل (فمن اهتدى فلنفسه) اهتداؤه (ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الهدى (الله يتوفى الانفس حين موتها و) يتوفى (التى لم تمت فى منامها) اى يتوفاها وقت النوم

والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) اشار بذلك الى أن الاستفهام تقريرى والمعنى فى جهنم مثوى للكافرين لان بلى يجاب بها النفى ويصيره اثباتا كما تقدم (قوله فالذى بمعنى الذين) اى بالنسبة للصلة الثانية ولذا روعى معناه فجمع فى قوله أولئك هم المتقون وروعى لفظه فى قوله جاء وصدق (قوله لهم مايشاؤن) اى كل مايشتهون من وقت حضور الموت كالامن من الفتانات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف الى غير ذلك (قوله لانفسهم) متعلق بالمحسنين وفيه اشارة الى أن احسان الانسان لنفسه وثمرته عائدة عليها فلا يعود على الله نفع محسن ولا ضر مسيء تعالى الله عنه والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء اليه وبذل المعروف للخلق محبة فى الخالق وبهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * وبضدها تتميز الاشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف اى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والصيرورة وهو تفصيل لقوله لهم مايشاؤن (قوله بمعنى السيء والحسن) اى فافعل التفضيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه انه يكفر عنهم الاسوأ فقط ويجازون على الاحسن فقط ولا يكفر عنهم السيء ولا يجازون على الحسن (قوله عبده) اى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به الخالص فى العبودية لله وهو الاتم ويؤيده قراءة عباده بالجمع وهى سبعية أيضا والمعنى ان من أخلص لله فى عبادته كفاه ما أهمه فى دينه ودنياه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح ان تكون الجملة حالية والمعنى ان الله كافيك فى كل حال حتى فى حال تخويفهم لك ويصح ان تكون مستانفة (قوله أو تخبله) اى تفسد أعضاءه وتذهب عقله (قوله ذى انتقام) أى ينتقم من أعدائه لا وليائه وتاخير قوله بلى للاشارة الى انه راجع لقوله ذى انتقام أيضا (قوله ليقولن الله) أى فلا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على انه المنفرد بالخلق والايجاد (قوله قل أفرأيتم الخ) رأى متعدية لمفعولين الاول قوله ماتدعون والثانى قوله هل هن كاشفات ضره الخ وقوله ان أرادنى الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الاول والثانى وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثانى عليه وتقديره لا كاشف له غيره (قوله ان أرادنى الله بضر) قدمه لان دفعه أهم وخص نفسه لانه جواب لتخويفه من الاصنام (قوله هل هن) عبر عنها بضمير الاناث تحقيرا لها ولانهم كانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى ومناة (قوله وفى قراءة بالاضافة) اى وهى سبعية أيضا (قوله قل حسبي الله) اى كافى فلا ألتفت لغيره (قوله يثق الواثقون) اى يعتمد المعتمدون (قوله قل ياقوم اعملوا الخ) هذا الامر للتهديد (قوله حالتكم) اى وهى الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمكان بجامع الثبوت والاستقرار فى كل (قوله مفعولة العلم) اى لانها بمعنى عرف فتنصب مفعولا واحدا (قوله يخزيه) اى يهينه ويذله (قوله للناس) اى لمصالح الناس فى معاشهم ومعادهم (قوله متعلق بانزل) ويصح ان يكون متعلقا بمحذوف حال اما من فاعل أنزل أو من مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى ليس هداهم بيدك ولا فى ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وانما هو بيدنا فان شئنا هديناهم وان شئنا أبقيناهم على ماهم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الانفس حين موتها) اى يقبض الارواح عند حضور آجالها فالنفس والروح شيء واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطنا بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة (قوله ويتوفى التى لم تمت فى منامها) أشار بذلك الى ان الموصول معطوف على الانفس مسلط عليه يتوفى والمعنى يقبض الارواح التى لم تحضر آجالها عند نومها ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس لا باطنا فان الحياة والنفس والحركة باقية ولذا عرفوا النوم بانه فطرة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه

(فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الاخرى الى اجل مسمى) اي وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (ان في ذلك) المذكور (لآيات) دلالات (لقوم يتفكرون) فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا في ذلك (أم) بل (اتخذوا من دون الله) اى الاصنام آلهة (شفعاء) عند الله بزعمهم (قل) لهم (أ) يشفعون (ولو كانوا لا يملكون شيا) من الشفاعة وغيرها (ولا يعقلون) انكم تعبدونهم ولا غير ذلك لا (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مختص بها فلا يشفع أحد الا باذنه (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده) اى دون آلهتهم (اشمازت) نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) اى الاصنام (اذا هم يستبشرون قل اللهم) بمعنى يا الله (فاطر السموات والارض) مبدعهما (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد (انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من امر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق (ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا) ظهر (لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) يظنون (وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) اى العذاب (فاذا مس الانسان) الجنس (ضر دعانا ثم اذا خولناه) لهم

أعطيناه (نعمة) انعاما (منا قال انما أوتيته على علم) من الله باني له اهل (بل هي) اى القولة (فتنة) بلية يبتلى بها العبد (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان التخويل استدراج وامتحان (قد قالها الذين من قبلهم) من الامم كقارون وقومه الراضين بها (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم

الحركة وعقله الادراك وأما في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهرا و باطنا لانها جسم لطيف شفاف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر على هيئة جسد صاحبها وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فاصلها في وسطه ونورها سار في جميع أجزائه (قوله فيمسك التي قضى عليها الموت) اى لا يردها الى جسدها وتحيا حياة دنيوية (قوله اى وقت موتها) ظاهره ان قوله الى اجل مسمى راجع لقوله و يرسل الاخرى فقط و يصح رجوعه له وللذي قبله و يراد بالاجل المسمى في الممسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التمييز) اى والاحساس (قوله نفس الحياة) أي والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) اى فمتى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والاحساس واعلم انه اختلف هل في الانسان روح واحدة والتعدد باعتبار اوصافها وهو التحقيق أو روحان احداهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة بانها اذا كانت في الجسد كان الانسان متيقظا فاذا خرجت منه نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والاخرى روح الحياة التي اجرى الله العادة بانها اذا كانت في الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فاذا رجعت اليه حيي وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) اى من التوفي والامساك والارسال (قوله وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله ام اتخذوا اضرابا انتقاليا (قوله أي الاصنام) بيان للمفعول الاول (قوله أيشفعون) اشار بهذا الى ان الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) اشار به الى ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله أي هو مختص بها) جواب عما يقال مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى مع انه قد جاء في الاخبار ان للانبياء والعلماء والشهداء شفاعات فاجاب بان المعنى لا يملك الشفاعة الا الله وشفاعات هؤلاء باذن الله ورضاه قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (قوله ثم اليه ترجعون) اى تردون فيجازيكم باعمالكم (قوله واذا ذكر الله وحده) اذا معمولة لقوله اشمازت (قوله اذا هم يستبشرون) اى لنسيانهم حق الله تعالى وهذه الآية تجر بذيلها على اهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو و يفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أي التجئ الى ربك بالدعاء والتضرع فانه القادر على كل شيء (قوله اى يا الله) اى فحذفت ياء النداء وعوض عنها الميم وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه (قوله اهدني) هذا هو المقصود بالدعاء وتمام تلك الدعوة النبوية على ما ورد اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم (قوله ولو ان للذين ظلموا الخ) بيان لغاية شدة ما ينزل بهم (قوله لافتدوا به) اى بالمذكور من الامرين (قوله يوم القيامة) ظرف لافتدوا (قوله وبدا لهم الخ) كلام مستأنف او معطوف على قوله ولو ان للذين ظلموا الخ (قوله سيآت ما كسبوا) اى الاعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم (قوله الجنس) اى فهو اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده (قوله انعاما) اى تفضلا واحسانا (قوله على علم من الله الخ) اى او مني بوجوه سببه او اني أعطيته بسبب محبة الله لي وفلاحي (قوله اى القولة) اشار بذلك الى ان الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى ان النعمة فتنة اى امتحان واختبار هل يشكر عليها او يكفرها (قوله ان التخويل) اى اعطاء النعم تفضلا واحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك الى ان قومه لم يقولوها بالفعل وانما نسبت

لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيئات ما كسبوا) اى جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله فقحطوا سبع سنين) أى أوائل سنى الهجرة حتى أكلوا الجيف والعظم المحرق (قوله ثم وسع عليهم) اى استدراجا لهم لا رضا عليهم (قوله أولم يعلموا) اى القائلون انما أوتيته على علم عندى (قوله يبسط الرزق لمن يشاء) اى وان كان لا حيلة له ولا قوة طائعا أو عاصيا وقوله ويقدر أى لمن يشاء وان كان قويا شديدا طائعا أو عاصيا فليس لبسط الرزق الدنيوى ولا لقبضه مدخل فى محبة الله ولا بغضه بل بحكمته تعالى (قوله ان فى ذلك) أى المذكور (قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا الخ) سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى وحشي قاتل حمزة يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم انه من قتل أو أشرك أوزنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلى لا أقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء قال وحشي أرانى بعد فى شبهة أيغفر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشي نعم الآن لا أرى شرطا فاسلم وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل انها أرجى آية فى كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعانى والبيان أمور حسان منها اقباله تعالى على خلقه ونداؤه اياهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة فى قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل اسمائه الجامع لجميع الاسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بان وضمير الفصل فى قوله انه هو الغفور الرحيم للاشارة الى انه تعالى لا وصف له مع عباده الا الغفران والرحمة ومناسبة هذه الآية لما قبلها ان الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم فى قوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف (قوله الذين أسرفوا على أنفسهم) اى فرطوا فى الأعمال الصالحة وارتكبوا سيء الاعمال وأكثروا منه (قوله لا تقنطوا من رحمة الله) ان قلت ان فى هذا اغراء بالمعاصى واتكالا على غفرانه تعالى وهو لا يليق أجيب بان المقصود تنبيه العاصى على أنه ينبغى له ان يقدم على التوبة ولا يقنط من رحمة الله وليس ذلك اغراء بالمعاصى بل هو تطمين للعصاة وترغيب لهم فى الاقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أى من باب جلس وسلم وهما سبعيتان (قوله وقرئ بضمها) أى من باب دخل وهى شاذة (قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا) أى اشراكا أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لان بها يخرج العاصى من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما فى الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأما من مات مسلما ولم يتب من ذنوبه فامره مفوض لربه ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخله الجنة وأما من مات مشركا فلا يغفر له بنص قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لان دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهى لمن عدا ذلك (قوله لمن تاب من الشرك) انما خص الشرك لان التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعا والفرق ان تعذيب العاصى تطهير وتعذيب الكافر غضب فمآل العاصى للجنة وان طالت مدته فى النار لان معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله انه هو الغفور الرحيم) تعليل لما قبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالغفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنيبوا الى ربكم) أتى بهذه الآية عقب التى قبلها لئلا يتكل العاصى على الغفران ويترك التوبة والرجوع الى الله فافاد ان الرجوع

سيآت ما كسبوا) اى جزاؤها (والذين ظلموا من هؤلاء) أى قريش (سيصيبهم سيآت ما كسبوا وماهم بمعجزين) بفائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم (أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) به (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا) بكسر النون وفتحها وقرئ بضمها تيأسوا (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) لمن تاب من الشرك (انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا) ارجعوا (الى ربكم وأسلموا) أخلصوا العمل (له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) بمنعه

الى الله والاقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله ان لم تتوبوا) راجع لقوله من قبل ان ياتيكم العذاب (قوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) أى على لسان احسن نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنيبوا والمعنى ارجعوا الى ربكم والزموا أوامر أحسن كتاب انزل اليكم ونواهيه وهذا الخطاب عام للاولين والآخرين من لدن آدم الى يوم القيامة ولكن من ادركه التكليف كلف باتباعه ومن لم يدركه بان كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لو فرض انه ادركه ومن هنا اخذ الميثاق على الانبياء واممهم أنه ان ظهر محمد وأحدهم حي يلزمه اتباعه وفي الحديث لو ادركني موسى ما وسعه الا اتباعي وحينئذ فالمعنى اتبعوا يا عبادي من اول الزمان لآخره احسن كتاب انزل اليكم من ربكم فالمكلف بهذا الخطاب من ادركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت ولذا كلف به من بقي حيا حتى ادركه كالخضر والياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لاحسن فان ما انزل الينا من ربنا كتب كثيرة واحسنها القرآن وهذا كله على ما فهم المفسر وقيل معنى احسن ما انزل اليكم الخ اى من القرآن وهو اوامره دون نواهيه او عزائمه دون رخصه او ناسخه دون منسوخه او ما هو اعم والخطاب لخصوص هذه الامة فتدبر (قوله ان تقول نفس) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله بادروا قبل ان تقول الخ وقدره غيره كراهة او مخافة ان تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لاجله وهو اسهل مما قدره المفسر والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله يا حسرتي) أى فقلبت الياء ألفا فهي في محل جر ونداؤها مجاز اى هذا اوانك فاحضري (قوله اى طاعته) اشار بذلك الى ان المراد بالجنب الطاعة مجازا لان الجنب في الاصل الجهة المحسوسة ويرادفه الجانب فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه لان الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وان كنت لمن الساخرين) الجملة حالية والمعنى فرطت في جنب الله وانا ساخر (قوله او تقول الخ) او للتنويع في مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفي نسخة بالطافه اى اسعافه ولو قال بآياته لكان اظهر (قوله فاكون من المحسنين) اما معطوف على كرة فيكون من جملة المتمنى والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص نظير قول الشاعر

لولا توقع معتر فارضيه * ما كنت أوثر اترابا على ترب

ويكون اضمار ان جائزا لا واجبا قال ابن مالك

وان على اسم خالص فعل عطف * تنصبه ان ثابتا او منحذف

او منصوب في جواب التمني ويكون مرتبا على التمني والفاء للسببية واضمار ان واجب (قوله فيقال له الخ) اى جوابا لمقالته الثانية وأخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودي فان الكافر اولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يتمنى الرجوع الى الدنيا ان قلت ان بلى يجاب بها النفي ولا نفي في الآية أجيب بان الآية متضمنة للنفي لان معنى قوله لو ان الله هداني لم يهدني (قوله وهي سبب الهداية) أشار بذلك الى ان المراد بالهداية الوصول بالفعل واما ان اريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك الى ان المراد كذب يؤدى للكفر والا فظاهر الآية يعم كل كذب على الله تعالى وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب على الله تعالى كالافتاء بغير الشرع ورواية الحديث بالكذب (قوله وجوههم مسودة) الجملة حالية ان جعلت الرؤية بصرية او مفعول ثان ان جعلت علمية (قوله أليس في جهنم الخ) هذا تقرير لاسوداد وجوههم (قوله اتقوا الشرك) اى جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الايمان وهذه تقوى العامة وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصي وتقوى خواص الخواص عدم خطور

ان لم تتوبوا (واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) هو القرآن (من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) قبل اتيانه بوقته فبادروا قبل (أن تقول نفس يا حسرتى) اصله يا حسرتي اى ندامتي (على ما فرطت في جنب الله) اى طاعته (وان) مخففة من الثقيلة اى واني (كنت لمن الساخرين) بدينه وكتابه (او تقول لو ان الله هداني) بالطاعة اى فاهتديت (لكنت من المتقين) عذابه (او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة) رجعة الى الدنيا (فاكون من المحسنين) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بلى قد جاءتك آياتى) القرآن وهي سبب الهداية (فكذبت بها واستكبرت) تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بنسبة الشريك والولد اليه (وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى) مأوى (للمتكبرين) عن الايمان بلى (و ينجي الله) من جهنم (الذين اتقوا) الشرك

الغير بالهم (قوله بمفازتهم) الباء سببية متعلقة بينجي وفي قراءة سبعية أيضا بمفازاتهم جمعا باعتبار الاشخاص (قوله أي بمكان فوزهم) أي بمكان ظفرهم بمقصودهم والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لا يمسهم السوء) يحتمل ان تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمفازتهم فلا محل لها من الاعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شيء) هذا دليل لما قبله ودخل في الشيء الجنة ومافيها والنار ومافيها وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه (قوله له مقاليد السموات والارض) المقاليد جمع مقلاد أو مقليد والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السموات أو الارض وروى عن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها فتحت له (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن (قوله متصل بقوله و ينجي) أي فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه (قوله المعمول لتأمروني) أي والاصل أتأمروني بان أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تأمروني العامل في عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أي مخففة مع فتح الياء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للمناسبة واستغنى بها عن نون الوقاية (قوله بادغام) أي مع فتح الياء وسكونها وقوله وفك أي مع سكون الياء لا غير فالقراآت أربع سبعيات (قوله ولقد أوحي اليك الخ) اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لقد أوحي الخ ونائب الفاعل قوله لئن أشركت الخ والمعنى أوحي اليك هذا الكلام (قوله فرضا) أي على سبيل التقدير وفرض المحال وهو جواب عن سؤال مقدر كيف يقع الشرك من الانبياء مع عصمتهم وقيل المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك ان قلت كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم فما وجه إفراد الخطاب أجيب بان المعنى أوحي الى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال كسانا الامير حلة أي كسا كل واحد منا حلة (قوله ليحبطن عملك) من باب تعب وقرئ شذوذا من باب ضرب (قوله ولتكونن من الخاسرين) عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثاني وهو لئن أشركت والقسم الثاني وجوابه جواب عن القسم الاول وهو لقد أوحي وحذف جواب الشرط وهو ان أشركت للقاعدة (قوله بل الله فاعبد) عطف على محذوف والتقدير فلا تشرك بل الله الخ (قوله وكن من الشاكرين) أي على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته لان الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقي النعم (قوله وماقدروا الله حق قدره) ان قلت ان مفهوم الآية يقتضي أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته ومقتضى قوله صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وقوله سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته انه لا يعلم الله الا الله فكيف الجمع بينهما أجيب بان الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التي فرضت عليهم وهي تنزيهه عن النقائص ووصفه بالكمالات والحديث محمول على المعرفة التي لم تفرض على العباد وهي معرفة الحقيقة والكنه فتدبر فتحصل أن العجز عن الادراك ادراك والبحث عن الذات اشراك ولم يكلفنا الله الا بان ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى (قوله أو ماعظموه حق عظمته) مفهومه أنهم عظموه لا حق تعظيمه وهو كذلك لانهم معترفون بانه الاله الاكبر الخالق لكل شيء (قوله والارض جميعا الخ) الجملة حالية من لفظ الجلالة والمعنى ما عظموه حق تعظيمه والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقدم الارض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها (قوله أي في ملكه وتصرفه) أشار بذلك الى أنه ليس المراد حقيقة القبض بل المراد التصرف والملك ظاهرا وباطنا بخلاف أمور الدنيا فان للعبيد فيها أملاكا ظاهرية وقيل أنه كناية عن انعدامها

(بمفازتهم) أي بمكان فوزهم من الجنة بان يجعلوا فيه (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) متصرف فيه كيف يشاء (له مقاليد السموات والارض) أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرها (والذين كفروا بآيات الله) القرآن (أولئك هم الخاسرون) متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) غير منصوب باعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بادغام وفك (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك) والله (لئن أشركت) يا محمد فرضا (ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله) وحده (فاعبد وكن من الشاكرين) انعامك (وما قدروا الله حق قدره) ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره (والارض جميعا) حال أي السبع (قبضته) أي مقبوضة له أي في ملكه وتصرفه (يوم القيامة والسموات مطويات) مجموعات (بيمينه) بقدرته (سبحانه وتعالى عما يشركون) معه

بالمرة وهو ظاهر ويقال في الطي مثل ذلك (قوله ونفخ في الصور الخ) التعبير في هذا وما بعده بالماضي لتحقق وقوعه أي لكونه واقعا في علم الله تعالى أزلا لان كل ما ظهر فهو جار في سابق علمه تعالى والنافخ اسرافيل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره عليهم السلام والصور بسكون الواو في قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الارواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الارواح وتتصل باجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الارواح الى الموتى وشعبة في فم اسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماه قد نزلتا عن الارض السفلى مسيرة مائة عام (قوله النفخة الاولى) ظاهر المفسر ان النفخ مرتان نفخة الصعق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية وقيل ان النفخ ثلاث مرات فالنفخة الاولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسخير البحار والناس احياء والهون ينظرون اليها فتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهي المعنية بقوله تعالى إن زلزلة الساعة شيء عظيم والنفخة الثانية يكون بها الصعق وعندها يموت كل من كان حيا حياة دنيوية وأما من كان حيا حياة برزخية فانه يغشى عليه والنفخة الثالثة نفخة القيام وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح لتستريح الارض من الهول الذي حصل لها وفي تلك المدة تمطر السماء وتنبت الارض ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات (قوله مات) أي من كان حيا في الدنيا ويغشي على من كان ميتا من قبل لكنه حي في قبره كالانبياء والشهداء (قوله من الحور الخ) اى فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت ويستثنى منه بمعنى الغشي والدهش موسى عليه السلام فانه لا يغشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لانه صعق في الدنيا في قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى (قوله وغيرها) أي كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون بالنفخة الاولى وانما يموتون بين النفختين لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا ونفخ في الصور الآية فقالوا يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى قال هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول يارب بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني فيقول الله تعالى يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أي بعد اربعين سنة على الصحيح وقرب نفخة القيام تاتي سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خاثرا كالمني فتنبت أجسام الخلائق كما تنبت البقل فتتكامل اجسامهم وكل ابن آدم تاكله الارض الا عجب الذنب فانه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فتركب عليه أجزاؤه فاذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم أنشق عنه القبر ثم قام خلقا سويا وفي النفخة الثانية يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة والاعضاء المتمزقة والشعور المتنثرة ان الله المصور الخالق يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادي قوموا للعرض على الجبار فيقومون كما قال تعالى يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر الآية فاذا خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله كما قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ويمشي المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم كما قال تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي الآية الاخرى يحملون اوزارهم على ظهورهم (قوله فاذا هم قيام) بالرفع في قراءة العامة خبر عن الضمير وقرئ شذوذا بالنصب على الحال وخبر الضمير قوله ينظرون (قوله ما يفعل بهم) أي من الحساب والمرور على الصراط

(ونفخ في الصور) النفخة الاولى (فصعق) مات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) من الحور والولدان وغيرها (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم) أي جميع الخلائق الموتى (قيام ينظرون) ينتظرون ما يفعل بهم

وادخالهم

وادخالهم الجنة أو النار (قوله واشرقت الارض بنور ربها) المراد بالارض الارض الجديدة المبدلة التي يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أي حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما في الحديث سترون ربكم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضيء به الارض وليس من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب) اي اعطى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه اوشماله (قوله وجيء بالنبيين والشهداء) أي وذلك ان الله تعالى يجمع الخلائق الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم يأتكم نذير فينكرون و يقولون ماجاءنا من نذير فيسأل الله تعالى الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما كانوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون أرسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله الله تعالى عن امته فيزكيهم و يشهد بصدقهم (قوله أي العدل) اي بالنسبة للكافرين واما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل (قوله أي جزاءه) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله اي عالم) اشار بذلك الى ان اسم التفضيل ليس على بابه اذ لا مشاركة بين القديم والحادث (قوله فلا يحتاج الى شاهد) أي لانه عالم بمقادير افعالهم وكيفياتها وانما الشهود وكتابة الاعمال لحكم عظيمة منها اقامة الحجة على من عاند وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله

والعرش والكرسي ثم القلم * والكاتبون اللوح كل حكم
لا لاحتياج وبها الايمان * يجب عليك أيها الانسان

(قوله وسيق الذين كفروا الخ) هذه الآية ومابعدها تفصيل لما اجمل في قوله ووفيت كل نفس ما عملت (قوله بعنف) اي شدة لانهم يضربون من خلف بالمقامع و يسحبون من امام بالسلاسل والاغلال (قوله الى جهنم) المراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت سموا بذلك لان الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) اي فوجا فوجا كما في آية كلما ألقي فيها فوج والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى اذا جاؤها) حتى ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل (قوله فتحت ابوابها) أي ليتلقون حرارتها بانفسهم (قوله جواب اذا) اي باتفاق (قوله رسل منكم) أي من جنسكم (قوله القرآن) أي بالنسبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وغيره أي بالنسبة لبقية الامم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم وليس المراد به يوم القيامة جميعه فانه مختلف باعتبار الاشخاص فيكون نعيما وسرورا للمؤمنين وشدة وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) اقرار بما وقع منهم وانما انكروا حين سألهم الله تعالى طمعا في النجاة فلما قامت الحجج عليهم وتحتم الامر بعذابهم رأوا أن الانكار لا فائدة فيه فاقروا وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم وتارة يقرون بالسنتهم (قوله على الكافرين) أظهر في محل الاضمار اشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله مقدرين الخلود) اشار بذلك الى ان قوله خالدين حال مقدرة وذلك لانهم عند الدخول ليسوا خالدين وانما هم منتظرون ومقدرون الخلود (قوله فبئس مثوى المتكبرين) اظهر في محل الاضمار اشارة الى بيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب وقوله جهنم هو المخصوص بالذم (قوله وسيق الذين اتقوا ربهم) أخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين (قوله بلطف) أشار بذلك الى ان السوق في الموضعين مختلف فسوق الكفار سوق اهانة وانتقام وسوق المؤمنين سوق تشريف واكرام وفي المعنى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لانهم يذهبون راكبين فيسرع

(واشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) حين يتجلى لفصل القضاء (ووضع الكتاب) كتاب الاعمال للحساب (وجيء بالنبيين والشهداء) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ (وقضي بينهم بالحق) أي العدل (وهم لا يظلمون) شيا (ووفيت كل نفس ما عملت) اي جزاءه (وهو أعلم) اي عالم (بما يفعلون) فلا يحتاج الى شاهد (وسيق الذين كفروا) بعنف (الى جهنم زمرا) جماعات متفرقة (حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) جواب اذا (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم) القرآن وغيره (وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أي لاملان جهنم الآية (على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى) ماوى (المتكبرين) جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم) بلطف (الى الجنة

بهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين وهذا من بديع الكلام وهو ان يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان فى حق جماعة وعلى العز والرضوان فى حق آخرين (قوله زمرا) اى جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (قوله حتى اذا جاؤها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة فى زيادة الواو هنا دون التى قبلها ان أبواب السجن مغلقة الى ان يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله جاؤها (قوله سلام عليكم) اى سلمتم من كل مكروه وقوله طبتم اى طهرتم من دنس المعاصى لما ورد انه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من احداهما فتطهر أجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (قوله وجواب اذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة وقيل ان جوابها قوله وفتحت والواو زائدة وقيل هو قوله وقال لهم خزنتها والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتكرمة خبره وكذا ما بعده (قوله وقالوا) اى بعد استقرارهم فى الجنة (قوله الذى صدقنا وعده) اى حققه لنا فى قوله تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا (قوله وأورثنا الارض) أى ملكها لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فاخذها أولاده ارثا لها منه وقيل المراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا والاقرب أن المراد ملكنا اياها كالميراث فانه ملك بلا ثمن ولا شبهة لاحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لا يختار فيها مكان على مكان) اى بل يرضى كل انسان بمكانه الذى أعدله بحيث لو أطلق له الاختيار لا يختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب وهذا جواب عما قيل كيف ذلك مع ان كل انسان له محل معد لا سبيل له الى غيره وأجيب أيضا بان المعنى يختار من منازله ما يشاء لما ورد أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسنا فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يخطر بباله غيرها (قوله فنعم أجر العاملين) هذا من كلام الله تعالى زيادة فى سرور أهل الجنة وقوله الجنة هو المخصوص بالمدح (قوله وترى الملائكة) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة فى السرور لان رؤية الملائكة فى الآخرة من النعيم لا تحادر وحانيتهم مع الانس واما فى الدنيا ففزع لان النوع الانسانى فى الدنيا ضعيف مكبل بانواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقربين (قوله حافين) اى محيطين مصطفين بحافته وجوانبه (قوله اى يقولون سبحان الله وبحمده) اى تلذذا لان منتهى درجاتهم الاستغراق فى تسبيحه تعالى وتقديسه (قوله ختم استقرار الفريقين الخ) أى كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغى حمده فى مبدإ كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) اى بل ومن جميع الخلق فان جميع اهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم * والله أعلم

زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) الواو فيه للحال بتقدير قد (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) حالا (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود فيها وجواب اذا مقدر أى دخلوها وسوقهم وفتح الابواب قبل مجيئهم تكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها اليهم اهانة لهم (وقالوا) عطف على دخلوها المقدر (الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالجنة (وأورثنا الارض) أى أرض الجنة (نتبوأ) ننزل (من الجنة حيث نشاء) لانها كلها لا يختار فيها مكان على مكان (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) حال (من حول العرش) من جانب منه (يسبحون) حال من ضمير حافين (بحمد ربهم) ملابسين للحمد أى يقولون سبحان الله وبحمده (وقضى بينهم) بين جميع الخلائق (بالحق) أى العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وقيل الحمد لله رب العالمين) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة * والله أعلم

﴿ تم الجزء الثالث و يليه الجزء الرابع أوله سورة غافر ﴾

﴿فهرست الجزء الثالث من حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين﴾

